

٣١.٢.١٩٧٥

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين

دراسة وترجيح

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة

إعداد الطالب

سليمان بن محمد بن علي الديبخي

إشراف

أ. ح / علي بن نفيح العلياني

الجزء الأول

١٤١٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : أساسيات العقيدة التي يؤمن بها المعارض في المسيحية . دراسة وتزجيج .

أقسام الرسالة : قسمت هذه الرسالة إلى تهيئة وثلاثة أبواب :

أما التمهيد فبحث فيه : تعريف المعارض واختلاف الحديث ، وأشهر الكتب الثلاثة في مختلف المذاهب ، كما بحث فيه أن المعارض بين النصوص المسيحية إما هو في نظر العقيدة وأما في الحقيقة فليس ثمة معارض ، ثم ذكرت مسالك العلماء عند المعارض ، ثم ترجمت للإسكندر البحاري وسلم عليها راحة الله ، ثم حسنت الصيغة بيان مسكنا المسيحيين عند الأئمة .

وأما الباب الأول فذكرت فيه ثلاثة أصول : أما الفصل الأول فذكرت فيه سبعة مباحث ، وهي كالتالي :

البحث الأول : القدوس . البحث الثاني : الطهارة . البحث الثالث : الرقي .
البحث الرابع : الكني . البحث الخامس : الخلق بغير الله .

البحث السادس : ما جاء في بعض الألفاظ الموهبة للتشريك في القومية .

البحث السابع : ما جاء في قوله آدم : (و قد أخطأت قد أيس أن يبدد المصلون في جزيرة العرب) .

وأما الفصل الثاني فذكرت فيه أربعة مباحث هي كالتالي :

البحث الأول : ما جاء في قوله آدم (كلمة يديه يمين) . البحث الثاني : ما جاء في صيغة فرحة الله آدم .

البحث الثالث : ما جاء في عزاء الله وخوفه مع ورود نصوص للنية والقرب .

البحث الرابع : ما جاء في رواية النبي آدم فربه عز وجل .

الفصل الثالث : مسائل تتعلق بالإيمان ونجته ثلاثة مباحث :

البحث الأول : مناقشة من أساء في الإسلام بسببه في الجاهلية والإسلام . البحث الثاني : أحاديث القواعد والوعود .

البحث الثالث : مكان سورة التوبة .

وأما الباب الثاني فهو اليوم الآخر ، وأنت فصلان : الفصل الأول : وفيه مبحثان :

البحث الأول : ما جاء في ابن ميادة . البحث الثاني : ما جاء في الشعاع .

وأما الفصل الثاني : ففيه مبحثان أيضاً :

البحث الأول : مذهب الميت بكماله عليه . البحث الثاني : في قلة النساء وكثرةهن في الجنة .

وأما الباب الثالث : وهو في القدر ومسائل متعلقة بالنبوة فيه فصلان : الفصل الأول : القدر وفيه ستة مباحث :

البحث الأول : زيادة العمر بصدقة الرجم . البحث الثاني : الشقي من شقي في بعض أمة .

البحث الثالث : (والله ليس إليك) . البحث الرابع : حكم أولاد الكافر كونه في الآخرة .

البحث الخامس : ما جاء في قالو . البحث السادس : وقت كتابة التلذذ ما قدر للعبد .

فصل الثاني : مسائل متعلقة بالنبوة ، وفيه مبحثان :

البحث الأول : حكم التخطيل بين الأبناء عليهم الصلاة والسلام .

البحث الثاني : عدد أمراء النبوة التي منها قرؤا .

وأخيراً يوصي الباحث بالاعتصام بفقهاء الأحاديث الشريفة ، وخاصة العقيدة منها .

وعلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبد الله بن محمد
١٤٤٠ هـ

المحقق
د. علي إبراهيم

المطالع
سيدنا محمد بن عبد الرحمن
١٤٤٠ هـ

المقدمة

إن الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا كَثِيرًا مِمَّا رَزَقَهَا وَأَلْعَا إِلَهُهُ الَّذِي يَلْقَى سَائِلِيهِ يَوْمَ الْآزْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ^(٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ^(٣)

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد : فإن السنة لها مكانة كريمة ومنزلة عظيمة في الإسلام ، إذ هي المصدر الثاني له بعد القرآن ، تفسر مبهمه ، وتفصل بجملة ، وتفيد مطلقه ، وتخصص عامه ؛ وتشرح أحكامه وأهدافه ، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ولكنها تنمشى مع قواعده وأهدافه ولذلك فقد أحال الله تعالى عباده المؤمنين عليها ليحكموها في كل خلاف بشجر ، وفي كل أمر يحل ، وفي كل دعوى ترفع ، مع التسليم التام بكل ما تصدره من الأحكام ، فقال تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي شَأْنِكَ ثُمَّ لَا يُحَدُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ^(٤)

وحث النبي ﷺ أمته على التمسك بها ولزومها بقوله : ((عليكم بسني وملة الخلفاء

(١) سورة آل عمران . آية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء . آية (١) .

(٣) سورة الأحزاب . آية (٧٠ - ٧١) .

(٤) سورة النساء . آية (٦٥) .

الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ))^(١) .

هذه المكانة الكبرى والمربة المعظمى للسنة جعلت السلف - من الصحابة والتابعين ومن بعدهم - يعتنون بها أشد العناية ، فحفظوها وفهموها ونشروها بين الناس ، وحثوهم على التمسك بها ، واعتقاد ما جاء فيها ، والالتزام بأوامرها ونواهيها ، والتحلي بأدائها وأخلاقها .

وجعلوا المعول عليه في عقيدتهم ما صح منها مع كتاب الله تعالى ولم يجعلوا معولهم على العقل الخرد كما هو حال أهل الكلام .

- ولما أدخل في السنة ما ليس منها انتدب أهل العلم والحديث أنفسهم للردود عن حياضها وتمييز صحيحها من سقيمها ، فتكلموا في الرجال بالمرح والتعديل ، وأعلنوا أن الإسناد من الدين ، وألفوا الكتب والمصنفات في بيان الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، كل هذا حفاظاً على هذه السنة التي هي للوحى الثاني بعد القرآن ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُلْقِيَنَّ عَنِ الْقُرْآنِ مُدْعٍ وَلَا رُشْوَى ﴾^(٢) وقال ﷺ : ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه))^(٣) .

ولكن أعداء السنة ما فتئوا يكيدون لها ، فذهبوا يرمونها بالتناقض والتعارض ، ويضربون بعض نصوصها ببعض ، ويشككون في صحة أحاديثها الصحيحة وما تضمنته من المعاني الفريدة - خاصة ما يتعلق منها بالعقيدة - مشدعين بسبل حارف من الشبهات ، وشر متلاعب من البدع والخرافات ، فردوا أخبار الأحاد وزعموا أن أدلة العقيدة لا بد أن تكون قطعية الثبوت حتى تغدو اليقين ، فلا يقبل منها إلا ما كان من القرآن أو ما تواتر من السنة ، وهذا بلا شك منهج خطير أرادوا أو أراد بعضهم منه إبعاد

(١) أخرجه من حديث الترمذي بن سارية أبو داود (عون ٢٣٤/١٢) ح (٤٥٩٤) والبيهقي (شعب ٤٣٨/٧)

ح (٢٨١٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجة (١٥/١) ح (٤٢) وأحمد في مسنده (١٠٩/٥)

ح (١٦٦٩٢) ومصحف الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٨٧١/٣) ح (٢٨٥١) .

(٢) سورة النجم - آية (٤٠٣) .

(٣) أخرجه من حديث القناد بن معاذ يكره : أبو داود (عون ٢٣٦/١٢) ح (٤٥٩١) والبيهقي بنحوه

(نسخة ٤٢٦/٧) ح (٢٨٠١) وابن ماجة (٦/١) ح (١٢) ومصحف الألباني كما في صحيح سنن أبي داود

(٨٧٠/٣) ح (٢٨١٨) .

المراقيل والحواليز بين المسلمين وبين مصادرهم الأصلية ، ولكن علماء السنة وفرسان الشريعة وحراس الملة كانوا لهم بالمِرصاد فأبطلوا شبهاتهم^(١) وأبأنوا زيفها وضلالها ، وأزاحوا الستار عن عطرها وكبدتها ، فأبطلوا بذلك أعيناً عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غفلاً ، فجزلهم الله عن الإسلام والمسلمين غير الجزاء .

وجملة القول أن القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للإسلام اللذان لا غنى للأمة عنهما في سيرة العقائد والأحكام والعبادات والمعاملات وغيرها من أمور المعاش والمعاد .

- ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع حيث إنه يتعلق بالمصدر الثاني من مصادر الدين الإسلامي في أصح كتبه بعد القرآن وهما صحيحا البخاري ومسلم اللذان تلقتهما الأمة بالقبول^(٢) ، وفي أهم جانب من جوانب الدين الإسلامي ألا وهو جانب العقيدة ، فيبحث في تلك الأحاديث التي تؤهم بعض الناس فيها التعارض والاختلاف - والتي ربما تعلق بها من رام هدم الدين والتشكيك في مصادره الأصلية - فيسهم في إزالة هذا التعارض المتوهم ، وذلك حسب القواعد والأمس التي رسمها أهل العلم لدفع التعارض .

ولما أسباب أخرى كانت وراء اعتياري لهذا الموضوع ليكون هو بشي لئيل درجة للماحتر منها :-

١- أن النظر في الأحاديث التي يوهم ظاهرها التعارض - خاصة ما يتعلق منها بالعقيدة - ودفع التعارض عنها له أهمية بالغة عند أهل العلم ولذلك قال النووي : « هذا فن من أهم الأنواع ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف »^(٣) .

٢- أهمية الصحيحين والعناية بما اشتملا عليه من المساحات العقدية وذلك لاتفاق الأمة على تلقيهما وتلقيهما بالقبول .

٣- أن درء التعارض بين أحاديث الصحيحين له منزلة كبيرة لأنها أحاديث مجمع على

(١) انظر: هذه الشبه والرد عليها في كتاب : فروض الباس في الذنب عن سنة أبي القاسم للإمام ابن الوزير ، والأنوار الكاشفة للعلامة عبد الرحمن طهطاوي ، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للشيخ مصطفى السباعي ، ودفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ، وزواجر في وجه السنة لصالح الدين مقبول ، والسنة ومعيتها ومكانتها في الإسلام للدكتور محمد لقمان السلفي ، وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأمين السباعي الأمين .

(٢) انظر : البحث السابق من التمهيد ص (٤١) .

(٣) التزيين مطبوع مع شرحه لتزيين الراوي (١٨٠/٢) .

صحتها في الجملة ، فالتنظر فيها يتجاوز - غالباً - الترحيح بصحة بعضها على بعض ، وعلى هذا فإن إزالة التعارض عنها فيه خدمة لسفري الإسلام بعد القرآن ، وفيه خدمة للباحثين وطلاب العلم ، وخاصة من أشكل عليه تعارضها مع صحتها إذ لا سبيل إلى الطعن في صحتها - غالباً - فلا بد إذن من النظر في سبيل آخر لإزالة هذا الإشكال وذلكم التعارض .

خطة البحث :

بعد أن استقر رأيي على الكتابة في هذا الموضوع - أحاديث العقيدة التي يؤهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح - وضعت له الخطة التالية :

□ المقدمة : وفيها بينت أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهج البحث .

□ التمهيد وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول : تعريف التعارض ومختلف الحديث .
 - المبحث الثاني : أشهر الكتب المؤلفة في مختلف الحديث .
 - المبحث الثالث : بيان أن التعارض بين النصوص الصحيحة إنما هو في نظر المجتهد وأما في الحقيقة فليس ثمة تعارض .
 - المبحث الرابع : مسائل العلماء عند التعارض .
 - المبحث الخامس : ترجمة موجزة للإمامين البخاري ومسلم عليهما رحمة الله
 - المبحث السادس : مكانة الصحيحين عند الأمة .
- الباب الأول : الإيمان بالله ، وتحت ثلاثة فصول :

○ الفصل الأول : ما يتعلق بتوحيد الألوهية ، وفيه ستة مباحث :-

- المبحث الأول : العلوي
- المبحث الثاني : الطيرة
- المبحث الثالث : الرقى
- المبحث الرابع : الكمي
- المبحث الخامس : الحلف بغير الله تعالى
- المبحث السادس : ما جاء في بعض الألفاظ للوهمة للتشريك في الربوبية .

- البحث السابع : في قوله ﷺ ((إن الشيطان قد أيس أن يعبد الصلوة في جزيرة العرب))
- الفصل الثاني : ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات ، وفيه أربعة مباحث :-
- البحث الأول : ما جاء في قوله ﷺ ((كلنا يديه يمين)) .
- البحث الثاني : ما جاء في صفة الرحمة لله عز وجل .
- البحث الثالث : ما جاء في علو الله تعالى وفوقيته مع ورود نصوص للعبادة والقرب .
- البحث الرابع : ما جاء في رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل .
- الفصل الثالث : مسائل تتعلق بالإيمان ، وفيه ثلاثة مباحث :
- البحث الأول : ما جاء في مواخذة من أساء في الإسلام بعمله في الجاهلية والإسلام .
- البحث الثاني : أحاديث الوعد والوعيد .
- البحث الثالث : ما جاء في مكان مدرة المنتهى .
- الباب الثاني : اليوم الآخر ، وتحته فصلان :
- الفصل الأول : أشراط الساعة ، وفيه مبحثان :-
- البحث الأول : ما جاء في ابن صياد ، هل هو المسيح الدجال أم غيره ؟
- البحث الثاني : ما جاء في الدخان ، هل مضى أم لم يأت بعد ؟
- الفصل الثاني : مسائل تتعلق باليوم الآخر ، وفيه مبحثان :
- البحث الأول : ما جاء في تعذيب الميت يكاء أهله عليه .
- البحث الثاني : ما جاء في قلة النساء وكثرةهن في الجنة .
- الباب الثالث : القدر ، ومسائل متعلقة بالنبوة ، وتحته فصلان :
- الفصل الأول : القدر ، وفيه ستة مباحث :-
- البحث الأول : زيادة العمر بصلة الرحم .
- البحث الثاني : ما جاء في أن الشقي من شقي في بطن أمه ، مع ورود ما يدل على أن كل مولود يولد على الفطرة .
- البحث الثالث : ((وأشر ليس إليك)) .

- البحث الرابع : حكم أولاد المشركين في الأحرار .
- البحث الخامس : ما جاء في (اللو) .
- البحث السادس : وقت كتابة الملوك ما قُدِّر للعبد في بطن أمه .
- الفصل الثاني : مسائل متعلقة بالنبوة ^(١) ، وفيه مبحثان :
- البحث الأول : حكم التفضيل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
- البحث الثاني : عدد أجزاء النبوة التي منها الرؤيا .

منهج البحث :

- ١- قمت بتتبع الأحاديث التي ظاهرها التعارض في الصحيحين مما يتعلق بالعقيدة ، ثم تمييز كل أحاديث مسألة على حدة ، مستعيناً - بعد الله تعالى - بحرد الصحيحين ، وبحرد طائفة من الكتب المتناولة للأحاديث التي ظاهرها التعارض كأصول مختلف الحديث لابن قتيبة ، ومشكل الآثار للطحاوي وغيرهما .
- ٢- قسّمت الأحاديث بحسب المسائل التي تعارضت فيها تلك الأحاديث ظاهراً إلى أبواب العقيدة المعروفة على ترتيب حديث حميد بن القيس ^(٢) . ثم قسّمت الأبواب إلى فصول ، والفصول إلى مباحث ، هي عبارة عن تلك المسائل المشار إليها .
- ٣- أما في عرض المسائل ذاتها فقد اجتهدت في أن يكون بطريقة تتناسب مع الأصل الذي قام عليه البحث ، ألا وهو كون تلك المسائل مما قد يوهم ظاهر أحاديثها التعارض وهذه الطريقة تلخص في أمور :-
- أولاً : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض في المسألة .
- ثانياً : بيان وجه التعارض .
- ثالثاً : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض ، على النحو التالي :
- أ (مذهب الجمع : أي الجمع بين هذه الأحاديث ، وذلك بإيراد وجوه الجمع والقائلين

(١) جعلت هذا الفصل في آخر الرسالة - وإن كان حقه التفرع على اليوم الآخر كما هو الحال في حديث حميد بن القيس - لأنه لما استدركه فيما بعد ولم يكن ضمن الحلقة المقدمة لمثل القسم عند عرض الموضوع .

أ) مذهب الجمع أي الجمع بين هذه الأحاديث ، وذلك بإيراد وجوه الجمع والقائلين بها وأدلتهم على ذلك

ب) مذهب السخ - أي نسخ بعضها ببعض بيان ذلك ومن قال به ، وأدلتهم عليه .

ج) مذهب الترجيح أي ترجيح بعض الأحاديث على بعض ، بمعنى «أخذ ببعضها وترك العمل بالباقي الآخر ، ومن قال به وأدلتهم عليه

د) مذهب التوقف أي عدم التعرض للأحاديث بشيء من المذهب السابقة ، وإنما يتوقف حتى يتبين له الحق ومن قال به (١)

٤. انتم في مسائل عدة تبحث أن تكون الأحاديث شعاعاً فيها من قبيل الأحاديث مرفوعة إلا في ثلاث مسائل (الرؤية ، ومكان سيرة النبي ، ولقدحان) فإن الحديث لعارض فيها من قبيل الموقوف وقد ذكرت هذه المسائل لأمرين .

١ أن بعض أهل العلم - خاصة الشافعي بها - جعلوها من قبيل مرفوع حكماً

٢ أن هذه المسائل كانت ضمن مخططة الملقمة مجلس القسم عند عرض الموضوع

٥. أعرو لأبواب في سورها يذكر اسم السورة ورقم الآية .

٦- أخرج الأحاديث من مصادرها الأصلية

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي به لأن المقصود ثبوت الصحة - وقد عمدت لفظ البخاري في الحديث الثقل عليه ، وإذا عمدت لفظ مسلم - فائدة معينة - يست ذلك في التخرج بقولي مثلاً أخرج مسلم واللفظ به ، وإذا كانت الفائدة بذكر اللفظين معاً لفظ البخاري ولفظ مسلم - ذكرتهما معاً

وإذا كان للحديث الذي في الصحيحين طرقاً فإنني أذكرها إن كان لذكرها فائدة كأن يكون في بعضها ما يس في البعض الآخر ، فإن لم يكن لذكرها فائدة فإنني لا أشرم بذكرها .

(١) النسخ كما هو مذهب لا يدخل على الأخير والمقلد ، وإنما جعلته هنا ضمن مذهب العلماء تجاه التعارض لأنني وجدت من ينكح في بعض مسائل كما سألني إن شاء الله تعالى

(٢) هذه مذهب النسخ - الترجيح التوقف الأصل هو ذكرت في كل مسألة لكن قد يكون بعض المسائل لا تأخذ فيها بعض تلك المذهب فيمكن فيها ما قبله ثم إنني سبكت في ترتيب هذه المذاهب رأي الجمهور وهو ترتيب النسخ

- إذا كان الحديث في غير الصحيحين فبإني أخرجه من الكتب الستة وغيرها حسب
الوسع والطاقة

في أحاديث الصحيحين الأصول - التي تكون في الطلب الأول من كل بحث ألتزم
في تحريرها بذكر الكتاب والسبب والخبر والصحة ورفض الحديث ، وفي عهده لا ألتزم
بذلك ، بل أكتفي بذكر رقم الخبر والصحة ورفض الحديث

- اعتمدت في مساندة الإمام أحمد على طبعين إحداهما كاملة والأخرى ناقصة وهي التي
عليها تحقيق الشيوخ أحمد شاكر ، فإذا ذكرنا حكم أحمد شاكر على الحديث فمعنى ذلك
أن الإحالة على طبعه ، وإذا لم نذكر حكمه فمعنى ذلك أن الإحالة على الطبع
الأخرى

إذ قلب في بعض الإحالات أضح أو فتح الباري ، وما أعني بذلك فتح الباري لأبي
حجر ، فإن أردت فتح الباري لأبي رجب بيته

٧- بالنسبة لترجم الأعلام فترجمت الترجمة لكن علم له رأي أو قول معين - بعض القطر
عن الشهرة أو عدمها لأنها غير منصبة - عند الصحابة رضي الله عنهم لا أترجم لهم وقد
سقطت هذه الترجمة في ملحق خاص في آخر الرسالة وأترب هذه الطريقة - المتبعة في عدد
كثير من الجامعات منها جامعة أم القرى - فلا أخرج عن المقصود وثلاً ترفع الرسالة
بكثرة تراجم الأعلام ولأن الأعلام لا تعني الفرائض كناية صلب الرسالة فمعنى أراد معرفة
علم فليرجع إليه في الملحق وقد انتهت في الملحق على حروف المعجم مرادياً بذلك الاسم
الذي ورد به في الرسالة وذلك حتى يسهل العثور عليه

٨ عرفت بالمرق

٩- ذكرت معاني بعض المؤلفات العربية

١٠- عرو - الأقوال بل قائلها

فإن كان نصاً وصححه بين قوسين ثم أحته في الهامش إلى مصدره .

فإن تصرف فيه قلب بعد ذكر الإحالة في الهامش : بتصرف .

فإن كان النقل بالمعنى ، أو أردت الإشارة إلى وجود هذا القول أو هذا الكلام في
مصدر معين قلب في الهامش قبل ذكر لإحالة : انظر .

١١ وضعت خاتمة في آخر الرسالة بينت فيها أهم نتائج هذا البحث .

١٢ وصعب عنه مهارس في تحرير الرسالة سهيلاً لتوصون إلى ما حوته من مسائل

وعبرها ، وهي كالتالي

- فهرس دلائل الفقرة آية

- فهرس للأحاديث النبوية

فهرس فلائدر

- فهرس للأعلام لمؤرخين

فهرس بشرق

- فهرس للمصادر والمراجع .

فهرس عام للمحتويات

وأخيراً دأبى لا أزعج في هذا البحث - المواضيع - التي قد بلغت فيه الكمال أو أنه حال من إخطأ والغصن ، وبكى الذي أزعجه أي قد بذلت جهدي ووسع طريقي ، فإن وثقت فمن الله وحده وإن رب بي أقدم من نفسي والشیطان .

ولا يمضي في تمام هذه المقدمة أن أشكر الله تعالى على نعمته وعظيم امتنائه إذ وفقني لإتمام هذه الرسالة ، التي تولاه لما تم شيء منها .

ثم أشكر فضيلة سيدي الأستاذ الدكتور علي بن صبح العلوي حفظه الله الشرف على هذه الرسالة على ما تولاني به من نصيح وارشاد وتوجيه وسديد ، وعلى مبادرته بفراءه هذه الرسالة من أولها إلى آخرها أولاً بأول رغم كثرة مشاغله ، وعلى حرصه الدائب على عدم هوري أو إهمالي ، فحواه الله عني خير ما جرى شياً عن تلميذه .

كما أشكر جامعة أم القرى على ما تقدمه من خدمات جليلة لتعليم وطلاءه .

كما أشكر القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين ، وأخص بالشكر قسم العقيدة على ما يبدونه من سهيل وتيسير وخدمة بالغة لطلاب العلم والمشتغين به

وأشكر أخيراً كل من ساعدني بنصح أو توجيه أو إرشاد ، أو إعداء كتاب ، من المشايخ والزملاء ، وأسأل الله تعالى أن يوفقني لصالح العمل ، وأن يعصمني من فتنة القول والعمل ، وصلى الله وسلم على نبيها محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

التمهيد

وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول : تعرف المعارض ومختلف الحديث .
- المبحث الثاني : أشهر الكتب المولفة في مختلف الحديث .
- المبحث الثالث : بيان أن المعارض بين النصوص الصحيحة إنما هو في نظر المجتهد وأما في الحقيقة فليس ثمة تعارض .
- المبحث الرابع : مسائل العلماء عند المعارض .
- المبحث الخامس : ترجمة موجزة للإمامين : البخاري ومسلم عليهما رحمة الله .
- المبحث السادس : مكانة الصحيحين عند الأمة .

المبحث الأول

تعريف التعارض ومختلف الحديث

أولاً . تعريف التعارض

١- التعارض لغة مصدر (عارض) فهو يفتضي واعدى فأكثر فائدة هنا : معارض الدلائل كان للمعى : تشارك الدلائل في التعارض الذي وقع بينهما وهو يفس في اللغة ويُستعمل لعدة معانٍ من أهمها .

١- المنع قال الأزهري « والأصل منه أن الطريق إذا عترض فيه بناء أو غيره مع السابلة من سوكه وكل ما يمنع من شغل و غيره من الأعراس فهو عارض . وقد عارض عارض أي حال حال ومع مانع ^(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْشَةً لَا يَتَخَبَّطُكُمْ أَنْبَاءُ وَتَقُولُوا ﴾ ^(٢) أي لا تجعلوا خلف ربك معرباً مانعاً لكم ، أي يسكم وبين ما يقربكم إلى الله تعالى ^(٣)

٢- نقابة

قال في لسان العرب « عارض الشيء بالشيء معارضة فعله ، وعارض كتابي بكتابه أي قابضه » ^(٤)

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَأَى جِبْرِيلَ كَانَ يَعارضِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارِضِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَصْرَ أَجْلِي ﴾ ^(٥)

قال ابن الأثير . « أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن ، من المعارضة . المقابلة » ^(٦)

٣- الظهور

قال في لسان العرب « عارض له أمر كذا أي ظهر ، وعرض عليه أمر كذا أي

(١) تهذيب اللغة (١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥) وانظر لسان العرب (١٢٩/٧) كلاب مداه (عرض)

(٢) سورة البقرة ٢٢٤

(٣) انظر القاموس المحيط (٥١٣/٢) مادة (العروص) ، لسان العرب (١٢٨/٧) مادة (عرض)

(٤) لسان العرب (١٦٧/٧) مادة (عرض)

(٥) معنى عليه من حديث عائشة البعظري (١٣٧/٣) ج ٣٤٦ ومسلم (٢٣٩/١٦) ج (٢٤٥)

(٦) النهاية في غريب الحديث (٣١٢/٢)

أظهره له وأمره إليه «^(١)، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾^(٢)
قال أبو عبد الله لمطري «^(٣) تنوب لعرب عرست الشيء فأعرض ، أي أدهرته فظهر ،
ومنه : عرست الشيء للبيع «^(٤)
ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾^(٥)
أي أبررهم وأظهرناهم للكافرين^(٦)
ب- التعارض اصطلاحاً

أكثر من سبب تعريف التعارض بهذا الاسم لأصوليون ، وأما محدثون فذهبوا لم
يتأووه بهذا الاسم ، وإن تأووه تحت اسم (مختلف الحديث)^(٧)
وقد تعدد تعريفات لأصوليين للتعارض واحتجبت عباراتهم فيها ، فكس هذا
الاختلاف لا يبيح عليه اختلاف في حقيقة التعارض عندهم ، لأن هذه التعريفات متقاربة
ولا اختلاف بينها إنما هو في الصياغة اللفظية غالباً^(٨) .
وبكس أن يعرف التعارض الذي هو موضوع هذا البحث وهو التعارض بين
الأحاديث بأنه «^(٩) تعاليل حديثين أو بين على وجه يمنع كل منهما مضمون الآخر تشابهاً
ظاهراً »^(١٠)

(١) تعالى العرب (١٦٨/٧) مادة (عرض)

(٢) سورة الفرقة آية ٣٩

(٣) الجمع لأحكام القرآن (٢٨٣)

(٤) سورة الكهف آية (٠)

(٥) انظر جامع البيان في تبيين القرآن للطبري (٢٩١/٨)

(٦) سيأتي تعريفه ص (١٣)

(٧) للإطلاع على هذه التعريفات انظر التعارض والتوجيه بين الأدلة الشرعية للزهراني (١٨) ، صحيح التوفيق
والتوجيه بين مختلف الحديث لكور عبد الله الموسوي (٤٨) ، مختلف الحديث بين القدماء والمحدثين لكور
نافع حسن حماد (١٩) .

(٨) صحيح التوفيق والتوجيه بين مختلف الحديث لكور عبد الله الموسوي (٥١) والتأخر مختلف الحديث
وموقع التلاد والمختلن من لكور أسامة عبد الله الخياط (٥٦) ، مختلف الحديث بين القدماء والمحدثين لكور
نافع حسن حماد (٢٢)

شرح التعريف

(تعاقب) حسن في التعريف يشمل كل تعاقب سواء كان بين حديثين أو غيرهما .

(بين حديثين) جيد يخرج به لتعاقب بين غير الحديثين كالتعاقب بين آية وحديث أو بين

حديثين وأي دليل غير الحديث مما ليس من موضوع دراستنا

(سوي) جيد يخرج به لأحاديث ملوثة على النصحية ، والأحاديث المقطوعة على

التابعين

(عني وجه يجمع كل منهما مقصدي الآخر) وصف لتقابل ، ويقصد به . أن يدل كل

من حديثين على عني ما يدل عليه الآخر

(نقدياً ظاهراً) يُقصد به أن التقابل والتعارض بين الأحاديث إنما يكون بحسب الظاهر

لا في الواقع ونفس الأمر ، فهو تعارض يتأخر إلى ذهن المجتهد ، وليس به وجود بين

الأحاديث ، فإذا ما عمل المجتهد مسالك دفع التعارض^١ بين ما يركه متعارضاً من

الأحاديث ارتفع عن ذهنه التعارض^(٢)

ثانياً . تعريف مختلف الحديث :

أ- مختلف الحديث لغة

المختلف مأخوذ من لاختلاف ، والاختلاف مصدر فعل اختلف ، والمختلف - بكسر

اللام - اسم فاعل ، والمختلف - بفتح اللام - اسم معول ، واختلاف ضد الاتفاق ،

يقال تخالف الأمران واختلفا أي لم يتفقا ، وكل ما لم يساو فقد تخالف واعتصف^(٣) .

ب مختلف الحديث اصطلاحاً :

عرفه علماء المصطلح بعدة تعريفات متعددة^(٤) أكتفي منها بتعريف السوي رحمه الله

تعالى حيث عرفه « بأن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً »^(٥) ومن خلال هذا

(١) سباني يأتها في أصبحت المربع من هذا المصنف إن شاء الله تعالى

(٢) انظر منهج القويم والوجيه بين مختلف الحديث (٥١)

(٣) انظر القدوس الربيع (١٨٦، ٣) بيان العرب (٩١، ٩) المصباح لطيف بن عبد الله (١٧٩) كنهم مادة (صنف)

(٤) انظر صلاح على هذه التعريفات انظر ترجمة النظر بشرح مجلة الفكر لابي حمزة (٣٣) صنف الحديث لابي كشور

نافع حسين حميد (١٣)

(٥) التتريب للسوي مطبوع مع صرحه بترتيب الرمزي (١٨٠/٢)

التعريف وتعريف التعارض المتعادم بعد أنهما يعنى واحد ، فهما لفظان يُسمى واحد ^(١) ، فالأصوليون استخدموا لفظ التعارض ، والمحدثون استخدموا لفظ يختلف الحديث القبول والتضي لا بد من نوعها هي التحديث حتى يتحقق فيهما معنى مختلف الحديث ، أو التعارض الظاهري :

١- أن يكون الحديث من النوع (القبول) ، أما (الردود) فإنه لا يدخل تحت مختلف الحديث ، لأن دفع التعارض واجب عن مسالك التوصل بين ما يعارض من سن النبي ﷺ خلاصه بثلاث من الأسس والقبول من الاختيار .

٢- أن يرد حديث آخر يعارض له في المعنى الظاهري ، أما الأحاديث التي يُفسدونها آخرها ، أو آخرها نوعاً فإنها لا تعتبر من مختلف الحديث ، وإنما بعد من (مشكل حديث) ^(٢) .

٣- أن يكون الحديث للعرض صالحاً للاحتجاج به ، ولو لم يكن في رتبة معارضة صحة وحسناً .

فإن كان الحديث لمعارض ضعيفاً فإن الحديث القوي لا يؤثر فيه مخالفة الضعيف ، إلا أن يوجد للحديث الضعيف شواهد ومناصب تعصده وغير ضعفه ، فعندها يمكن لمعارضة أن تقع بينهما ^(٣) .

ثالثاً الفرق بين مختلف الحديث ومشكل الحديث

بعد الكلام على مختلف الحديث لا بد من الإشارة إلى الفرق بين مشكل الحديث حتى لا يحصل خلط بين شكل والمختلف أو يُوهم أنهما شيء واحد ، وانصرف لهما كما يلي

١- أن مختلف الحديث يعنى التعارض الظاهري بين حديثين أو أكثر كما تقدم ، فإذا لم يوجد هذا التعارض فإنه لا يتحقق معنى (مختلف الحديث) .

- بينما مشكل الحديث يشمل حالات كثيرة تختلف فيما بينها بحسب سبب الإشكال .

أ- فقد يكون سبب الإشكال تعارضاً ظاهرياً بين حديثين أو أكثر

(١) انظر مختلف الحديث للدكتور د. محمد حسين محمد (٢٢)

(٢) سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى بيان الفرق بين مختلف الحديث ومشكل الحديث

(٣) انظر مختلف الحديث للدكتور أسامة الحياض (٣١)

ب - وقد يكون سببه عموداً في دلالة لفظ الحديث على معناه لسبب في اللفظ ذاته ، بحيث لا بد من حرية عامة تربط هذه ، كأن يكون لفظاً مشتركاً بين عدة معان ، فلا يصحح أيها المقصود من اللفظ إلا بقرينة مدارجية معينة .

ج - وقد يكون سبب الإشكال تعارضاً ظاهرياً بين آية وحديث

د - وقد يكون سببه معارضة الحديث للإجماع أو القياس

هـ - وقد يكون سببه منافسة الحديث للعقل

٢ - أ - العمل في تصنيف الحديث لا أنه التعارض بين حديثين لابد أن يكون جارياً على القواعد التي رسمتها أهل علم عند وجود التعارض فيحاول المجتهد التوفيق بين الأحاديث لتصلها بالجمع إن أمكن ، فإن عجزه فليستح إن تخلف طامخ ، فإن عجزه فليستح

ب - كما العمل في مشكل الحديث يكون مائلاً في النظر في المعاني التي يمتثلها اللفظ وحصلها ، ثم الاجتهاد في البحث عن القرائن التي يمكن بواسطتها معرفة المراد .

ج - من خلال هذا تعريف بين مشكل الحديث ومختلف الحديث يتبين لنا أن مشكل الحديث أهم من مختلف الحديث ، فكل مختلف مشكل ، وليس كل مشكل مختلف ، فبهما عموم وعصوم مطلقاً^(١)

وقد جاءت كتب المؤلفين في هذا الفن على ضربين :

أ - أحدهما من حيث مشكل الحديث ومختلف الحديث ، وجعلها في مصنف واحد على صورة موهمة أيهما شيء واحد .

ومن هؤلاء من ختبه في كتابه (تأويل مختلف الحديث)

وكذلك الطحاوي في كتابه (مشكل الآثار)

وإن كان صبيح الثاني وهو الطحاوي أحد من الأول لأن مختلف الحديث والعمل في مشكل الحديث ولا عكس

وثانيهما من لم يخلط بين المختلف والمشكل كالإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه

(١) سيأتي مزيد بيان لهذه القواعد في بحث الرابع من هذا المصنف إن شاء الله تعالى

(٢) انظر مصنف الحديث - لا ما للحديث (٣٧) صبح التوفيق والوجه بين مختلف الحديث بعد التحق الموسوعة

و اختلاف الحديث فإنه اعتبر على الأحاديث التي بينها تعارض ظاهري فقط و لم يدخل فيه الأحاديث المشككة ، فجاء عنوان الكتاب مطابقاً لمضمونه ^(١٦)

(١٦) الفهرست مختلف حديث لأسماء مكيه (١٣)

المبحث الثاني

أشهر الكتب المؤلفة في مختلف العديث

لقد اهتم أهل العلم قديماً وحديثاً بهذا النوع من الحديث بصنوه فيه التصانيف ، وأنصوا به الثبوتات ، وكتبوا على الأحاديث المتعارضة في الظاهر بكلام علمي رصين ، راسخ ، مثل تلك النواهد والأسس التي يجب أن يسلك لدفع ذلك التعارض الظاهري ، وسأتكلم في هذا المبحث بإيجاز عن أربعة كتب هي أشهر الكتب المؤلفة في هذا الفن ،

وهي كالتالي

١ كتاب (اختلاف الحديث) للإمام الشافعي رحمه الله تعالى

يعتبر هذا الكتاب أول مؤلف في هذا الفن حيث قام فيه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بجمع نصوص السنة المختلفة والمتعارضة في الظاهر فوفى بينها ، وجمع بين متلواتها ، معار بهذا قصص السبق

قال الإمام السيوطي في ألفيته :

أول من وصف في المصنف الشافعي فكسب النوع حصي^(١)

وبكده م يقصد في هذا الكتاب استيعاب النصوص المتعارضة في السنة ، وإنما قصد التمثيل ويبين كيفية إزالة التعارض بينها لتكون عوداً لمن بعده من العلماء

قال النووي رحمه الله تعالى « وصف فيه الإمام الشافعي ، ولم يقصد رحمه الله تعالى استيعابه ، بل ذكر جملة يسهل بها على طريقته »^(٢) .

وقد السخاوي « وأول من تكلم فيه إمامنا الشافعي ، وله فيه ملحد جليل من جهة كتب الإمام ، ولكنه لم يقصد استيعابه ، بل هو مدخل عظيم هذا النوع ينسب به التعارض على طريقته »^(٣)

وقد ظهر هذا الكتاب بأنه تصحيح مسعول ومختصر منوع (مختصر الحديث) فلم يأت

(١) ألفية السيوطي (١٢٨)

(٢) مختصر مصدق مع شرحه تدریب فراوي (١٨٠/٢)

(٣) فتح لعل (٧١٢)

وهو الشافعي بالأحاديث المشككة لأنها ليست مما يدخل في إحياء الحديث كما هو عنوان الكتاب

١- ولم يدعي التبيين عليه هذا أن هذا الكتاب قد عصبه الشافعي رحمه الله تعالى في مسائل الفقه ، ولم يذكر شيئاً من المسائل المتعلقة بالعقيدة .

٢- كتاب (تأويل مختلف الحديث) لأبي حنيفة رحمه الله تعالى .

لقد كان مقصود ابن قسمة رحمه الله تعالى في تأليف هذا الكتاب الرد على من ادعى على الحديث الناقص و إحياء وإسالة المعنى من التفسيرين إلى المسلمون^(١) ، وجاء كتابه مسالماً خمسة أنواع من الأحاديث هي كالتالي :

١- الأحاديث التي ادعى عليها الناقص

٢- الأحاديث التي تحالف كتاب الله تعالى

٣- الأحاديث التي يدعيها الظن وحججه العقل .

٤- الأحاديث التي تحالف الإجماع

٥- الأحاديث التي يعطلها القياس^(٢) .

ويظهر من هذا أن ابن قسمة لم يقتصر في كتابه على المحلف بل سأل المشكك وقد بلغ عدد المسائل والعقوبات المتعلقة بنوع (مختلف الحديث) ستة وأربعين مسألة .

وأم المسائل المتعلقة بنوع (مشكل الحديث) فقد بلغت اثنين وستين مسألة^(٣) .

وقد قمت بحصر المسائل متعددة المتعلقة بمختلف الحديث والتي هي موضوع هذه الرسالة . فسمرد على الثلاث عشرة مسألة ، وليست كل أحاديثها في الصحيحين المأخذ على هذا الكتاب .

يؤخذ على هذا الكتاب اهتمامه بالترتيب والتنسيق ، فتجد مسائل الفقه مثلاً غير مرتبة على أبواب الفقه المعروف ، بل هي مساندة في الكتاب مخلطة بالمسائل الأخرى المتعلقة بالعقيدة وغيرها

(١) انظر مقدمة هذا الكتاب ص (١١) وبه يعلما

(٢) انظر مختلف الحديث لأسامة خياط (٤٠٢)

(٣) لمرجع السابق (٤٤)

كما يؤخذ على هذا الكتاب أن مؤلفه أدخل «الأحاديث المشككة بخالف بذلك ما عيون به كتابه ، ومع ذلك فإنه لم يفعل بين المسائل المتعققة بمختلف الحديث والمسائل المتعلقة بمشاكل الحديث ، فوجد مسائل المختلف تخلطه بمسائل لمشكل ، والأول أن يوجد قسم خاص لكل منها يشرح تحته مسائله المتعلقة به .

ويؤخذ على ابن قتيبة رحمه الله تعالى في هذا الكتاب - أصب - أنه ربما أتى حديثين أحدهما صحيح والآخر ضعيف ثم يذهب ليحاول الجمع والتوفيق بينهما ، ربما الأولى له في هذه الحالة ، يصرح الضعيف وتقوم الحجة بالصحيح ، عذرون بهذا الاختلاف ، ولا حاجة إلى تكلف الجمع والتوفيق .

وهذا السبب وغيره ، تنقده بعض أهل العلم في كتابه هذا

فقال ابن الصلاح « وكتاب عتسف الحديث لاس قتيبة في هذا المعنى ، إن يكن قد أحسن فيه من وجهه ، فقد أساء في أشياء منه ، فصر باعه فيها وأتى ما غيره أولى وأقوى »^(١)

وقال النووي « صنف فيه ابن قتيبة فأتى بأشياء حسنة وأشياء غير حسنة لكون غيره أقوى وأولى وترك معظم المختلف »^(٢) .

وقال ابن كثير « ابن قتيبة له فيه خلل مفيد ، ومنه ما هو عت ، وذلك بحسب ما علمه من العلم »^(٣)

٣- كتاب (مشكل الآثار) للطحاوي رحمه الله تعالى .

يعتبر هذا الكتاب أوسع ما كتب في هذا المجال ، وقد أوضح الطحاوي رحمه الله تعالى مقصوده من تأليف هذا الكتاب فقال « إني نظرت في الآثار المروية عنه عليه السلام بالأسانيد المقبولة التي نقلها دوو الشيب فيها ، والأمانة عليها ، وحسن الأداء لها ، فوجدت فيها أشياء مما سقطت معرفتها وانعمت بما فيها عن أكثر الناس ، فمال قلبي إلى تأملها ، ونيان ما قدرت عليه من مشكلها ، ومن استخراج الأحكام التي فيها ومن بعض لإحالات عنها ،

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (١٧٣)

(٢) التقریب للقریبي مع شرحه للغريب القریبي (١٨١٢)

(٣) المختصر علوم الحديث مع شرحه الباعث الحديث لأحمد شاكر (١٦٩)

وإن جعل ذلك أبواباً ذكر في كل باب منها ما يوجب الله ﷻ في من ذلك فيها ، حتى أين ما قدر عليه منها ككتبت ، ملحقاً ثواب الله ﷻ عليه ، والله أسأل التوفيق لذلك ودفعه عنه فإنه جواد كريم وهو حسبي ونعم الوكيل » (١) .

من كلام الفلاحاري ما يظهر لنا أنه قصد في تأليفه هذا الكتاب أموراً ثلاثة .
أحدها : بيان ما قدر عليه من مشكئها

وثانيها : استعراض الأحكام التي فيها .

وثالثها : نهي الإحالات عنها

وقد جاء كتابه كما وعد مسروحاً لهذه الأمور الثلاثة ، كما جاء كتابه منسجماً بالشمول و لتوسع فلم تقتصر مسائله على موضوع أو في معين بل شملت مواضيع وموضوعات متعددة في العقائد والآداب وفي الفقه والفروع وفي أسباب السوء والفسادات وغيرها (٢)

ويمكن مما يلاحظ على هذا الكتاب أن مؤلفه صرح فيه كما صرح ابن قتيبة في كتابه بأويل مختلف الحديث فلم يعزل بين مسائل الفحلف ومسائل الشكل . وإنما بينها في كتابه دون تمييز بعضها عن بعض

كما يلاحظ على هذا الكتاب عدم الترتيب والتنظيم مما يعسر معه الحصول على المطلوب . فتجد أبواب لموضوع الواحد متشعبة ومتفرقة من أبواب الكتاب إلى آخره ، فإذا أردت البحث عن مسألة معينة لم تجد بداً من استعراض جميع أبواب الكتاب .

ولذلك قال أبو شامس يوسف بن موسى الحنفي . « وكان تطويل كتابه بكثرة تطريقه الأحاديث وبتلفظ بالكلام فيه حرصاً على الشافي في البيان على غير ترتيب ونظام ، لم يتوح فيه صم باب من شكله ولا إلتحاق نوع بحسه . فتجد أحاديث الوصوء فيه متفرقة من أبواب الدين إلى آخره ، وكثرت أحاديث الصلاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام ، يكاد أن لا تجد فيه حديثين متصين من نوع واحد فصارت بذلك هوائيه ولطائفه منتشرة متشعبة فيه ، يعسر استخراجها منه ، إذ أراد طالب أن يقف على معنى يعينه لم يجد ما

(١) مشكئ الآثار لطهري ، ٣/١

(٢) نظر حنف الحديث لأسامة الخياط (٤١٣)

يستدل به على موضوعه إلا بعد تصفيع جميع الكتاب ، وإن ذهب فذهب إلى تحصيل بعض أنواعه اعترف في ذلك إلى شحط جميع الأيوب ^(١١) .

وقال السجدي « وهو من أهل كنه يعني الطحاوي - ولكنه قابل للاعتصار غير مستغن عن التزيين والتهديب ^(١٢) » ^(١٣) .

٤ - كتاب (مشكل حديث ويانه) لابن مورك رحمه الله تعالى .

هذا الكتاب يختلف في مصونه عن الكتب السابقة ، وإن كان يشابهها في التسمية إذ أنه لا يتعلق بالأحاديث التي لها مرادف النعازض وإنما هو عبارة عن مجموعة من الأحاديث المتعلقة بالعقيدة التي « ي المؤلف » ، طاهرها التشبيه والتجسيم بناءً على مذهبه - وهو المذهب الأشعري - فيقوم بتأويلها وصرفها عن طاهرها المراد منها فالكاتب إنما عاين بالمعينة على المذهب الأشعري .

ولقطع على هذا الكتاب يلحظ أمرين عجيبين :

أحدهما البحث عن أوجه التأويل لكل حديث ، والتكلف في ذلك ، وهو يعتقد أن هذه مهمة طائفة من أهل الحديث ، فقد قسمهم إلى فريقين :

فرقة هم أهل الفقه والرواية ، وحصر أسانيدنا وتغيير صحيحها من صحيحها ، وفرقة

(١١) المختصر من المختصر من مشكل الآثار (٢١٠)

(١٢) فتح طيف (٢١٣)

(١٣) قد اختصره القاضي أبو الوليد بن رشد الفقيه (م ٥٢٠ هـ) وذلك بهدف أسانيد الأحاديث وتخليص طرفها واختصار كثير من المناقش من غير أن يخل بشيء من معانيها كما أنه لديه رغبة في قسم كل موضوع إلى موضوعه وتلحق كل مشكل بمشكلة أخرى مختصر من مختصر (٣١١) المختصر المختصر بن رشد القاضي أبو الحسن يوسف بن موسى حفي في كتاب سماه (المختصر من المختصر من مشكل الآثار) وهو مطبوع منذول عليه

سبب أبو القاسم يوسف بن موسى صاحب (المختصر) كتاب (المختصر من مشكل الآثار) للقاضي أبي الوليد الشافعي م ٥٤٤ هـ ، وهو موجود على غلاف (المختصر) بناءً على هذه النسبة ، ولكن - بعد التبحر والتثبت - تبين لي به وجه الله مدد من هذه النسبة لأن المختصر ليس لأبي الوليد الشافعي ، وإنما هو القاضي أبي الوليد بن رشد الفقيه كما تقدم كما ذكر ذلك عدد كبير من أهل العلم كالشيخ أبي السمر (٥٠٢ ، ١٩) وابن حجر في الفتح (٢٨٤) وغيرهما ، ولم أحد من نسب هذا الاختصار إلى أبي الوليد الشافعي غير أبي القاسم يوسف بن موسى في كتابه (المختصر) فلعل سبب توهم هو اشتراكهما في الكتابة والعلم بكلأخصا يقال له ، القاضي أبو الوليد ، والله تعالى أعلم

منهم يعجب عنهم حتى يرى لغيره وتقائيس ، والإبانة عن ترسب المروع على الأصول
ونقي شبه لليسين عنها ، والفرقة الأولى للذين كانترة للملك
والفرقة الأخرى كالحرم من الذين يذوبون عن عز ثلثك ^(١)
وواضح أن ابن مورك في كتابه جعل مهمته تحقيق هدف الفرقة الثانية ، وبذلك ذكر فيه
ما يراه من مشكل الحديث .

والأمر الآخر خطه مما يورده من الأحاديث - بين الأحاديث الصحيحة والصعبة
والموضوعة ، حيث جعلها سقاً واحداً في الدلالة وضروره التأويل ، وإذا أشار إلى ضعف
بعض الروايات لا يكتفي بذلك في ردّها وبيان عدم حاجته إلى بحث ما دلت عليه من
لصحة لله تعالى ، وما سير إلى ضعفه ، إن أشار بكلمات ، ثم يذهب بحيله ورجله في
أولدها ^(٢) .

(١) انظر مشكل المصنف لابن مورك (٣٢)

(٢) موقف من تبيين من الأشاعة في كتور عبد الرحمن الحمود (٥٦٣/٥٦٤٢)

المبحث الثالث

بيان أن التعارض بين النصوص الصحيحة إنما هو في نظر

المجتهد وأما في الحقيقة فليس ثمة تعارض

ذهب جمهور أهل العلم من الأصوليين والمحدثين والفقهاء^(١) إلى عدم وقوع التعارض الحقيقي بين النصوص الصحيحة ، وأن التعارض الذي ينعكس أن يوجد بينهما إنما هو في ظاهر الأمر وفي نظر المجتهد ، وأما في واقع الأمر وحقيقته فليس فيه تعارض .
وعده هو الحق الذي لا مراءيه فيه ، إذ أن التعارض في نفس الأمر وحقيقته ، وذلك بأن يصدر عن الشارع دلائل متعارضان يقضي أحدهما بنفي ما يقتضيه الآخر ، ولا يكون بينهما نسخ ولا يجمعهما جملع أو يوفق بينهما رابط لا يكون محال . بل هو سعه وتبه شره عنه لرجل فعقل فضلاً عن لشارع الحكيم^(٢) ، وإليك أقوال بعض أهل العلم في هذا الصدد

قال الإمام الشافعي : « لا يصح عن النبي ﷺ أبداً حديثان صحيحان متضادان يعني أحدهما ما يشبه الآخر من غير جهة خصوص والعموم والإجمال والتفسير إلا على وجه لسح و... لم يجده »^(٣)

وقال لإمام ابن حنبل : « لا أعرف أنه روي عن رسول الله ﷺ حديثان يتضادان صحيحين متضادين . فمن كان عمده فلأن به حتى أولف بينهما »^(٤)

وقال القاضي أبو بكر الباقلي : « وكل من علم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكلم بهما ، فلا يصح دعوى التعارض فيهما على وجه . وإن كان ظاهرهما التعارض »^(٥)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لا يتم أن يوجد في الشرع خصال متعارضان من

(١) انظر التعارض والفرق بين الأمة الشرعية للرومي (٤١)

(٢) انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لشيخ ابن علي حسن (٣١٩/١)

(٣) إرشاد الصحاح لشيخ كافي (٤٦) وانظر الرسالة للشافعي (١٦٣ ، ١٦٤)

(٤) الكفاية في علم الرواية لمصطفى البغدادي (٦٠٦)

(٥) التبيين المبين في الصفات

جميع الوجوه ، وليس مع أحدهما مخرج يقدم به «^(١)

وقال بن القيم : « وأب حديث صحيحان صريحان متعارضان من كل وجه ليس أحدهما باسماً للأخر فهذا لا يوجد أصلاً ، ومعاد الله أن يوجد في كلام الصادق المصدوق الذي لا مخرج من بين شعبه إلا الحق ، والأداة من لتقصير في معرفة القول ، والتقصير بين صحاحه ومعونه ، أو القصور في فهم مراده ﷺ ، ومحل كلامه على غير ما عباه به ، أو منها معاً ، ومن هاهنا وقع من الاختلاف والفساد ما وقع »^(٢)

ويصور الإمام الشافعي : « لا يجد الله دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف ، لكن لما كان أفراد المحدثين غير معصومين من خطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم »^(٣) .

واستدل هؤلاء على عدم وقوع التعارض حقيقي بأدلة كثيرة أذكر شيئاً منها :

١- أن الأحاديث النبوية وحكي من الله تعالى كما قال ﷺ

﴿ وَمَا يُلْقِ فِي الرِّجْلِ مِنَ الْخَبَرِ إِلَّا هُوَ الَّذِي يَشَاءُ لِمَا يَخْتَارُ ۚ وَمَا كَانَ مِنْهُ عِثَرٌ ۚ ﴾^(٤) وما كان وحياً من الله فهو منه عن الاختلاف والتقصير نحوه تعالى ﴿ وَلَوْ كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلِمَاتٍ مِنْ رَبِّكَ لَكُنَّا كَثِيرًا ﴾^(٥) فمضى الله تعالى أن يقع في كلامه اختلاف اللفظ ، ولو كان فيه ما يقتضي ذلك لم يصدق عليه هذا الكلام بحال

٢- قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ ۚ وَرَبُّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ ﴾^(٦)

حيث أمر الله تعالى في هذه الآية - عند الاختلاف والتشارع - بالرجوع إلى كتابه وإلى سنة رسوله ﷺ وهو كد فيها ما نقص أو اختلف لما كان في الرجوع إليهما فائدة ، بل كان الرجوع إليهما مما يريد التشارع والاختلاف .

٣- أنه لو كان بين الأحاديث الصحيحة تعارض حقيقي لأدى ذلك إلى التكليف بما لا

(١) لقوله في أصول الشريعة ص (٣٠٦)

(٢) رد المحتار لأبي القاسم (١٤٩٤) وانظر شعبه للعبد (٦٧/١)

(٣) طرائف في أصول الشريعة للشافعي (٢١٧/٤) وانظر (٩٢/٤)

(٤) سورة النجم الآية (٤ ، ٣)

(٥) سورة النجم آية ٨٢

(٦) سورة النجم آية (٥٩)

يطابق ، لأن السارع هو أمر المكلف بفعل شيء معين ونهاه عن فعل الشيء ذاته ، ومطلبهما معاً فعل الشيء وعدم فعله ، في د و ح د وعلي وصح واحد نسب واحد فهو تكليف بما لا يطاق ، وبكليف ما لا يطاق لا يُصور أن يأمر به الشارع لقوله تعالى : ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١)

٤- لو كان بين الأحاديث النسوية الصحيحة تعارض حقيقي ، لكان معناه أنها منافضة ، وأن السارع يأتي بدليلين متناقضين في ذاتهما ، وهو وصف للشارع بسهل والعجز ، وهذا محال على السارع من شأنه ، فهو مسره عن كل قصور ، وهو وحده للتصرف بالكمال .

٥- أن عامة أهل الشريعة أثبوا النسخ والفسوخ في نصوص الكتاب والسنة وحسروا من الجهل به وإخفاً فيه ، ومعلوم أن النسخ والفسوخ إنما هو فيما بين دليلين متعارضين بحيث لا يصح جماعهما بحال ، وإلا لما كان أحدهما باسماً والآخر منسوخاً ، فلو كان التعارض الحقيقي جائزاً لما كان للبحث عن إثبات النسخ والفسوخ - لدفع التعارض - فائدة بل كان عتاً ، وهذا لا شك أمر باطل ، فدل على أن التعارض الحقيقي في نصوص الشريعة غير موجود .

٦- أن الأصوليين قد انعموا على إثبات الترجيح بين الأدلة المتعارضة ظاهراً - إذا لم يمكن جمع - ولم يعلم التأريخ بين النصين فيقال بالنسخ - وأنه لا يصح إيمان أحد الدليين للتعارضين جراً من غير نظر وبحث عن مرجح له فهو كان التعارض الحقيقي جائزاً لأدى ذلك إلى رفع باب الترجيح وعدم العمل به والبحث عنه لأن البحث عنه - لدفع التعارض ليس له فائدة ولا إليه حاجة ، وذلك بخلاف وقوع التعارض الحقيقي . ولكن هذا أمر باطل لا يصح ، لأن الأصوليين كما تقدم - قد اتفقوا على القول بإثبات الترجيح وعلى هذا ، مما يرب على عدم إثباته - وهو القول بوجود التعارض الحقيقي - باطل أيضاً (٢) .

(١) سورة البقرة آية (٢٨٦)

(٢) انظر هذه الأدلة وصور في الموهبت للشافعي ٨٥/٤ ٨٩ والتعارض والترجيح بين الأدلة السريعة من رمي (٤٦ - ٤٩ ، وصحح التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث لموسى (٧٢ - ٨٠) وصحح الاستدلال

أسباب وقوع التعارض الظاهري بين النصوص .

تقدم ساً أ. التعارض الحقيقي بين الأحاديث الصحيحة لا يمكن أن يكون ، وأن التعارض المأمور كما هو في ظاهر الأمر وفي نظر جمهور ، وهذا يلي ذكر حجة من أسباب وجود هذا التعارض الظاهري

أولاً : أن يكون أحد الخبرين ليس من كلامه ﷺ ، وقد عطف فيه بعض الرواة مع كونه ثمة ثباتاً ، عالقة بعلط

ثانياً . أن يُخرج الرسول ﷺ عن شيء مما ياتي أحد الرواة بهذا الخبر كاملاً ، ويأتي به آخر مختصراً ، ويأتي ثالث ببعض معناه دون بعض ، فيُطعن بسبب ذلك التناقض والاختلاف بين هذه الأخبار

ثالثاً أن الرجل قد يحدث عنه ﷺ ما ذكره أصحابه دون السؤال الذي تعرفته يروون الإشكال ويشتمى التعارض ولا خلاف .

رابعاً أن يكون أحد حديثين ناسخاً للآخر فيجوز لبعض الناسح بينهما فيطعن ويترجم أن بينهما تعارضاً واختلافاً ، سيما الأمر على خلاف ذلك ، فهذا عُرف أن أحدهما ناسخ للآخر وإن التعارض واشتمى الإشكال

خامساً : أن يكون التعارض في فهم السامع ، ومطر المجتهد لا في كلامه ﷺ وذلك أن النبي ﷺ عربي اللسان والدار فقد يقول القول عاماً يريد به العام ، وعاماً يريد به الخاص ، ومطلقاً قد يقصد في موضع آخر^(١) .

قال من القيم « وما يؤتى أحد إلا من عطف الفهم أو عطف في الرواية ، متى صحت الرواية وفُهم كما ينبغي بين أن الأمر كنه من مشكاة واحدة صادقة متصصة لنفس الحق ، وما لله التوفيق »^(٢)

سادساً الجهل بسنة العرب ، فإن العرب تسمي الشيء الواحد بألأسماء الكثيرة ،

على مسائل الاعتقاد لجمال بن عبيد حسن (٣٣٧،١ - ٣٤٥)

(١) مظهر الرسالة الشافعية (٢٦٣) ، زاد بعد لابن القيم (١٤٩/٤) مذهب الاستدلال على مسائل الاعتقاد

(٣٦ / ١)

(٢) شعاع العليل (٦٧،١)

وتسمى بالاسم الواحد المعاني فكثيره ، كل هذا وغيره من لسان العرب ومطرقته ،
وبساتينها برز القراء ، وحجرات السنة ، فمن جهل ذلك ، اختلف عنه العلم بالكتاب
والسنة (١)

(١) انظر في رسالة نفايع (٥٢)

المبحث الرابع

مسالك العلماء عند التعارض

نقدم لنا^١ التعارض ندفع بأحد أمور ثلاثة هي الجمع أو التسخير أو الترجيح ، ولكن هذه الأمور الثلاثة لا يستعمل عند أهل العلم إلا على ترتيب معين إليك بيانه .
ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب دفع التعارض الظاهري بين الأحاديث على الترتيب التالي^(١) .

أولاً : الجمع

يجب على المجتهد أن يحاول الجمع بين الحديثين المتعارضين عداً ، لأن إعمال الأدلة كلها أولى من إعمالها أو إعمال بعضها ، فحاول المجتهد أن يحمل كل واحد من الحديثين على وجه يختلف عن الوجه الذي يحمل عليه الحديث الآخر ، فقد يكون بينهما عموم وخصوص أو اختلاف وتقييد ... الخ

فإن الشافعي « ولا يسبب الحديثان إلى الاختلاف ما كان عاماً وجهاً بمعيان معاً »^(٢)

وقال أيضاً . « وكلما احتمل حديثان أن يستعملا معاً ، استعملا معاً ولم يُعطل واحد منهما لآخر »^(٣)

وقال الخطابي . « وسبيل الحديث إذا اعتقدا في الظاهر وأمكن التوفيق بينهما وترتيب أحدهما على الآخر أن لا يُحمل على الثاني ولا يُضرب بعضها ببعض ، لكن يُستعمل

(١) انظر اختلاف الحديث للشافعي (٣٩ - ٤٠) الأخير في النسخ والمبسوط من الآثار للحارثي للعدائي .
(٢) روضة البصر ج١ الصفح ١٥٧٢ مقدمة لمسبب الخلاف في علوم الحديث (١٧٢ - ١٧٣)
الشرع للقرطبي مع شرحه لطريق القرطبي للسوحي (١٨٢ - ١٨١/٢) مختصر علوم الحديث لآس كنز مع شرحه فيبحث الحديث وحمد ساكن (١٧٢ - ١٧٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لآس بلزق (٣٩٦ - ٣٩٧) فتح البعث للشمس (١١٣ - ١١٤) مذهب الاستدلال على مسائل الاعتقاد لثمان بن علي حيس (٣٢٢/١ - ٣٢٥)

(٢) الرسالة (٣٤٢)

(٣) اختلاف الحديث (٣١ - ٤)

كل واحد منهما في موضعه ، وهذا حثرت قضية العمياء »^(١)

ثانياً - المسح

هنا نعتبر صمم - وكان الحديثان يقللان تناسخ^(٢) نظر في التواريخ لمعرفة التقدم من التأخر فيكون التأخر ماسخاً للتقدم .

قال الشافعي رحمه الله تعالى « فإذا لم يحتمل الحديث إلا الاختلاف - كما احتضت القطة نحو بيت المقدس والبيت حرام كان أحدهما ماسخاً والآخر مسوخاً »^(٣) وجدير بالنسبة هنا أنه إذا قام الدليل صريحاً على بيان المسح بين الحديثين فإنه حينئذ يضمن به ولا يلجأ إلى المسح

ثالثاً - المرجح

إذا تعدد المسح ولم يقدّم دليل على المسح فُرع حينئذ إلى المرجح ليعمل بالراجح ويُترك المرجوح

قال الشافعي رحمه الله تعالى « وسهوا ما لا يحد من أن يكون أحد الحديثين أنشأه عنى كتاب الله ، أو أنشأه عنى من النبي ﷺ كما سوى الحديثين المختلفين أو أنشأه بالقياس ، فأبي الأحاديث المختلفة كان هذا فهو أولاهما عدداً أن يصار إليه »^(٤)

والعمل بالراجح وترك المرجوح محل إجماع من أهل العلم ، قال الشوكاني « إنه ممن عليه ولم يخالف في ذلك إلا من لا يُعتمد به ، ومن نظر في أحوال الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، وجددهم متفقون على العمل بالراجح وترك المرجوح »^(٥)

(١) معالم السنن (٦٨/٣)

٢- هذا التردد لا يرجع ما لا يعدل تناسخ من الأحاديث وهو ما كان حياً فإنه لا يجوز أن يقع فيه المسح ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية « كتاب الله تعالى غير واثق أما غيره فلا يجوز أن يفتقد ، ولكن عند تيميز أحد الخبرين لأمر وثيق معناه وأن الأمر بينهما المسح ، ولا يُسح ما أنزل الله لا بما أمره الله ، فمن أراد أن يمسح شرع الله الذي يراه برأيه وهو كان ملتبساً ، وكذلك من دفع خبر الله برأيه ونظروا كتاباً مفضلاً « ذكره القماني (٢٠٨/٥) وانظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢٦٨/١ - ٢٧٣)

(٣) اختلاف الحديث (٤٠)

(٤) المنبر ص ٥٥

(٥) إرشاد السعول (٤٠٦)

وجوده ثم جميع كبره المذكورة في كتب الأصول وغيرها ، وقد ذكر الحارمي منها - في كتابه الاعتبار في النسخ والنسوخ من الآثار ^(١) - خمس وجهاً ، وراى عليها بعض أهل العلم فأوصىها إلى مائة وعشرة أوجه ^(٢) .
وقد قسم بعض أهل العلم هذه الأوجه إلى ثلاثة أقسام :

١ - باعتبار الإسهال

٢ - باعتبار اللحن

٣ - باعتبار أمر خارجي ^(٣)

رابعاً . التوقف ^(٤) .

إذا تعدد الجمع والنسخ والتزجيج فإنه يجب التوقف عن العمل بأحد النصين حتى يتبين وجه الحق بينهما

قال الإمام الشافعي : « ما ترك العمل بهما معاً بجمعين أو مفرقين فهو التوقف عن القول بمقتضى أحدهما ، وهو الواجب إذا لم يقع ترجيح » ^(٥)

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى : « فصار ما طأهه التعارض واقعاً على هذا الترتيب جميع إن أمكن ، فاعبار بالنسخ والنسوخ والتزجيج إن عجز ثم التوقف عن العمل بأحد الحديثين » ^(٦)

وبكى هذا التوقف ليس إلى أبد ، وإنما هو إلى أمد ، أي أنه توقف مؤقت ، لأن التوقف إلى غير غاية يُقصي إلى تعيين الأحكام الشرعية ، وقد يكون الحكم مما لا يقبل التأخير ،

(١) ص (٩ - ٢٠)

(٢) انظر إرشاد السعدي لشركاني (٦ - ٤) وما بعدها ، فهاهنا ملئيت لأحد . فهاهنا (١٧١)

(٣) انظر روضة النضر ، ٢٠٧/٢ (وما بعدها)

(٤) التعبير بالتوقف أولى من التعبير بالنساقط كما في كتب أصول الفقه ، قال ابن حجر : « والتعبير بالتوقف أولى من التعبير بالنساقط لأن أحد ، ترجيح أحدهما على الآخر إنما هو بالنسبة للمعصية في الحالة القريبة مع احتمال أن يظهر غيره ، معني عليه » روضة النضر (٣٥)

(٥) التواضعات (١١١/٤) بتصرف يسير

(٦) روضة النضر (٣٥) وانظر فتح المغيث لشمسوري (٧٣/٣)

وعلى هذا فإن التوقف عليه أن يحدث وينتظر ويتأمل حتى يتبين له وجه الحق في المسألة^(١)
والله أعلم

(١) انظر روضة الناظر (٤٣٢/٢)

فيه عند الزبيب الجمع ثم المسح ثم التوضيف هو التوضيح وهو الذي عليه الجمهور كما
يظهر من كلامه في خلاف ذلك فمدحوا المسح فمدحوا التوضيف لأن التوضيف هو الذي عليه الجمهور
والتوضيف هو الجمع من مصدر توضف وهو ترك العمل بالقبول والتوضيف هو الذي عليه الجمهور
- كالتوضيف مثلاً - فمدحوا التوضيف لأن التوضيف هو الذي عليه الجمهور
له كنوز باقة محمد (١٣٦) مختلف الحديث لأسامة الخياط (٣٧٤)

المبحث الخامس

ترجمة موجزة للإمامين البخاري ومسلم عليهما رحمة الله

تمالي

أولاً الإمام البخاري رحمه الله تعالى

١- سمع ومونده وبشأته

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المعوية بن يزيد بن أبي حمزة البخاري^(١) الجعفي البخاري^(٢) وإنما قيل في نسبه الجعفي لأن أبا حمزة - المعوية - أسلم على يد عمال الجعفي فُسب إليه^(٣) قال الخطيب ابن حجر * « فُسب إليه بسبب ولاء عملاً بذهب من يرى أن من أسلم على يديه شخص كان ولاءه له ، وإنما قيل له الجعفي لذلك »^(٤)

- كانت ولادته رحمه الله تعالى يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة^(٥)

وبشأ يماً حيث توفي والده وهو صغير فشأ في حجر أمه^(٦) ، فأحسنت تربيته وسنته حتى عد مولعاً بالعلم وأمله ، فأصبح يشغل بين حلقات العلم والمحدثين وهو في سن مبكرة

وقد حصل له قصة عجيبة في صغره رواها اللالكائي في كرامات الأدياء وغيره قال « ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره مرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك - أو كثرة دعائك - فأصبح وقد

(١) هكذا ضبطها ابن حجر في تعليق (٢٨١/٥) « يصح الباء الواحدة ثم راء مكتوبة ثم قال مهمة مكسورة ثم راء ساكنة ثم ياء موحدة مفتوحة »

(٢) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥٠٢) مع أعلام النبلاء للذهبي (٣٩٠/١٢) هدي الساري لاسم (١٧٧)

(٣) انظر تاريخ بغداد (٦/٢) هدي الساري (١٧٧)

(٤) هدي الساري (١٧٧)

(٥) انظر تاريخ بغداد (٦/٢) مع أعلام النبلاء (٣٩٢/١٢) هدي الساري (١٧٧)

(٦) انظر هدي الساري (١٧٧)

رد الله عليه بصره» (١)

٢- بداية طلبه للعلم

مثل البخاري رحمه الله تعالى كيف كان به أمرك في طلب الحديث؟ فقال: «أطلب حفظ الحديث وما في الكتاب، قيل له: وكسب أنبي عليك إذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرج من الكتاب بعد العشر فحفظت أختلف إلى الداخلين وغيره، وكان يوماً فيما كان يقرأ للناس سليمان بن أبي الربيع عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلان يا أبا الربيع م برو عن إبراهيم، فاستهزئ، فقلت له: رجع إلى الأصل إن كان عدك، فدخل وعرضه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا علام؟ قلت: هو الربيع بن عدي عن إبراهيم، فأخذ لقلم مني وأحكم كتابه فقال: صليت

فقبل له: ابن كم كتب، رد ددت عليه؟ فقال: بن إحدى عشرة، فلما طعنت في سنه عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرف كلام هؤلاء» (٢).

ثم خرجت مع أبي ونسي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أبي بها، وتخلع في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصعب مسائل الصحابة والتابعين وأقوالهم» (٣).

هذا الكلام من البخاري رحمه الله تعالى يدل على أنه بدأ في الطلب في مرحلة مبكرة من العمر، وبدأ في الكتاب، ثم خرج منها وبدأ يتخلف إلى علماء عصره وأئمة بلده، يأخذ عنهم ويرجعهم ويأمنهم، ثم خرج من بلده طلباً للعلم والحديث حتى أصبح إماماً في العلم وأساساً في الحديث يقصده طلاب العلم ومريدوه من كل حذب وصوب.

٣- رحلاته في طلب العلم

كانت أول رحلة قام بها البخاري هي رحلته إلى مكة للحج، وهو في سن السادسة عشرة من عمره تقريباً، قال ابن حجر: «فكان أول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين

(١) امره بها لئلا يكتفي في كرامات الأولياء، مطبوع مع كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٩٠/٩) ومقطب البغدادي في تاريخ بغداد (١١٦/٢).

(٢) يقصد كلام أبي الرائي، ذكر ذلك ابن حجر، انظر هدي الساري (١٧٨).

(٣) انظر تاريخ بغداد، ٧/٢، تهذيب الكمال (٤٣٩/٢٤).

ولو رُحِلَ نُولُ ما طلب لأدرك ما أدركته أقرانه من طبقة عالية»^(١)
وقد أكثر البخاري رحمه الله تعالى بعد ذلك من الرحلة إلى سائر الأمصار في طلب
العلم والحديث

قال الخطيب البغدادي «رحل في طلب العلم إلى سائر عُدُنِي الأمصار وكتب
بخراسان والحبش ومدن العراق كلها وبالبحار والشام ومصر»^(٢)

وحدث البخاري عن عمه فقال: «لغيت أكثر من ألف رجل، أهل البحار والعراق
والشام ومصر لقتهم كثرة، أهل الشام ومصر والخريرة مرسين، وأهل البصرة أربعم
مراتب، وبالبحار ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة ومعدن مع عُدُنِي
خراسان»^(٣)

٤ دكاؤه وحفظه
لقد زُرِّي البخاري رحمه الله تعالى حافظاً قوية ودكاًء حاداً ودعاً متوفلاً وإطلافاً
واسعاً

رُوي عنه أنه قال: «أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير
صحيح»^(٤)

وبسَّ نُولُ على قوة حافظته البخاري وتوفقه دعه من تلك الحادثة التي حدثت له بعدد
وذلك أنه لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث
فعلبوا مؤلفها وأماهوا، فجمعوا من هذه الاستاد لإسناد آخر، وإسناد هذا الذي ليس

(١) هدي الساري (٤٧٨)

(٢) تاريخ بغداد (٥٢)

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٠٧/١٢) ونظر هدي الساري (٤٧٨)

(٤) تاريخ بغداد (٢٥٢) ونظر تهذيب الكمال (٤٦١/٢٤)

(٥) ليس أراد بهذه الألفوف الكثيرة أنها كلها أسانيد ضعيفة كما يظن البعض - فيمكن عليه تصديق ذلك -
وإنما هي طرق متصلة للأسانيد، وقد يروى الحديث الواحد بعشرات الأسانيد فتعذر هذه الأسانيد متعبة
لأحاديث ومما هي في الواقع إلا طرفٌ لحديث واحد، وإيضاً فإنه يدخل في هذه الألفوف آثار الصحابة والتابعين
وعمرهم انصر بمسند من الصلاح (٢٣) فتح التريب للسبكي (٤٦١ - ٤٧٢) التعريف بكتب الحديث السنة
للمسيح محمد بن محمد أبو شهبة (٢٧)

آخر ، ودفعوه في عشرة رجال ، كل رجل عشرة أحاديث ، وأمرهم إذا حصروا المجلس أن يلقوا سباً إلى البخاري ، وأخذوا بلوعد بمجلس ، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث فلما انصأ المجلس بأمله ، انتدب إليه رجل من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخاري : لا أعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه ، فما زال يضي عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ، فكأن السهلاء من حصر الخمس ينصب بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل . فهم ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالمعجز والتقصير وقلة العلم

ثم انتدب إليه رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث الملقوبة ، فقال البخاري : لا أعرفه ، فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه ، فلم يزل يلقى عليه واحداً تلو الآخر حتى فرغ من عشرته ، ولم يخاري يقول : لا أعرفه ، ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا منهم من الأحاديث الملقوبة ، والبخاري لا يريهم على قوله : لا أعرفه

فلما عرف البخاري أنهم قد فرغوا التمس إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثاني فهو كذا ، وثالث والرابع حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل من إلى سباده ، وكل إسناد إلى من ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، فأقر له الناس بالعلم وتدعوا له بالعقل^(١) .

○ شاء العلماء عليه

لقد أتى العلماء على البخاري رحمه الله تعالى في سعة علمه وقوة حفظه وبراعته في علم الحديث - عدد كبير من أهل العلم والعقل في سائر الأمصار ، وليس المشون عليه هم ملاسته أو من جاء بعدهم فقط ، بل حتى شيوخه وأقرانه قد دانوا له بالعقل واعترفوا له بالعلم والحق وإليك بعض أقوالهم .

قال فيه علي بن سليمان : « ما رأي مثل نفسه »^(٢) .

وقال فيه أحمد بن حنبل : « ما أخرج عن أسانيد محمد بن إسماعيل »^(٣)

(١) انظر تاريخ بغداد (٢٠٢) تهذيب الكمال (٤٥٣/٢٤) سير أعلام النبلاء (٤٨١/١٢)

(٢) تاريخ بغداد (١٨٢) ، وانظر تهذيب الكمال (٤٥١/٢٤)

وقال عيسى بن حماد « محمد بن إسماعيل ففيه هذه الأمة »^(١) .
وقال ابن جرير « ما رُيت أحب أديب هذه السماء أعلم بأخبار من محمد بن
إسماعيل البخاري »^(٢)
وقال أبو عيسى الترمذي « لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ
ومعرفة الأسانيد كثير أحداً أعلم من محمد بن إسماعيل »^(٣) .

٦ - مصنفاته

لقد صنف البخاري رحمه الله تعالى العدد الكثير من الكتب والمؤلفات وإليك أشهر
الكتب لمطبوعة

١ - الجامع الصحيح^(٤)

٢ - التاريخ الكبير

٣ - التاريخ الأوسط

٤ - التاريخ الصغير

٥ - لأشب المعرد

٦ - خلى فعال العباد .

٧ - التفرقة خلف الإمام

٧ وفاته

لقد واجه البخاري رحمه الله تعالى بعض من الشذائد^(٥) في آخر حياته ، حتى جعل
يدعو ويقول وقد فرغ من صلاة الليل - : « اللهم إنه قد صاقت عليّ الأرض بك

(٣) تاريخ بغداد (٢١/٢) وأظهر تهذيب الكمال (١٥٦/٢٤)

(١) تاريخ بغداد (٢١/٢) وأظهر تهذيب الكمال (١٥٩/٢٤)

(٢) تاريخ بغداد (٢٦/٢) وأظهر سير أعلام النبلاء (٤٣١/١٢)

(٣) كتاب النمل (٧٣٨٥) ملخص بأثر كتب من الترمذي ، وأظهر تاريخ بغداد (٢٦/٢)

(٤) وهو المعروف بصحيح البخاري ، وسأني التعريف به قريباً إن شاء الله تعالى

(٥) وقد أدرك علم ذكركم طبعاً لئلا يصير الخطر محتمل مع محمد بن يحيى الذهلي بمساور ، وكذلك محتمل مع

أبو حمزة عمار بن محمد الذهلي في تاريخ بغداد (٢٩٢ ، ٣١) تهذيب الكمال (١٦٤/٢) سير أعلام

النبلاء (٤٥٢/١٢ ، ٤٦٣)

رحب فاقصبي إليك ، قال : هذا ثم الشهر حتى قبضه الله تعالى إليه »^(١)

وكانت وفاته رحمه الله « ليلة السبت عند صلاة العشاء - ليلة الفطر - ، ودعى يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لعرض شوال من سنة ست وخمسين ومائتين وعاش اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً »^(٢)

ثانياً الإمام مسلم رحمه الله تعالى

١- نسبه ومولده ونشأته^(٣) .

هو أبو الحسین مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَزْهٍ القشيري النيسابوري^(٤)

- متلف في مولده على أقوال أصحابها ما ذهب إليه بن الصلاح والنووي^(٥) وغيرهما أنه ولد سنة ست ومائتين .

قال بن الصلاح رحمه الله : « لكن تاريخ مولده ومقدار عمره كثير ما تطلب الطلاب عنه فلا يجدونه ، وقد وجدناه والله الحمد ، فذكر الحاكم أبو عبد الله بن أبي شيبة خليفته في كتاب (المزيين لرواه الأخير) : « أنه سمع أبا عبد الله بن الأحرم الحافظ يقول توفي مسلم بن الحجاج رحمه الله عشية يوم الأحد ودعى يوم الإثنين خمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وهذا يقتضي أن مولده كان سنة ست ومائتين والله أعلم »^(٦) .

وقد شأ رحمه الله في بيت علم وجاء فقد كان والده متصمداً لرياسة الناس وتعليمهم ومن كان هذه حياته فلا شك أنه سيكون له أثر عظيم على طلب العلم والأثرام حلقات

(١) تاريخ بغداد (٣٣/٢) وانظر تهذيب الكمال (٤٦٦/٢٤) سير أعلام النبلاء (٤٦٦، ١٢)

(٢) تاريخ بغداد (٦٦) تصريف يسير وانظر تهذيب الكمال (٤٣٨/٢٤) سير أعلام النبلاء (٤٦٨، ١٢)

(٣) ملاحظه : تتبع لكاتب التزويد في سيرة هذا الاسم أنها شحيحة بالعلوم ذات الشخصية عنه ولعلنا جازمه من الضعوبة فكان التعرف على ملامح حياته من جميع جوانبها بخلاف الإمام البخاري فإنه حظي بفرصة واسعة واعتناء بالغ حتى وسعوا حلقه وحلقه

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (١٢ : ٥٥٧) تاريخ بغداد (١٠٠ : ١٣) حياة صحيح مسلم من الإحلال والمطل لاني الصلاح (٥٥)

(٥) انظر مسلم بشرح النووي (١١٦/١)

(٦) حياة صحيح مسلم من الإحلال والمطل (٦٢)

التعليم^(١)

٢ بدية طلبه العلم

بد' الإمام مسلم رحمه الله في طلب العلم وسمع الحديث في سنن مسكوة وكان أول
سماع له سنة ثمان عشرة ومائتين وعمره آنذاك اثنا عشرة سنة
قال بلذهي « وأول سماعه في سنة ثمان عشرة من يحيى بن يحيى القصبني ، وحب في
سنة عشرين وهو أمرد ، فسمع بحكة من القصبني فهو أكبر شيخ له ، وسمع بالكوفة من
أحمد بن يوسف وجماعة ، وأسرع بن وصه ، ثم ارتحل بعد أعوام قبل الثلاثين ، وأكثر عن
عيسى بن أحمد ، لكنه ما روى عنه في (الصحيح) شيئاً ، وسمع بالعراق والحرمين
ومصر »^(٢)

٣ حياته في طلب العلم

رحل الإمام مسلم رحمه الله في طلب الحديث رحلة واسعة^(٣) فقد رحل إلى العراق
واخجار والشام ومصر وعمراسان والري وغيرها من بلدان العالم الإسلامي^(٤)
٤ ثناء العلماء عليه

لقد حظي رحمه الله بثناء عظيم وذكر جميل من علماء عصره ومن بعدهم ، وما ذاك إلا
لجلالة قدره وعظيم منزلته في نفوس المسلمين بسبب كتابه (الصحيح) الذي يعد - هو
وصحيح البخاري - أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .
وفي ما يلي أذكر ثعاً مما قيل في الثناء عليه .

نظر إليه الروزي فقال « من معلم الخير ما أبقاك الله للمسلمين »^(٥)
وقال حمد بن بشا « حفاة الدنيا أربعة أبو روعة بالري ، ومسلم بن الحجاج
بسماور ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند ، وعبد بن سماعيل البخاري

(١) انظر لإمام مسلم بن الحجاج ومهجه في الصحيح لشهر بن حسن آل سلمان (١٩/١)

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٥٨/١٢) وانظر تذكرة العلماء (٥٨٨/٢)

(٣) انظر طبقات صحيح مسلم من الإعلال وقليلة لابي الصلاح (٥٥)

(٤) انظر تاريخ بغداد (١٠١/١٣) طبقات صحيح مسلم (٥٥ : ٥٦)

(٥) طبقات صحيح مسلم (٦٢)

ببخاري» (١)

وقال فيه الخطيب البغدادي: «أحد الأئمة من حفاظ الحديث» (٢)
وقال فيه ابن الصلاح: «فرعه الله ببارك وتعالى يكتبه الصحيح هذا إلى ما لا ينحصر
وعصاره إنما حجة بدأ ذكره وبعاد في علم الحديث وعمومه من العلوم وذلك فصل الله
بقرينه من يشاء» (٣)

وقال فيه النووي: «هو أحد أعلام أئمة هذا الشأن، وكبار المربين فيه وأهل الحفظ
والإتقان، والرحمة في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، والمعروف له بالتقدم فيه بلا
خلاف عند أهل الحق والعرفان والمرجوع إلى كتابه والمضمد عنه في كل الأركان» (٤)
وبعته الذهبي بعدة أوصاف فقال عنه مرة: «الإمام الحافظ حجة الإسلام» (٥).
وقال مرة أخرى: «الإمام الكبير الحافظ الخوذة الحجة المصدق» (٦)
وقال مرة ثالثة: «الحافظ أحد أركان الحديث» (٧).

• مصنفاته

صنف الإمام مسلم رحمه الله تصانيف عديدة ومؤلفات فريدة ولكن لم يصلها منها إلا
الجزء اليسير وأصب تصديقه من ثم تكفي كلها في الحديث وعلومه كأوهام المحدثين
وأسمائهم وعلماهم وفي الرجال وغيرها وإليك سرد أهم كتبه المطبوعة

١- المسند الصحيح وهو المعروف بصحيح مسلم.

٢- الأسماء والكنى

٣- الترميز

٤- الطبقات

(١) تاريخ بغداد، ١٦/٢، ومسير محمد بن الفضال (٤٤٩/٢٤)

(٢) تاريخ بغداد (١٣-١٠٠)

(٣) رسالة صحيح مسلم (٦٠)

(٤) مسلم بشرح النووي، (١١٤/١)

(٥) تذكرة الحفاظ (٥٨٨/٢)

(٦) المعبر (١٣/٥٥٧)

(٧) المعبر في خبر من خبر (٣٧٥/١)

٥ - للمحدثات والروحدث^(١)

٦ - وعاته

بوي رحمه الله تعالى عتسه يوم الأحد ، ودعى يوم الإثنين لحسن بقرى من رجب سنة
، حتى وسين ومائتين

وقد ذكروا قصة عجيبة في سبب وعاته فقالوا ، إنه عقد له مجلس للمذاكرة وذكر له
حديث م يعرفه ، فاستدبر إلى ممره وأوقد السراج ، وقال لمن في الدار لا يدخل أحد
مكم هذا البيت ، فقبل له أهديت لنا سنة فيها نمر ، فقال : قدموها إليّ ، فقدموها إليه
فكان يهلب الحديث ويأخذ نمره نمره يصعها ، فأصبح وقد فني النمر ووجد الحديث ،
قال الحاكم - يروى هذه القصة - ، وأدلى الثقة من أصحابها أنه منها مرض ومات^(٢) .

(١) انظر سير اعلام النبلاء ، ٥٢٩، ١٢ (تذكرة المصنف) ٥٩ / ٢ (إمام مسلم بن الحجاج وشيخه في

الصحيح مشهور آل سليمان) ٢٢٢ / ١ (وما بعده

(٢) فطر تاريخ بغداد (١٣ / ٤) مائة صحيح مسلم (٦٢ - ٦٤ ،

المبحث السادس

مكانة الصحيحين عند الأمة

سأتناول هذا البحث من خلال الحديث عن ثلاثة أمور
أحدها : أقول أهل العلم في بيان مكانة الصحيحين
وثانيهما : تعريف موجز بالصحيحين
وثالثهما : الأحاديث التي تعتمد عليها
أ (أقول أهل العلم في بيان مكانة الصحيحين)

لقد حظي الصحيحان باهتمام بالغ وعناية فائقة من أهل العلم لم تحصل لغيرهما من كتب لسه ، كما هو واضح من كثرة المؤلفات التي ألغت عليهما من شروح ومبسّحات ومصادر كتب ، وتعليق ومختصات ، ولا عجب من ذلك فهذا أول الكتب مولدة في الصحيح بحد ، كما أنهما أصبح الكتب بعد كتاب الله تعالى وتلك فقد تلقتهما الأمة بالرحمة والقبول ، وبورود أقوال أهل العلم في الثناء عليهما وإعظام شأنهما وبيان منزلتهما ، وإليك بعض أقوالهم في ذلك

قال ابن الصلاح « أول من وصف الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مولاهم ، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج الساموري القشيري وكتاباهما أصبح الكتب بعد كتاب الله العزيز »^(١)

وقال النووي « أول منصف في الصحيحين أحمد صحيح البخاري ثم مسلم ، وهما أصبح الكتب بعد القرآن »^(٢)

وقال يصف « من أعظم نعم الله على أمة أصبح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان : البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول »^(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية « الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (١٩ - ٢٠)

(٢) التعريب مطبوع مع شرحه لفرز (١ - ٢٧٢)

(٣) مسلم شرح النووي (١ - ٢)

أصبح من كتاب البخاري ومسلم»^(١)

وقال أيضاً « ليس تب تدعى السماء كتاب أصبح من البخاري ومسلم بعد القرآن وما جمع بينهما »^(٢)

وقال من كتبه عن حسين الشافعي « هذا أصبح كتب الحديث »^(٣)

وقال من أبي العز « المصححان للامام جمعتهما البخاري ومسلم أصبح الكتب المصنفة هذا الذي عليه أئمة لإسلام »^(٤)

وقال السخاوي « واجمعة فكانا هما أصبح كتب الحديث »^(٥)

وقال لعيني « ابن عماء الشرق والعرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصبح من صحيح البخاري ومسلم »^(٦)

ب - تعريف موضح يهتدي الكتابين :
أولاً صحيح البخاري

وسأناول التعريف به من خلال ثلاثة أمور .

١ - التسمية الكريمة من الكتاب

اشتهر هذا الكتاب وعرف عند أهل العلم قديماً وحديثاً باسم « صحيح البخاري » ولكن هذا الاسم ليس هو الاسم الكامل للكتاب وبم ذكره أهل العلم بهذا الاسم اختصاراً ، وذلك لطول الاسم الذي سماه به البخاري .

وهو كما ذكره ابن الصلاح « اجمع للسند الصحيح للمصنف من أمور رسول الله ﷺ ومنه وأيامه »^(٧)

وأما ابن حجر فقد ذكره باسم « الجامع الصحيح للسند من حديث رسول الله ﷺ

(١) مجموع الفتاوى (٣٢١/٢)

(٢) المرجع السابق (٧٤/١٨)

(٣) إحصاء علوم الحديث مطبوع مع شرحه فباث الحديث (٢٢)

(٤) الإبانة (٤٦)

(٥) مع شهاب (٤٤/١)

(٦) عمدة القاري (٥٠١)

(٧) عمدة ابن الصلاح (٢٩)

وسه وثباته »^(١)

٢- مسح البخاري وطريقه في كتابه هذا

لقد مسح البخاري رحمه الله تعالى في هذا الكتاب مسحاً فريداً ومسلماً متميزاً فقد بالغ في الدقة والتحري واجتهد في التثبت والتوثيق ، يتضح ذلك من خلال لظفر في أربعة أمور

أ- أنه سمي أحاديث كونه انتقاء دقيقاً من بين عدد كبير من الأحاديث فقد قال رحمه الله : « خرج هذا الكتاب - يعني الصحيح - من رهاء ستمائة ألف حديث »^(٢) وقال أيضاً : « خرج من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة فيما يسي ويهي ، الله تعالى »^(٣)

ب- أنه استغرق وقتاً طويلاً في تصحيحه ، يدل على ثمرته وثباته وعدم عجلته ، قال رحمه الله : « صنعت كتابي (الصحيح) لسب عشرة سنة »^(٤)

ج- أنه ما وضع حديثاً في كتابه ، لا اعتنى وصله ركعتين واستسبح الله تعالى ، قال رحمه الله : « ما وضع في كتاب (الصحيح) حديثاً إلا اعتسنت قبل ذلك وصلته ركعتين »^(٥)

د- أنه أدرج الصفحة فيما يخرجه من الأحاديث واشترط في ذلك أرقى وأعلى شروط الصفحة

قال رحمه الله : « ما دخلت في كتابي (الجامع) إلا ما صح ، وترك من الصحيح حال الطول »^(٦)

وأما شروطه التي لا تترك فيها يخرجه من الأحاديث في كتابه الصحيح فهما :
١- أن يكون الروي قد عاصر شيخه .

(١) هدي الساري (٩٠١)

(٢) تاريخ بغداد (٩٠٢) والمقر تهذيب الكمال (٤٤٢/٢٤)

(٣) تاريخ بغداد (١٤٠٢) والمقر تهذيب الكمال (٤٤٩،٤٤٨/٢٤)

(٤) للمصنفين السابقين نفس الجزء والصفحة

(٥) تاريخ بغداد (٩/٢) والمقر تهذيب الكمال (٤٤٣/٢٤)

(٦) تاريخ بغداد (٩/٢) وانظر مقدمة ابن الصلاح (٢٢)

٢ أن يثبت معجم الراوي من شيوخه^(١)

وقد قسم البخاري رحمه الله كتابه هذا إلى كتب - فبدأه بكتاب بدء الوحي وعلمه بكتاب التوحيد - وقسم الكتب إلى أبواب وذكر تحت كل باب عدداً من الأحاديث ، وبلغ عدد كتبه (٩٧) كتاباً ، وعدد أبوابه (٣٤٥٠) باباً .

٣ عدد أحاديث صحيح البخاري

ذكر ابن الصلاح وثبته على ذلك من كثير وعمره أن عدد أحاديث صحيح البخاري بالمكرر سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً (٧٢٧٥) وعددها بإسقاط التكرار أربعة آلاف حديث (٤٠٠٠)^(٢)

أما ابن حجر رحمه الله فقد خالفهما في ذلك فجاء إحصاءه كما يلي

عدد الأحاديث بالمكرر من غير للعلاقات والمناجات (٧٣٩٧) حديثاً .

عدد ما فيه من للعلاقات (١٣٤١) حديثاً

عدد ما فيه من المناجات والنسب على اختلاف الروايات (٣٤١) حديثاً .

وعلى هذا يكون جمع ما في الكتاب بالمكرر (٩٠٨٢) حديثاً^(٣)

وأما عدد الأحاديث للوصول من غير تكرار فهي (٢٦٠٢) حديثاً .

وأما عدد التعقبات المرفوعة التي لم يصبها البخاري في موضع آخر فهو (١٥٩) حديثاً

وعلى هذا يكون مجموع الأحاديث الوصولية والتعقبات بدون تكرار (٢٧٦١) حديثاً وهذا الإحصاء من ابن حجر رحمه الله لا يدخل فيه للوقوفات على الصحابة ، والروايات عن التابعين من بعدهم . وفي ما يلي أسوق نص كلام الحافظ في هذا : قال رحمه الله « فجملة ما في الكتاب من الثعالب ألف وثلاثمائة وأحد وأربعون حديثاً ، وأكثرها مكرر ، يشرح في الكتاب أصول متونه ، وليس فيه من المتن التي لم تشرح في

(١) انظر : مختصر علوم الحديث - مطبوع مع شرحه الباحث الحديث (٢٣)

(٢) انظر مقدمة ابن الصلاح ، ٢٢ : مختصر علوم الحديث لابن كثير مطبوع مع شرحه الباحث الحديث (٢٢)

٣، هكذا من الحافظ وهو غلط في الجمع لأن المختصر (٩٠٧٩) حديثاً وليس كما قال الحافظ (٩٠٨٢) حديثاً لأنه قد ورد ثلاثة أحاديث وجمعاً يتبين ذلك من سبيل جمع هذه الأعداد ، هكذا

١٣٤١ + ٣٤ = ١٣٧٥ + ٩ = ١٣٨٤ حديثاً

الكتاب ولو من طريق أخرى إلا مائة وستون حديثاً قد أوردتها في كتاب مفرد لطيف متصلة الأساس إلى من علو عه وخمسة ما فيه من المتاعب والنسب على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأحد وأربعون حديثاً ، فجميع ما في الكتاب على عدد المكرر : تسعة آلاف وثمانون حديثاً ، وهذه العدد خارج عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم وقد أسوعيت وصل جميع ذلك في كتاب تعليق التعليق -

وهذا الذي حررته من عدة ما في صحيح البخاري تحرير يافع فصح ، الله به لا أعلم من تقدمي إليه ، وأنا مقر بعدم العصمة من السهو والخطأ والله المستعان » ^(١) .

وقال أيضاً « فجميع ما في صحيح البخاري من المتن للوصول به لا تكرير على التحرير ألفاً حديث وسعمائة حديث وحديثان ، ومن المتن المتعلقة بالمروعة التي لم يصلها في موضع آخر من الجامع سذكور مائة وتسعة وخمسون حديثاً ^(٢) فجميع ذلك ألفاً حديث وسعمائة وأحد وستون حديثاً

وبين هذا العدد الذي حررته والمعدد الذي ذكره ابن الصلاح وغيره تفاوت كثير ، وما عرفت من أني ألقي الوهم في ذلك ، ثم تأولته على أنه يعمل أن يكون العدد لأول الذي قفوه في ذلك كتاب إذا رأى الحديث مطولاً في موضع واختصراً في موضع آخر يظن أن المختصر غير المطول ، إما بعد العهد به أو لقلة المعرفة بالصناعة ، ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير ، وحيثما ينهين طسب في تفاوت ما بين المحدثين والله للوقوع ^(٣) .

ثانياً - صحيح مسلم

وسأتناول التعريف به من خلال ثلاثة أمور :

١- التسمية الكاملة لهذا الكتاب

لم يصر الإمام مسلم رحمه الله في كتابه هذا على اسمه ولكن وردت عنه تسميته في خارج الصحيح بعنوان (الصحيح لمسلم) ^(١) .

(١) هدي الساري (٤٦٦)

(٢) هذا العدد يختلف بسببه ، فجميع من أمه (١٦) والخطب في هذا يسو

(٣) هدي الساري (٤٢٧)

(٤) انظر مزيح بسند (٢١٢) سدرات قدس لابن العماد (١٤٤٤/٢) الإمام مسلم بن الحجاج وسببه

في الصحيح للدهور آل مطهر (٣٥٧، ٢٣٩/١)

وأما التسمية المشهورة لهذا الكتاب عند أهل العلم وعوامهم فهي (صحيح مسلم)

٢ - صحيح الإمام مسلم وطريقته في كتابه .

لقد اتفق مسلم رحمه الله - في تصحيح كتابه هذا - أثر البخاري رحمه الله صحيح بهجة و استفاد منه حتى أصبح كتابه هو الأقدم بعد صحيح البخاري بل لا يكاد يذكر صحيح البخاري إلا ويدكر صحيح مسلم معه ولا عجب فإن البخاري شيخه وأستاذه قال الخطيب البغدادي « إنما فاضل طريق البخاري ونظر في علمه وحنا جلوه ، ولما ورد البخاري بسبور في آخر أمره لا رمة مسلم وأدام الاختلاف إليه » (١) .

وقال النووي « وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث » (٢)

كما أن مسلماً رحمه الله تعالى قد تأثر بشيخه البخاري في شدة الدقة والحري والاجتهاد في التثبت والتوثق يدل على ذلك

أنه احتار أحاديث كتابه اختياراً دقيقاً من بين عدد كبير من الأحاديث قال رحمه الله تعالى : « صنف هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة » (٣)

- أنه استغرق في تصحيح كتابه هذا وقتاً طويلاً ، كما نقل ذلك تلميذه أحمد بن حنبل فقال : « كنت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة » (٤) .

- أنه التزم الصحة فيما يخرجه من الأحاديث فقال رحمه الله تعالى : « ليس كل شيء عدي صحيح وضعه فيها إنما وضعت فيها ما أجمعوا عليه » (٥)

- إلا أنه رحمه الله تعالى برز في شروحه عن البخاري فلم يشترط إلا المعاصرة مع إمكان التيقن (٦)

كما أنه لم يدكر تراجم لأبواب كما فعل البخاري - بل سرد الأحاديث بعد

(١) تاريخ بغداد (١٠٣/١٣)

(٢) مسلم بشرح النووي (١٢ / ١)

(٣) تاريخ بغداد (١٠٢/١٣)

(٤) سيرة أعلام النبلاء (٥٦٦/١٢)

(٥) مسلم بشرح النووي (٣٦٥/٤)

(٦) انظر مسلم بشرح شعور (٢٤١١/ ٢٤٢)

للقدمة مراداً^(١)

وأما الأبواب للوجود في النسخ المطبوعة فبسبب من صيغ المؤلف ، وإنما هي من صيغ بعض شراح الصحيح ، وأنها في ذلك النووي فقد قال رحمه الله تعالى « وقد ترجم جماعة أبوابه بترجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد ، إما لقصور في عبارته الترجمة ، وإما لركاكته بعضها ، وما لغير ذلك ، وأنا إن شاء الله أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواضعها »^(٢)

ومن الجدير بالذكر أن مسلماً هو الذي وضع عناوين الكتب الرئيسة في صحيحه ، ولذلك فإن ما ذكر في كتب الأقدمين^(٣) وأما الأبواب والشرح حجم التعصيف فلم يصح شيئاً منها كما تقدم

- وقد يعجب عدد الكتب في صحيح مسلم (٥٤) كتاباً وذلك حسب رقيم محمد مؤاد عبد الباقي

وأما الأبواب فقد بالغ - على تعداد محمد مؤاد عبد الباقي تبعاً لتبويب النووي : (١٣٢٩) باباً ، عدا أبواب المقدمة^(٤) .

وقد غير مسلم عن البخاري عميره هريذة وهي أنه يجمع طرق الحديث في مكان واحد ولا يكررها - عالياً ولا يقطعها ولا يفرقها بين الكتب والأبواب ، بخلاف البخاري رحمه الله تعالى فإنه يقطع الحديث الواحد حسب موضوعه ، فيضعه في موضعين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك ؛ مما يشكل صعوبة كبره في الحصول على كامل الحديث .

قال النووي « وقد عرّف مسلم بمأله حصة وهي كونه سهلاً مشاوياً من حيث إنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يبين به ، جمع فيه طرقه التي ارتضاه واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيده المتعددة والمعامله المختلفة ، يسهل على الطالب المتصفح وجوهه واستثمارها ، ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه ، بخلاف البخاري فإنه

(١) انظر حياة الشيخ مسلم ، ١٠٣ (مسلم بشرح النووي) (١٢٩/١)

(٢) مسلم بشرح النووي (١٢٩، ١) انظر ص ١٥٥

(٣) انظر الإمام مسلم بن النخاس ومهجه في الصحيح (٣٨٨/١)

(٤) انظر جامع السائيس ٣٩٢/١ - ٣٩٣

يدكر تلك الوجوه المختصة في أبواب متفرقة متباعدة وكثير منها يكره في غير بابها الذي يسوق إلى فهم أنه أولى به ، وذلك بلقيقة يفهمها البخاري منه ، فيصعب على الطالب جمع طرفه وحصول الثقة جميع ما ذكره البخاري من طرق هذا الحديث ، فقد رأيت جماعة من أئمة السأخرين غصوا في مثل هذا فعوا رواية البخاري أحاديث هي موجودة في صحيحه في غير مكانها السابقة إلى الفهم ^(١) .

٣- عدد أحاديث صحيح مسلم :

وقع الخلاف كثيراً في عدد أحاديث صحيح مسلم ، وذلك بناءً على اختلافهم في عدد الأحاديث لأصول أبواب المتكررات ، واختلافهم في عدد المتكررات بالمتابعات والتشواها

والشهور عند علماء المصطلح أن عدد أحاديث صحيح مسلم يسون لذكر أربعة آلاف حديث (٤٠٠٠) ^(٢) .

وقد قام الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي بحصر الأحاديث الأصلية في صحيح مسلم بسون المتكرر صلح (٣٠٣٣) حديثاً ، وذلك بسون المتابعات والتشواها ، قال رحمه الله تعالى ميباً ذلك « لما كان الإمام مسلم لم يقتصر على طريق واحدة للحديث الذي يسوقه ، بل يسج هذه الطرق بطرق كثيرة متعددة للحديث الواحد ، رأيت حصر هذه الأحاديث الأصلية دون النظر إلى كثرة الطرق التي تتبعها ، فأعطيتها رقماً مسلسلاً من أول الكتاب إلى آخره وبذلك بلغ عدد الأحاديث الأصلية في « صحيح مسلم » (٣٠٣٣) .

ثم قال رحمه الله تعالى « وهو عمل ما سيقى إليه أحد من جميع المشتغلين بهذا « الصحيح » إذ كان حل جهدهم أن يظلموا عدداً ما ورفماً خيباً وانحلالاً لا يتركز على أساس سليم ، فحلت أنا بهذه الحصر كي أصبح حساً حاسماً فاسلاً هذا الاضطراب والتبيلة والله أعلم ^(٣) .

(١) مسلم بشرح النووي ١/ ١٢١

(٢) انظر حسانة صحيح مسلم لأبي الصلاح (١٠١) التعريب للسوي (٨٥١) مختصر علوم الحديث لأبي كثير مطبوع مع شرحه كتاب الحديث (٢٣) الإمام مسلم بن الحجاج وسهجه في الصحيح (٣٩١/١)

(٣) حسانة صحيح مسلم ١/ ١٠٠ ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي

- وأما عدد أحاديث الصحيح بالكرر فقد بلغ (٥٧٧٠) حديثاً عدا أحاديث المقدمة وفيها سبعة أحاديث أصول في عدا الشيخ عند فؤاد عبد الباقي ، وعدا لمابعات والشواهد وأما لمابعات والشواهد فقد بلغ عددها مئة (١٦١٥) حديثاً عدا المقدمة وفيها ثلاثة أحاديث

- وعلى ضوء ما سبق يكون عدد أحاديث صحيح معجم بالكرر ومع الشواهد والمابعات (٧٣٨٥) حديثاً عدا أحاديث المقدمة وهي عشرة^(١)

ج- الأحاديث المنتقدة على البخاري ومسلم

« لا شك في أن البخاري ومسلم عليهما رحمة الله لم يستوعبا في صحيحيهما كل الأحاديث الصحيحة ، ولم يلتزما بذلك كما نص على ذلك جمع من أهل العلم والحديث^(٢) ، بل إن البخاري ومسلم قد نصا على ذلك أيضاً كما تقدم^(٣) »
- وبناءً على هذا فإن إلزام الدارقطني وغيره لهذا بإخراج أحاديث صحيحة قد تركاها مع أنها على شرطيهما ليس بإلزام

« النووي رحمه الله تعالى » وهذا الإلزام ليس بإلزام في الحقيقة ، فإنهما لم يلتزما بسيباب الصحيح ، بل صرح بهما تصريحهما بأنهما لم يستوعبا ، وإنما قصدت جمع حمل من الصحيح ، كما يقصد المصنف في ألفقه جمع جملة من مسائله ، لا أنه يحصر جميع مسائله^(٤) »

وقال السنخاوي « ولكلها لم (يغماه) أي يستوعب كل الصحيح في كتابيهما ، بل لو قيل إنهما لم يستوعبا مشروطيهما لكان موجهاً ، وقد صرح كل منهما بعدم الاستيعاب » وحينئذ فالإلزام الدارقطني هما في جرحه أمره بالتصنيف بأحاديث رجال من أصحابه روي عنهم من وجوه صحاح ، تركاها مع كونها على شرطيهما ، وكذا قول

(١) انظر الإمام مسلم بن الحجاج ومسنده في الصحيح (٣٩٥/١)
(٢) انظر شروط الأئمة الخمسة لبحار (٦٢ - ٦٦) مقدمة ابن الصلاح (٢١) القريب للسوي مطبوع مع شرحه برويت الروب ١١ - ٨ مسلم بشرح النووي (١٣٤١) اعتبره غير الحديث لأن كثير مطبوع مع شرحه التامت الحديث (٢٣) فتح للميث (١٥-٤٤/١)
(٣) انظر ص (١٢) و ص (٤٦)
(٤) مسلم بشرح النووي (١٣٤/١)

ابن حبان يعني " يُناقش البخاري ومسلم في تركيها إخراج أحاديث هي من شرطهما: ليس بلام " (١)

- وأما الأحاديث سنقه عليهما من الثارقظي وغيره من النقاد معدده (٢١٠) أحاديث انصر البخاري منها - (٧٨) حديثاً ، وانصر مسلم - (١٠٠) حديث وانشر كما جميعاً بـ (٣٢) حديثاً (٢)

وقد شرب شا عدد من العلماء والخطاط فأجابوا عنها بإجابات إجمالية - عن الأحاديث كلها - وأخرى تفصيلية ، ذلك باجواب عن كل حديث على حده ، ومن أشهر من عرض لذلك الإمام النووي في شرحه لمسلم ، والحافظ ابن حجر في حدي البخاري غير أنهما - وغيرهما من أهل العلم والحديث - قد امتنوا عدداً قليلاً من هذه الأحاديث لمتقنة يصعب اجواب عنها لأن الحق فيها والصواب مع النقاد .

قال الإمام ابن الصلاح بعد تعريفه لصحة ما في كتابي البخاري ومسلم ، وأن الأمة قد تلت ما فيهما بالقبول من : « إذا عرفت هذا فما أخذ عيهما من ذلك وقدر فيه معتمد من الخطاط ، فهو مستثنى من ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول ، وما ذلك إلا في مواضع قليلة » (٣)

وقال النووي بعد ذكره من تنقد بعض أحاديث الصحيحين : « وقد أحسب من كل ذلك أو أكثره » (٤)

قال ابن حجر عسقلاني على كلام النووي « هو الصواب ، فإن منها ما اجواب عنه غير منتهى » (٥)

وقال أيضاً بعد جوابه عن كل الأحاديث لمتقنة على البخاري « هذا جميع ما نعتبه والخطاط المعتمد انعم من يعمل الأسايد ، انطبعون على خطايا الطرق ، وليس كلها من أفراد البخاري بل شاركه مسلم في كثير منها ... وليسب كلها قاذحة ، بل أكثرها

(١) تنقيح الحديث (٤٤ - ٤٥)

(٢) انظر حدي البخاري (٣٤٦)

(٣) مائة صحيح مسلم (٨٧)

(٤) مسلم بشرح النووي (١٣٧/١)

(٥) حدي البخاري (٣٤٦)

الجواب عنه صاهر والفق ح فيه مدح ، وبعضها الجواب عنه محمل ، والبعض منه في الجواب عنه تصف «^(١) .

وهذا الكلام من الحفاظ من حشر رحمه الله غاية في الدقة والإنصاف والشجاعة والتصعب والفور والإفراط فحسبك به من إمام حافظ نافذ بصير

وختاماً فإنه لا يصير «صحيحين» ما اتفق عليهما ولا ينقص ذلك من شأنهما وقدرهما بل إن قلنا إن ذلك لا يريدان إلا مكانة وشرعا ورفعة وقدر ، لـ كان ذلك بعيداً ، لأننا إذا عينا أنهما قد استملا على أحاديث كثيرة تعد بالآلاف - ولم يشكل منها إلا هذا البور اليسير من الأحاديث اردداً بقباً بجلالتهما وعظيم مرتبتهما

قال ابن حجر بعد ذكره للأحاديث المتقدمة في صحيح البخاري والجواب عنها ، « فإذا تأمل المصنف^(٢) ما حرره من ذلك عظم ففكر هذا المصنف في نفسه وجل تصحيحه في عيه ، وغدر الأئمة من أهل العلم في تلقيه بالقبول والتسليم وتقدمهم له على كل مصنف في الحديث والقديم «^(٣)

(١) المرجع السابق (٢٨٣)

(٢) في الأصل (المصنف) هكذا ونقل المصنف ما أثبه ، والله أعلم

(٣) هدي الساري (٢٨٢)

الباب الأول

الإيمان بالله وعجل

وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ما يتعلق بتوحيد الألوهية

الفصل الثاني : ما يتعلق بتوحيد الأسماء

والصفات

الفصل الثالث : مسائل تتعلق بالإيمان

الفصل الأول : ما يتعلق بتوحيد الألوهية

وفيه ستة مباحث :-

□ المبحث الأول : العلوى

□ المبحث الثاني : الطيرة

□ المبحث الثالث : الرقى

□ المبحث الرابع : الكي

□ المبحث الخامس : الحلف بغير الله تعالى

□ المبحث السادس : ما جاء في لفظ « الرب » و

« المولى » و « العبد » و « الأمة » .

المبحث الأول : العدوى

وفيه ثلاثة مطالب :-

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قديمهم ظاهرها التعارض

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

○ المطلب الثالث : الترجيح

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يؤول منها ظاهرها التعارض

جاء في هذه المسألة في الصحيحين عدة أحاديث تمثل جانبين في المسألة .

فاجاب الأول : الأحاديث التي تعد بقي وجود العلوي

والجانب الثاني : الأحاديث التي يفهم منها إثبات وجود العلوي .

فأما أحاديث الجانب الأول فقد جاءت في الصحيحين عن خمسة من الصحابة وهم أبو

هريرة وأبي هريرة وعمر وحابر بن عبد الله والسائب بن يزيد رضي الله عنهم ، وهي كالتالي

الحديث الأول . حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد جاء في الصحيحين من سبب طرق بعضها

متفق عليه وبعضها مما انفرد به البخاري وبعضها مما انفرد به مسلم ولبث بيان ذلك

الطريق الأول من رواه أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ونعته إلى رسول الله ﷺ قال

((لا عدوى ^١ ولا صغر ^٢ ولا هامة ^٣)) فقال أنعاني يا رسول الله فما بال إبلي

(١) : العلوي . سم من إسماء . يقال أعداء الماء يعذبه إعداءً وهو أن يصيبه مثل يصاب القمح ، وثلاث أن يكون

بغير حرب مثلاً فسمي عائلته بإبلي لأنهم جدار أن يصدى ما به من الحرب إليها فيسبها ما أصابه .

[النهاية في غريب الحديث (١٩٢/٣) ، والمفرد لمسان العرب (٣٩/١٥)]

(٢) : « كذب العرب برغم » في الحديث فيه يقاد هذا الصغر ، نصيب الإنسان إذا صاح وتكذبه وأنها تعدي ، فإبلي

الإسلام ذلك . وعمل : أراد به الشيء الذي كثر ، يعطونه في ابتغاليه وهو داعي الخمر إلى صغر ، وإبلي هو

الشجر خرج عاصته . [النهاية (٣٥٢/٣) ، والمفرد لمسان العرب (١٦٢/٤) ، أعلام الحديث لمختصاني

(١٩١/٢)]

وحزم البخاري بأنه قد انفرد بسبب قال في صحيحه (٦٦٥/٢) قال لا صغر وهو قد انفرد بسبب

وروجه النووي في شرحه لمسلم (٤٦٥/١٤)

وهذا قول ثالث وهو أن إبلي شخصية يسمونها بشجر صغر ويعطون . به شهر شوم فإبلي التي ﷺ ذلك ، قال

ابن حبان بعد ذكره لهذا القول « لعل هذا القول أشبه بالأنوال » لطائف لأعلام (٨٢)

(٣) : « الدمة الرأس ، واسم طائر وهو نمرود في الحديث . وذلك أنهم كانوا يشاهدون به ، وهي من طير الليل

وهي هي الزمة . ومن كتاب العرب زعم أن روح القليل الذي لا يترك بآثاره نفس هامة فتكون . سقومي ، فزنا

أمرت بآثاره طار ، وعمل : كانوا يرمون أن عظام دلب ، وقيل روحه نصير هامة فتطير ويسمونه الصدي بعد

الإسلام ويهاجم عنه . [النهاية في غريب الحديث (٢٨٢/٥) ، والمفرد لمسان العرب (١٧/٢٢٤) ، أعلام

الحديث (٢١٩/٢)]

تكون في المرملة كأنها «عبد» ، فيأتي التعبير الأخرى^(١) فيدخل فيها فيجربها ؟ فقال
((فمن أعدى لأول ؟))^(٢) وفي رواية لمسلم من طريق أبي سلمة ((لا عدوى
ولا طيرة))

الطريق الثاني : من رواية مسد عن أبي هريرة ونعطة قال رسول الله ﷺ
قال ((لا عدوى)) عاصم غرامي فقال أرأيت لأهل مكوث في الرمال أمثال الطير فيأتيها
البعير الأخرى فتجرب ؟ قال النبي ﷺ ((فمن أعدى الأول ؟))^(٣)

الطريق الثالث من رواية أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ونعطة ((لا
عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر))^(٤)

الطريق الرابع من رواية سعيد بن مسدد عن أبي هريرة ونعطة قال رسول الله ﷺ :
((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ...))^(٥)

الطريق الخامس من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة ونعطة قال رسول
الله ﷺ ((لا عدوى ولا طيرة وأحب القائل الصالح))^(٦)

الطريق السادس من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ونعطة أن

قال من جبر في الشئ ، ٢٤١ - على هذا - يقصد بعض الأئمة ما قلنا في باب ١٠ حياة عامة
العباد ، وعلى الروي لا تقوم بالدعوة ونحوها ، وكان النووي في شرحه لمسلم (٤٦٦/١٤) « ويحتمل أن يكون
المراد الثوبين موهبا جميعاً ، فإلزام من قال النبي ﷺ بعد ذلك ، وخلافة الجاهلية فيما يعتقد من ذلك »

(١) « حرب بن علقمة ، كتاب الإيمان » (لسان العرب ، ٢٥٩/١)

(٢) « أي : لو كان ذلك أصاب النبي ﷺ لعنه الأول ، إن ذلك أصاب الأول شيء لأنه لم يكن معه ما يصيبه ، ولكنه لما
كان ما أصاب الأول ، كان صدر الله عز وجل كان ما أصاب الثاني كذلك » (شرح معاني الآثار (٣١٠/٤)
والنعمان ، كتاب الحديث (٢١١٨/٣) ، فتح الباري (٢٤٢/١٠) ، مسلم يشرح النووي (٤٦٦/١٤)

(٣) « صحيح عليه » شرحه البخاري ، كتاب الطيب ، باب لا صفر (٢١٦١/٥) ج (٥٣٨٧)

ومسلم ، كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة (٤٦٦/١٤) ج (٢٢٧٠)

(٤) « متفق عليه البخاري ، كتاب الطيب ، باب لا عدوى (٢١٧٨/٥) ج (٤٥٣٩)

ومسلم ، كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة (٤٦٥/١٤) ج (٢٢٢٠)

(٥) « البخاري ، كتاب الطيب ، باب لا هامة ولا صفر (٢١٧١/٥) ج (٥٤٢٥)

(٦) « البخاري ، كتاب الطيب ، باب لا عدوى (٢١٥٨/٥) ج (٥٢٨٠)

(٧) « مسلم ، كتاب السلام ، باب الطيرة والمأل (٤٧٠/١٤) ج (٢٢٢٣)

ولا صغر ولا هامة (١).

وأم أحاديث الحديث الثاني - وهي التي يهمهم منها إثبات وجود العلوي - فقد جاءت في الصحيحين عن أربعة من الصحابة وهم : أبو هريرة وعمر بن الخطاب عن أبيه وأسامة بن زيد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، وهي كالتالي :

الحديث الأول - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ ((لا يوردن محرم على مصحح ^(١))) ^(٢)

قال أبو مسلمة بعدما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه حديث ((لا علوي)) وحديث ((لا يورد محرم على مصحح)) قال : كان أبو هريرة يحدثهما كسبهما عن رسول الله ﷺ ثم صلب أبو هريرة عن قوله ((لا علوي)) وأقام على أن لا يورد محرم على مصحح . قال فقال لخارث بن أبي ذباب وهو ابن عم أبي هريرة : كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا حديث حديثاً آخر قد سكت عنه . كنت أقول : قال رسول الله ﷺ ((لا علوي)) فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك وقال ((لا يورد محرم على مصحح)) مما رآه الخارث في ذلك حتى عصب أبو هريرة مرطناً بالحشية فقال للخارث : أأدري ماذا قلت ؟ قال : لا . قال أبو هريرة : قلتُ أيُّه قال أبو سلمة : ولعمري كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله ﷺ قال ((لا علوي)) فلا أدري أيُّه أبو هريرة أو مسح أحد القولين الآخر ^(٣)

الحديث الثاني - حديث أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : ((... ولمن أجلذوم ^(٤) فزارك من الأسد)) ^(٥)

(١) مسلم : كتاب السلام ، باب : لا علوي ولا طيرة (٤٦٥/١٤) ح (٢٢٢٠)

(٢) « محرم » هذا الذي يله محرم ، والمصحح الذي يله صحاح « [أعلام الحديث (٢٠٣٩/٣) وانظر النهاية ر (٢٠٩/٤) ، لسان العرب (٢٢١٠)]

عن النووي : « معني الحديث لا يورد صاحب الإبل المرمى يله على إبل صاحب الإبل الصحاح »

[مسلم بشرح النووي (٤٦٨/١٤) ، وفطر فتح الباري ر (٢٤٢/١٠)]

(٣) معني عليه : ابتعاري . كتاب الطب ، باب : لا هامة (٢١٧٧/٥) ح (٥٤٣٧)

ومسلم : كتاب السلام ، باب : لا علوي ولا طيرة (٤٦٦/١٤) ح (٢٢٢١)

(٤) مسلم : كتاب السلام ، باب : لا علوي ولا طيرة (٤٦٦/١٤) ح (٢٢٢)

(٥) « أجلذوم » هذا : رجل جرم وحشوم إذا نهضت أنظره من الجذام وهو الداء المعروف « [النهاية (٢٥١/١) وانظر لسان العرب ر (٨٧٠٠٢)]

الحديث الثالث حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجنون فأرسل إليه نبي ﷺ ((يا قد ياهاك فارحع))^(١)

الحديث الرابع - حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((الطاهون^(٢) رحس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) قال أبو بصير ((لا يخرجكم إلا فراراً منه))^(٣)

وجاء هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد قصة صويلة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((يا من سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه))^(٤)

وهذان الحديثان أعني حديث أسامة وعبد الرحمن بن عوف وصي الله عليهما - كما أنهما دلالة على ثبوت العدوى في الجزء الأخير منهما وهو قوله ﷺ ((وإذا وقع بأرض

قال من سمع في صحيح البخاري (١٥٨٦) « تقدم باسم اليوم وتضعف بالجملة هو على ردة عذب من انشد الله المودة في القربى كنهه عنه من راج الأخصاء ، و قد سمع في آخره إصباح حتى يتأكل ، قال ابن سيدة شعبي يثبت للحكم الأصابع ، وتطعمها »

(٦) البخاري كتاب الطب ، باب الجذم (٢١٥٨١٥) ج (٥٣٨٠)

(١) مسلم كتاب السلام ، باب أصحاب الموم وعوف (٤٧٩/١٤) ج (٢٢٣١)

(٢) قال النووي ، شرحه مسلم (٤/٤٥٥) « وأما الطاهون فهو قروح تخرج في الجفنة فتكون في مرقى أو لأباط أو الأيدي أو الرصدع و سائر البدن ويكون مع ورم والحمى وخرجت القروح مع عيب ويسود ما حوله أو ينسر أو يجر حرمة بتسمية كثره ويحصل معه صفات القلب والعي »

(٣) وانظر النهاية (١٢٧/٣) ، ولسان العرب (٢٦٧/١٣) ، وفتح الباري (١٨٠/١٠)

(٤) حكى في رواية أبي بصير ((لا فراراً منه)) وطاهره معروض من رواية أبي بصير ((لا تخرجوا فراراً منه)) ، قال ابن عبد البر في توجيه رواية أبي بصير « وإنما جاء فيه عند أهل العربية أن دعوى لا في هذا الموضع إنما هو لأصحاب بعض ما جرى بالنسبة كانه حال لا تخرجوا منها إذا لم يكن من حكمه ، لا فراراً ، أي إذا كان خروجكم فراراً فلا تخرجوا ، وقصصت عن بعض رجال لا يحسن الاستدلال ، والله أعلم » ، النهاية (١٨٢/٢٠) ، وانظر فتح الباري (١٦/٥٢) ، وفتح الباري (٤٥٧/١٤)

(٥) معناه البخاري كتاب الأبياء ، باب (وأم حبیب إلى أصحاب الكهف وقريم) (٢٨/٣) ج

(٣٧٨٦) ، مسلم كتاب السلام ، باب الطاهون والظفرة (٤٥٤/١٤) ج (٢٣١٨)

(٥) معناه البخاري كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاهون (٢١٦٣/٥) ج (٥٣٩٧)

ومسلم كتاب السلام ، باب الطاهون والظفرة (٤٦٠/١٤) ج (٢٦١٩)

وأنتم بها فلا تفرحوا فراراً منه)) قد يُتهم به نبي العدوى فيكون عاصداً لأدلة الحاسب الأول

بيان وجه التعارض

بالنظر السريعة إلى الأحاديث اعاصيه قد مشوا للفاروق الكريم أن ينها تعارضاً وأنها مساقطة إذ أن في الحاسب الأول منها ما يمد نبي وجود العدوى كما في قوله ﷺ . ((لا عدوى)) .

وفي الحاسب الثاني ما يهيد إنياب وقوع العدوى لأنه لا يمر نهيه ﷺ من إيراد الممرض على المسح إلا عشيته انتقد الممرض . وكذا في أمره ﷺ بالفرار من المجنون وأمره بمحوم من وعد نبي بالرجوع فور ذلك كله محرراً من وقوع العدوى ولذلك صرح كثير من أهل العلم بأن هذه الأحاديث طاهرها التعارض كما بين حصر^(١) رحمه الله تعالى .

(١) انظر مرحة النظر بشرح عمدة المفكر من (٣٤) المصح (٢٤٢/١٠)

المطلب الثاني :

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

سلط أهل العلم حيار عند التعارض عند مذاهب فمس صائر إلى الجمع ، ومن قائل بالسسخ ، ومن مائل إلى الترجيح وإليك بيان ذلك .

أولاً ، مذهب الجمع .

أما مذهب الجمع فقد صار إليه عدد كبير من أهل العلم كالطبري والطحاوي وابن قتيبة ، وابن خزيمة ، والحطايي ، والبيهقي ، وأبي عمرو بن الصلاح ، والباقلاني ، وابن بطال ، والنوري ، وابن رجب ، وابن القيم ، وابن مفلح ، وابن حجر ، وأبو بكر ، وصديق حسن خان ، والباركفوري ، وأحمد شاكر ، وغيرهم كثير .

ولكن هؤلاء مع أنهم قائلون بجمع ، لا أنهم لم يتفقوا على مسك واحد في الجمع بل تنوعت مسائلهم وأهم هذه المسائل ما يلي

المسلك الأول . « أن المراد بعقيدة العدوى فيها جملة وجمل الفرار من المجدوم . على رعاية حاضر المجدوم لأنه إذا أتى الصحيح اليد السلام من الآفة تعظم مصيبته وسرديات حسرته وغوه حديث ((لا تدبوا النظر إلى المجدومين))^(١) فإنه محمول على هذا المعنى »^(٢)

المسلك الثاني . أن الأمر بالفرار من المجدوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لأمر طبيعي وهو امتثال الله من حساسه بحسد بواسطة افلامسة والمخالطة وشتم المرأة ، ولذلك نجد كثير من الأمراء سفل من الصغوم إلى الصحيح بكثره المخالطة والمخالسة .

وأما قوله ﷺ ((لا عدوى)) فإنه يريد بذلك النهي عن الخروج من البيت الذي وقع فيه للفرص كالطاعون خوفاً من العدوى وطعاً منه أن الفرار من قسرة الله تعالى ينحيه منه . وهذا المسلك هو مسلك ابن قتيبة^(٣) والحطايي^(٤) عليهما رحمة الله .

(١) أخرجه عن ابن عباس ابن ماجه (١١٧٢/٢) ، ح (٣٥٤٣) ، وأحمد ، (٣٤٣/٣) ، ح (٢٠٧٥) والطبري في معجم الأئمة (١٧/١) ، ح (٤٥) وضعف إسناده لم يسط في الصحيح (١٥٩/١٠) ، وقال البيهقي في الجمع (١٠٠٥) روى عنه في رواية ابن خزيمة وحديثه حسن وثقة رجاله ثقات . وصحح إسناده أحمد شاكر وحسنه الألباني في سلسلة الصحيحة ، (٥١/٣) ، ح (١٠٦٤)

(٢) فتح الباري (١٦٠/١٠)

(٣) في تلويح مختلف الحديث (٩٦) ، وتظهر فتح الباري (١٦٠/١٠)

المسلك الثالث : هـ أن قوله ((لا عدوى)) يعني لا شيء . والمعنى : لا يغير بعضكم بعضاً

أي لا تتعرضوا لذلك بل اتقوه ، واتقوا مكانه وهذا كقوله تعالى

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُنَا إِلَىٰ ذِكْرِهِ لَا أَهْلَ بِهَا فِي الْآيَاتِ﴾^(١) أي لا يكس ذلك منكم

ومن قوته ﴿لَا صِرَاطَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٢) وقوله ((لا صلاة بعد العصر حتى تغرب

الشمس ولا صلاة بعد لصبح حتى تطلع الشمس))^(٣) وأشبه هذا كثير .

ويصح هذا الجواب آخر الحديث ، فقوله . ((لا طهارة)) أي لا تشاؤم ، معناه لا

تظنوا ولا يمنع منكم سب ، وليس معنى أن تغيره معقوده في النفس

وكذا ((لا هامة)) وهي طير معروف

((ولا صفر)) وهو أشهر المعروف ، ويريد لا تعتقدوا في شهر صفر ولا في أعمامة ما

كان الجاهليون يعصرون ويعتقدونه ، وليس يمكن أن يكون معياً^(٤)

المسلك الرابع تخصيص عموم حديث ((لا عدوى)) بما ورد إثبات العُدوى فيه من

الأحاديث كالخداة وغيره فيكون معنى قوله ((لا عدوى)) أي إلا من الخداة والحرص

والحرص مثلاً ، وقد سبب من حذر هذا القول إلى القاضي أبي بكر بنقلاتي وابن عقال^(٥)

ونصره أيضاً الشوكاني وألف فيه رسالة صغيرة سماها (إتحاف المهرة بالكلام على حديث

لا عدوى ولا طيرة) حال فيها . ومن المناسب للعمل بالأصولي أن يجعل الأحاديث الواردة

في ثبوت العُدوى في بعض الأمور ، والأمر بالاحتساب أو الفرار مخصصة لعموم حديث ((لا

(١) في أعلام النبيل (٢٠٣٩) وله قول آخر كما في معالم السنن (٢١٦/٤) مما في مسلك السنن التي

قرئ في شأن الله تعالى

(٢) سورة طه : ١٩٧

(٣) أخرجه ابن ماجه عن حماد بن الصبغ وهو عيسى (٢٨١/٢) ح (٢٣٤ ، ٢٣٤) وأخرجه أحمد عن

ابن عباس (٢٨٦) ح (٢٠٢) وصححه بإسناد أحمد ساكن وصححه بإسناد عباد بن الصبغ عند ابن ماجه

وصححه لأبي داود وأصل المتن في الكلام عليه في جزء القيل (٨٩٦) (٨/٣)

(٤) أخرجه البخاري . (٢٠٢) ح (٥٦٦) وسنن واللفظ له (٣٥٩٠٦) ح (٨٢٧) كلامه عن

أبي سعيد الخدري

(٥) مسالك الأحاديث طوية . محمد بن القاسمي ص (٨٠) وانظر محتاج دار السعادة (٣٧٥٣)

(٥) انظر الصبح (١٦٠/١٠)

عدوى)) وما ورد في معناه كما هو شأن العلم والخاص «^(١)

المسلك الخامس : « حمل الخطاب بالعمى وإثبات على حالتين مختلفتين بحيث جاء ((لا عدوى)) كان المصاب بذلك من قوى يقيه وصح تركه بحث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى كما يستطيع أن يدفع الضرر الذي يقع في نفس كل أحد ، فكى القوى ليقين لا يتأثر به ، وعنى هذا يعمل حديث جابر في أكل المخلوم من الفصصة^(٢) وسائر ما ورد من حبه . وحيث جاء ((فر من المخلوم)) كان المخطئ بذلك من ضعف يقيه ولم يتمكن من تمام اثر كل فلا يكون . به قوة على دفع اعتقاد العدوى فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سبباً لإثباتها «^(٣)

المسلك السادس : « ذهب إليه من حصر وانتصر له وهو « أن يقال إن معه ﷺ للعدوى باق على عمومته وقد صح عنه ﷺ ((لا يعمى شيء شيئاً))^(٤) وقوله ﷺ لمن عر صه بأن التعر الأخرى يكون في الإبل الصحيحة مخالطتها فتعرب حيث رد عليه بقوله ((فمن أعمى الأول)) يعنى أن الله سبحانه وتعالى ابتداء ذلك في الثاني كما ابتداء الأول ، وأما إقرار من المخلوم مع باب سد الذرائع لئلا يقع للشخص الذي مخالطه شيء من ذلك بتعدي الله تعالى ابتداء لا بالعدوى بلعة ، فيظن أن ذلك بسبب مخالطته فيعتقد صحه العدوى فيوقع في الخرج فأمر بتجنبه حسماً لساده «^(٥) .

ويلو أن ابن حجر رحمه الله تعالى يرى ريه هذا على أحسن ، فإنه لما ورد كلام السبكي وهو قوله في الطعوب . « إلا شهد طبيبان عارفاً مسلماً عدلان أن ذلك سبب في أدى

(١) إمام : (٢) غلط ، وعظم على الأوطار (٢٢١ ، ٧)

(٢) سيأتي نقده من (٧٩)

(٣) الفصح (١٠ ، ١٦)

١٤ أخر ما التزم به (نسخة ٣٥١/٦ ، ح ٢٢٣) ومحمد (١١ ، ٦ ، ح ٤٩٨) ومن لم يمس فيه في مسنده (٢٢٨ ، ١) ح (٢٣٩) كهم على عهد لله بر مسعود وصنف إسناده أحمد شاكر وصححه الألباني في سلسلة الصحيحة (٤٢٢) ح (١١٥٢) وأخرجه أحمد (١٤٧/١٦ ، ح ٨٣٢٥) والعمري في شرح السنة (١٦٩/١٢) ح (٢٢٤٩) عن أبي هريرة وصححه سنده أحمد شاكر والألباني في سلسلة الصحيحة (١٤٣/٣) ح (١١٥٢)

(٥) برز الطر بشرح حبة الفكر ، ص (٣٤) وانظر الفصح (١٦١٢) بدل الدعوى في فصل الطعوب (٢٩٧)

لخلفاء خلاصاً من مخالطة حائر أو أبلغ من ذلك - قال يحيى بن حجر - لا تقبل شهادة من يشهد بذلك لك حسن يكذبه هذه الصواعق قد تكررت وجودها في الديار المصرية ولشامية وقتل أن تغلوا بسببها ويوجد من أصيب به من يقوم عليه من أهله وخاصه ومخالطتهم له أشد من مخالطة الأجانب قطعاً ، والكثير منهم بل الأكثر سالم من ذلك ، فمن شهد في أدنى المخالفات فهو مكابر ^(١)

ومن ذهب إلى هذا القول أيضاً الطبري ^(٢) والعلوي ^(٣) وابن جرير ^(٤) والباركوري ^(٥) عليهم رحمة الله

المسلك السابع : أن يقال لا قوله ﷺ ((لا عدوى)) أراد به شيء ما كان يعتضده أهل الجاهلية من أن هذه الأمراض بعني بطبعها دون تقدير الله تعالى

وقوله ﷺ ((وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) أراد به الحث على التوكل والتصر سليماً لأمر الله تعالى

قال ابن القيم رحمه الله تعالى « وبالجملة ففيه تنهي عن الدخول في أرضه الأمر بالخبر والحكمة والهي عن التعرض لأسباب الخوف وفي تنهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل والتسليم والتوحيص فالأول - بأدب وتعليم والثاني - بتوحيص وتيسير ^(٦) »

وقال ابن سبيق العبد « ومن هذه المادة قوله ﷺ ((لا تلمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاصبروا)) ^(٧) فأمر بترك التمسك بما فيه من التعرض لسبب الخوف واعتذر بنفسه لا يؤمن عذر عند الوقوع ثم أمرهم بالصبر عند الوقوع سليماً لأمر الله تعالى ^(٨) .

(١) بدل الماعون (٣٤٢ ، ٣٤)

(٢) في تهذيب الآثار (٣٠٢١)

(٣) في شرح معاني الآثار (٣١٠/٥)

(٤) كما نقل ذلك عنه ابن حجر في الفتح (١٦١/١٠)

(٥) في حجة الأحمد (٢٤٢/٥)

(٦) رواه ابنه (٤ - ٤)

(٧) نقل عنه ابنه (٣/٢١١) ح (٢٨٦٣) ، ومسلم (٢٨٩١٢) ح (١٢٤٦) عن أبي هريرة

(٨) بدل منك عنه ابن حجر في الفتح (١٩٠/١٠)

وأما قوله عليه الصلاة والسلام ((وفر من مجهول هلاك من الأسد)) وقوله ((لا يورد محرض على مصح)) وما في معناه فأراد منه الإرشاد إلى احتساب ما يحصل الضرر عنه عالياً بتقدير الله تعالى وبأن أن العدوى سبب من الأسباب التي خلقها الله تعالى وقدر حصول المرض من تعرض لها وهذا المسلك هو ما ذهب إليه البيهقي رحمه الله تعالى في الجمع بين الأحاديث وكما النووي وابن رجب وابن القيم عليهم رحمة الله .

قال البيهقي « ثاب عن النبي ﷺ أنه قال . ((لا عدوى)) وبما أراد على الوجه الذي كانوا يعتقدون في الجمالية من إصافه لمفعول إلى غير الله عز وجل وقد يعرض الله تعالى عيشته بمخالطة المصحح من به شيء من هذه العيوب سبباً لحصول ذلك به وهذا قال النبي ﷺ ((لا يورد محرض على مصح)) وقال في الطاعون ((من سمع به بأرض فلا يقلعن عليه)) وغير ذلك مما في معناه . وكل ذلك بتقدير الله عز وجل » (١) .

وقال النووي « وطريق الجمع أن حدث ((لا عدوى)) المراد به نفي ما كانت الجمالية برعته وتعتقد أن تعرض والناعية بعدى بطبيعتها لا يفعل الله تعالى . وأما حديث ((لا يورد محرض على مصح)) فأرشد فيه إلى حماية ما يحصل الضرر عنه في العادة بفعل الله تعالى وقدره . معنى في الحديث لأزل العدوى بطبيعتها ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وقدره وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنه الضرر بفعل الله وإرادته وقدره » (٢) .

وقال ابن رجب « وأظهر ما قيل في معنى ((لا عدوى)) أنه نفي لما كان يعتقد أهل الجمالية من أن هذه الأمراض تعدى بطبيعتها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك ويدل على هذا قوله . ((فمن أعدى الأول)) يشير إلى أن الأول إما حرب بقضاء الله وقدره فكذلك الثاني وما بعده » (٣) واستدل رحمه الله تعالى أيضاً بما أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((لا يهدي شيء

(١) معرفة السنن والآثار (٣٥٤١٥)

(٢) مبسم بشرح النووي (٤٦٤/١٤)

(٣) تعاليف المعارف من (٧٥) بصرف يسير

شيئاً)) مقام مُغْرَبِي فَقَدْ - يارسول الله . الثقة من الحرب يكون مشعر البعير أو بدسه في
الأميل العظيمة فحرب كلها فقال رسول الله ﷺ ((فلما أجرب الأول ؟ لا عدوى
ولا هامة ولا صعر ، حتى الله كل نفس فكسب حياتها ومصيباتها ورزقها))^(١) فقال
تعليقاً على هذا الحديث « فخير أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى
﴿ مَا أَنتَ بِمُتَّبِعِيٍّ أَنتَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَا يَكْفُرُ إِلَّا فِي كَيْدٍ مِّنْ نَّفْسِهِ يَسْمَعُ سُرُسُورَ الْمُتَسَبِّحِينَ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ ﴾^(٢) »^(٣)

وقال بن القيم « وعندي في الحديثين مسلك آخر يتخصص إثبات لأسباب والحكم
ومعنى ما كانوا عليه من الشرك واعتقاد الباطل ولو قالوا إنها أسباب أو أجراء أسباب إذا
شاء الله صرف مقتضياتها بمسببته وورادته وحكمته وإنها مسخرة بأمره لما خلقت له وبها
في ذلك عبرة حائل للأسباب التي ربط بها مسابها وجعلها أسباباً آخر تعارضها وتمنعها
وتمنع اختصاصها لما جعل أسباباً له وبها لا تقضي مسباتها إلا بأدبه ومشيئته وإرادته ليس
له في ديارها صر ولا منع ولا تأثير ابنة إلى هي إلا خلق مُسَخَّرٌ مُصْرَفٌ مريوب لا تتحرك إلا
بإذن خالقها ومشيئته فاستتار من حسن سببية وطء الوالد في حصول الولد .. فلو
أنهوا العدوى على هذا الوجه لما أكره عليهم . »^(٤) ثم قال رحمه الله بعد تقريره لهذا
المسلك « وبشبهه هذا نفيه سبحانه وتعالى الشعاعة في قوله تعالى

﴿ وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى مَن يَصْرِفْ رِيقَهُ لَا يَجِدْ فِيهَا شَقًّا وَلَا يُزَلِّجُهَا فِيهَا اللَّهُ ﴾^(٥) وفي قوله تعالى :

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِمَا نُهِيَ لَأَن يَمُوتَ بِهَا سَبْعِينَ أَلْفَ نَفْسٍ ﴾^(٦) .

وإنها في قوله تعالى « وَلَا يَتَّبِعُونَكَ إِلَّا بِإِذْنِي أَتَى »^(٧) وقوله تعالى

﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(٨) فإنه سبحانه يعنى الشعاعة الشريكية التي كانوا

(١) سنده صحيح وقد سبق أمره من (٦٢) . وطرقه لأول ((لا يعني شيء شيئاً) .

(٢) سورة الحديد : آية (٢٢)

(٣) المطالب للعارف ص (٧٦)

(٤) مطابح در الشعاعة (٣٧٦/٣)

(٥) سورة البقرة : آية (٢٤)

(٦) سورة البقرة : آية (٢٥٤)

(٧) سورة الأنبياء : آية (٢٨)

(٨) سورة البقرة : آية (٦٥٥)

يعتقدونها ومُسخم من المشركين وهي شعاعه الوسايط هم عند الله في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم بدواتها وأنفسها بدون توقف ذلك على إذن الله ومرضاته ليس شيء أن يشمع فيه للشافع ..

وأثبت سبحانه انشعاعه التي لا تكون إلا بؤذن الله للشافع ووصاه عن الشفع «^(١) وقال أحمد بن حنبل مؤيداً ترجيح هذه المسألة « لأنه قد ثبت من العلوم الطبية الحديثة أن الأمراض المعدية تنتقل بواسطة الميكروبات وبمعالجهم امراء أو البصاق أو غير ذلك من امراض أنواعها وأن تأثيرها في الصحيح إنما يكون تبعاً لقوته وضعفه بالنسبة لكل نوع من الأنواع وإن كثيراً من الناس لديهم وفاة خلقية تمنع قبولهم بعض الأمراض المعية . ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص وأحوال ما احتلاد الصحيح بالمرض سبب لنقل المرض وقد يختلف هذا السبب «^(٢) معاً لتقدير الله تعالى .

ومن أحد يهده المسألة أيضاً بالإصالة إلى من سبق . اليهودي^(٣) و بن الصلاح^(٤) وابن مفلح^(٥) والذهبي^(٦) والقسطلاني^(٧) وسلمان بن عبد الله^(٨) وصديق حسن خان^(٩) والألباني

ثانياً معتقده المصح

مثل انقاصي عياض عن عمر بن الخطاب عليه وجماعه من انسلف قوهم بسبح الأحاديث النبوية للعدوى حديث ((لا علوى))^(١٠)

(١) معراج در المعاشاة (٣٧٧/٣)

(٢) التلحظ في الحديث (١٧٠)

(٣) في شرح السنة (١٦٩/١٢)

(٤) في مقدمته في علوم الحديث ص (١٧٢)

(٥) في الأدب الشرعية (٢٥١/٢)

(٦) في الكشف في حقائق السنن (٣٩٤/٨) ، المعروف بشرح الشري

(٧) في إرشاد الساري (٣٧٣/٨)

(٨) في تفسير العرب أحمد ص (٤٢٥)

(٩) في عون الساري (٢٤٢/٥)

(١٠) في السلسلة الصحيحة (٦٩٦/٢) وقال (وما أشبه اليوم بالبرحة بين الأعداء الأوروبيين في أشد العنطة عنه حتى يتركهم وحدهم ويذهبهم بالعدوى على الطريقة المعينة منهؤلاء) (من أنقى الأول ٢)

(١١) تفسير الشيخ (١٥٩/١٠) ، مستم بشرح الفيدي (٤٦٥/١٤) .

ثالثاً ، مذهب الترخيع -

سلك هذا المذهب فريقان من الناس أحدهما رجح الأحاديث النافذة للعدوى ورد الأحاديث المثبتة للعدوى وعلى رأس هؤلاء عائشة رضي الله عنها .

والفريق الآخر رجح الأحاديث المثبتة للعدوى ورد حديث ((لا عدوى)) وأما الفريق الأول فقد استندوا على ما ذهبوا إليه بما يلي -

١ - أن الأحاديث المثبتة للعدوى شاذة ^(١)

٢ - أن عائشة تكبر ذلك ، فأعرج الطبري عنها أب مرأه سألتها عنه ^(٢) فقالت : ما قال ذلك ، وبكاه قال ((لا عدوى)) ، وقال . ((فمن أهدى الأول ؟)) قالت : وكان

في مولد به هذا الداء فكان يأكل في صحافي ويشرب في أنفاسي وسم على فراشي ^(٣)

٣ - أن أبا هريرة تردد في هذا الحكم ، فيزعم الحكم من رواية غيره .

٤ - أن لأبصار لورده من رواية غيره في نفي العدوى كثيرة شهيرة بخلاف الأخبار المرحضة في ذلك ^(٤) .

وأما طبري الثاني وهم الذين رجحوا الأحاديث المثبتة للعدوى منهم ردوا حديث ((لا عدوى)) واستدلوا على ذلك بما يلي -

١ - « أن أبا هريرة رجح عنه : بما لشكه فيه وما ثبتت عكسه عنه

٢ - أن الأخبار الدالة على الإحسان أكثر من أخبار عمارح وأكثر طرافاً فالصير إليها نوى ^(٥) .

(١) مقرر فتح الباري . ١٥٩/١٠

(٢) أي عن حديث ((ومن من المصروع فرأت من الأسد))

(٣) عرجة الطبري في تهذيب الأئمة (٢٦١) ج ١٢ ، وفي بحر سنية في مصنفه مختصراً (٥٦٨) ج (٩)

(٤) فتح الباري (١٠٩)

(٥) مع الباري . ٦٠/١٠

المطلب الثالث

الترجيح

الذي يرجح - والله تعالى أعلم - هو مذهب الجمع لأنه يمكن كما سبق ، وإذا تمكن اجمع فلا حصار ، بل غيره إذ أن فيه اعتماداً لكلا الفريقين ، وإعمالاً للتدليلين أولى من إهمال أحدهما ، ولذلك فقد ذهب إليه جمهور العلماء ، بل صرح بعضهم بأنه هو المعتبر كالشوقي فإنه لما سأل أبا حنيفة العدوي قال : « و اجمع بينهما هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء و يعتبر القصر إليه » (١)

وقال لقاضي عياض : « والصحيح الذي عليه الأكثر و يعتبر المصير إليه أن لا يسح بل يجب الجمع بين الحديثين » (٢)

ثم إن المرجح - والله تعالى أعلم - من مسالك الجمع هو المسلك السابع ، وهو حمل قوله ﷺ ((لا عدوي)) على من كان يغنده أهل الجاهلية من أن للرخص يعني بعبه فإن صاحباً هذا الاعتقاد ، اعتقاد استقلالية السبب " المرض " بذلك دون تقدير الله تعالى وجعله فهو سرش أكبر وإن كان يتردد التماس إلى السبب وعو فيه فهو شرك أصغر ، واعتقاد الشخص في السبب هو الذي يحدد كونه شركاً أكبر أم أصغر (٣)

وحمل النصوص الأخرى على إنبات العدوي وأنها من الأشياء التي جعلها الله ميسراً لا انتقال للرخص من التقييم إلى الصحيح

سبب الترجيح

- ١ - أن هذا المسلك منه إعمال لجميع الأدلة وعدم طرح شيء منها كما تقدم
- ٢ - أن المسالك الأخرى يمكن لإيراد غيرها والإجابة عنها كما سيأتي
- ٣ - أن سياق الحديث يرجح هذا المسلك لأن قوله ﷺ ((لا عدوي)) جاء مقارناً لعملة ((ولا طيرة ولا هامة ولا صغر)) وهذه الأشياء مما كانت الجاهلية تعتزدها فأبطلها

(١) مسلم بشرح النووي ، ١٤ : ٢٦٥

(٢) يدل ذلك عنه من حصر في فتح الباري (١٠ / ١٥٩)

(٣) انظر في الكلام عن أسباب ومقتضى القول فيها مجموع الفتاوى (١ : ١٦٩ ، ١٠) ، شرح السالكين ، ١ : ٢٦٨ ، ١٠

فتاوى السيد ، السعدي ، ص (١٨)

رسول ﷺ ومعناها

٤- ن حاصل أكثر مسائل الأخرى هو نسي وجود العدوى « وهذا ينصبي إلى تعطيل الأصول الطبية ولم يرد بشرع بمعطيتها بل ورد بإثباتها ، والمعز به على وجه لا يناقض أصول التوحيد ولا منافسة في القول بها على الوجه الذي ذكرناه »^١ بل إن العدوى ثابتة بالنص والاستقراء والطلب . -

أ- أن النص قد سبق قوله ﷺ : ((لا يورد محرض على مصح)) ، وقوله ﷺ : ((ولير من المجدوم فرارك من الأسد)) وقوله في طاعون ((وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه . وإذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) .

ب « وأب الاستعراء مما رآه الناس يشاهدون الصحيح يشابه المرض إذا حاطط للمريض ولا سيما بعض الأمراض كالخرب والجدام وبعض الحميات »^٢

ج « وأما الطب فقد أثبت لطلب الحديث على أن ثمة عدوى بل إن إثبات وقوع العدوى أصبح من المسلّمات التي لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ، فإنك لا تكاد تقرأ كتاباً في الطب إلا وجدت فيه الحديث عن العدوى وطرقها وسبل الوقاية منها »^٣ يقول الدكتور محمد عمي البار « وأما الأمراض للعدوى فهي التي تنتقل من مريض إلى آخر بأحد طرق العدوى للعدوى وهي -

١- إما بواسطة النفس كما في أمراض انفعال التعصب كالأمعولير والسل الرئوي

٢- أو بطريق الدم مثل أمراض الجهد القلبي كشلل الأطفال والتهاب الكبد الوبائي .

٣- وعن طريق الماء واللوازم مثل الأمراض التناسلية كالزهري والسيلان .

٤ أو عن طريق الحامصة مثل الحمى أو الجدام

٥- أو بواسطة الحشرات أو نقل الدم مثل التهاب الكبد الفيروسي .

(١) شرح الطبيب (٢ ٤ ٨)

(٢) مشكلات لأحاديث النبوية (٢٩)

(٣) انظر مثلاً : لدراس الطبية ، الدكتور عبد الحبيب يوم ، ص (٣٢) (لوحظ في علم الصحة ، الدكتور محمد رساد عمر ، ص (٦) ، مبادئ الصحة العامة ، الدكتور محمد كمال ، ص (٣٦) ، الصحة العامة والرعاية الصحية ، الدكتور علي عوري ، ص (١٦٨) ، أحاديث الصحة ، الدكتور ديس الطويل ، ص (٥٦)

٦- «و برأسه وخير خشر من كالعوضة التي تنقل مرض الملاريا» (١).

وهذا يحصل الجمع بين الأحاديث ويروى ما قد يُتهم من التعارض وتنفق ألفوا السورة مع أحدث النظريات الطبية .

ولو قيل إن ما ورد عن الرسول ﷺ من الأحاديث في إثبات العدوى ينتج من أعلام موبه
 كـ ذلك صواباً ، إذ أن العلم الحديث قد أثبت ما أعجز به الرسول ﷺ منذ عدة قرون
 والله أعلم

(١) العدوى بين الغيب وحديث البخاري ، ٢٤)

مناقشة الأقوال المرفوعة :

أولاً ، مناقشة مسائل الجمع :

أما المسلك الأول : وهو حمل العزم من العدوم على رعاية عاظم العدوم لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتردد حسره ، فإنه لا يتفنى ما فيه من الصعوب لأن الأمر بالمرور صاهر في شعور الصحيح من العزم من العدوم فهو ينتظر فيه مصلحة الصحيح "ولأن مع قوة الشبهة بالعزم من الأعداء لأنه لا يمر الإنسان من الأعداء رعاية لحاظر لأعداء أيضاً" (١) .

وأما كون العدوم تعظم مصيبته وتردد حسره إذ رأى السليم البدن فإن هذا حاصل بصورة أظهر في قرار الناس منه ويعلمهم عنه ثلثا يحمل بهم ما حل به والله أعلم .

وأما المسلك الثاني : وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة وإخطائي فيمكن الإيراد عنه بأن يقال : الأمر الطبيعي الذي هو انتقال الداء من جسد إلى جسد بواسطة ابتلاصة والمخالطة وشتم الرائحة هو بعينه العدوى ، فلا معنى لدعي وقوعها حيثما والله أعلم .

وقد نص ابن القيم وغيره على أن الرائحة أحد أسباب العدوى (٢)

وأما المسلك الثالث : وهو حمل قوله ﷺ ((لا عدوى)) على أنه يعني لا شيء ، فيشكل عليه قوله ﷺ في آخر الحديث ((فمن أعدى الأول ؟)) فإن هذا الحديث قد فهم منه الأمر بـ لا شيء وهذا استشكل به وأورد ما أورده وأقره النبي ﷺ على فهمه ولم ينكره عليه وإنما يدل له أن أصل وجود المرض وانتقاله من جسم إلى جسم إنما هو بتفديدهم الله تعالى ولذلك قال . ((فمن أعدى الأول ؟)) (٣)

وأما المسلك الرابع : وهو التخصيص فيمكن الإيراد عليه بأن العدوى موجودة وثابتة في غير الأمراض المذكورة في الأحاديث كالحمل والولادة مثلاً ، فلا معنى بدأ لنفوس بالتخصيص والله أعلم

(١) انظر التلخيص للحديث ، لأحمد شاكر ، ص (١٧٠)

(٢) انظر رد المحتار (١٤٩/٤) وانظر كتاب الطب من الكتاب والفلسة . مؤلف الدين عبد الطيف البغدادي ، ص

(٢٠٠) فقد نص مؤلفه على أن الرائحة من أسباب العدوى

(٣) انظر منهاج دا المعادة (٣٧٥/٣)

وأما المسلك الخامس : وهو انقراض بين قوي اليقين وضعيفه فإنه قد يتوجه في الجمع بين كلمة **يُؤَيِّدُ** مع المذموم - على فرض صحة - وأمره بالمرار منه ، لكن لا يتوجه في مثل حديث ((لا عدوى)) لأنه نكرة في سياق النفي ، والنكرة في سياق النفي من صيغ العموم فهو حديث عام يشمل من قوي يقينه ومن ضعف يقينه ثم إنه لا دليل على هذا تخصيص . كما أن حاصل هذا المسلك هو نفي وقوع العدوى أصلاً ، وهذا غير صحيح كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى

ولهذا قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بعد ذكره لهذا المسلك : « ذكره بعض أصحابنا واعتدوه وفيه نظر »^١ .

وأما المسلك السادس : وهو ما ذهب إليه ابن حجر وغيره فإنه يجب عنه بما يلي ١ - اعتباره على من ذهب إلى نفي العدوى عن مسلم به ، وقد سبق بيان دلالة النص والاستغناء والصب على وقوع العدوى وأنه لا يجد لإبكارها .

ولعل الذي دفع ابن حجر رحمه الله وغيره من أهل العلم إلى إبطال العدوى وبعبارة هو أن حملات للرص من الكبرياء والفيروسات وغيرها لا ترى بالعين المجردة ، وإنما ترى بالأجهزة الدقيقة والمجاهر الإلكترونية وهذا مما يطلع عليه الأوائل ، وإنما اكتشف ذلك بعد تطور العلم وتقدمه والله أعلم

ب- وأما ما استدلل به من قوله **يُؤَيِّدُ** ((لا يُعَدِي شَيْءٌ شَيْئاً)) فإنه يقال فيه كما قيل في حديث ((لا عدوى)) من أنه **يُؤَيِّدُ** 'رَدُّ بِلَيْتٍ' يعني ما كان يعتقد أهل الجاهلية من أن للرص بعدى بطلعه يوم تقدير الله تعالى ويدل على ذلك أمر الحديث فإنه **يُؤَيِّدُ** لما قال ذلك قام أعزائي فقال يارسول الله رب النقية يكون بمشعر البعر أو بعده فشمّل لإلّا حراً؟ قال : مسكت ساعه ، فقال ((ما أعدى الأروا؟ لا عدوى ولا صفر ولا هامة . خلق الله كل نفس فكتب حياتها وموتها ومصيباتها ورزقها)) .

ثانياً ، مناقشة مذهب النسخ ،

سبق أن ذكرنا أن القول بالنسخ وهو نسخ الأحاديث الثلاثة للعدوى بحديث ((لا عدوى)) - قد به جماعة من السلف وعلى رأسهم عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** .

(١) تيسر العزيز الحميد (١٢٥)

ونكس دعوى النسخ هذه مردودة عما يلي .

- ١ - أنه لا يتصور إلى النسخ إلا إذا تعدد الجمع كما هو مقرر في عملي أصول الفقه^(١) ومصطلح الحديث^٢ - والجمع هنا غير متعارف وقد سبق ذكر مسائل الجمع ولذلك فإن لماضي عباس بعد إرادته لقول بالنسخ : « والتصحيح الذي عليه الأكثر ويعبر بتصوير إياه أن لا نسخ بل يجب الجمع بين الحديثين »^(٣)
- ٢ - أنه يشترط لقول بالنسخ معرفة التزويج حتى يسح لتقدم بالتأخر مهما وهما غير موجود هما

- قال النووي رحمه الله بعد حكايته لقول بالنسخ : « وهذا عند لوجهين أحدهما : أن النسخ يشترط فيه معتد جمع بين الحديثين - وم يتصور بل قد جمع بينهما والثاني أنه يشترط فيه معرفة التزويج وتأخر النسخ وليس ذلك موجوداً هنا »^(٤)
- ٣ - النسخ لا يثبت بالاحتمال قال ابن حجر : « وأما دعوى النسخ مردودة لأن النسخ لا يصح إليه بالاحتمال ولا سيما مع مكان الجمع »^(٥)
 - وبهذا يبين بطلان القول بالنسخ ومن صرح بهذا - غير من سبق - من القسّم^(٦) وابن رجب^(٧) عليهم رحمة الله

ثالثاً : مناقشة مذهب الترجيح ،

- نقدم لنا أن مذهب الترجيح سلكه فريقان من الناس : أحدهما رجع الأحاديث لثبوتها للعلوي ، ورد الأحاديث المثبتة للعلوي والفرق الثاني رجع الأحاديث المثبتة للعلوي ، ورد حديث ((لا علوي)) ، وتقدمت أدلة كل من الفريقين

(١) انظر روضة المفكر لأبي نقمة (٤٥٧/٢) ، شرح الكوكب المنير للفوسحي (٦٢٥)

(٢) انظر مقدمة ابن الصلاح (١٧٢) ، البحث والتحليل (١٧٠)

(٣) الفتح (١٥٩، ١٠)

(٤) مسلم بشرح النووي (٤٦٥ ، ١٤)

(٥) الفتح (٢٤٢، ١٠)

(٦) في معانيه في السعادة (٣٦٤، ٣)

(٧) في لطائف المعارف (٧٥)

ولكن كل من هذين الترجيحين مردود ، ويمكن الإجابة عنه .

أما ما ذهب إليه الفريق الأول فيحاج به بما يلي :

١ - أن الترجيح لا يضر إياه إلا مع تعدد الجمع . كما هو مقرر في عمي مصطلح الحديث

٢ - وأصول الفقه (١) وهو هنا غير متعذر كما سبق بيانه

٣ - « أن ما أخرجه الطبري عن عائشة لا يسمي لأحاديث تثبت العدوى ، لأن كل ما في

هذه الرواية يدل على أن عائشة رضي الله عنها لم تسمع ما سمع أبو هريرة فهو قد سمع

الحديث من رسول الله ﷺ يسامح تسمع هي إلا أحدهما فروى كل منهما ما سمع

وقد ذكر الحافظ في «المصحح» (٢) أن ابن عزيمة أخرج في كتاب التوكل عن عائشة رضي الله

عنها حديث ((لا عدوى ، وإذا رأيت المجلوم ففر منه كما تفر من الأسد)) فإن صح

هذا النقل فهو مردود من قول ابن عائشة رضي الله عنها أنكروا حديث ((فر من

المجلوم)) (٣)

٤ - وأما تردد أبي هريرة رضي الله عنه في الحكم فليس فيه ما يدل على ترجيح أحاديث

عمي العدوى . بل لو استدل به على العكس وهو ترجيح أحاديث إثبات العدوى فكان

أقرب (٤) ، لأن الذي صحت عنه أبو هريرة ﷺ هو قوله ((لا عدوى)) والذي أقام

عليه هو قوله ((لا يوردن محرم على مصح)) .

٥ - وأما فوضهم بأن الأحبار لم يوردوا من رواية غير أبي هريرة كثرة وشهرة بخلاف الأحبار

مرخصة في ذلك فليس بمسلم لأن أحاديث إثبات العدوى أيضاً كثيرة وشهرة كما أنها

وردت من رواية غير أبي هريرة - كما سبق - كعبه الرخمي بن عوف وأسامة بن زيد

وعمر بن الشريد عن أبيه وعائشة ﷺ

وأما ما ذهب إليه الفريق الثاني فيحاج به بما يلي :

١ - أن الترجيح لا يضر إياه إلا عند تعدد الجمع كما سبق .

(١) انظر معجمه ابن الصلاح (١٧٢) ، الفقه الحديث (١٧٠)

(٢) انظر روضة الناظر (١٥٧/٢) ، شرح الكوكب المنير (٦٣٥)

(٣) انظر فتح الباري (١٥٩٢)

(٤) انظر معجمه لأسامة عباد (٦٦٠)

(٥) وهو ترجيح مردود كما سبق في شأنه

٢ أ، رجوع أبي هريرة عن حديث (لا علوي) إنما هو لسياقه ، وهذا السياق غير مؤثر على حديث توبخين ذكرهما شوقي « أحدهما أن سبب الراوي للحديث العلوي روى لا يتدح في صحته عند جمهور العلماء بل يجب العمل به .
والثاني . أن هذا المتن ثابت من رواية غير أبي هريرة فقد ذكر مسلم هذا من رواية انسائيب بن رند وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وابن عمر عن النبي ﷺ » (١)

(١) مسلم بن الحجاج النوري (٤٦٥/١٤) وهذه الروايات التي أشار إليها الشرح ذكرها في المطب لأول

مسألة :

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : ((فر من مجذوم فرارك من الأسد)) وثبت عنه أيضاً أنه أرسل إلى مجذوم وقد تقبف : ((إنا قد بايعناك فأرجع))^(١)
وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في المصعة وقال : ((كمل باسم الله ، ثقة بما لله ، وتوكلاً عليه))^(٢)

فهذه الأحاديث كما ترى قد يفهم منها التعارض إذ أن في الحديثين الأولين الإرشاد إلى تجنب المجذوم والأمر بالفرار منه وفي الحديث الثالث ما يناهض هذا فإنه أخذ بيده ولم يتحرر منه بل أمره بالأكل معه ، فكيف الخروج من هذا التعارض ؟
والجواب عن ذلك أن حديث جابر ضعيف فلا يداوم ما جاء في الصحيحين عنه ﷺ من الإرشاد إلى تجنب المجذوم بقوله وفعله ، أما قوله فقد جاء في البخاري عن أبي هريرة ((وفر من المجذوم فرارك من الأسد)) وأما فعله فقد جاء في مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه ((إنا قد بايعناك فأرجع))

(١) تقدم شرحها

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب قطب ، باب في الفجرة ، ج ١ ، ص ٣٠١ ، ح (٣٩١٨) ، والترمذي في الألفية باب ما جاء في الأكل مع المجذوم (عنه ٥٣٨/٥) ح (١٨٢٧) ، وابن ماجه في كتاب قطب ، باب المجذوم (١٥٢٢) ح (٣٥١٢) ، والبخاري في شرح معاني الآثار (٢٩١٤) ، والطيبري في تهذيب الآثار (٢٨١) ح (٨٥) ، وصححه ابن حبان في كتاب الملوك والعلو والعال (١٨٨/١٢) ح (٦١٢٠) ، والحاكم في كتاب الألفية (١٥٢/٤) ح (٧١٩٦) ، ورواه الذهبي

ونكح هذا التصحيح ضعف عند صحة الترمذي ، سبب انفصال بن فضالة ، ومنفصل بن فضالة هذا قال به ابن معين بن هب ، وقال أبو حاتم بن كعب بن كعب ، وقال علي بن أبي حمزة ، وقال النسائي بنس بنس ، وقال ابن عس ، م أن له شك من هذا يعني حديث جابر ، فذهب لتهذيب (٢٧٢) ، ورواه ابن حبان ، قال شيخ الأربعة سيما على توثيق بن حبان ، ثم ياتي الألف كذا في غلب على توثيق انفصال بن فضالة بن أبي أمية ، فترشي صاحب هذا الحديث صحيح إلى حبان (١٩ / ١٣) حاشية (١)

كما ضعف هذا الحديث ابن القيم في زاد المعاد (١٥٣/٤) ، وابن عس في الفكه في فضحاء (٢٤٤ / ٢٤٤) ، والألباني في ضعف سنن أبي داود عن (٢٨٨) ح (٨٤٧ - ٢٩٢٥) ، وصحبه سنن الترمذي (٢٦) ح (٢٠٩) ، وصحبه سنن أبي داود (٢٨٧) ح (٧٧٦ - ٣٥١٢) ، وشكاه لمصنف (١٢٩١ ، ٢) ح (٤٥٤٥)

المبحث الثاني : الطيرة

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم طاهرها التعارض

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء بجاه هذا التعارض

○ المطلب الثالث : الترجيح

التمهيد :

أولاً ، بيان معنى الطيرة والفأل .

« الطيرة » : بكسر الطاء وفتح الياء ومد مسكن - هي الشاؤم بالشيء وهي مصدر تطير يقال : تطير طيرة وغيره ويرى في بعض المصادر هكذا غيرهما . وأصله فيما يقتل . التطير بالسواج والبرائح من «صير» و«طيار» وغيرهما . وكان ذلك يصلحهم عن مقاصدهم فعاء الشرع و«طيه» وبني عنه وأخير أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر^(١) .
قال لأمرئ : « وميل : للشؤم طائر وطير وطيرة لأن العرب كان من شأنها عبادة الطير ورجحها والتطير بإرحها وبعيق عربائها وأخذها ذات اليسار إذا آثاروها فسموا الشؤم صيراً وطائراً وطيرة لتشاورهم بها وبأفعالها »^(٢) .

وقال حميد : « الطيرة » تطير من «شيء» والتشاؤم به والكراهية له واشتقاقه من تطير كالغراب ومما شبهه مما كانت العرب تشاءم به وترى أن ذلك مانع من الخير معنى «إسلام ذلك مقال ((ولا طيرة)) في حمله ما نفى »^(٣) .

وقال ابن عبد البر : « أصل التطير وشقاقه عند أهل الملسم باللغة والسير والأخبار هو مأخوذ من رجح الطير ومروره سائحاً أو بارحاً . منه اشتقوا التطير ثم استعملوا ذلك في كل شيء من أخيب - وغير أخيب فطيطروا من الأعور والأعصب والأمر »^(٤) .

وقال النووي : « والتطير التشاؤم وأصله الشيء المذكور من قول أو فعل أو مرئي وكانوا يطيطرون بالسواج والبرائح فيصغرون «طاء» والطيطور فإن أحدث ذات اليمين نكرت به ومصوا في سمرهم وحوادثهم وإن أحدث ذات الشمال رجعوا عن سمرهم وحاجتهم وشاءموا بها فكانت تصبهم في كثير من الأوقات عن مصابيحهم »^(٥) .

وقال ابن القيم : « كانوا يرحلون الطير والوحش وينزرونها فما تياس منها وأخذت ذات

(١) النهاية لابن الأثير (١٥٢/٣) . والقمر لسان العرب (٥١١/٤) .

(٢) تهذيب اللغة (١٢، ١٤)

(٣) تفسير حريز في التفسيرين ص (٣٠٦)

(٤) التمهيد (٢٨٢٩)

(٥) مسند شرح النووي (٤٧ / ١٤)

اليمين سحرة سحاً ، وما تيسر منها سحرة بارحاً ، وما استقبلهم منها فهو طاطح وما جاءهم من الخلف فهو القعيد . فمّن العرب من ينشأه بالبارح ويترك بالمساح ومهم من يرى خيلاف ذلك »^(١)

قال القرطبي رحمه الله « التطير هو الطس السبيء طكائر في القصب والطيرة هو الفعل المرتب على هذا الطس من فرار وغيره »^(٢) .

« والتشؤم ضد التيس . يقال تشاءمت بالشيء وتيس به »^(٣)

تظهر مما سبق أن الطيرة كانت تطلق على التيس والتشؤم ثم انحصر استعمالها فيما بعد على التشؤم وعلى التيس بما ليس فالاً ، كمرور الطير سحاً أو بارحاً ولذلك نهى عنها فهي من هذا الوجه أعم من التشؤم . والتشؤم أعم منها من وجه آخر وهو أن أصل الطيرة مأخوذ من حجر الطير ومن ثمّ الترتب به أو التشؤم . فيما التشؤم يكون في الطير وغيره كالتشؤم من ذوي العاهات كالأعور والأبتر وغيرهما .

وفي الفصح التشؤم والطيرة بمعنى واحد^(٤) وما يدل على ذلك قوله تعالى ((... وإن تكن الطيرة في شيء فعلى العرس والمرأة والدار))^(٥) فعبر بالطيرة عن التشؤم .
القول .

قال ابن الأثير « المأل مهمور فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر

ومعنى التمازؤ مثل أن يكون رجل مريض فيتعاذه بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول يا سالم ، أو يكون طالب صائفة فيسمع آخر يقول : يا واجد فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد صالته »^(٦) .

(١) معجم دار السعاده (٦٦٨/٢) ، والمثل : الفصل في سريخ طير قبل الإسلام و (٧٨٦/٦)

(٢) الفروق للقرطبي ر (٢٢٨/٤)

(٣) النهاية (٢ / ٥٠٠) والمثل لسد العرب (٢١٤/١٢)

(٤) معجم الصحاح (٦١/٦) ر (٢١٢/١٠)

(٥) روضة أبو داود من حديث سعد بن مالك (ح (٢٩٦/١) ح (٣٩٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٤٧/٤)

(٦) النهاية (٤٠٦/٣) والمثل لسد العرب (٥١٢/١١)

وقد خص الشارع الطيرة مما يسوء وأشغال بما يسر ، وفسر النبي ﷺ الأعمال بالكلمة الصالحة
واحدة والظية^(١)

وعلى هذا يكون معنى أعمال شرعاً ، هو الكلمة الحسنة فقط فإن ترتب عليه إقدام أو
احتجام فهو طيرة وليس بمأل .

ثانياً ، حكم الطيرة

تصرفت الأحاديث على هي الطيرة وتحريرها وبيان بطلانها وأنها من الشرك ، ومن
ذلك -

١ - ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ((لا طيرة وخيرها
الغسل))^(٢)

قال ابن القيم نعيم على هذا الحديث « وهذا يحتمل أن يكون نعيماً وأن يكون بهياً ،
أي لا طيرة ، ولكن قوله في الحديث ((ولا عذوى ولا صعر ولا هامة))^(٣) يدل
على أن المراد النسي وإبطال هذه الأمور التي كانت اجتماعية تعاريفها ، ونسي في هذا أبلغ من
نسي لأن النسي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ونسي هنا يدل على النسي منه^(٤) .
ويمكن أن يكون النسي متصفاً بمعنى النسي فيدل على كلاً لتعريف بطلان ذلك وعدم
تأثيره ، والنسي عنه والله أعلم

٢ - قوله ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود ((الطيرة شرك ، الطيرة شرك - ثلاثاً -
وعاصاً إلا ، ولكن الله يذهب بالترك))^(٥) .

(١) النظر في صحيح (٢١٥/١٠)

(٢) سنن أبي عروبة ص (٨٣)

(٣) تقدم لمركبة ص ٥٥

(٤) معارج من السعادة (٢٨٠/٣)

(٥) أخرجه أبو داود وصححه (٢٨٨٠) ج (٤) (٢٩) ، والترمذي (بحه ٢٣٨/٥) ج (١٦٦٣) ، وابن

ماجة (١٧٠/٤) ج (٣٥٢٨) ، وابن حبان في صحيحه (٤٩١/١٢) ج (٦١٢٢) ، وأحمد (٢٥٢/٥)

ج (٣٦٨٦) ، وابن أبي شيبة في مسنده (١٨٢٠) ج (٢٦٥) ، والبيهقي في شرح معاني الآثار

(٢٠٢/٤) ، وابن أبي شيبة في التوسل (٨٨) ج (٤٢٤١) ، والحاكم (٦٥٠/٦٤) ج (٤٤٤٢)

وقال هذا حديث صحيح مسند ، فقد رويته ولم يخرجوه

فإن الشيخ سليمان بن عبد الله « قوله ((الطيرة شرك)) صريح في تحريم الطيرة وأنه من الشرك لما فيها من تعاضد القلب على عو الله ^(١) ولأدلة في هذا كثيرة وشهيرة وقد ذكرت ما به يحصل المقصود ، وسيأتي مزيد منها في نهاية البحث ب شاء الله تعالى

- الصفحة ١٥٥ مسأله في دلالة على فلسفة الأناشي كفا في تصحيح نسي الزمدي (١٢١/٢) وشعب الأوزود في تحقيقه لتصحيح من جات

- بيه

في قوله ((وما ما إل - ولكن الله يصبه بالترك)) مع الزمدي من سليمان بن حرب قوله عن هذه جملة من الحديث « هذا عند عز الله بن مسعود » وهو ب ذلك من القسم في مفتاح دار السعادة (٢٨١/٣) ٤٠٠ حجر في الفتح (٢١٢/١٠) ومعنى هذا أنها مدرجة في الحاشية (١) نسير التقرير لعبد من (٤٣٨)

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

جاءت أحاديث الصحيحين في هذه المسألة بأمرين :

الأمر الأول . نفي الطيرة

الأمر الثاني . إثباتها في ثلاثة أشياء في المرأة والدابة والشر وفي رواية عند مسلم

((والخدم))

وأما أحاديث نفي الطيرة فقد جاءت في الصحيحين عن أبي هريرة وأنس وابن عمر

وجابر ومعاوية بن الحكم رضي الله عنه . وذلك سياق هذه الأحاديث

الحديث الأول : حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((لا طيرة

وحيها القفال)) صالح وما القفال يارسول الله ؟ قال ((الكلمة الصالحة يسميها

أحدكم))^(١)

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه من عهد حرق قومه ﷺ ((لا عدوى ولا طيرة))^(٢)

الحديث الثاني . حديث أنس رضي الله عنه ولعنه ((لا عدوى ولا طيرة يعجنني القال)) صالح

وما القال ؟ قال ((كلمة طيبة)) متفق عليه^(٣) .

الحديث الثالث : حديث ابن عمر رضي الله عنه ونسبه ((لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث :

في المرأة والنار والدابة)) متفق عليه^(٤)

الحديث الرابع . حديث جابر رضي الله عنه ولعنه ((لا عدوى ولا طيرة ولا غول)) رواه

مسلم^(٥)

الحديث الخامس . حديث معاوية بن الحكم وميه ((ومنا رجال يطيطون . قال : ذاك

(١) مثل عليه البخاري . كتاب الطب . باب الطيرة ، (٢١٧١/٥) ح (٥٤٣٢)

ومسلم . كتاب السلام . باب الطيرة والقفال ، (٤٦٩/١٤) ح (٢٢٢٣)

(٢) . وقد سبق تخريجه . وبهاذا بالتفصيل في المطلب الأول من البحث السابق (٥٥-٥٦)

(٣) سبق تخريجه عن (٥٧)

(٤) سبق تخريجه عن (٥٧)

(٥) سبق تخريجه عن (٥٧)

شيء يجنبونه في صدورهم فلا يصلبهم))^(١).

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث أنه **يُكْرَهُ** ليس فيه فساد الطهارة وأنها لا تأثر بها بلذاتها وأرسلهم إلى عدم الإلتفات بها

قال ابن القيم تعديلاً على هذا الحديث « فأخير أن تأديه ونشأؤه إنما هو في نفسه وغيبته لا في انطوائه به ، موهمه وسومه وشراكه هو الذي يظلمه ويصدده لا ما رآه وسعته ، فأوضح لأتمته الأمر وبين لهم فساد الطهارة .. »^(٢)

هذه هي أحاديث نبي الطهارة

وأما أحاديث إنشائي أو إثبات الشؤم فقد جاءت في الصحيحين عن ابن عمر وسهل بن سعد وجابر **رضي** وهي كالتالي .

الحديث الأول : حديث ابن عمر **رضي** السابق ومعه ((والشؤم في ثلاث . في المرأة والدار واللباء))^(٣) . في رواية أخرى ((إنك الشؤم في ثلاثة في القرس والمرأة والدار))

^(٤) وفي رواية بسنن . ((إن كان الشؤم في شيء ففي القرس والمسكن والمرأة)) وفي رواية أخرى لمسلم أيضاً ((إن يكن من الشؤم شيء حق ففي القرس والمرأة والدار))

الحديث الثاني : حديث سهل بن سعد أن رسول الله **ﷺ** قال . ((إن كان في شيء لظني المرأة والقرس والمسكن))^(٥)

الحديث الثالث : حديث جابر **رضي** عن رسول الله **ﷺ** قال . ((إن كان في شيء لظني الربيع^(٦) والحداد^(٧) والقرس))^(٨)

(١) ورواه مسلم . كتاب الصلاة ومواضع الصلاة . باب تحريم الكلام في الصلاة . (٢٢/٥) ، ح (٥٣٧)

(٢) محتاج حار السعادة (٢٨١/٣)

(٣) وورد هذا الخبر في الحديث عبد الجباري عن ابن عمر أيضاً في كتاب النكاح . باب ما ينسى من شؤم المرأة (١٩٥٩/٥) ، ح (٥)

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح والسر . باب ما يذكر من شؤم القرس . (١٠٤٩/٢) ، ح (٣٧٠٣)

وصسم . كتاب السلام . باب الطهارة والفقائل (١٤٧١/١٤) ، ح (٢٢٢٥)

(٥) معن عبد الجباري . كتاب جهاد والسر . باب ما يذكر من شؤم القرس . (١٠٥٠/٢) ، ح (٢٧٠٤)

وسلم . كتاب السلام . باب العروة والفقائل . (١٤٧٣/١٤) ، ح (٢٢٢٦)

(٦) هو شربل ودار الإقامة . انظر الهدية (١٨٩/٢) ، لسلك القرب (١٠٢/٨)

بيان وجه التعارض

من خلال استعراض الأحاديث في هذه المسألة قد يُتوهم أن بينها تعارضاً ، وأن بعضها يساقى البعض الآخر إلا أن الأحاديث الأولى منها تعني الطهارة كما في قوله ﷺ ((لا طهارة))

بينما يرى المجموعه الثانية من الأحاديث تنبها كما في قوله ﷺ ((الشؤم في ثلاثة)) فكيف العمل تجاه هذه الأحاديث ؟

هل نصح إلى التراجع فربح بعضها على بعض ؟ أم سلك سبيل السج ؟ أم نحاول جمع والتأليف فنعمل جميع الأحاديث على وجه لا ساقص فيه ولا خلاف ؟
هذا ما سيثبه إن شاء الله تعالى في المطلب التالي .

(٧) قال الحافظ في السج « القصد الطهارة كلها على الإقتضار على الثلاثة مد كونه » ثم ذكرهم عن رواية « السيف » ويصنف رحمه الله في الثلاثة امرأة والدار والديعة ولا أدري لماذا لم يعد « الحاشي » مع أنه دأب في صحيح مسلم كما يرى من حديث جابر ١٢

وأما روايته للسيف فقد جاءت عند أبي داود (٦٤٢/١) ح (١٩٩٥) عن طريق الهري أن لم سلة رضي الله عنها كاتب بعد هؤلاء الثلاثة ونريد معهن السيف

وروى هذه الرواية ينف عبد الرزاق في مصنفه (٤١١/١٠)

وحكم الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٧٤) ح (١٦٢٢) على هذه الرواية بالشك

(٨) أخرجه مسلم في كتاب السلام باب الطهارة والفأس (٤٧٢/١٤) ح (٢٢٢٧)

المطلب الثاني :

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

احصى أهل العلم في توجيه هذه الأحاديث اختلافاً كبيراً تنوعت مذهبهم بين محاولة لتجميع بينها ، وقائل بالفسخ ، وثالث قد رجم الترجيح واختلاف مدره حديث إثبات الشؤم ، وأما أحاديث معه فقد اتفق أهل العلم على الأعتد بها ومنها على طاهرها ، وهو النقي والتحريم .
والإثبات منهم في ذلك .

أولاً منهجية الجمع -

ويمكن تفسيره إلى مسلكين

المسلك الأول : حمل أحاديث الشؤم على طاهرها وجعلها عصبية لأحاديث نهي العصور مذكور النعي لا طيرة إلا في هذه الثلاث ، فالطيرة ممية ومحرمه إلا في هذه الأشياء الثلاث فإنها موجودة ومباحة ، وإلى هذا ذهب لإمام مالك وابن قتيبة والشوكاني عليهم رحمة الله قال الإمام مالك تعليقاً على حديث ((الشؤم في ثلاث)) : « هو على طاهره ، وأن المدار قد يجعل الله سكنها سبباً للضرر والهلاك وكذا اتحاد المرأة لعينة أو العرس أو الخادم قد يحصل الضرر عنه بقضاء الله تعالى »^(١)

وروى أبو داود عن مالك أنه سُئل عن الشؤم في العرس والمدر ؟ قال « كم من دار سكنها قوم [ناس] فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا هكذا يفسره فيما يرى ، والله أعلم »^(٢)

قال الطبري « معك ذلك ، أحد هذا الحديث على طاهره ولم يتأونه »^(٣) .

وقال ابن أبي عمير « ويصور مالك به في غير الموطأ على طاهره وذلك بخبري العادة من

١ . مثل ذلك عنه الطبري في شرحه لمسلم (١٤ / ٢٧٢)

(٢) رواه أبو داود ، وخرج ٢٩٨٠ ، وحكم عنه الألباني بأنه صحيح مصدق . انظر صحيح سنن أبي داود

(٢٤٢ / ٢)

(٣) العلم لغزاه ، مسلم (١٠٤ / ٣) انظر ص ١٠٠

قدر الله في ذلك وهو ظاهر ترجمته له فيه «^(١) .

حيث قال في ترجمته « باب ما يتقى من الشؤم »^(٢) .

وقال ابن قتيبة تعليقاً على حديث الشؤم أيضاً ، « ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطهرون منهاهم الشيء بكثرة وأعلمهم أن لا ضرر فلما أبوا أن يتنزهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة »^(٣)

قال ابن حجر « ممضى من قتيبة عن طاهره ويرى على قوله أن من نشأهم بشيء منها نزل به ما يحكره »^(٤)

وقال السوكتاني « وطرح مآثله مآلث وهو الذي يدل عليه حديث أنس الذي ذكرنا^(٥) . يكون حديث الشؤم مخصصاً لعدم حديث ((لا طيرة)) فهو في قوة ((لا طيرة إلا في هذه الثلاث)) »^(٦) .

المسائل التي . تأويل حديث الشؤم وحمله على غير طاهره والسالكون لهذا المسالك من أهل العلم لم يتفقوا على تأويل واحد بل نوعت طرائقهم وباشت آرائهم في تأويل هذا

(١) مشارق لأوار ، ٢/٢٠٢

(٢) الشوط ، ٢/٩٦٢

« ذهب ابن العربي إلى أن قول كلام مآلث يقال « م برء مآلث إصابته الشؤم في الدار وإنك هو عبادة عن جبري لقاده فيها فأشهر من أنه يصير بلزوم الخروج عنها وسيلة لاعتناقه عن التمسك بالباطل » . قال ابن حجر « وما أشار إليه ابن العربي في تأويل كذا مآلث أولى ، وطارد بذلك جسم مادة وسد الفريضة لئلا يوافق شيء من ذلك القدر معتد من وجه به أن ذلك من الطيرة فيصح في اعتقاد من يؤمن عن اعتقاده » فتح الباري (٦٢/٦) بتصرف يسير .
وبعض ما ذهب إليه شريفي والداخلي عراض وبمعهم في ذلك الشوكتاني هو الأكثر إلى كلام مآلث وذلك لأنه هنا ولم أنه في مسلك ابن حجر رحمه الله كما سيأتي

وقد بينا أن ظاهر كلام مآلث رحمه الله هو أن شؤم هذه الأشياء هو ما يقتضيه الله تعالى فيها من القدر كما أن يُنسبها ما يقتضيه الله تعالى فيها من القدر حسن ، فيكون بذلك مآلثاً في القرون السطوح من المسلك الثاني كما سيأتي إن شاء الله تعالى

(٣) مثل ذلك عنه ابن حجر في المنهج (٦١/٦)

(٤) لم يرجع السابق

(٥) وهو قوله لا طيرة بل حل الذي شكى إليه الله عندما ذهبوا من بعد محمد بن عبد الله إلى مسكن آخر ((عروها دية)) وسيأتي ترجمته إن شاء الله تعالى (٩٦ ، ٩٧)

(٦) من الأوطار (٧/٢١٩)

الحديث ، وذلك أقوالهم في ذلك :

القول الأول أن حديث مسلم « سئل عن اعتقاد الناس في ذلك لا أنه إيمان من الله بيقين ذلك »^(١)

القول الثاني أن « معنى الحديث إخباره عن الأسباب الثمرة بصورة الكرامة في الغرائز ، يعني أن كثير من هذه في عرائر الناس هي هذه الثلاثة فأخبرنا بها لأحد من غير أنها فقال ((الشؤم في البدار والمرأة والفرس)) أي أن الحوادث التي تكثر مع هذه الأشياء ، والمصائب التي تنزل عليها تدعو الناس إلى التشاؤم بها فقال : ((الشؤم فيها)) أي أن الله قد بعثه فيها على قوم رسول قوم ومخاطبهم النبي ﷺ بذلك لما استقر عليهم منه ﷺ من إبطال الطيرة وإنكار العنوى »^(٢)

القول الثالث ما ذهب إليه ابن حجر وغيره من أن « أفراد بذلك جسم لمادة وسد لدرجته لثلاث يوصف شيء من ذلك فقدر يعتقد من وقع له أن ذلك من العنوى أو من الطيرة فيعتقد ما بهي عن اعتقاده فأشير إلى احتساب مثل ذلك . وانطريقه فيمن وقع له ذلك في الأمر مثلاً أن يهدر إلى الحول منها لأنه متى استمر فيها ربما حمله ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم »^(٣) .

القول الرابع أن « الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها فيكون شؤمها عليه ، ومن ترك كل على الله ولم تشاءم ولم تطير لم تكن مشؤمة عليه قالوا : ويدل عليه حديث أنس ((الطيرة على من تطير))^(٤)

وقد يجعل الله سبحانه تطير العيد وتشاؤمه سبباً لخلول بكره به ، كما يجعل الثقة والموكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر للتطير به »^(٥)

(١) التلخيص (٦١/٦)

(٢) معناه في المصنف (٣٤١/٣)

(٣) التلخيص (٦٢/٦)

(٤) رواه ابن جرير في تهذيب الآثار (١٠١٠ ، ج ٥٢) وابن حبان في صحيحه (٤٩٢/١٣) ح (٦١٢٢) وقال الحافظ ابن حجر في صحيحه نظر لأنه من رواية حبة بن حميد وهو مختلف فيه الفهرست (٦٢/٦) ، وحسن

إسناده شيخ الأثر في صحيحه صحيح ابن حبان

(٥) معناه في المصنف (٣٤ / ١٢)

القول الخامس هو مسير الشؤم ، فقالوا : إن المراد « بشؤم اندل صيقها وسوء حيراتها وتدهم ، وقيل بعدها عن لمساجد وعدم سماع الأذان منها ، وشؤم المرأة عدم ولا ذهاب وسلامة لسانها وعرضها لغيره ، وشؤم العرس أن لا يعرى عليها ، وقيل خرابها وعلاء لسانها ، وشؤم بخادم سوء أخفه وقلة تعهده لما قوص إليه

وقيل لمرء بالشؤم ما عدم الموافقة كما جاء في الحديث ((سعادة ابن آدم في ثلاثة وشقوة ابن آدم في ثلاثة ، فمن سعادته : المرأة الصالحة والمسكن الواسع والركب الصالح ، ومن شقوته المرأة السوء والمسكن السوء والركب السوء)) (١)

وقد أشار ابن حنبل في هذا التأويل بأن قرن بالاسدلال بهذا الحديث قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْإِسْلَامُ كَانَ لَكُمْ دِينًا قَدْ كُنْتُمْ فِي الْكُفْرِ ﴾ (٢) وذكر في الباب حديث أسامة بن زيد ((ما تركت تعدي فتة أصر على الرجال من النساء)) (٣) « (٤) »
القول السادس : ما ذهب إليه الخطابي وابن رجب وابن القيم عليهم رحمة الله وهو أن المراد بالشؤم في هذه الأشياء أنها أعيان وظروف وأسباب محسوسة يفقد الله تعالى بها الشؤم والبس والضرر والدمع ومن البس شيء منها فوجد في نفسه الكراهة لذلك أصبح له تركه .

وليس ندر ما يعتقد أهل الجاهلية فيها من أنها مؤثرة بدنها وطبعها

قد الخطابي « البس والشؤم يحتاج لما يصيب الإنسان من الخسر والخسر والدمع والضرر ولا يكون شيء من ذلك إلا بمشيئة الله وحضائه وإنما هذه الأشياء عيان وظروف جعلت مواقع لأقصيه ليس لها تأثيرها وطباعها فعل ولا تأثير في شيء ، إلا أنها لما كانت أصم الأشياء التي يعيها الناس ، وكان الإنسان في عائلته أحوطه لا يستعني عن دار يسكنها وروحة يعاشرها وحرس يربطه ، وكان لا يخلو من عارض مكروه في زمانه ودهره أصيب

١) رواه أحمد (٦٨/٣) ح (١٤٤٥) ، ومالك (١٧٥،٢) ح (٢٦٨٤) ، وضعف مسنده أحمد شاكراً في تعليقه على مسند الإمام أحمد ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩/٣) ح (١٠٤٧)

(٢) سورة النصارى (٥٤)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب من يتلى من شؤم امرأة (١٩٥٩/٥) ح (٤٨٠٧)

(٤) طرح التنوير (١٢٢/٨)

الأيمن والشوم إليها إضافة مكان ومحل وهما صادران عن مشيئة الله سبحانه ^(١) .

وقال أيضاً : « معناه إبطال مذهبهم في الطهارة بالنسوانح والبوارح من التطير والتضاه ومحوها ، إلا أنه يقول : إن كان لأحدكم دار يكره سكنها أو امرأه يكره صحبتها أو فرس لا يعجبه ربانته فليعرقها بأن يستقل من الدار ويبيع الفرس ، وكان محل هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه ، وسببه سبيل الخروج من كلام إلى غيره » ^(٢) .

وقال ابن رجب : « والتحقيق أن يقال في إثبات الشوم في هذه الثلاث ما ذكرناه في انتهى عن إيراد المريض على التصحيح والصرار من المثلوم ومن أرض الطلوع ، أن هذه الثلاث أسباب يندر الله تعالى تعدى بها الشوم والأيمن ويقره ، ولهذا يشروع لمن استغاد روضة أو أمه أو دابة أن يسأل الله تعالى من غيرها وخير ما حبس عليه ، ويستعيد به من شرفه وشرف ما حبس عليه » ^(٣) .

وقال ابن القيم : « إحصاءه ﷺ بالشوم أنه يكون في هذه الثلاث ليس فيه إثبات الطهارة التي معناه وإنما عاينته . الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤمة على من قاربها وسكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منه شوم ولا شر وهكذا ، كما يعطي سبحانه الولد ليس ولدٌ مباركاً بريان الحبر على وجهه ، وكذلك ما يعطيه العبد من ولاية أو غيرها فكل ذلك للدار والمرأة والفرس » ^(٤) .

فإن قيل : هذا جارٍ في كل مشؤم ، فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر ؟

فيل : لأنها أكثر ما يقع الخطر بها فحسنت بالذكر لذلك ^(٥) .

(١) أعلام النبوة (١٣٧٩/٢)

(٢) معارج التنوير (٢١٤/٤)

(٣) كما روى ابن ماجه (٦١٤) ح (١٩١٨) عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : ((إذا أفسد أحدكم امرأته أو دابته أو فرسه فليعرقها بغيرها وبغير ما حبس عليه ، ويعود مكان من شرفه وشرف ما حبس عليه)) .

ورواه أيضاً أبو داود (١٣٨/٦) ح (٢٦) وحسنه الألباني في صحيح مسند أبي داود (٤٠٦/٢) .

ح (١٨٩٢)

(٤) لطائف المعارف (٨٣)

(٥) معارج دار السعادة (٣٤٢/٣) والفتاوى معارج القبول (٢٧٠/٢)

(٦) انظر تيسر التحرير لمحمد (٤٣٠)

قال القرطبي « وجه خصوصية هذه الثلاثة بأن ذكر أنها ضرورية في الوجود ولا بد للإنسان منها ومن ملازمها عالياً فأكثر ما يقع الشاؤم بها مخصصها بالذكر لذلك »^(١)
وقدم كلامه الخطابي في ذلك

قائلاً مخصصه المصحح ،

حكاه ابن عبد البر فقال « وقد يحتمل أن يكون قول رسول الله ﷺ ((الشؤم في ثلاثة . في الدار والمرأة والفرس)) كان في أول الإسلام حبراً عما كانت تعتقده العرب في جاهليتها على ما قالت عائشة^(٢) ، ثم سح ذلك وأبطله القرآن والنس «^(٣)
وبقي بالقرار قوله تعال « ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّطَهَّرٍ مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَسْمَاءِ فَهُوَ لَا يُغَسِّقُكُمْ إِلَّا بِكُمْ ﴾ »^(٤) .
وبالنسب ما سبق من قوله ﷺ ((لا طهارة . .)) .

قائلاً ، مخصصه استرجيح -

وقد سبقه فريق من الناس

أ- فريق رد 'حادثة الشؤم' وأكبرها أصلاً وعظماً الراوي ها ، وعلى رأس هؤلاء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

فقد أخرج الإمام أحمد والطحاوي وغيرهم . أنه دخل رجلان من بني عامر على عائشة رضي الله عنها فحرقها أن أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ أنه قال ((إن الطهارة في المرأة والدار والفرس)) فعصت وطارب شعة منها في السماء وشقة في الأرض فقالت : والذي أئزق الفرقان على محمد ما قلنا رسول الله ﷺ قط . إنما قال ((أهل الجاهلية كانوا يتصورون من ذلك))^(٥) .

(١) منهم (١٥ / ٦٣)

(٢) سألني كلامها رضي الله عنها فرياً

(٣) التمهيد (٩ / ٢٩)

(٤) سورة الحديد . آية (٢٢)

(٥) أخرجه أحمد (٢١٥٧ ، ٢٤٣ ، ٣٥٠) والطحاوي في مشكل الآثار (١ / ٢٣٣) وفي شرح معاني الآثار

(٣١٤ ، ٤) وعلانكم (٢ / ٥٢١) ومال صحيح إسناده ، ووجهه الصحيح وهو نسخة كسا في الفصح (١١٠٦)

ومن تحرير الصوري في تهذيب الأثر (١٤١ / ١) ح (٣٧) ، وابن عبد البر في التمهيد (٩ / ٢٨٨) ، وصححه

الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٢٥) ح (٩٩٣)

وفي رواية لأحمد : فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقصاب ، والذي سئل العرقان على أبي القاسم ما هكذا كان يقول ولكن بي الله ﷻ كان يقول ((كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في المرأة والدار والدابة)) ثم قرأت عائشة .

((مَا أَتَانِي مِنْ شَيْءٍ يَنْبَغِي أَنْ أُقْبِلَ بِهِ إِلَّا حَسْبُ شَرِّهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ))^(١)
وروى أبو نود الطحاوي في مسنده عن مكحول قال : قيل لعائشة : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ((الشؤم في ثلاث ..)) فقالت : لم يحط أبو هريرة ، لأنه دخل ورسول الله ﷺ يقول ((قاتل الله اليهود يقولون : الشؤم في ثلاث : ...)) فسمع أبو هريرة آخر الحديث وم يسمع أوله^(٢)

ويشهد ضد إنكار من عائشة رضي الله عنها ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل : سمعت من رسول الله ﷺ ((الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة)) ؟ قال : كذب أقوال علي رسول الله ﷺ ما لم يقل ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ((أصدق الطيرة الغال ، والعين حق))^(٣)

ب : وأما الطريق الآخر فمن يردوا أحاديث الشؤم بكانها ، وإنما ردوا رواية الحرم ((الشؤم في ثلاث ..)) وعلطوا الراوي فيها وهدموها عيبها روايه التعليق ((إن كان الشؤم في شيء ففي ...)) ، ومن هؤلاء الطحاوي والطبري وابن عبد البر عليهم رحمة الله ، وتبعهم في ذلك لأبياسي

قال الطحاوي بعد إيراد حديث الشؤم : « من يحرم أنها فيه وإنما قال . ((إن تكس في شيء ففيه)) أي لو كانت تكون في شيء تكس في هؤلاء ، فإذا لم تكس في هؤلاء ثلاثة فليست في شيء »^(٤) .

وقال الطبري . « وأما قوله ﷺ : ((إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس)) فإنه لم يثبت بذلك صحة الطيرة ، بل إنما أعبر ﷺ أن ذلك إن كان في شيء ففي هذه

(١) نسخة (٣٥٠ ، ٢) وقال الطبري في المجمع (١ : ٤٠) . روى أحمد وزعمه رجال صحيح

(٢) روى أبو نود الطحاوي ج ، ١٥٢٧ ، ١٠٤٠ من ابن حجر في الشرح ، ٦١٦٦ . « مكحول لم يسمع من عائشة فهو مستضعف »

(٣) روى أحمد (٢٦٦ : ٤) ج ١ (٧٨٧٠) وصنف إسناده أحمد ما ذكر لأن فيه ثمانية وهو ضعيف

(٤) شرح معاني الآثار (٣١٤ : ٤)

الثلاث ، وذلك بل المي أقرب منه إلى لأصحب لأن قول القائل إن كان في هذه بشار أحمد فريد ، غير إثبات منه أن فيها ريءاً ، بل ذلك من انصي أن يكون فيها ريءاً أقرب منه إلى الإثبات أن فيها ريءاً ^(١)

وقال ابن عيا نير « من يقطع ﷺ في هذا الحديث بالشؤم » وقال أيضاً . « وأما قوله في هذا الحديث ((الشؤم في الدار والمرأة والفرس)) فهو عمداً على غير ظاهره » وقال « فقوله ﷺ ((لا طيرة)) يعني عن الشاؤم والتطير بشيء من الأشياء ، وهذا القول أشبه بأصول شريعته ﷺ من حديث الشؤم ^(٢)

وقال الألباني بعد ذكره لرواية التميمي « وأحديث يعطي مفهومه أن لا شؤم في شيء لأن معناه لم كان الشؤم ثاباً في شيء ما فكان في هذه الثلاثة ، لكنه ليس ثاباً في شيء أصلاً

وعليه فما في بعض مرويات بلطف ((الشؤم في ثلاثة)) و ((إنما الشؤم في ثلاثة)) فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة ^(٣)

وقال أيضاً عن رواية الحرم ((الشؤم في ثلاث)) « فهو بهذا اللفظ شديد مرجوح » ^(٤) واستدل أصحاب هذه الأقول بما يلي :-

١- رحمه ﷺ للتطير كما تقدم - ورغبه في تركها بقوله : ((يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وهم الذين لا يسرفون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)) ^(٥) ^(٦) .

٢- قوله ﷺ ((لا شؤم وقد يكون النمس في ثلاثة : في المرأة والفرس والدار)) ^(٧)

(١) تهذيب الأئمة (٣١٧)

(٢) التمهيد (٢٨٤ ، ٢٨٣)

(٣) السلسلة الصحيحة (٧٢٧ ، ١)

(٤) السلسلة الصحيحة (٥٦٥/٤) .

(٥) أخرجه البخاري (٢١٥٨/٥) ، ح (٥٣٧٨) ، ومسلم (٩٠/٣) ، ح (٢١٨)

(٦) انظر الإجابة لأحمد ما نشرته عائشة عني الصحابة بلزكشي ، ص (١٠٥)

(٧) رواه الترمذي ، حقه ٩ ، ١٤ ، ح (٢٩٨) ، وابن ماجه (٦١٢/١) ، ح (١٩٩٣) ، والطبراني في مشكل

الأثر (٢٣٣/١) ، وصحيف سنده لا يوافي ليس حجة في التصح (٦٢٦) ، وصحيفة الأئمة في السلسلة الصحيحة

قال ابن عبد البر عن هذا الحديث « وهذا أثبتّه في الأصول لأن الآثار ثابتة عن النبي ﷺ أنه قال : ((لا طيرة ولا شؤم ولا عدوى)) » ^(١)

وقال الطحاوي عن هذا الحديث أيضاً : « وفي ذلك تحقيق ما ذكرناه من انتفاء إثبات الشؤم في هذه الأشياء » ^(٢)

٣- إنكار عائشة رضي الله عنها حديث الشؤم ، فقالوا : إن رواية عائشة أولى من رواية عمر بن الخطاب فحفظ ما لم يمتنع عمرها لا سيما وهذا . وفي عن النبي ﷺ ما يمتنع من الطيرة ^(٣)

(١) (٥٦٥/٢) ج ١ ص ٩٢

(٢) التمهيد (٢٧٩/٩)

(٣) مشكل الآثار ١ ص ٢٣٣

(٣) نظم مشكل الآثار (٢٣٢/١) والعلامة الصحيحة (٧٢٧/٢)

المطلب الثالث :

الترجيح

الذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن الشوم شومان :

أحدهما عزم وهو ما كان يعتقد أنه اجبالية فيما يتطهرون به ، ومن معناه

١ أنه يكون قبل إقدامهم على الشيء ، وقد يكون بعده لكن عند حصول أدنى ضرر منه

٢ أنهم يعتقدون في التطير منه أنه مؤثر ببدنه وأنه سبب في جلب النفع ودفع الضرر ، وبالتالي فإنه يصدهم عما هموا به ويردهم عما قصدوه ولذلك جعل النبي ﷺ الطيرة من الشرك كما في حديث بن مسعود ((الطيرة شرك ...))^(١) .

وسبب كونها من الشرك أنهم يعتقدوا ما ليس مسجاً لا شرعياً ولا فطرياً سبباً في جلب النفع ودفع الضرر ، وهذا شرك أصغر .

فإن يعتقدوا أن التطير سبب مؤثر ببدنه مستقل بالنفع والضرر عن مشيئة الله وإرادته فهو شرك أكبر^(٢)

قال في عو ، المعبود : « ((الطيرة شرك)) أي لا اعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو

تدفع عنهم ضرراً ، وهذا عبادة موحدها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك ويسمى شركاً جمعياً

ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله يمنع أو يصير بالاستقلال فقد أشرك شركاً جلياً

وقال القاضي إبي سماعة شركاً لأنهم كانوا يرون ما يتشائمون به سبباً مؤثراً في حصول المكروه وملاحظة الأسباب في جعله شرك خفي فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد »^(٣)

وقال النووي مبيناً سبب كون الطيرة من الشرك : « لأنهم جعلوا لها أي الطيرة - أثراً في الفعل والإيجاد »^(٤)

ومن شواهد تطير أهل الجاهلية ما جاء في أشعارهم ومن ذلك :-

(١) سبق تحريكه من (٨٦)

٢ انظر القرون السبعة نسختي من ١٠٨ ، والقول للبه على كتاب التوحيد لابن خزيمة (١٥٩٠)

(٣) عو المعبود (٢٨٨/١٠)

(٤) مسم بشرح النووي (٤٧١/١٤)

١- قول النابغة الذبياني

رغم البورج أن رحلت عدداً وبذلك خربنا لأهداف الأسود^(١)

٢- وقول عذرة

طعن الديرى فرائهم أنوقع وحرى بهم العرب الأتقع^(٢)

٣ وقول علقمة

ومن تعرض لعربان يجرها على سلاته لأبد مشوم^(٣)

وثانيهما الشوم المثبت في حديث رسول الله ﷺ وهو ما يحلله الإنسان في نفسه من الكرامة لهذه الأشياء عند حصول الضرر منها أو فيها ، ومن سماته :

١- أنه لا يكون إلا بعد وقوع الضرر وتكرره من الشيء ، فتشاكل منه فإذا تصرر الإنسان من شيء أصبح له تركه ، بل قد يحب ذلك

٢- أنه يكون نصبة مدمومة موجودة في الشيء ، بخلاف التصر المموم فإنه يكون لسبب خارج عن الشيء عاكف ، كمن ترك السفر لأشياء في السفر وإنما لأنه رأى طيرة فتشاكل منه بهذا الترك مسرع وأن الأول مسباح

٣- أن الأكثر للترتب على التشوم من هذه الأشياء هو تركها ومعارقتها مع اعتقاد أن الله تعالى هو الخالق فقال لا يريد بيده الجمع والتصر صيحاته ، وأن هذه الأشياء ليس لها بعفسها تأثير ، وإنما شؤمها وبها ما يقدره الله تعالى فيها من الخير والشر ، ويدل على هذا قوله ﷺ في الحديث ((الشوم في ثلاث)) لأن " في " للظرفية كما هو معلوم .

كما يدل عليه أيضاً حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رجل^(٤) : يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عدداً وكثير فيها أموات ، فحولنا إلى دار أخرى فقل فيها عدداً وقب فيها أموات ، فقال رسول الله ﷺ : ((ذروها ذهيمة))^(٥)

(١) ديوان النابغة ص (١٠٥) ، وانظر ملحوظات المحقق (٤٤٢/٣)

(٢) ديوان عذرة ص (١٠٢) ، وانظر ملحوظات المحقق (٤٤٢/٣)

(٣) ديوان علقمة ص (٦٧) ، وانظر ملحوظات المحقق (٤٤٩/٣)

(٤) وفي بعض الروايات ((امرأة)) كما عند مالك

(٥) أخرجه أبو داود (عبود ١٠ / ٣) ، ح (٣٩١٦) ، وسألت في الرضا (٩٧٢/٢) ، والبخاري في الألب تصد (٦١٨) ، وعبد الله بن أبي مصلحة (٧/١٠) ، ح (١٩٢٦) ، وابن عبد البر في المشبه (٦٨/٢٤)

«إنه ﷺ أمرهم بالتحول عنها لما رأى فيهم من الكراهة لها ووقوع الضرر وتكرره فيها مما نتج عنه استنقاذهم لها ، فأمرهم ﷺ بالتحول ليرول ما في نفوسهم من الكراهة ، لا لأجل أنها سبب في ذلك

قال ابن قتيبة « وما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استئصال لطلها واستيعاش ما نالهم فيها ، فأمرهم بالتحول ، وقد جعل الله في عرائر الناس وتركيبهم استنقاذ ما نالهم السوء فيه وإن كان لا سبب له في ذلك ، وحسب من جرى على يده أخير لهم وإن لم يردم به ، وبعض من جرى على يده الشر هم وإن لم يردم به »^(١)

وهذا التصريح هو معنى كلام الخطابي وابن رجب وابن القيم عليهم رحمة الله ، وقد سى ذكر كلامهم وقد يدل عليه كلام مالك رحمه الله

رقن ١٥٨٠ محفوظ من قوله فيها حديث أنس

وحسب لألاني في صحيح سر عي دود (١٤٣/٢) ج (٣٣٢٢) ، كذلك حسن إسناده مسند الأرموط في تحقيقه شرح السنة (١٧٩، ١٢)

(١) مؤيد مختلف حديث (٩٩) ، وانظر شرح السنة شعوي (١٧٩/١٢) ، ومصحح دار السعادة (٣٤١/٢) ، ومعارف حسن (٢١٩، ٤)

مناقشة الأقوال المروجة :

أولاً : مناقشة هذه الجمع :

— أما المسلك الأول وهو تخصيص أحاديث بني الظيرة حديث ((الشؤم في ثلاث)) فإنه يُشكل عليه أن نعمل للجاهلية يعتقدون أنها مؤثرة بذاتها وأن تأثيرها واقع لا خالة فمن قال بالتخصيص يلزمه إباحة هذا الإعتقاد في هذه الثلاث وهذا خطأ بئس ، ولذلك قال القرطبي تبعاً على هذا القول : « ولا يُطعن على قول هذا القول أن الذي رُخص فيه من الظيرة بهذه الأشياء الثلاثة هو على نحو ما كانت الجاهلية تعتقد فيها ، وتعمل عبداً ، فإنها كانت لا تقدم على ما يعرف به ولا تفعله بوجه بناءً على أن الظيرة تضر قطعاً من هذا خطأ . وإنما يعني بذلك : أن هذه الثلاثة أكثر ما يشاءم الناس بها للآثار التي لها من وقع في نفسه شيء من ذلك فقد أباح الشرع له أن يتركه ويستبدل به غيره »^(١)

كما أن تطير أصل الجاهلية يكون - أحياناً - قبل إقدامهم على الشيء ، فمن قال بالتخصيص أو الاستدراك لزمه إباحة هذا التطير في هذه الأشياء وهذا فيه بعد لا يخفى .
— وأما القول الأول من المسلك الثاني : وهو أن حديث ((الشؤم في ثلاث)) سيئ بيان اعتد الناس في ذلك فإنه تأويل ضعيف لا دليل عليه الأحاديث الصحيحة ولا نُجورّه مقاصد الشريعة

ولذلك قال من حذر بعد ذكره هذا القول « وسيتيقن الأحاديث الصحيحة فتقدم ذكرها بعد هذا التأويل »^(٢)

وقال ابن العربي : « هذا حروب سافك لأنه ﷺ لم يبعث ليخبر عن الناس عما كانوا يعتقدونه وإنما بعث ليخبر الناس ما يلزمهم أن يعلموه ويعتقدوه »^(٣)
— وأما القول الثاني : وهو أن حديث ((الشؤم في ثلاث)) يحذر منه ﷺ عن الأسباب الثلاثة لظيرة لأحد أحسن منها . فإنه تأويل بعيد لأنه ﷺ أخبر أن الشؤم واقع فيها لا أنها مسببة للشؤم ومسيرة له

(١) منهم (٦٢٩/٥)

(٢) فتح الباري (٦١/١)

(٣) عارضة الأوردني (١٠ ٢٦٤)

- وكذلك القول الثالث : فإنه بعيد جداً عن مللول الحديث وتأويل ظاهر التكلف .
- وأما القول الرابع وهو أن شؤم هذه الأشياء إنما يلحق من تشاءم بها ، فليس بمسلم لأن شؤمها قد يلحق أيضاً من لم يتشاءم بها كما في حديث الرجل الذي شكّا إلى رسول الله ﷺ أنه الذل ، بعد تحوله إلى دار أخرى فقال له ﷺ ((شؤمها شعبة))
- وأما القول الخامس والسادس فمستقربان ، غير أن الخامس فيه نصير الشؤم وذكر صور معينة له بخلاف السادس فإنه لم يخص شؤم بصور معينة وإن ذكره مجملًا
- وتقدم أن هذا القول - أعني السادس - هو أقرب الأقوال

ثانيًا ، مناقشة عظمير السبع ،

وأما دعوى السبع شحاب عنها بما يلي :

- ١ - أن السبع لا يثبت بالاحتشال ، بل يشترط فيه معرفة التاريخ حتى يتيسر التقديم والتأخر فيسبح بالتأخر بتقديم
- ٢ - أن من شروط السبع تعدد الجمع وهو هنا غير متعذر
- ٣ - أن معنى التطير وإثباته في الأشياء المذكورة قد احتجنا في حديث واحد فكيف يُحتمل السبع (١)

ثالثًا ، مناقشة عظمير التزجيج :

- تقدم أن ملعب التزجيج سلوكه مرتبطان من النفس ، أحدهما ردّ أحاديث الشؤم كلها ، والآخر ردّ رواية الحرم فقط ، وقدم عليها رواية التعليق .
- ١ - وأم العريق لأول فيجاب عن ترجيحه بما يلي .

- ١ - أن إنكار عائشة رضي الله عنها لحديث ((الشؤم في ثلاث)) متعقب فلا يُسَمُّها ، إذ لم يروه أبو هريرة فقط بل رواه عدد من الصحابة غيره كابن عمر وسهل بن سعد وجابر رضي الله عنهم

قال ابن الجوزي « سئروا هذه جماعة فقدت فلا يعتمد على ردها » (٢)

(١) النظر صح البخاري (٦٢٠٦)

(٢) غل ذلك عنه الزركشي في إحياءه ص (١٠٥)

وقال ابن القيم « والمقصود أن عائشة رضي الله عنها ردت هذا الحديث وأكرته وعطأت قائله . ولكن قول عائشة هذا مرفوح ، وها رضي الله عنها اجتهدت في رد بعض الأحاديث الصحيحة خاتمها فيه غيرها من الصحابة ، وهي رضي الله عنها لما قلت أن هذا الحديث يقتضي إثبات الطيرة التي هي من الشرك لم يسعها غير تكذيبه ورده ولكن الذين روه ممن لا يمكن رد روايتهم ، ولم يتعدد بهذا أبو هريرة وحده ولو انهم به فهو حافظ الأمة على الإطلاق ، وكل ما رواه عن النبي ﷺ فهو صحيح - بل قد رواه عن النبي ﷺ عبا الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسهل بن سعد لساعدي وجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما وأحاديثهم في الصحيح ، فالحق أن الواجب بيان معنى هذا الحديث ومبايسته بظهور الشريعة » (١)

وقال ابن حجر « ولا معنى لإسكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك » (٢).

٢- وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة في عدم سماعه حديث « الطيرة في ثلاث » فصحيح لا يخفى به وعلى فرض صحته فيلزم عبوه صحيح ، والله أعلم

ب) وأما ما ذهب إليه الفريق الثاني فيجيب عنه وعن أدلته بما يلي .
١- أن المزج لا يضر إلا عند تعدد الجمع وهو هنا غير متعدد بحمد الله .
٢- أن رواية الحرم جاءت من عدة طرق في الصحيحين عن زراري عن حمزة وسالم أبي عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، وها شاهد عبد الطحاوي من طريق عتبة بن مسلم عن حمزة بن عبد الله عن أبيه (٣) فلا سبيل إلى تعليق الروي فيها أو وضعها بالشلود .
كما أنه لا مسافة بين رواية الحرم وروية التعليل - كما تقدم - قال الشيخ سليمان بن عبد الله « لا يصح تعليقها مع إمكان حملها على الصحة ، وروية تعليقها بالشرط لا تدل

(١) معارج دار السعادة (٣٣٦/٣)

(٢) الفتح (٦١٠٦)

(٣) انظر شرح معاني الآثار (٣١٢.١) ، واستاذ صحيح انظر السلسلة الصحيحة (١٢٦.٢)

على بني ربيعة الجرم »^(١) .

٣ - وأما استدلالهم بمعية ﷺ للطهارة ودرجته في تركها فإنه حق لا مزية فيه ، ولكن ليس

فيه ما يبالي أحاديث الشؤم إذ أنه يمكن حملها على معنى صحيح كما تقدم -

٤ - وأما استدلالهم بحديث ((لا شؤم وقد يكون اليأس في ثلاثة .)) فقد أجاب

عنه ابن حجر فقال : « في إسناده ضعف مع مخالفته للأحاديث الصحيحة »^(٢)

وقال ابن رجب عن هذا الحديث « ولكن إسناده هذه الرواية لا يقاوم ذلك لإسناد »^(٣)

يقصد أنه لا يقاوم إسناده حديث ((الشؤم في ثلاث))

٥ - وأما استدلالهم بإبكر عائشة رضي الله عنها لحديث الشؤم فقد سبقت الإجابة عنه

والله أعلم

(١) تهذيب الترمذي للبيهقي ص (٤٢٩)

(٢) فتح الباري (١٦/٦)

(٣) معاني الآثار ص ٩٠

مسألة : هل الفأل من الطيرة ؟

ثبت عنه ﷺ أنه يعصيه الفأل الحسن كما ثبت عنه أنه معاذل في وقائع كثيرة ومن ذلك يوم الخديبية فإنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ ((لقد سهل لكم من أمركم))^(١) فهل يعد هذا الفأل من الطيرة لكنه مستثنى منها أم أنه ليس كذلك ؟ على قولين لأهل العلم .

يقول الأول أن الفأل من الطيرة لكنه مستثنى منها وإلى هذا ذهب ابن القيم وابن حجر عليهم رحمة الله واستدلوا بعدة أدلة من أهمها :

١ - حديث أبي هريرة عليه السلام قال . قال النبي ﷺ ((لا طيرة وحيرها الفأل)) قالوا وما الفأل يا رسول الله ؟ قال ((الكلمة الصالحة يسميها أحدكم))^(٢) متفق عليه
قال ابن القيم « وأخير ﷺ في حديث أبي هريرة أن الفأل من الطيرة وهو حيرها فقال ((لا طيرة وحيرها الفأل)) فأبطل الطيرة وأخير أن الفأل منها ولكنه غير ما يفصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ومع أحدهما ومضرة الآخر ، وبطريق هذا متعه من الرقي بالشرك وإدسه في الرقية إذا لم تكن شركاً لما فيها من المنفعة الأخالية من القسوة »^(٣)

٢ - حديث حابس التميمي أنه سمع النبي ﷺ يقول ((والعين حق وأصدق الطيرة الفأل))^(٤)

قال ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث « معني هذا التصريح أن الفأل من جملة الطيرة لكنه

(١) أخرجه الطبراني من حديث منصور بن عزمة (٩٧٤/٢) ج (٢٥٨١) .

(٢) تقدم ترجمته ص (٨٤)

(٣) معراج من السجدة (٣/٢٠٨)

(٤) روى أحمد (٦٥٦) ج (٢٠٦٥٦ ، ٢٠٦٥٧ ، ٢٠٦٥٨) ، وأبو يعقوب في مسنده (١٥٥/٣) ،

ج (١٥٨٢) ، وابن عيني في المجمع (١٦٥) ج (١) ، ح (١٠١٥٨) ، وابن عسك في روضة النشأت ، ورواه

البخاري في الأدب المفرد ج (٩٤٠) ص ١٩٥ ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص (٢٣٩) ج (٢٠١)

بأنه صحيح لمروه

مستثنى « (١) »

القول الثاني : أن العأل ليس من الطيرة

ومم ذهب إلى هذا الكرمانى فقال بعلقاً على قوله ﷺ في حديث أبي هريرة ((وخيرها

العأل)) . « الإصاعة شرود التوضيح علا يلزم أن يكون منها » (٢)

ومن أهم أدلة هذا القول :

١ - حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح

الكلمة الحسنة)) (٣)

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ((كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن ويكره

الطيرة)) (٤) ، (٥)

والخطب في هذا سهل لأن هذا الخلاف لا يرتب عليه اختلاف في حكم الفأل بل هو

على كلا القولين محمود ومشروع

الفرق بين الفأل والطيرة

ذكر أهل العلم مرهناً كثيراً بين الفأل والطيرة ، ومن أهمها ما ذكره ابن القيم بقوله

« وفي تعريفهما بهما فائدة كبيرة وهي أن الطيرة هو التشاؤم من انشيء المرقى أو

للمسوع إذا استعملها الإنسان مرجع بها من صغره وامنح بها مما عزم عليه فقد فرغ باب

الشر ، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله

والطيرة مما يراه أو يسمعه وذلك قاطع له عن مقام ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رِيبَاكَ لَنُصِرْ ﴾ (٦)

(١) الفتح (٢١٤ ، ١٠)

(٢) صحيح البخاري بشرح الكرمانى (٣٢ / ٢١)

(٣) قسم الترمذى من (٥٧)

٤ ، وراه ابن ماجه (١١٠ / ٢) ح (٣٥٣٦) ، وأحمد (٦٣٦ / ٢) ، ح (٨١٩٢) ، وابن حبان في صحيحه

(١٢ / ٤٩٠) ح (٦١٢٦) ، وحسن المحقق ابن حجر إسناده في الفتح (٢١٤ / ١) ، وشعب الأريبوط في

تحقيقه لصحيح ابن حبان

(٥) فطر كتب التوكل فطرح عبد الله الدميحي من (٢٤٢)

(٦) سورة الفاتحة ، آية (٥)

و ﴿مَاعَزِدُهُمُ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ﴾ ^(١) و ﴿لَا يَنْفَعُهُمْ تَوَكُّلُهُمْ﴾ ^(٢) ميسر قلبه متعصفاً بعير ، الله عبدة ، ووكلاً ميسر عليه قلبه وإيمانه وحاله ويمى هدماً نسيهاً الطيرة . فأنى هذا من العأل المصالح السار فقلوب المؤيد للأمان المانع باب الرجاء المسكن للحواف الرابط للجأش الساعت على الاستعانة بالله والتوكل عليه والإستبشار بقوي لأمله السار لنعسه فهذا صـ الطيرة ، فالمأل يُعصى بصاحبه إلى الساعة والتوحيد ، والطيرة تعصى بصاحبها إلى المعصية والشرك فللهذا اسحب ﷻ المأل وأبطل الطيرة ^(٣)

وقال الخليلي : وإنما كان ﷻ يعصيه المأل لأن التشاؤم سوء طى بما لله تعالى بعير صعب طاهر ، والتعاؤل حسن طى به والمؤس مأمور بحسن الطى بما لله تعالى على كل حال ^(٤)

شرط القال :

قال حافظ الحكيم : « ومن شرط القال أن لا يُعتمد عليه ، وأن لا يكون مقصوداً بل أن يتحقق للإسنان ذلك من غير أن يكون له على مال » ^(٥) ، فإذا قصده لتعائن كان من الطيرة انتهى عبه

(١) سورة هود آية (١٢٢)

(٢) سورة الشورى ، آية (١٠)

(٣) مدح طر السعادة (٣١١/٢) ، والظر القون السديد بسندي من (٣١) ضمن المجموعة الكاملة ج ٣

١٤٠٠ ، مطر : الشهاج في شعب الإيمان (٢٥٠/٢) منج القاري ، ٢١٥٠ ، والظر في الفرق بين الطيرة والشك كتاب

التوكل للشيخ عبد الله المنجي من (٢٤٤)

(٥) مدح القون ، ٢٧١ ، ٧ ، والظر الفتاوى لشيخ الإسلام (٦٦/٢٣) والتوكل للشيخ عبد الله المنجي من

(٢٤٧)

المبحث الثالث

الرقى

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

○ المطلب الثالث : الترجيح .

التمهيد

تعريف الرقية

قال في النهاية « الرقية : المعوذة التي يرقى بها صاحب الأمة كالحصى والصرع وغير ذلك من الافات »^(١).

وقال في لسان العرب « الرقية المعوذة ، معروضة . قال رؤبة^(٢) :

مما بركا من عوده يعرفها
ولا رقية ولا بها رقية
والجمع - رقى ، تقول : استرقته هرقاني رقية^(٣) »
وقال أيضاً « العوذة وسعادة والتعويد الرقية يُرقى بها الإنسان من فرع أو جنون لأنه يعاد بها^(٤) »^(٥).

وبكر المتحدم أهل العلم لعند الرقية معنى أعم مما سبق فجعلوا منها بعض أذكار اليوم والليله وظنوم وكل ما يستعاض به من الشرور والمكروهات والمغوم - وذلك لأن فيها التماس واعصاً بالله تعالى وعده هو معنى العود^(٦) - فهي على هذا لسان خاصة بأمرض وإما تشمل الصحيح أيضاً ، وإلى هذا أشار الخطابي^(٧) وكده السوي^(٨) ، واستدل بحديث عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه تصل في كفه وقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين ثم مسح بهما وجهه وما بلغت يده من جسده)^(٩).

(١) النهاية (٢٥٤٠٢)

(٢) كند في اللسان ، هو صحيح ، بد الصواب من هذا البيت معروضة من حرم أحد الشعراء العباسي القدر قبل الأملاني بساني (١٥٩) . سرته الأدب لعبد القدر القمذاني (٣٣١٢) لأصاني للأصمعي (١٥٧/٢٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٢٤١٢)

(٣) لسان العرب (٣٣٢ ١٤)

(٤) أي يُستعاض عن طريقها بالله تعالى - لما اشتمل عليه من أمداد التعويد - وفيه التماس أنه يستعاض بها من فوق الله لأنه لا يستعاض إلا بالله تعالى وصحته

(٥) لسان العرب (٩٩/٢)

(٦) القدر لسان العرب (٤٩٨/٣)

(٧) في أعلام الحديث (٢١٣١/٢)

(٨) في شرحه لمسلم (٤٢٠، ١٤)

(٩) سيأتي غريبه ص (١١٤)

وكذلك أشار إلى هذا البحري رحمه الله حيث ترجم لأحد الأنبياء في صحيحه بقوله « باب الصب في الرقة » وذكر تحت حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي المذكور (١) كما أشار إلى هذا من العموم في راد المعاد وساق في ذلك عدة أحاديث (٢) وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى مزيد بيان هذا

(١) انظر صحيح البحري (٢ / ٦٩٥)

(٢) انظر راد المعاد (١٨٢٤)

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

جاءت أسانيد الرقي في الصحيحين بكثرة وبأساليب متنوعة ، وكذا لا عزم من الرقي إلا ما كان شركاً ، غير أن بعض هذه الأحاديث يُفهم منها كراهة الرقي ومباقاتها لكسال التوكل ، والعص لاخر يصيد حوار الرقي ومشروعيتها حيث رقى ﷺ وُرقِي وأُذن بالرقي وأمر بها - وإليك بيان هذه الأحاديث :

أولاً الأحاديث التي يُفهم منها كراهة الرقي ومباقاتها للتوصل ، وهي :

الحال الثاني ،

الحديث الأول حيث ابن عباس رضي الله عنه قال : حرج علينا النبي ﷺ يوم فُتِن : ((غُرِضت عليّ الأسم ، فجعل يقرأ النبي ومعه الرجل ، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي ومعه الرهط ، والنبي وليس معه أحد ، ورأيت سواداً كثيراً سداً الأفق ، فرجوت أن يكون أمي ، فقيل : هذا موسى وقومه ، ثم قيل لي : انظر ، فرأيت سواداً كثيراً سداً الأفق ، فقيل لي : انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سواداً كثيراً سداً الأفق ، فقيل هؤلاء أمك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب)) فغرق الناس ولم يُبَيِّنْ لهم ، فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا : أما عن مؤلدا في الشرك ، ولكنا بما لله ورسمه ، ولكن هؤلاء هم أسوأ ، فباع النبي ﷺ فقال : ((هم الذين لا يتطهرون ولا يسرفون ولا يكتسبون وعلى ربهم يتوكلون)) فقال عكاشة بن محصم فقال : أمهم أبا يارسول الله ؟ قال : ((نعم)) فقال : أمهم أنا ؟ فقال : ((سبقت بها عكاشة))^(١) تمنع عليه وهذا لعط طحطاري ونعط مسلم ((هم الذين لا يرقون ولا يسرفون ولا يتطهرون وعلى ربهم يتوكلون))

الحديث الثاني : حديث عمر رضي الله عنه قال : قال نبي الله ﷺ : ((يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً بغير حساب)) قالوا ومن هم يارسول الله ؟ قال : ((هم الذين لا يكتسبون

(١) من عبيد البعدي كتاب الطب ، باب من لم يرق (٢١٧) ج (٥٤٢٠) ، وأمرجه أيضاً في عدة

مؤلفين برقم (٥٣٨٧) ، (٦١-٢) ، (٦١٧٥)

ومسلم كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٩٢/٣)

ولا يسرقون وعلى ربهم يتوكلون)) مقام عكاشة فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : ((أنت منهم)) قال : مقام رجل فقال : يا بني الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : ((مبتلك بها عكاشة))

وفي طريق أمر قد ((هم الذين لا يسرقون ولا يبطرون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون))^(١)

ثانياً ، الأحاديث التي تفيد جوار الرقية وعشر وعيها . وهي كثيرة ومنها ما يلي :
ويمكن تقسيمها إلى قسمين ،

القسم الأول : الأحاديث الثولية ، وتشمل إمامنا بالرقية وإقراره لها وأمره بها ، وهي كالتالي

أحدث الأول : حديث عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن الرقية من الحمة ، فقالت : ((رخص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حمة^(٢)))^(٣)

أحدث الثاني : حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت : ((أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن يسرقني من العين))^(٤) .

أحدث الثالث : حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها حارية في وجهها سمعة^(٥) فقال : ((اسرقوا لها فإن بها النظرة^(٦)))^(٧) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب التلويح على رسول طوائف من المسلمين الحمة بغير حساب ولا عذاب (٩٠٣) ح (٢١٨)

(٢) « دقة » بالتحريك السم ، ويطلق على إبرة العنبر المسحورة . لأن السم منها يخرج «
النهاية (٤٤٦/١) ، وانظر : أعلام الحديث (٢١١٦/٢) ، تصور عروب سائل الصحاحون لمحمدي (٢٦٩ ،
ولسان العرب (١٤ ، ٢)

(٣) متن عهده البخاري : كتاب الطب ، باب رقية الحية والعقرب (٢١٦٧/٥) ح (٥٤٠٩)
ومسلم : كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والسملة والحمة والنفرة (٤٣٤/١٤) ح (٢١٩٣)

(٤) متن عهده البخاري : كتاب الطب ، باب رقية العين (٢١٦٦/٥) ح (٥٤٠٦)
ومسلم : كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين (٤٣٤/١٤) ح (٢١٩٥)

(٥) سمعة : أي علامة من الميطن ، وقيل صبرة واحدة منه ، وهي المرة من السمع الأمد ، وقد سمع سماعة
الفرس لوكبه ، طعن أن السمعة بركتها من قول النقرة ما نسبوا لها القرية وقيل السمعة . العين ، والتسمرة الإصابة
بالعين « النهاية (٣٧٥/٢) ، وقفا : أعلام الحديث (٢١٢٩/٢) ، لسان العرب (١٥٨٢/٨)

الحديث الرابع : حدثني أبي سعيد رضي الله عنه قال : انطلق نمر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سيرة صابروها حتى برلوا على حي من أحياء العرب فاستصافوهم فأبوا أن يصيغوهم ، فلدغ سيد ذلك الحي فصعوا له بكل شيء ، لا يفعه شيء ، فقتل بعضهم ، فلو أنتم هؤلاء الرعط الذين برلوا معه أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها البرهنة إن سيدنا ناع وصعب له بكل شيء ، لا يفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم ، والله إني لأرقي ، ولكن والله لقد استصفاكم فلم يصعروا ، فما أما براق لكم حتى تعملوا لنا حلالاً ، فصالحوهم على فصيح من النعم ، فانطلق يعمل عليه ويقراً :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَشَّرَ الْأَنْبِيَاءَ بِمَا بَشَّرَ وَمَا بِهِ قَلْبُهُ ﴾^(٦) ، قال : فأرعوهم جعلهم الذي صاخوهم عليه . فقال بعضهم : افسروا ، فقال الذي رقى : لا تعملوا حتى تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له الذي كان يسطر ما يأمرنا ، فقتلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ، فقال : (وما يذكرك أنها رقية) ثم قال : (قد أصعتم ، افسروا واصبروا لي معكم سهماً) فصحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٧)

الحديث الخامس : حدثني بن عباس أن نمرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مروا بماء فذهبوا إليه فجلس لهم من أهل الماء فقال : هل فيكم من راق ؟ فإن في الماء رجلاً لذيلاً أو سليماً ، فاطلوا وحل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شيء فمروا ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكروا ذلك وقالوا : أحسب عني كتاب الله أجراً ، حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول الله أحد على كتاب الله أجراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا

(٦) انظره : أي بها عين أصابته ، من ظلم أحس ، وصي منظور : أصابته العين .

النهاية (٧٨/٥) ، وانظر أعلام الحديث (٢١٣٠/٣) ، تفسير عرب ما في الصحيحين (٥٥٩) ، لسان العرب (٢٢ / ٥)

(٧) انظر عليه البخاري : كتاب الطب ، باب رقية النبي (٢١٦٢/٥) ح (٥٤٠٧)

ومسلم : كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من النبي (٤٣٥/١٤) ح (٢١٦٢)

(٨) حبة : أي إمعة ، النهاية (٩٨/٤) ، وانظر أعلام الحديث (١١٢٠/٢) ، تفسير عرب ما في الصحيحين (١٣٠) ، لسان العرب (٦٨٦)

(٩) انظر عليه البخاري : كتاب الإحصاء ، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب (٧٩٥/٢) ح (٢١٥٦) ، وأخرجه أيضاً في كتاب الطب ، باب الرقية بمسحة الكتاب (٢١٦٦/٥) ح (٥٤٠٤)

ومسلم : كتاب السلام ، باب جواز أخذ الأسرة على الرقية بالقرآن والأدك (١٣٧٠/٤) ح (٢٢١)

كتاب الله))^(١)

الحديث السادس حديث أنس رضي الله عنه قال ((رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العبي والحملة والنملة))^(٢)

الحديث السابع حديث جابر رضي الله عنه رخص النبي ﷺ لال حزم في رقية الحية ، وقال لأسماء بنت عميس ((مالي أرى أجسام بني أخي صارعة ، تصيبهم الحاجة ؟)) قال لا ولكن شعور يسرع إليهم ، قال ((أرقهم)) قالت فعرضت عليه ، فقال : ((أرقهم))^(٣)

الحديث الثامن حديث جابر رضي الله عنه أيضاً قال ((أرخص النبي ﷺ في رقية الحية لبني عمرو))

قال أبو الربيع . وسمعت جابر بن عبد الله يقول : لدعت رجلاً ما عقرب وعس جسوس مع النبي ﷺ فقال رجل يا رسول الله أرقني ؟ قال ((من استطاع منكم أن يفتح أخاه فليفعل)) .

وفي طريق آخر عن جابر رضي الله عنه قال كان لي خال يرقني من العقرب فهني رسول الله ﷺ عن الرقي ، قال فأتته فقال يا رسول الله إنك تهيب عن الرقي ، وأنا أرقني من العقرب ؟ فقال ((من استطاع منكم أن يفتح أخاه فليفعل)) .

وفي طريق آخر أيضاً - عن جابر رضي الله عنه قال . نهى رسول الله ﷺ عن الرقي ، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا . يا رسول الله إنه كانت عندما رقية يرقني بها من العقرب ويدك تهيب عن الرقي ، قال : فعرضوها عليه ، فقال ((ما أرى بأساً ، من استطاع منكم أن يفتح أخاه فليفعله))^(٤)

الحديث التاسع حديث عوف بن مالك الأشجعي قال . كنا يرقني في إحدى يدي ففلس : يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال ((اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم

(١) أخرجه البيهقي في كتاب الطب ، باب الرقي بعدة الكتاب (٢١٦/٥) ح (٥٤٠٥)

(٢) النملة ٥ خروج مخرج من حبس « النهاية » (٦٠١٥) ، وانظر عريب ما في الصحيحين (٢٦٩) ، لسان العرب (٦٨٠/١١)

(٣) أخرجه مسلم . كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين (٤٣٥/١٤) ح (٢١٩٦)

(٤) أخرجه مسلم . كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين (٤٣٦/١٤) ح (٢١٩٨)

(٥) أخرجه الطبري كلها مسلم في كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين (٤٣٦/١٤) ح (٢١٩٩)

يكن فيه شرك))^(١)

الحديث العاشر حديث عثمان بن أبي العباس «تقضي أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجبَّ يده في جسده منه أسنم ، فقال له رسول الله ﷺ . ((ضع يديك على الذي تألم من حسدك وقل باسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحذر))^(٢)

الحديث الحادي عشر حديث يزيد بن حصيب الأسلمي ((لا رقية إلا من غير أو حقة))^(٣)

القسم الثاني : الأحاديث المتعلقة وهي على نوعين .-

أ- النوع الأول : رقيقته ﷺ لنفسه ولغيره ، وهي كالتالي

الحديث الأول . حديث عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أتى به قال . ((أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً))^(٤)

- وفي رواية مسلم ((أن رسول الله ﷺ كان يرقى بهذه الرقية . أذهب البأس رب

(١) أخرجه مسلم كتاب السلام ، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (٤٣٧/١٤) ج (٢٢٠٠)

(٢) أخرجه مسلم كتاب السلام ، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء (٤٣٩/١٤) ج (٢٢٠٦)

(٣) في ترك حصيب الرقية بالعين والشفة والاعانة لا رقية أقوى والشم وأنتع من رقية العين وحمة

انظر اعلام الحديث (٢١٥/٣) معجم السنن (٢١٠/٤) فليس هو الذي منسب (٩٩٣) النهائي في عرب

الحديث (٢٥٥/٢) شرح السنة للبخاري (١٦٢/١٢) مسلم بشرح النووي (٤٢/١٤) زاد المعاد (١٦٥/٤)

ومثل بل كل هذا في قول الأمر ثم وخص في الرقى إذا كان بين

نظر مرة غير بل وحسن المشيخ عبد الرحمن بن حسن ص (٢٦)

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من مسلمين حجة يوم الحساب ولا حساب (٣

٩٢) ج (٢٢٠)

وأخرجه البخاري مؤثراً على غيره من حصيب في كتاب الطب ، باب من أكلوى أو كوى غيره ومفضل من م

يكنى (٢١٥٧/٥) ج (٥٣٩٨)

(٥) في كتاب الطب ، كتاب الأمراض ، باب دعاء العائن للمريض (٢١٤٧/٥) ج (٥٣٩١) ، وأخرجه أيضاً

في كتاب الطب ، باب رقية النبي ﷺ (٢١٦٨/٥) ج (٥٤١١) (٥٤١٢)

ومسلم كتاب السلام ، باب استحباب رقية المريض (٤٣٠/١٤) ج (٢١٩١)

الناس يملك الشفاء لا كشف له إلا أنت)) (١)

الحديث الثاني - حديث أنس رضي الله عنه دخل عليه نساء فقال يا أبا حمزة اشتكيت ، فقال أنس ألا أرقبك برفق النبي ﷺ ؟ قال بلى ، قال ((اللهم اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت ، شفاء لا يغادر سقماً)) (٢)

الحديث الثالث - حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان بالشئ منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ يابسه هكذا ووضع مبعضان سبته بالأرض ثم رفعها ((باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به تسهما يداؤنا)) (٣)

الحديث الرابع - حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالعوذات ويصمت ، فلما اشتد وجعه كتب أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها (٤)

الشروع الثاني : رقه غيره له عليه الصلاة والسلام وهي كالتالي

الحديث الأول - حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقه جبريل قال ((باسم الله يبريك ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين)) (٥)

الحديث الثاني - حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال يا محمد اشتكيت ؟ فقال نعم . قال ((باسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين

(١) مسند كتاب السلام ، باب استحباب رقة المريض (٤٣٢/١٤) ج (٢١٩١)

(٢) أخرجه البخاري كتاب الطب ، باب رقة النبي ﷺ (٢١٦٧/٥) ج (٥٤١٠)

(٣) متفق عليه البخاري كتاب الطب ، باب رقة النبي ﷺ (٢٠٦٨/٥) ج (٥٤١٣ ، ٥٤١٤)

ومسلم واللفظ به كتاب السلام ، باب استحباب الرقة من العين (٤٣٤/١١) ج (٢١٩٤)

(٤) متفق عليه البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب فصل العوذات (١٩٦/٤) ج (٤٧٢٨)

وأخرجه أيضاً في كتاب الطب ، باب في ليرة رقي فرسل (٢١٧٠/٥) ج (٥٤١٩)

ومسند كتاب السلام ، باب رقه المريض بالعوذات والعت (٤٣٢/١٤) ج (٢١٩٢)

(٥) أخرجه مسند كتاب السلام ، باب الطب والمرض والرقي (٤١٩/١٤) ج (٢١٨٥)

حامد ، الله يشفيك . باسم الله أرقيك))^(١)

الحديث الثالث : حديث عائشة رضي الله عنها : ((أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ويثقل ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها))^(٢) .

وجميع ما سبق من الرقى تستعمل بعد وقوع المرض وليلائه لإزالته ورفعته وهذا من الرقى ما يستعمل للوقاية من المرض وليلائه قبل وقوعه^(٣) ومن أمثلتها ما يلي :

الحديث الأول : حديث عائشة رضي الله عنها . ((أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نث فيهما فقرأ فيهما ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْاَلَمِينَ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْاَنَامِ ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات))^(٤) .

الحديث الثاني : حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ . ((من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه))^(٥) .

الحديث الثالث : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما ثقب من عقرب لدعتني البارحة قال . ((أما لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضرك))^(٦) .

الحديث الرابع : حديث حوله رضي الله عنها قالت . سمعت رسول الله ﷺ يقول . ((من نزل مرلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل

(١) أخرجه مسلم كتاب السلام ، باب الصب والمرض والرقى (٤٢٠ / ١٤) ح (٢١٨٦)

(٢) وقد سبق شرحه ص (١١٣)

(٣) انظر زاد المعاد (١٨١ / ٤) . الرقى . شيخنا علي الشامي (٤٤)

(٤) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب فصل بالمعوذات (١٩١٦ / ٤) ح (٤٧٢٩)

(٥) صحيح أبيه البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب فصل سورة البقرة (١٩١٦ / ٤) ح (٤٧٢٢)

وأخرجه أيضاً في كتاب بخاري ، باب شهود ثلاثكة بتر (١٤٧٢ / ٤) ح (٣٧٨٦)

ومسلم كتاب صلاة المسافرين ومصرها . باب فصل المائدة وخواتم سورة البقرة (٣٢٩١ / ٦) ح (٨٠٧)

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في الدعاء من سورة القصص (٣٥٠ / ٧) ح (٢٧٠٩)

من مثله ذلك)) (١)

الحديث الخامس . حدث ابن عباس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يعود الحسن والحسين ويقول
(٢) « إن أباكما قد يعود به إسماعيل وإسحاق . أعود بكلمات الله القائمة من كل شيطان
وهامة » (٣) ومن كل عين لامة (٤) (٥)

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في الصدق من سوء القضاء ، ج (٢٧٠٨)

(٢) حديث « لقائنا كل ذات سميرى ، والجمع غرام . مأثما ما يسم ولا يقال فهو السبعة كالغريب والرسول ،
وقد جمع لغرام على ما يمدح من الجود وإن لم يسل كالغشوات » الشهابية (٢٧٥/٥) والمظهر . أعلام الحديث
(١٥٤٤/٣) ، معبر غريب ما في الصحيحين (٣١١) ، لسان العرب (٦٣١/١٢)

(٣) لامة أي باب دم وهي كل دية و أنه تلم به إنسان من عجل و جنون و عوفا ، وقيل المعنى اللامة التي
تصيب بسوء الفهم الشهابية (٢٧٢،٤) ، أعلام الحديث (٥٤٤/٣) ، لسان العرب (٥٥ / ١٢)

(٤) أخرجه البخاري كتاب الألبان ، باب في عروق (١٢٣٣/٣) ج (٣١٩١)

بيان وجه التعارض

وجه التعارض يتضح بالنظر إلى الأحاديث السابقة فمضي حديث السبعين ألفاً قال ﷺ
 ((هم الذين لا يسترقون ولا ينطرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)) فظاهره أن
 الرقي وما ذكر معها سائر التوكل حيث جعلها النبي ﷺ في مقابلة لتوكل ، فكأنه قال : إن
 هؤلاء لا يفعلون هذه الأشياء لتوكلهم على الله تعالى .

وينظر إلى الأحاديث الأخرى بعد أنه ﷺ عمل بالرقي مولاً ومعللاً

أما قولاً : فإنه ﷺ أدب في الرقي بل أمر بها

وأما معللاً فإنه ﷺ رقى نفسه ورمى غيره ورقى من قبله جبريل عليه السلام وعائشة رضي الله

عنها ، مع أنه ﷺ سيد المتوكلين ، ولا يمكن لأحد أن يفدح في توكله ﷺ

إذ فكيف يرمي بين هذه الأحاديث ؟

هذا ما سوف يتضح في المطلب الثاني إن شاء الله تعالى .

المطلب الثاني :

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

يختلف أهل العلم في هذه المسألة ^(١) وسلكوا فيها عدة مسالك لا نخرج كلها عن مذهبين أحدهما مذهب الجمع ثانيهما مذهب السج ، وإليك بيان ذلك أولاً ، مذهب الجمع .

سلك هذا المذهب أكثر أهل العلم ، ولكنهم اختلفوا في طريقه الجمع على ثلاثة أقوال وهي كالتالي

القول الأول :

هو أن الرقي وحكي مكروهان مطلقاً وأنهما قاذحان في التوكل بخلاف سائر أنواع الطلوع ومن أبرز أدلتهم على ذلك مايلي .

١- حديث السجور أئماً ، فإنه ﷺ لما سُئل عنهم قال : ((هم الذين لا يسترقون ولا يتطبرون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون))

قال الطحطاوي . « وقد كره قوم الرقي واحتجوا في ذلك بحديث عمرو بن حصين » ^(٢) وقال المعتمد بن حنبل . « فتمسك بهذا الحديث من كره الرقي والكس من سائر الأدوية ، ورغم أنهما قاذحان في التوكل دون غيرهما » ^(٣) .

٢- قوله ﷺ ((من اكوى أو استرقى فهو بريء من التوكل)) ^(٤) .

(١) الخلاف لمذكور إذ هو في الرقي الشرعية ، أما الرقي الشركية فلا خلاف في تحريمها

(٢) شرح معاني الآثار ، ٣٢٦/٤

(٣) فتح الباري (٢١١/١٠) ومطهر (٤٠٩/١٦)

(٤) حرمه من حديث الطهري بن شعبه الترمذي (تحفة ٢١٤/١) ج (٢١٣١) وقال هذا حديث حسن صحيح وفيه مناجاة (١١٥٤/٢) ج (٣٤٨٩) وأحمد في المسند (٣٠٣/٥) ج (١٧٧١٥) وأيضاً في (٣٠٧/٥) ج (٧٧٣٥) وفي حديث في صحيحه (٤٥٢/١٣) ج (٦٠٧٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٥٢/٥) ج (٨) ومما كرم في مسلكه (٤٦١/٤) ج (٨٢٧٩) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وإسناده صحيح وسرحه من أبي قتادة في التوكل ٨٩١ ج (٤٣) وفي عبد الرزاق في التمهيد (٢٧٢/٥) والبيهقي في سرح السنة (٦٠/١٢) ج (٣٢٤١) وقال هذا حديث حسن ، وصححه الألباني في المسند الصحيحة (٤٢٥/١) ج (٢٤٤) وشعب الأثر موطأ في تحفته لصحيح ابن حبان

فقدوا إن هذه الأحاديث تدل على كراهة الرقي ومساكنها لتوكل ، وأما فعله ﷺ وأمره بها وإقراره لما إنما هو لبيان لطوار .

٣ - التمريض بين الرقي والكي وبين صائر أنواع الطب وذلك أن الرقي والكي النبره فيهما أمر موهوم ، وما عندهما محقق عادة كالأكل والشرب فلا يقدح ^(١)

وقد نسب ابن عبا البر حد تقول إلى داود بن علي وجماعة من أهل الفقه والأثر ^(٢)

القول الثاني :-

أن الرقي جائزه غير مكروهه ولا نادره في التوكل ، وإلى هذا صار أكثر أهل العلم وسدوا ما سبق ذكره من الأحاديث في جوار الرقي ومشروعيتها ، حيث رقى ﷺ ووقى وأمر بالرقي وأقرها

وأما حديث السبعين ألفاً فقد أجابوا عنه بعدة أحوية منها :

١ - ما قاله الطبري والمارري وغيرهما من أنه « يحمل ما في الحديث على قوم يعتقدون أن الأروية نافعه بطلبها كما يقول بعض الفلاسطين ، لا أنهم يهوضون الأمر لله سبحانه وحده » ^(٣)

وقال المارري في موضع آخر « .. ويهيئ عنها بالكلام الأعجمي ومالا ^(٤) يعرف معناه لحوار أن يكون فيه كفر أو إشراك » ^(٥)

وقريب منه ما ذهب إليه ابن قتيبة فإنه قال : « الرقي يكره فيها ما كان بغير اللسان العربي ويعبر أسماء الله تعالى وذكره وكلامه في كتبه ، وأن يعتقد أنها نافعة لا بحالة وإياها أراد بقوله . ((ما توكل من استرقي)) ولا يكره ما كان من التعود بالقرآن وبأسماء الله عز وجل » ^(٦)

(١) تنظر فيهم للقرطبي (٤٦٤/١)

(٢) تنظر فيهم (٢٦٨/٥)

(٣) لعدم هؤلاء مسلم بن عدي (٢٣١/١) ، واطر فتح الباري (٢١١/١٠)

(٤) في الأصل " مالا " ولا تستقيم العبارة إلا ما كتبه ، والله أعلم

(٥) النسب (٩٥/٣)

(٦) بأزول تختلف الحديث ، ص ٣١١

٢- ما قاله دودوي وعائفة من أن « المراد بالحديث انبيس يحسبون فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء ، وأما من استعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا » ^(١)
 وحذر هذا القول ابن عبد البر رحمه الله حيث قال : « لا أعلم خلافاً بين العلماء في جوار الرقية من العين والحمة وهي لدغة العُرب وما كان مثلها إذا كان الرقية باسماء الله عز وجل وعما يخبر الرقي به ، وكذب ذلك بعد مرور الوجد والبلاء به » ^(٢)
 وكذا احتار هذا القول البيهقي ^(٣)

٣- ما قاله اعلمي من أنه « محتمل أن يكون أفراد هؤلاء المذكورين في الحديث من عمل عن أحوال مدب وما فيها من أسباب ابتداء شمع المراس ، فهم لا يعرضون الإكراه ولا الإصراف ، وليس هم ملحقاً فيما يعزبهم إلا الدعاء والاعتصام بالله ولرضاً بعصائه ، فهم يفعلون عن حب الأضياء ورقي الرقية ولا يحسبون من ذلك شيئاً ، والله أعلم » ^(٤)

٤- وقال الحطاي « فأما قوله ((هم الذين لا يسترقون)) فليس في شأنه على هؤلاء ما يُعطل جوار الرقية هي قد أباحها ، ووجه ذلك أن يكون تركها من ناحية التوكل على الله والرضا بما يقضيه من قضاء ويريه من بلاء . وهذا من أرفع درجات المؤمنين المتحققين بالإيمان ، وقد ذهب هذا المذهب من صاحبي السب : أبو الفراء وعمره من الصحابة » ^(٥)
 واحار هذا القول بن الأثير والقصبي عياض والسوي عليهم رحمته الله

قال ابن الأثير « فهذا من صفة الأولياء المعصيين عن أسباب الدنيا الذين لا يلتفتون إلى شيء من عائلتها » ^(٦)

وقد ناقض عياض بعد ذكره لكلام الحطاي : « وهذا هو ظاهر الحديث » ^(٧)
 وقد الودوي « والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابي وس وافقه كما تقدم .

(١) الفتح (٢١١/١٠)

(٢) الإستهلاك ، ١/٢٢٧ .

(٣) كما نقل عنه حديث من حذر في الفتح (١٩٦/١٠)

(٤) القدر : شهاب في شعب الإيمان (٩/٢) فتح الباري (٢١١/١٠ ، ٢١٢)

(٥) أنوار الحديث (٢١١/١٣) والنظر للفتح (٢١٢/١٠)

(٦) النهاية (٢٥٥/٢)

(٧) كتاب الإيمان من إكمال المعلم (٨٩٩/٢)

وأما تطيب النبي ﷺ معه ليس لنا اجوار والله أعلم» (١)

قال ابن حجر « ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبي ﷺ دعلاً وأمراً لأنه كان في أعلى مقامات المعرفة ودرجات التوكل فكان ذلك منه لتسريع وبيان احوار ، ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله لأنه كان كاملاً التوكل يقيناً فلا يؤثر فيه عاظم الأسباب شتتاً ، بخلاف غيره ولو كان كثير التوكل » (٢)

القول الثالث :-

ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وتبعه على ذلك تلميذه ابن القيم واحتضاره ومصره الشيخ سليمان بن عبد الله ، وهو التمرين بين فعل الرقية وبين طلبها ، ففعل الرقية سوء بمسه أو غيره فصل وإحسان ، وطلبها مكروه قادح في التوكل واستدل رحمه الله تعالى

١ ما ورد في حديث السبعين ألفاً حيث جاء بالمس ((ولا يسئرون)) وذلك لأن هذه النصفة فيها معنى الطلب ، أي لا يطلبون من أحد أن يرقىهم لأن ورد « استعمال بمعنى طلب العمل مثل : يستغفر أي طلب المغفرة » (٣)

٢ أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه رقى نفسه وغيره ولم يشب عنه أنه كان يسئري ، وحاله « كمل الأخوان » .

٣ أن هناك فرقاً بين الرقائي والسارقي فالسارقي سائل مستعطي ملتمس إلى غير الله بنفسه والرقائي محسن نافع وقد قال ﷺ وقد سُئِلَ عن الرقي : « (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه) » (٤)

وأما ما ورد في صحيح مسلم من روايه سعيد بن منصور : « (ولا يرقون) » فقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها وهم وعلق من الراوي مقال رحمه الله . « وقد روي فيه ((ولا يرقون)) وهو علق ، من رقبهم لغيرهم ولأنهم حسنة ، وكان النبي ﷺ يرقى نفسه

(١) مسلم بشرح النووي (٩٧/٣) ومروني به وروى كلامه في (٤١٩/١٤)

(٢) الفتاوى (٢١٢٢)

(٣) القول عليه على كتاب التوحيد لمصيبة الشيخ عبد القدير (٩٧/١) ، وانظر بدائع الفوائد (١٠٢/٢)

(٤) انظر مفتاح دار السعادة (٢٧٩/٣)

وعيره ، و لم يكن يسرقني ، فرب رقيقته معه وعيره من جنس الدعاء لبعثه ولعيره ، وهذا مأثور به من الأنبياء عليهم السلام ، الله ودعوه كما ذكر ، الله ذلك في قصة آدم وإبراهيم وموسى وعيرهم ^(١)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى « والشيء لا يعمل شرك لإحسان لأحدون فيه سبباً للشيء إلى سبب ، وهذا خلاف ترك الاسرقاء فإنه نوكل على الله ورعة عن سبب غيره ورصاء عما قصاه ، وهذا شيء وهذا شيء » ^(٢)

وقال لأبني عن ربه ((لا يقول)) « شاة فرد بها شيخ مسلم سعيد بن منصور » ^(٣)

ثانياً حديثه الصحيح

ذهب الصحابي إلى أن ما جاء في حديث عمران مسووح بما جاء من الأحاديث في إبادة الرقي واستمر على ذلك بما يلي :

١ الأحاديث التي فيها لعنة " رخص " فيه فذكر حديث ((رخص رسول الله ﷺ في الرقية من كل ذي حمة)) قال « عهد فيه دبل على أنه كان بعد النهي لأن الرخصة لا يكون إلا من شيء محذور » ^(٤)

٢ الأحاديث التي فيها أنه ﷺ كان يهي عن الرقي ثم أجارها ومن ذلك :

حديث جابر رضي الله عنه قال كان بي خال يرقني من العقرب ، فهي رسول الله ﷺ عن لوقي قال فأتاه فقال يا رسول الله إني بك بهيب عن الرقي وأنا أرقني من العقرب ، فقال ((من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)) ^(٥)

وفي طريق آخر قال ، هي رسول الله ﷺ عن الرقي ، فجاه آل عمرو بن حزم بل رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنه كانت عندما رقية رقي بها من العقرب فقالوا وإنيك بهيب عن لوقي . قال فعرضوها عليه ، فقال « ((ما أرى بأساً ، من استطاع منكم أن

(١) مجموع الفتاوى (١٨٢١١) ومطهر (٣٢٨/١)

(٢) مطهر دار السعادة (٢٧٩/٢) والفتاوى حادي لأرواح من (١٧٦) .

(٣) مختصر صحيح مسلم من ٣٧ ، حاشية (١) والفتاوى المسئلة الصحيحة (٤٣٥،١) وكذا حكم عبيد بالشذوذ

معيذ لأرواح في عقيدة أرياف الصالحين من (٢٧) حاشية (٢)

(٤) شرح معاني الآثار (٣٢٨/١)

(٥) سبق ترجمته من (١١١)

يتفق أحداه قلبه» (١)

قال الطحطاوي بعد سيادة هذه الأحاديث وغيرها «ثبت مما ذكرنا أن ما رُوي في إباحة الرقي واسع لما رُوي في الشيء عنها» (٢)

(١) سبق ترجمته ص ١٦

(٢) شرح معاني الآثار (٤/ ٣٢٨)

المطلب الثالث :

الترجيح

الذي يظهر رجحانه - والله تعالى أعلم بالصواب - هو القول الثالث من مذهب أصحاب وهو ما ذهب إليه ميثاق الإسلام من سمية من التعريف بين فعل الرية وبين طلبها ، فعلمها مكرهه قاذح في كمال التوكيل ، وعلمها حائر مشروع ويشهد لهذا ما يلي .

١ قوله ﷺ ((من اكثوى أو استرقى فهو بريء من التوكيل)) "جعل ﷺ الاسترقاء هو الذي للتوكيل

٢ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ بها لم^(١) مقابل . يارسول الله ادع الله أن يشفي قل ((إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت صبرت ولا حساب عليك)) رد الحاكم ((ولا عذاب)) - قالت . بل أصبر ولا حساب علي^(٢)

« فهذا الحديث يوافق حديث السبعين أيضاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب والذي فيه أنهم لا يسترقون ، فأرشدنا ﷺ إلى الأفضل وهو ترك الاسترقاء حتى تدخل الجنة بغير حساب ، ولعل الرسول ﷺ قد علم من حالها قوة صبرها واحتمالها حيث إنه ﷺ لم يقل هذه الأقول لكل من طلب منه الرقية »^(٣) .

وأما رواية ((ولا يرقون)) فهي عطف من الراوي لا سيما وأنها لم ترد إلا من طريق سعيد بن منصور عند مسلم مع أن البخاري روى هذا الحديث من طريق آخر - كما تقدم - ولم يرد هذه النسخة فيه ، ورواه أيضاً مسلم من حديث عمر بن حفصون - كما تقدم -

(١) تقدم محركه ص (١١٧)

(٢) ثم « القسم طرف من الجوار يتم بالإسناد أي يصبر منه ويعذبه » الشهادة (٢٧٢، ٤) عند العرب (٥٥١، ١٢٢)

(٣) امرسة الإمام أحمد (٩) ج (٩٦٨٧) وفي حديث في صحيفته (١٦٩/٧) ج (٢٩٠٩) ولما كان في مسفره (٢٤٣/٤) ج (٧٥١١) وقال هذا حديث على شرط مسلم وم يخرجه ، ووافقه الطبري

وقال الطبري روى أحمد ورواه رجال الصحيح خلا أحمد بن عمرو وهو ثقة ربه صحيح . أصبح فرواه (١٠٦/٥) وصحاح إسناده أحمد شاذ في تعليقه على السند وحسنه شعب الأربعة في تحقيقه تصحيح ابن حبان

(٤) الرقي لتشيع علي العلواني ص (٣٢) بتصريف يسو .

ولم ترد هذه المسئلة فيه مما يدل على أنها شاذة ، والله أعلم

وقد اعترض على هذا القول بعدة اعتراضات ذكرها الحافظ بن حجر رحمه الله وهي كالآتي .

١- « أن نزياده من شقة مقبولة ، وسعد بن منصور حائط ، وقد اعتمد البخاري ومسلم واعتمد مسلم على روايته هذه

٢ وبأن بعض الرواد مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه

٣ أن المعنى الذي حمته على التعليق موجود في الرقي ' ، لأنه اعتل بأن الذي لا يطلب من غيره أن يقيه نام أو كس ، فكذلك يقال به : والذي يعمل غيره به ذلك ينبغي أن لا يمكنه منه لأجل عدم التوكل

٤ وليس في وقوع ذلك من حبريل دلالة على المدعى ، ولا في فعل لبي لله أيضاً دلالة لأنه في مقام الشريع وسير الأحكام » (١)

ولكن هذه الاعتراضات تصدى لها الشيخ سليمان بن عبد الله وأجاب عنها فقال بعد ما ساق هذه الاعتراضات « كذا قال هذا الفائل وهو خطأ من وجوه :

الأول : أنه هذه الزيادة لا يمكن تصحيحها إلا بحملها على وجوه لا يصح حملها عليه ، كقول بعضهم المراد لا يرقون عما كان شركاً أو احتمله ، فإنه ليس في الحديث ما يدل على هذا أصلاً ، وأيضاً فعلى هذا لا يكون لتسعين مريم على غيرهم ، فإن حمته المؤمنين لا يرقون عما كان شركاً

الثاني قوله فكذلك يدور : بل لا يصح هذا القياس ، فإنه من أحسن القياس ، وكيف يمكن من سأل وطيب على من لم يسأل ؟ مع أنه قياس مع وجود الفارق الشرعي ، فهو حاسد الاعتبار ، لأنه تسوية بين من فرق الشارع بينهما بقوله ﷺ (١) من اكتوى أو استوفى فقد هوى من التوكل) وكيف يجعل ترك الإحصاء إلى الحق حياً للتسبيح إلى الجاه ؟
وهذه بخلاف من رقى أو رُمي من غير سؤال ، فقد رقى حبريل لبي ﷺ ، ولا يجوز أن يقال إنه عليه السلام لم يكن متوكلاً في تلك الحال

١ في الأصل " شرعي " ولا يستقيم لفظة إلا بما كتبه ، ثم وجدت صاحب يسر المهر يطبع مثل هذا الكلام وصحبه بكاء " شرعي " بشر من (١٠٨)
٢ فتح الباري (٤٠٩/١) يعرف يسر

الثالث قوله ليس في وفروع ذلك من حبريل عليه السلام ، بل ، كلام غير صحيح بل هما سيدا التوكلين ، وقد وقع ذلك مبهما من علي أنه لا يفي التوكل ، فاعلم ذلك ^(١) »

وأم ما و . عنه عليه السلام من أمره بالاسترقاء كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ((أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أسترقي من العيون))

وكما في حديث م سمة رضي الله عنها . أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى في يدها حارية في وجهها سمعة فقال : ((اسرقوا لها فإن بها النظرة))

فمنه جواب

أحدهما : هـ هذا مخصوص من العموم بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ((لا رقية إلا من عين أو حمة)) أي لا رقيه أنعم ، ما لأجل عظم الرقية بإذن الله في العين والحمة وعص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طلب الرقية مبهما ، ولا ينافي هذا تمام التوكل ^(٢) .

ثانيهما حمل حديث ((ولا يسترقون)) على كراهية طلب الرقية وإن طلبها يساق كمال التوكل كما تقدم

وحمل أحديهما الأمر بالاسترقاء على افرصة في ذلك وبيان الجواب ^(٣)
وقد نص بعض أهل العلم على استحباب الرقية ومسحها إذا كانت يكتب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كخطبي ^(٤) ولؤوي ^(٥) والنعوي ^(٦) وابن مفلح ^(٧) والعراقي ^(٨) والمناوي ^(٩) وحافظ المحمدي ^(١٠)

ومفضل السعدي حمة الله عليكم فيها فعال « فما الرقي فعنها تفصيل :

(١) مسند العبد المذنب ص (١٠٩٠١)

(٢) الرمي بفتح علي العياشي ص (٣٣) بتصرف يسير

(٣) انظر التوكل للشيخ عبد الله القمي ص (٢٠٩)

(٤) في معالم السنن (٢٠٩٠٤)

(٥) في شرحه لصحيح مسلم (١١٩/١٤)

(٦) في شرح السنة (١٥٩/١٢)

(٧) في الآداب الشرعية (٥٢/٣)

(٨) في طرحة الشريعة (١٩٣٠٠)

(٩) في بعض القدر (١٠٢/٥)

(١٠) في معارج السالكين (٣٣٢/١)

فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها منسوبة في حق الرقي لأنها من باب الإحسان وما فيها من انفع ، وهي حائزة في حق المرقى إلا أنه لا يسعى له أن يسد طلبها . فإن من كمال موكل العبد وقوه بغيره أن لا يسأل أحداً من خلق لا رقة ولا غيرها

وإن كانت الرقية يُدعى بها غير الله وطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الأكبر لأنه دعاء واستعانة بغير الله

فإنهم هذا التفسير وإياك أن تحكم على الرقي بحكم واحد مع معاونها في أسبابها وعيبتها»^(١)

وهذا التفسير من السعدي رحمه الله هو محوى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

(١) القول السديد (٤٢)

مناقشة الأقوال المرجوحة :

أولاً ، مناقشة صاحب الجمع ،

أما ما استدل به أصحاب القول الأول فمتعقب بما يلي :

١- أن ما استدلوا به من الأحاديث إنما هو في الاستغناء ، و الفرق بين فعل الرقية وبين الاسترقاء الذي هو حبس الرقية كما تقدم

٢- وأما التعريض بين الرقى والكسائر الأدوية ، فقد ردَّ عليه القرطبي فقال « وهذا فاسد من وجهين

أحدهما : أن أكثر أبواب الطب موهومة كالكي فلا معنى لتخصيصه بالركي والركي وثانيهما أن الرقى بأسماء الله تعالى هو عبارة التوكل على الله تعالى فإنه التجاء إليه ، ويتضمن ذلك رعيه به ، ونحو كذا بأسمائه والتعويل عليه في كشف الضر وإزالة ، فإن كان هذا قادحاً في التوكل عليكى الدعاء والأدكار قادحاً في التوكل ، ولا فائده ، وكيف يكون ذلك ؟ وقد رقى النبي ﷺ وسقوى ورفاه جبريل وغيره ، ورقه عائشة وفعل ذلك الصبيان والنساء ، فإن كانت الرقى قادحة في التوكل ومانعة من الحقوق بالسبعين ألفاً ، فالتوكل م ميم للنبي ﷺ ولا لأحد من الخلق ، ولا يكون أحد منهم في السبعين ألفاً ، مع أنهم أفضل من باقي الأنعام بعد الأنبياء ولا يتحيل هذا عاقل » (١) .

وأما ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني فإنه ليس فيه إعمال لجميع الأدلة ، وإحساناتهم على حديث السبعين ألفاً يمكن الإيراد عليها كما يلي .-

- أم ما ذهب إليه الماروري والطبري وابن قتيبة وغيرهم في تأويل حديث ((ولا يسرقون)) فإنه متعقب بما قاله القاسمي عياض عنه « ولا يستقيم هذا التأويل على مساق الحديث لأن النبي ﷺ لم يأت بها من قال بالركي والركي ولا كفرهم كما جاء في حديث الاستسطار بالسحوم وإنما أخبر أن هؤلاء لهم مريم وفصية يلصقونهم بخته بعير حساب وأخبر أن هؤلاء مريد خصوص علي سائر المؤمنين وصعدت فثبوا بها ولو كان على ما تأوله قبل لما احتصر هؤلاء بهذه المزية لأن تلك عقيدة جميع المؤمنين ومن اعتقد خلاف ذلك

(١) أنهم (٤٦١)

﴿ ١ ﴾

كما لا يستقيم القول بأن المكروه منها ما كان يعير بأسماء الله تعالى لأن هذا محرم وليس مكروهاً فقط ، وقد شد القرطبي رحمه الله عندما قال : « المقصود احتساب رقى خارج عن أنفسهم كالرقى بأسماء الملائكة والسير والصلح ، أو بالعرش والكرسي والسموات وربة والدر وما شاكل ذلك مما يعظم كما قد يفعله كثير من يتعاطى الرقى فهذا القسم ليس من قبيل الرقى المخطور الذي يعم احتسابه ، وليس من قبيل الرقى المادي هو لتعاضد في الله تعالى وتوكل بأسمائه ، وكأن هذا القسم لتوسط بلحق مما يجوز فعله ، غير أن تركه أولى » (١)

كما لا يستقيم أيضاً القول بأن المكروه منها ما صاحبه اعتقاد ضعيف لا محالة لأن هذا فيه التمسك بالسبب ، والتمسكات إلى السبب شرك أصغر وقد يعلط حسب اعتقاد صاحبه

- وكذلك ما ذهب إليه الداودودي وابن عبد البر وغيرهم من حمل حديث : ((ولا يسترقون)) على ما كان في حال الصحة قبل برون البلاء ، متعقب عما سبق بيانه في كون الرقى منها ما يجوز قبل برون البلاء ومنها ما يكون بعد برونه وسبقت الإشارة إلى أدلة ذلك

وبذلك فإن الحافظ من حجر وهذا « معترض مما قدمته من ثبوت الاستعادة قبل وقوع البلاء » (٢)

وقال النووي « ما كان كثيرون أو الأكثرون يصوروا الإسرافاء تصحيح لما يخاف أن يفسدوا من المكروهات وهووم » (٣) ، ثم استدلل رحمه الله ببعض الأحاديث التي سبق ذكرها - وكذلك ذهب إليه الحليمي من حمل الحديث على قوم غفلوا عن أصول الدين فهم لا يعرفون الاكثواء أو الإسرافاء .

(١) كتاب الإيمان من إكمال المعلم للقاضي غياث (٨٩٨/٢) بصرف يسير ، وانظر المصنف (٤٦٣/١) ، ص ١٦١

(٢) المصنف (٤٦٠)

(٣) المصنف (٢١٠)

(٤) مسلم بشرح النووي (٤٢ / ٤)

فإنه يرد عليه : قوله ((ولا يسترقون)) يدل على أنهم يعرفون الرقي لكنهم لا يطلبونها

وعلى فرض أنهم لا يعرفونها فإنهم لا يشاؤون على تركها لأن من شرط الثواب على الأعمار الإزادة والتقصير . فترك الشيء لعدم العلم به أو التقصير عليه ليس فيه فضل ومرتبة بخلاف ترك الشيء احتساباً للأجر وطعناً للثواب فإنه يشاب عيبه . ومثل ذلك من ترك تعصية لعدم العلم بها أو التقصير عليها فإنه ليس بحيلة من تركها خوفاً من الله وطعناً في ثوبه ، والله أعلم

وأما ما ذهب إليه الخطابي وغيره من أن الشرع من قوله ((ولا يسترقون)) : ترك الرقي بوجهه على الله فإنه متعصب بأن فعل الأصناف والتي من بينها الرقي - لا ياتي التوكل .

ثانيها مناقشة تخصيص النسخ

- وأما مدعى النسخ فيجيب عنه بما يلي

١- أن نسخ لا يقصر بأنه إلا عند تغير المصالح وهو هنا غير متغير وقد سبق بيان أوجه المصالح

٢- وأما ما ورد في بعض الأحاديث بعدم " رخص " فليس معناه أن هذه الرقية التي رخص فيها كان مهيأً عنها ثم أجزت ، وإنما معناه أنه ﷺ سئل عنها فأذن بها ولو سئل عن غيرها لأذن فيه ، فإن النووي رحمه الله عند حديث ((رخص في الرقية من العين والحمة والسحرة)) " ليس معناه تخصيص جوارح بهذه الثلاثة ، وإنما معناه . سئل عن هذه الثلاثة فأذن فيها ولو سئل عن غيرها لأذن فيه وقد أدب الغير هؤلاء ، وقد رقي هو ﷺ في غير هذه الثلاثة ، والله أعلم " (١)

٣- وأما ما ورد من كونه ﷺ يهي عن الرقي ثم أحاطها بنسب للهي عنه هو الرقي فشرعية وإن سهي عنه ما كان شركاً أو فيه شرك أو كان غير مفهوم بلعى ويدل على ذلك ما يلي أنه ﷺ قال : في آخر الحديث الذي فيه ((إنك تهيت عن الرقي)) وفي طريق آخر ((يهي رسول الله ﷺ عن الرقي)) فإن في آخره ((من استطاع منكم أن يضع أخاه

(١) مسند بشرح النووي (٢٣٥١٤)

فليفعل ((وفي رواية ((فليسمعه))

ففي هذه إبان منه ﷺ إلى أن ينتهي عنه من الرقى ليس هو الرقى بالشرعية التي فيها منع واحسان إلى العز ، وإنما للمهي عنه نوع آخر من الرقى وهو الرقى الشركية كما يدل على ذلك الحديث الآتي

ب قوله ﷺ كما في حديث عوف بن مالك لأشجعي رضي الله عنه ((اعرضوا عليّ وقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)) ^(١) .

وعلى هذا يجعل حديث ((إن الرقى والتمايم والتولة شرك)) ^(٢) .

قال خطابي « فأما الرقى للمهي عنه هو ما كان منها بعز لسان العرب فلا يُدرى ما هو ولعله قد يدخله سحر أو كهر ، وما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب مترك به ، والله أعلم » ^(٣)

وقال شيخ الإسلام بن تيمية « وهذا ينهى العلماء عن التعاريم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المنسروع وغيره التي تنصب الشرك بل يهوى عن كل ما لا يعرف بمصه من ذلك خشية أن يكون فيه شرك بمخلوق ما كان من الرقى المشروعة فإنه جازل » ^(٤) .
وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « الرقى . هي التي تسمى بالعراسم ، وحصل منه الدليل ما خلا من الشرك » ^(٥)

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله « الرقى الموصوفة بكونها شركاً هي الرقى التي منها شرك من دعاء غير الله والاستعانة والاستعانة به كالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والمجن وبحو

(١) سنن ترمذيه ص ١١٢

(٢) أخرجه عن عبد الله بن مسعود أبو داود ورواه ٢٦٢، ١٠ ح (٣٨٧٧) وبن ماجه (١١٦٦٢) ح (٣٥٣) وأحمد في مسنده (٢٠٩١٥) ح (٣٦١٥) وأبو بكر في مسنده (٤٦٧/١) ح (٨٢٩٠) وقيل قد حدث صحيح الإسناد عن شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه الطبراني في شرح السنة (٢، ١٥٦) ح (٢٢٤) وعن حبان في صحيحه (٤٥٦/١٣) ح (٦٠٩٠) وحسن إسناده أحمد شاكر في تحقيقه مسنده

(٣) معجم الفقه (٢٠٩/٤)

(٤) مجموع الفتاوى (٣٣٦١)

(٥) كتاب التوحيد ص (٢٣)

ذلك ، أما الرقي بالقرآن وأسماء الله تعالى وصفاته ودعائه والاستعاذه به وحده لا شريك له فليس شركاً بل ولا مسموعة ، بل مستحبة أو جائزة ^(١) .

شروط الرقية .

قد وضع أهل العلم شروطاً صالحة وشروطاً مفسدة ليرجح الرقية إذا اختلف فيها شروط مؤتمت ومعتد ، وهي كالتالي .

- ١- أن يكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته
 - ٢- أن يكون باللسان العربي أو بما يُعرف معناه من غيره .
 - ٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر ببلاتها بل بدات الله تعالى
- وهذه الشروط حكى الحافظ ابن حجر - رحمه الله - الإجماع على جواز الرقية عند اجتماعها ^٢

اختلاصة في حكم الرقي :

- تبين مما سبق أن حكم الرقية يختلف باختلاف حال الرافي والراقي والراقي به .
- ١- إذا كان الرقية بكلام الله تعالى أو سورة رسول الله ﷺ أو الكلام الحسن :
- أ- فهي ممدونة في حق الرافي لأنها مع وجوبها وقد قال ﷺ : (من استطاع صمكم أن يفتح أخاه فليفعه)
- ب- وحديثه في حق الرافي حيث رقى ﷺ ورقي وأذن في الرقية وأمر بها .

(١) قسم التوحيد ص (١٦٥)

(٢) انظر الفتح ١٩٥/١

وقد ذكر هذه السوائف بالتفصيل في شرح علي الحلبي حفظه الله وجمعها سبعه شروط وهي

- ١- أن لا تكون الرقية رقية شركية
- ٢- أن لا تكون محرمة
- ٣- أن لا تكون من غرائب أو كاهن
- ٤- أن لا تكون بعبادات ومذاهب معهومة
- ٥- أن لا تكون الرقية بهيئة محرمة
- ٦- أن لا تكون الرقية بعبادات محرمة كالسب والقتل واللعن
- ٧- أن لا ينس الرافي والراقي بأن الرقية وحدها تستقل بالشفاء أو مع الذكر

انظر الرقي على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ص (٥٩)

ج ومكرهة في حق مسلم في لقوله ﷺ في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ((ولا يسوقون)) ولقوله ﷺ أيضاً ((من اكوى أو اسوقى فهو بريء من التوكل))

٢ وإد كذب الرقة بغير الكتاب والسنة أو تخلف شرط من شروطها التي سبق ذكرها فهي محرمة وقد فصل بل الشرك والكفر . والله أعلم .

المبحث الرابع :

الكبي

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

المطلب الثاني : مداها العلماء نحاه هذا التعارض .

المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يؤولهم ظاهرها التعارض

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « فقد نصبت أحاديث الكي أربعة أنواع .

أحدها : محله ، والثاني : عدم عبثه له ، والثالث : التثناء على تركه ، والرابع : طهري عنه .^(١)

وكل هذه الأنواع جاءت أحاديث تصحيح بها -
أولاً - ما ورد من فعلة .^(٢)

الحديث الأول - ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال : « رُمي سعد بن معاذ في أكحلته »^(٣) ، قال : « (ر فحسمة^(٤) الي عليه السلام يده في مثقص^(٥) ثم ورمت فحسمة الثانية) »^(٦) .

الحديث الثاني . عن جابر رضي الله عنه أيضاً قال : « (ر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه) »

وفي طريق عن جابر بن عبد الله : « (رُمي أبي يوم الأحزاب على أكحلته . فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم) »^(٧)

الحديث الثالث عن أسس رضي الله عنه قال : « (ر كويت من ذات الجنب^(٨) ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي) »^(٩)

(١) زاد المعاد (٦٥٤)

(٢) يدعى في باب ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في غيره ، أو ما فعله أصحابه في حياته ولم يذكره صلى الله عليه وسلم

(٣) « الأكحل عرف في وسط الدراج يكثر مصده » النهاية (١٥٤/٤) وانظر سنن العرب (٥٨٦/١١)

(٤) « أي قطع الدم عنه بانكس » النهاية (٣٨٦/١) وانظر سنن العرب (١٣٤/١٦)

(٥) « مثقص : من السهم إذا كان عروقاً غير عريض ، فإن كان عريضاً فهو المثقبة » النهاية (٤٩/٧) وانظر سنن العرب (٤٨/٧)

(٦) أخرجه مسلم : كتاب السلام باب نكل ذلك نواه واستصحاب التنفسي (٤٤٥/١٤) ح (٢٢٠٨)

(٧) أخرجه مسلم : كتاب السلام باب نكل ذلك نواه واستصحاب التنفسي (٤٤٣/١٤) ح (٢٢٧)

(٨) « ذات الجنب : هي الذئبة والفئول الكبيرة التي تنهر في بطن الجنب وتعض إلى داخل ، ولقد سلم صاحبها » النهاية (٣٠٣/١) وانظر سنن العرب (٢٨١/١)

(٩) أخرجه البيهقي : كتاب الطب ، باب ذات الجنب (٢١٦٦/٥) ح (٥٣٨٩)

ثانياً : ما ورد من عدم محبته له .

ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((إن كان في شيء من أدويتكم - أو يكون في شيء من أدويتكم - غير ففي شرطة محجم أو شربة عمل أو للذة بارد تولقى الماء ، وما أحب أن أكتوي))^(١)

ثالثاً : ما ورد في إنشاء على تركه

ما جاء في حديث مسعر بن ألفا الذي يدخلون الجنة بغير حساب وهم : ((الذين لا يتطيرون ولا يسزقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون))^(٢)
وبعضه حديث عمران رضي الله عنه قال : ((وقد كان يسلم عليّ حتى اکتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد))^(٣) .

رابعاً : ما ورد من النهي عن الكي

ما جاء في حديث من عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم أو شربة عمل أو كيّة بارد ، وأنا أنهى أمتي عن الكي))^(٤)

١، بعضه البخاري كتاب الطب ، باب الفؤاد بالعسل (٢١٥٢/٥) ح (٥٣٥٩) ، وأخرجه أيضاً في باب محجم من السجدة والصباح (٢١٥٧/٥) ح (٥٣١٥) ، وفي باب من أكتوى أو كوى غيره ومصل من لم يكتو و (٢١٥٢/٥) ح (٥٣٦٦) .

٢، مسلم كتاب السلام ، باب ذكر داء ذوات الاستعجاب للبخاري (٤٤٦/١٤) ح (٢٢٠٥)
(٣) وقد سبق بحريته من (١٨)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب جوار الشاة (٤٥٥/٨) ح (١٢٢٦)

والذي كان يسلم عليه هم ثلاثه : شطر مسلم مسرج البصري (٤٥٦/٨) بسن أبي داود (عوف (٢٤٦٠١)
(٤) أخرجه البخاري كتاب الطب ، باب الشفاء ب ثلاث (٢١٥٢/٥) ح (٥٣٥٧)

بيان وجه التعارض

وجه التعارض في أحاديث ملكي هو عدم اتفاقها على حكم و حد في الكي ، فمن الأحاديث ما يفيد حوار الكي كما في قوله ﷺ ، ومن الأحاديث ما يفيد كراهته كما في عدم مجيئه ﷺ له ومبىه عنه والثناء على تركه وبالتالي فهل يأخذ بأحاديث الحوار ، وطرح أحاديث النهي أم يعكس بفكره متأخذ بأحاديث النهي ، وطرح أحاديث الحوار ، أم يعمل بالأحاديث كلها فمحتمل كل نوع من الأحاديث على معنى صحيح وموضع مناسب لا يتعارض مع بعية الأحاديث ؟

هـ ما سوف يعصح عنه المطلب الثاني

المطلب الثاني :

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

جاءت أقوال أهل العلم في هذه المسألة على عدة مسائل لا نخرج كلها عن مذهب الجمع ،
وقيل بخلافه في هذه المسألة لابد من بيان أن جميع أصحاب هذه المسائل قالوا بخلاف الكي
في أصله

والمستوى في ذلك أن أدلة الخو ر كما في قوله ﷺ له ، ومنه الشفاء إليه

كما مستند عموم الأئمة لمصلحة التساوي بقوله ﷺ ((لكل داء دواء فإذا أصيب
دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل))^(١)

وقوله ﷺ ((ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء))^(٢)

وقوله ﷺ ((إذا واثق الله تعالى لم يصعب داء إلا وضع له دواء غير داء واحد
المهرم))^(٣)

وبعض خلاف بينهم في أحاديث شفي والكرامة على ماذا تحمل ؟

فبعضهم حملها على وضع معين شفي عن الكي فيه ، وبعضهم وضع شروطاً وصواباً
منها فخرجت عن الكي ولا تخره ، وفيما يلي ذكر مسائلهم في ذلك بالمفصيل .

المسائل الأولى

مذهب إليه أن قتيبة رحمه الله وهو التصريق بين جنتين من الكي .

أجله كني الصحيح ثلثاً يعقل ، وهذا هو الشفي عنه

وثانيهما كني أخرج إذا غسد ، والعصو إذا قطع ، وهذا هو الجائر الذي فيه الشفاء .

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر في كتاب السلام ، باب لكل داء دواء ، واستحباب الشفي (١٤١/١٤)

ج (٢٢٠٤)

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (٢١٥)

ج (٥٣٥٤)

(٣) أخرجه عن إسماعيل بن عمار عن سفيان بن عيينة عن أبي هريرة (٢٣٩/١) ج (٣٨٤٩) والترمذي (١٠٩ / ١)

ج (٢٠٩) قال أحمد بن حنبل حديث حسن صحيح (١١٣٧٢) ج (٣٤٣٦) وأحمد (٣٥٠/٥)

ج (١٧٩٨٦ ، ١٧٩٨٧ ، ٢٩٨٨٠) ومن حديث أبي بصير (١٢٦/١٢) ج (٦٦١) ، والترمذي في مسنده

(٢٢١ / ٢) ج (١٤٣٠) والترمذي في شرح السنة (١٢٨/١٢) وقال أحمد بن حنبل ، وصححه إسناده

لا يثبت في مسنده (٢٨٠ / ٢) ج (٤٥٣٢) وصححه لأبي هريرة في مسنده (١٢٨ / ٢)

قال رحمه الله : « والكي حساس

أحدهما كي الصحيح ثلاثاً ، كما يفعل كثير من أسم العجم ، فإنهم يكرّون وديانهم
وشبههم من غير علة بهم ، يروون أن ذلك الكي يحفظ لهم الصحة ويدفع عنهم الأسقام
وكانت العرب يدعّب هذا الدنّيب في حاضيتها ، ومعل شبيهاً بذلك في لإبل إذ وقعت
القبه فيها وهو حرب ، أو العرّ وهو قروح يكون في وجوهها ومشافرها ، تعتمد إن يعر منها
صحيح فتكويه ليرأ منها مابه العرّ أو النقة

وقد ذكر ذلك النابعة في قوله لسمعان

محمتي ، لب امرئ وتركه كدي العرّ يكون عوره وهو رافع

وهذا هو الأمر الذي أبطله رسول الله ﷺ

وأما الحس الآخر فكيّ يجرح إذا فعل^(١) وإذا سأل دمه فلم ينقطع ، وكىّ العصفو إذا
فُضع . وهذا هو الكي الذي قال لبي ﷺ ((إن فيه الشفاء))^(٢) .

ون هذا المسك ذهب النجاشي أيضاً ، واستدل عليه بقوله ﷺ في حديث جابر
((أو لدعة يار توافق الداء)) معال . « فإذا كان في هذا الحديث أن لدعة الداء التي
توقع الداء مباحة . والكي مكروه ، وكانت الدفعة بالدار كية ثبت أن الكي الذي يوقع
الداء مباح ، وأن الكي الذي لا يوافق الداء مكروه »^(٣) .

المسلك الثاني

ما ذهب إليه من عند الم وهو أن الكي مباح ، وأما أحاديث النبي فمحس على أفصلية
مرك الكي ثقة بالله وتوكلأ عليه ويقبأ بى عمله .

قال رحمه الله : « فمن ترك الكي ثقة بالله وتوكلأ عليه كان يحصل ، لأن هذه مسألة
يقتر صحيح وبك مسألة رخصة وبإاحة »^(٤)

المسلك الثالث ما ذهب إليه الخطابي من أن الكي داخل في جملة العلاج والتداوي المأذون
فيه ، وأما أحاديث النبي فقد أورد ثلاث احتمالات لها

(١) التمل بالتحريك اللسان ، وبول مرجعاً منه انظر النبهة (٨٨/٥) لسان العرب (٦٧٠/١١)

(٢) ترويل عتيد الحبيب ص (٣٠٦)

(٣) شرح معاني الآثار (٣٢٢/٤)

(٤) التمهيد (٦٥/٢٤) والفظر (٦٣/٢٤)

فقال رحمه الله « وأما حديث عمر بن الخطاب في الشهي عن الكي ^(١) فقد يحتمل وجوهاً .

أحدها أن يكون من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره ، ويقوسون آخر السوء الكي ، ويروون أنه يحسم الماء ويروثه ، وإنما لم يفعل ذلك عظم صحبه وذلك ، فهلم عن ذلك إذا كان على هذا الوجه ، وأباح هم استعماله على معنى التوكل على الله سبحانه وطب الشفاء .

وثانيها أن يكون معنى به عن الكي هو أن يفعله احتزاراً من ابتلاء قبل وقوع الضرورة ويروون البلية وذلك مكره وإنما أبيض العلاج والتداوي عند وقوع الحاجة ودعاء الضرورة إليه ، ألا ترى أنه إنما كوى سعاداً حين خاف عليه الهلاك من طرف

وثالثها أن يكون إنما بهي عمران خاصة عن الكي في علة بعينها لعلمه أنه لا يجمع ، ألا تراه يقول « (فما أفلحا ولا أنجحا) » وقد كان به المصور ^(٢) ، فاعلم إنما بهاء عن استعمال الكي في موضعه من السد ، والعلاج إذا كان فيه الخطر لعظيم كان محظوراً والكلي في بعض الأعضاء بمعناه مكره وليس كذلك في بعض الأعضاء ، فيشبه أن يكون الشهي مصدراً بل النوع المخوف منه ، والله أعلم ^(٣) .

وقال بهذه الوجوه خمسة من رسائل كما نقل ذلك عنه الشوكاني ^(٤) عليهما رحمة الله

المسلك الرابع :

أن الكي حائل غير مكره بشرطين هما :

- (١) رحمه الله (هو الشهي عن الكي مكرهاً فما أفلحا ولا أنجحا) أخرجه أبو داود (٢٤٦/١٠)
- ج (٢٨٥٩) والترمذي (٢٠٤/٦) ج (٢١٢٣) وقال هذا حديث حسن صحيح ، أحمد في مسنده
- ٥٨٩ ج (٩٢٣) وحاكم في مستدركه (٢٣٨/٤) ج (٧٤٩١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه ، ورواه البخاري وأخرجه أيضاً في حديث في صحيحه (٤٤٥/١٣) ج (٦٨١) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٢٣/٦) ج (٣٢٧٤) وشعب الأثر في تحقيقه لصحيح أبي حنبل
- (٢) « ينسبون والفاء عنه عبد في ملأ العين ، سعي فلا تسطيع ، وقد حدثت أمة في حواشي التمهيد وفي اللغة وهو مغرب » مختار الصحاح (٦٥٦) ونظر لسان العرب (٢٠٥/٥)
- (٣) معالم السنن (٢٠٢/٤) بتصرف يسير
- (٤) النظر على الأثر (٦٢٧/٨)

١ - إذا دُعِيَ إلى شيء ، ولا يمكن الاستعانة به بغيره بل تعيَّن كونه طريقاً للعلاج .

٢ - وإذا اعتقد أن الشفاء بيد الله تعالى وأن الكي مجرد سبب فقط

فإن استعانة مع إمكان الاستعانة به بغيره من الأدوية كونه

وعلى هذا نحمل أحاديث النبي ، وعصده قومه بالكراهة في هذه الحالة بقوله ﷺ

((لا تعذبوا بعذاب الله))^(١)

وأي هذا ذهب القرطبي واللباوي والشوكاني عليهم رحمة الله

قال القرطبي : « وكى النبي ﷺ لأبي سعد دليل عسى حور الكي والعمل به إذا طس

لإنسان مصحته ، ودعت الحاجة إليه ، فيحمل به ﷺ عن الكي على ما إذا أمكن أن

يسمى به بغيره من الأدوية ، فمن عهده في عته وعنى شرطه لم يكن ذلك مكروهاً في حقه

ولا منقوصاً له في فضله ، ويؤثر أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب

كعب لا وقد كوى النبي ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي هزله عرش الرحمن ، وأبي من كعب

رضي الله عنه خصوصاً بأنه أمراً الأمة للفرأب ١٢ وقد اكتوى عمران بن حصيص ، فمن اعتقد أن

هؤلاء لا يصلحون - أن يكونوا من السبعين ألفاً فساد كلامه لا يخفى ، وعلى هذا البحث

فيكون قوله ﷺ في السبعين ألفاً أنهم هم الذين لا يكوون ، إنما يعني به الذي يكتوي

وهو يند عنه عسى ، والله أعلم »^(٢)

وقد لباوي : « الكي لا يترك مطلقاً ولا يستعمل مطلقاً ، بل عداً طريقاً للشفاء ،

وعدم قيام غيره مقامه ، مع مصاحبه اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى ولتوكل عليه »^(٣)

وعال أيضاً : « ((يعني عن الكي)) يعني بمره حيث أمكن الاستعانة به بغيره لأنه يشبه

التعذيب بعذاب الله الذي يهيئ به ، ولما فيه من الألم فلذلك ربما زاد عسى ألم المرضى ، أما

عند معينه طريقاً فلا يكره فقد كوى النبي ﷺ . »^(٤)

وقال الشوكاني : « وقد جاء النبي عن الكي وجاءت الرخصة فيه ، والرخصة لسعد

(١) أخرجه البخاري (٩٨/٣) ج (١) ح (٢٨٥٤)

(٢) ملهم (٥٩٧/٥) والقر (١٦٥/١)

(٣) مع القدير (٨٢/٦)

(٤) مع القدير (٣٢٠/٦)

ليكن حواراً بين لا يفسر المرحل أن يدوي العنة بدو آخر ، وإنما ورد النهي حيث يتقدم المرحل على أن يدوي العنة بدو آخر لأن الكي فيه تعذيب بالشار ولا يجوز أن يعذب بالشار إلا رب الشار وهو الله تعالى ولأن الكي يبقى منه أثر فاحش ^(١) .

المسلك الخامس :

ما ذهب إليه بن القيم وابن حجر عيها رحمة الله وهو أن أحاديث الكي تضمنت أربعة أنواع ، أحدها فعله ، والثاني - عدم عيته له ، والثالث - الشاء على تركه ، والرابع النهي عنه

فمنعه ونهيه الشاء إليه يدل على الجواز وعدم عيته له لا يدل على المنع منه ، بل هو من جنس تركه أكل الصب مع تقريره أكله على مالهته واعتداده بأنه يهانه ^(٢)

- وأما الشاء على تركه فبدل على أن تركه أولى وأقص .
- وأما النهي عنه فعلى سبيل الاحتياط والكرامة ، أو عن النوع الذي لا يُجسّد إليه ، بل يُفعل خوفاً من حدوث النداء أو مما لا يبين طريقاً إلى الشفاء ^(٣) .
وهذا المسلك قريبٌ جداً من سابقه إلا أن فيه زيادة تعصيل وذلك بتوجيه كل نوع من الأحاديث على حدة ، والله أعلم .

المسلك السادس :

وهو أن الكي المروي مكروهان مطلقاً وأيهما قادحان في التوكيل بخلاف سائر أنواع العطب

وقد سبق الإشارة إلى هذا القول وأدله والرد عليه في المبحث السابق بما يعني عن إعادته

(١) سبل الأوطار (٢٣٥١٨ ، ٢٤٦)

(٢) جاء ذلك في مقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١٠٥/١٣) ج (١٩٤٥)

قال رسول الله ﷺ : وقد سأله خالد بن الوليد : أستم هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنه لم يكن بأمر مني فاستحيي أمهه () قال خالد : فاجتزأه فأكنته ورسول الله ﷺ ينظر

(٣) النظر ورد للعاد (٦٦٤) صحيح البخاري (١٠٥/١٠ ، ١٣٩)

المطلب الثالث :

التوجيه

لاشك أن لكل مسألتين من المسائل السابقة وجهته ووجاهته وكلها مسألتان مُحتملة ، وبعضها متقاربة

والذي يظهر والله تعالى أعلم بالصواب - أن الكي لا يمكن أن يُحكم عليه بحكم واحد ، بل هو كما قال ابن حجر والسيوطي عليهما رحمة الله بأنه « لا يترك مطلقاً ولا يستعمل مطلقاً »^(١) وبالتالي يمكن القول بأن الكي يعبره ثلاثة أحكام ، فتارة يكون جائزاً بدون كراهة وتارة يكون مكروهاً ، وتارة ثالثة يكون محرماً ، واليد تفصيل ذلك :
أ - فهو جائز إذ توفرت فيه الشروط الثلاثة

١ - إذا دعى الحاجة إليه ، قال ابن عبد البر « ما أحرم بينهم خلاف أهمهم لا يبرأ باسم الكي عند الحاجة إليه »^(٢) .

٢ - وإذا لم يمكن الاستعلاء عنه بغيره ، بل تعش كونه طريقاً للعلاج كما لو مرف الدم منه بشدة ولم يمكن شفاؤه إلا بالكي وإلا مات ، وقد يقال بوجوبه في هذه الحالة لأن عدم عمله فيه يعرض النفس للهلاك وتلك كوى النبي ﷺ سعد بن معاذ عندما مرف الدم منه وحشي عليه الهلاك .

٣ - وإذا اعتقد أن الشفاء بيد الله تعالى وأن الكي مجرد سبب فقط .

ب - وهو مكروه في الحالات التالية

١ - إذا لم يكن الاستعلاء عنه بغيره ، لما فيه من شدة الألم التي قد تعرق أحياناً ألم المرض

٢ - إذا كان قبل حلول البلاء والمرض وذلك لحفظ الصحة ودفع البلاء قبل وقوعه ، وكثر في هذه الحالة لما فيه من ضعف التوكل على الله تعالى واستعجال الألم لنسيء لم يقع ، وإنما يُحشي وقوعه ، وقد يُقال بتحريمه في هذه الحالة لما فيه من التعذيب بعدد الله للتهيئة عنه .

(١) النجاشي (١٣٩) ج ١ ص ٨٢/٦ .

(٢) التمهيد (٦٥ ، ٢٤)

ج وهو محرم إذ صاحبه عبث في نسبة الشفاء إليه مما يورث عليه سببان للمسبب الحقيقي - الذي هو الله تعالى - والاتصالات إلى السبب المعنوي ، والاتصالات إلى الأسباب بشرط في التوحيد ، والله أعلم

وبهذا يكون قد أعملنا جميع الأدلة على وجه لا تنقص فيه ولا اختلاف ، فعلى الحكم الأول تحمل أحاديث الجوار وعلى الحكمين الآخرين التكرمة والتحریم تحمل أحاديث التهي . والله أعلم

وما ما ذهب إليه ابن عبد البر رحمه الله من حمل أحاديث التهي على أفضلية تروا الكي ثقة بالله وتوكلأ عليه [ج] .

فذهب عنه بأن فعل للأسباب لا ينافي التوكل على الله تعالى بل إن التوكل على الله تعالى يعتبر أعظم الأسباب سعاً فكيف بنالها .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى « وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتسوي وأنه لا ينافي التوكل ، كما لا ينافي دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأصنافها ، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مفتحيات لمسيباتها قسراً وشرعاً

و - تعطيلها يفسد في نفس التوكل كما يفسد في الأمر والحكمة ، ويضعفه من حيث ينص معطلها إذ تركه أقوى في التوكل ، فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في ديه ودياه ، ودفع ما يضره في ديه ودياه ، ولا يذم مع هذه الاعتماد من مباشرة الأسباب ، ولا كان معطلاً للحكمة والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه نوكلأ ولا توكله عجزاً » (١)

(١) زاد المعاد (١٥٤)

المبحث الخامس :

ما جاء في الحلف بغير الله تعالى

وفيه ثلاثة مطالب :

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يؤهم ظاهرها التعارض

○ المطلب الثاني : مداعب العلماء نحاه هذا التعارض .

○ المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يؤول ظاهرها التعارض

جاء النهي من ﷺ صريحاً عن الحلف بغير الله تعالى في عدة أحاديث كما جاء عنه ﷺ أيضاً - ما صدره جمعه بغير الله تعالى -

أما أحاديث النهي فهي كالتالي :

الحديث الأول حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم)) قال عمر . هو الله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرةً ولا أترأ^(١)

الحديث الثاني حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقد جاء من ثلاثة طرق هي كالتالي : الطريق الأول من رواية نافع عن ابن عمر . ونعته أن رسول الله ﷺ أدرك عمر من الخطاب وهو يومئذ في ركب يحلف بأبيه فقال ((ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو فليصمت))^(٢) .

الطريق الثاني من رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ونعته : قال قال رسول الله ﷺ : ((من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله)) وكاتب قريش يحلف بآبائها فقال ((لا تحلفوا بآبائكم))^(٣)

الطريق الثالث من رواية سالم عن ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما ، وهو حديث عمر بن الخطاب السابق ذكره .

(١) متن عليه البخاري كتاب الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم (٢٤١٩/٦) ج (٦٢٧١)

ومسلم كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله (١١٥/١١) ج (١٦٤٦)

(٢) متن عليه البخاري في موضوع في كتاب الأيمان باب لا تحلفوا بآبائكم (٢٤١٩/٦) ج (٦٢٧٠)

وفي كتاب الأدب باب من لم ير إكتمر من قال ذلك متأولاً أو حذفاً (٢٢٦٥٠/٥) ج (٥٧٥٧)

ومسلم كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله (١١٦/١١) ج (١٦٤٦)

(٣) متن عليه البخاري في موضوع في كتاب فضائل الصحابة باب أيمان طائفة (٣٩٤١/٣) ج (٢٦٢٤)

وفي كتاب الأيمان مختصر باب لا تحلفوا بآبائكم (٢٤٥/١٦) ج (٦٢٧٢) وفي كتاب التوحيد باب

السوق بالحدود لله تعالى والإسعاد بها (٢٦٩٢/٦) ج (٦٩٦٦) ومسلم واللفظ له كتاب الأيمان باب

النهي عن الحلف بغير الله (١١٦/١١) ج (١٦٤٦)

الحديث الثالث . حدث عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ : ((لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم))^(١)

الحديث الرابع . حدث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((من حلف منكهم فقال في حلفه ، باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق))^(٢)

وأما الأحاديث التي شاهدها حلف النبي ﷺ بغير الله تعالى فهي كالتالي :

الحديث الأول . حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر لرس سمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : ((خمس صلوات في اليوم والليلة)) فقال هل عليّ غيره ؟ قال : ((لا إلا أن تطوع ، وصيام شهر رمضان)) فقال هل عليّ غيره ؟ فقال : ((لا إلا أن تطوع)) وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال هل عليّ غيرها ؟ قال : ((لا إلا أن تطوع)) قال فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أريد على هذا ولا أنقص منه . فقال رسول الله ﷺ : ((أفلح وأبىه إن صدق ، أو دخل الجنة وأبىه إن صدق))^(٣)

الحديث الثاني : حدث أبي هريرة رضي الله عنه قال . جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من أحق الناس خمس صحابي ؟ قال : ((أنث)) قال ثم من ؟ قال : ((ثم أمك)) قال ثم من ؟ قال : ((ثم أمك)) قال ثم من ؟ قال : ((ثم أبوك)) وفي طريق آخر فقال يعني رسول الله ﷺ : ((نعم وأبيك لتبأن))^(٤)

(١) أخرجه مسلم كتاب الأيمان باب من حلف باللات والعزى (١١٨/١١) ح (١٦٤٨)

(٢) مصنفه البخاري في مواضع في كتاب الأيمان باب من يركب الشرك من قال ذلك مأولاً أو جعلاً

(٣) (٢٢٦٤) ح (٥٥٥٦) وفي كتاب الاستسناد باب كل من سأل عن الإسلام (٢٣٢١/٥) ح (٥٩٤٢) وفي

كتاب الأيمان باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغي (٢٤٥/١٦) ح (٦٢٧٤) وفي كتاب

التفسير باب ((أنزلتم اللات والعزى)) (١٨٤١/٤) ح (٤٥٧٩)

ومسلم كتاب الأيمان باب من حلف باللات والعزى (١١٧/١١) ح (١٦٤٧)

(٤) أخرجه مسلم كتاب الأيمان باب بيان الصور التي هي أشد تركاً للإسلام (٢٨٢/١) ح (١٠١)

(٤) أخرجه مسلم كتاب القصاص باب بر الزاني (٣٣٧/١٦) ح (٢٥٤٨)

الحديث الثالث حديث أبي هريرة رضي عنه . أيضاً - قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :
 يا رسول الله أتبي الصدقة أعظم أجراً ؟ فقال : ((أما وإيكن لتبائنه ، أن تصدق وأنت
 صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ، ولا تهمل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت : لفلان
 كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان)) ^(١)

بيان وجه التعارض

وجه التعارض في هذه الأحاديث أن في بعضها النهي عن خلف بغير الله تعالى وفي
 البعض الآخر ما طامره خلف النبي ﷺ بغير الله تعالى كما في قوله ((أفلح وأبيه إن
 صدق)) مما قد يفهم منه جواز الخلف بغير الله تعالى
 ولذلك اختلف أهل العلم في توجيه هذه النصوص كما سيأتي بيانه في المطلب التالي إن
 شاء الله تعالى

(١) أخرجه مسلم كتاب الزكوة باب بيان أن الصدقة سابقة للصدقة الصحيح (١٢٩/٧) ح
 (١٠٣٢)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

بناءً على ما سبق من الأحاديث اختلف أهل العلم في حكم لعنهم بغير الله تعالى على قولين :

أ- المكروه ب- والتحريم^(١)

وعن الخلاف في غير الصورتين التابعتين

١- إذا عُدَّ مخالف في الخلوفاً به معظيماً مثل تعظيم الله تعالى فهذا محرم بالاتفاق بل هو كفر وردة عند جميع المذاهب

٢- إذا كان الخلوفاً به مدموماً في الشرع ، كمن إذا كان مما يُعبد من دوا الله تعالى كالأصنام وغيره وغيره أيضاً محرم بالاتفاق ، وبعضهم أطلق الكفر على المخالف بذلك وبعضهم قبله بقصد التعظيم^(٢) .

فهذان الصورتان غير متباينتين ، ويبقى الخلاف حيثما عدهما ، ويمكن حصره في صورتين أيضاً هما

١- إذا عُدَّ في الخلوفاً به تعظيماً لا يصل إلى درجة تعظيم الله تعالى وكان هذا الخلوفاً به معظماً في الشرع كالملائكة والأنبياء والكعبة وغيرها

٢- إذا عُدَّ في الخلوفاً به معظيماً لا يصل إلى درجة تعظيم الله تعالى وكان هذا الخلوفاً به ليس بمعظم ولا مدموم

ففي هاتين الصورتين وقع الخلاف بين أهل العلم على قولين :

القول الأول : أن لعنهم بغير الله تعالى مكروه ، وهذا هو المشهور عند المالكية^(٣) وقول

(١) وهناك من قال بانحوال دون تركها كبعض الأصنام للأشعرين والشافعية على ذلك هي أدلة من قال بالكراهة نظر حاشية ابن عاصم (٥٠٣) ولا شك أن هذا خلاف صحيح لا يُعَدُّ به .

(٢) انظر مدافع الخصائع للكبيري (٩٨٣) التلميذات لمحمد بن أبي رزق (٤٠٦ ، ٤٠٧) أحكام الأحكام لأبي عبد الله (١٠٤٤) روضة الطالبين للزبيدي (٧٠٦/١٠) كتاب الصواعق للبهوتي (٢٢٤/٩) عده ابن عبد البر للمعص (٢٢٤/١)

(٣) انظر التلميذات لمحمد بن أبي رزق (٤٠٤/٦) أحكام الأحكام (٤٤٤) طشرح الشرب (١٤٢/٧) فتح الباري (٥٣١/١) منبى السلام (١٩٦/٤)

جمهور المشافعية^(١) وقول عبد الحنيفة^(٢) واختلافه^(٣).

واستدل هؤلاء بما يلي

١- الأحاديث التي طهرها خلف النبي ﷺ بغير الله تعالى كما في قوله ﷺ ((أفلح وأيه إن صدق)) وقوله ((أما وأيهك لتبأن))

٢- إقسام الله تعالى في كتابه ببعض مخلوقاته كقوله تعالى ﴿ وَالشَّيْرِينَ وَنَحْنَهُمَا وَالْمَمَرِيَّةَ إِنَّا ﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴾^(٥) إلى غير ذلك من الآيات

فكان هؤلاء الثقاتين بالكرامة حملوا أحاديث النبي عن خلف بغير الله تعالى على الكرامة والتبره ، وحملوا ما استدلو به من الأدلة على بيان اجواز

القول الثاني ، أن خلف بغير الله تعالى محرم ، وهذا هو المشهور عند الحنيفة^(٦) والشافعية^(٧) وحرم به الطاهرية^(٨) ، وهو قول عبد المالكية^(٩) والشيعة^(١٠)

واستدل هؤلاء بما يلي

١- الأحاديث التي سبق ذكرها والتي فيها النبي عن خلف بغير الله تعالى كقوله ﷺ : ((لا تخلفوا بطواهي ولا بأبائكم)) وقوله عليه الصلاة والسلام ((إن الله ينهاكم أن تخلفوا بأبائكم)) وغيرها من الأحاديث . ولأصل في النبي التحريم ما لم يصرفه صارف ، ولا صارف هنا .

١- انظر لام مشافعي (٦٤٧) روضة الطالبين مسوري (٧٠٦ ، ١١) فتح الباري (٥٣١ ، ١١) قبل السلام (٩٦٤)

٢- انظر حاشية من عاصم ٥٠٣

٣- انظر انبي لاين فندمة (١٦٢ / ١١) . الفروع لأبي مصلح (٣٤٠ / ٦) فتح الباري (٥٣١ / ١١)

٤- سورة الشمس آية (٦٤)

٥- سورة الطارق آية (١)

٦- انظر بدائع الصانيع ٩٠٨ ، ٣ . المتوسط للقرطبي (١٤٢ / ٨) . مجموع الفتاوى (٢٠٤ / ١)

٧- انظر انبي (٦٢٠) . الفروع لأبي مصلح (٣٤٠ / ٦) . مجموع الفتاوى (٢٠٤ / ١) . شرح الشرح (١٤٢ / ٧)

٨- فتح الباري (٥٣١ / ١١) . قبل السلام (١٩٦ / ٤)

٩- انظر انبي (٢٨٤ ، ٢٨١ / ٦) . فتح الباري (٥٣١ / ١١) . قبل السلام (١٩٦ / ٤)

١٠- انظر أحكام الأحكام (١٤٤ / ٤) . فتح الباري (٥٣١ / ١١)

١١- انظر روضة الطالبين (٧٠٦ ، ١١) . مجموع الفتاوى (٢٠٤ ، ١٠) . فتح الباري (٥٣١ ، ١١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « والصحيح أنه يهي تحريم »^(١)

وقال الصنعاني بعد ذكره لبعض الأحاديث التي سبقت « لأحدث دليل على الهي عس خلف بغير الله تعالى ، وهو التحريم كما هو أصبه »^(٢) .

ويحذر لإساره مما يأن الهي عس خلف بغير الله تعالى لا يختص بالآباء كما هو ظاهر الأحاديث السابقة ، بل يعمد إلى كل محسوب ، وإنما خص الآباء بالذكر في حديث لأمرين

أ - وروده على سب ، وهو سماعه عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب ؓ يخلف بأبيه ب - عروجه عمر ح العائب لأنه لم يكن يبع منهم خلف بغير الله تعالى - عالياً إلا بالآباء ويدل على ذلك قوله في بعض روايات حديث ابن عمر : « وكتاب قريش خلف بأبائها ، فقال : ((لا تخلفوا بأبائكم)) » .

ويدل على أن الهي عام في الآباء وغيرهم قوله ؓ في حديث ابن عمر : ((من كان حالفاً فليخلف بالله ، وليصمت)) وفي رواية : ((من كان حالفاً فلا يخلف إلا بالله))^(٣)

٢ - الأحاديث التي فيها وصف خلف بغير الله تعالى بالشرك والكفر ومن ذلك - حديث ابن عمر ؓ أنه سمع رجلاً يقول لا ولكعبة ، فقال ابن عمر لا يخلف بغير الله ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ((من خلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))^(٤) . ب - حديث قبله بس صحيح امرأة من جهينة : أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم سددون وإنكم تتركون نعمون ما شاء الله وشئت ، وتقولون ولكعبة فأمرهم النبي

(١) مجموع الفتاوى (٣٣٥ ، ٦) .

(٢) سبل السلام (١٩٦ / ٤) .

(٣) انظر : طرح الطريب (١٤٢ / ٢) ، الفهم (٦٢١ / ٤) فتح الباري (٥٣٣ / ١١) .

(٤) أخرجه البيهقي ، عنه ١٠٣٥ / ٥ ، ج (٦٥٢) ، وقال هذا حديث حسن ، أبو داود وصححه ٥٦٩ ، ج (٣٢٤٩) ، رحمه ١٢١ / ٨ ، ج (٦٠٢) ، وملكهم (٣٣٠ / ٤) ، ج (١٩١٤) ، وقال هذا حديث صحيح عس شرط الصحيح ، ولم يخرجاه رحمه البيهقي ، وأمر به أيضاً ابن حبان في صحيحه (١٩٩ ، ١) ، ج (٤٣٥٨) ، وصححه بإساده أحمد شاكر في طبقة علي السند والألباني في لأرواه (١٨٩ / ٨) ، ج (٢٥٦١) .

﴿إِذَا تَرَادَوْا أَنْ يَتَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبُّ الْكُفَّةِ، وَيَقُولُوا: مَا شَاءَ، فَقَدْ شَبَّهَ^(١)

وقد أحاط أصحاب هذا القول عن أدبه المائلين بالكرامة بما يلي

أ- أن الأحاديث التي طامرها حلف النبي ﷺ بغير الله تعالى كقوله ﷺ ((**أفْلَحَ وَأَيُّهُ إِنْ صَدَقَ**)) فقد تعرض به أهل العلم بالبيان والتحقيق وأخباروا عنه بعدة أحوية ، فمنهم من جاور اجتماع به وبين أحاديث طهري ، ومنهم من ذهب إلى أنه مسوخ ومنهم من صلت سبيل الترجيح والتضعيف لروايات الحلف بغير الله تعالى وإليك تفصيل ذلك :

أولاً ، مضمون الجمع ،

ذكر الثقاتون ما جمع عنه مسائل يمكن الجمع بها بين حديث ((**أفْلَحَ وَأَيُّهُ إِنْ صَدَقَ**)) وبين أحاديث طهري عن الحلف بغير الله تعالى ، وكل هذه المسائل تنح إلى تأويل حديث ((**أفْلَحَ وَأَيُّهُ إِنْ صَدَقَ**)) وحمله على غير طهره ، وإليك بيان هذه المسائل :

المسألة الأولى : أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير قصد الخلف كما جرى على لسانهم عقرى^(٢) وحلقى^(٣) ونزيت بميك^(٤) وما أشبه ذلك وكلموا اليمين للمصو عنه في قوله تعالى ﴿لَا يَجِدُكُمْ أَفَّةً بِالْقَوْلِ أَيْتَكُمْ﴾^(٥) فالت غائصة رصي الله عنها . هو قول الرجل . لا والله وبلى والله^(٦) وغير ذلك

وطهري (كما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف وإلى هذا جرح العوي^(٧) والماروري^(٨)

(١) ترجمه المسببي (٦٧) وحمد (٥٠٥٧) ج (٣٦٥٥٣) والندعاري في مشكل الأكر (٢٤٤١) ج (٨٣٨) والحاكم (١٠٣٣) ج (٢٨١٥) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصحح الألباني إسناده النسائي كما في المسألة الصحيحة (١٥٥٠١٥١/٣) ج (١٠٦٦)

(٢) يقال طمره عقرى أي عقرها الله ، وأصبها بغير في جملها وطمره قدعاء عليها وليس بدعاء في الحقيقة نظر النهاية في غريب الحديث (٢٧٧/٣) ، لسان العرب (٥٩٤/٤)

(٣) يقال طمره حلقى أي حلقها الله بغير إصابتها وجع في حلقها خاصة نظر النهاية في غريب الحديث (٤٢٨/١) ، لسان العرب (٦١٠)

(٤) عرب بميك أي القصب بميك فالعرب من القفر وهذه الكلمة جارية عن ألسنة العرب لا يرفعون بها قدعاء على المتعاطب ولا يرفعون الأكر به نظر النهاية (١٨٤١) ، لسان العرب (٢٢٩/١)

(٥) سورة طه الآية (٨٩)

(٦) ترجمه اليعقوبي (١٦٨٦/٤) ج (١٣٣٧)

(٧) نظر شرح السنة (٦/١)

(٨) نظر تنعيم (٢٤٠/٢)

واحتمله الخطابي^(١) وليبهي^(٢) والشرطي^(٣) وقال عنه النووي : إنه الجواب المارضي^(٤) وقواه الخاطب ابن حجر^(٥)

المسلك الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام أصمر فيه سم الله كأنه قال : أُمُحٌّ ورب أبيه واليهي إنما ورد فيما م يصمر ذلك من قصد تعظيم أبيه على عدة العرب^(٦) ذكره الخطابي^(٧) واحتمله وليبهي^(٨) .

المسلك الثالث : أنه يجوز أن يكون ذلك على سبيل التوكيد للكلام لا على سبيل القسم ، والعرب تطلق هذا النمط في كلامها على صريح

أحدهما : على وجه التعظيم

والآخر : على سبيل تأكيد الكلام وتقويته دون القسم .

واللهي إنما وقع عنه إذ كان على سبيل التعظيم .

ومن أمثلة ما وقع في كلامهم على سبيل التأكيد دون التعظيم قول الشاعر

نصر أبي الوائسين ، بي أحبها

وقول الآخر

فرب لبي سمودعي أمامة فلا وأبي أعدائها لا أديعها

فلا يُعنى أن قائل ذلك قصد تعظيم تلك أعدائها ، كما لم يقصد الآخر تعظيم والد من

وعنى به ، قال على أن المقصود بذلك تأكيد الكلام لا التعظيم^(٩)

وهذا المسلك قد أحسنه الخطابي^(١٠) وليبهي^(١١)

(١) انظر معجم النسي ، ١٠٥/١

(٢) انظر نفس الكبري ، ٢٩/١

(٣) انظر نفهم ، ١٦ ، ١٧ ، ٦٢٢/٤

(٤) انظر مسلم بشرح النووي ، ٢٨٢/١

(٥) انظر الفتح ، ١٠٨/١ .

(٦) انظر شرح السنة (٧/١٠) طبع الشرب (١٤٤/٢) فتح الباري (١٠٧/١) (٥٣٤/١١)

(٧) انظر معجم النسي ، ١٠٥/١

(٨) انظر نفس الكبري ، ٢٩/١

(٩) انظر فتح الباري (٥٣٤/١١) ، معجم النسي (١٠٥/١) ، طبع الفتح (١٤٤/٢)

(١٠) انظر معجم النسي (١٠٥/١)

المسلك الرابع - « أن ذلك خاص بالشارع دون غيره من أمته »^(١)

المسلك الخامس - أن قوله ((وأبيه)) تصحيف من بعض الرواة ، وأن الأصل هكذا

((والله)) فتسرب الألمان ، حكى هذا المسلك السهيلي عن بعض مشايخه^(٢) .

المسلك السادس - أن قوله ((أفلح وأبيه)) للتعجب ، ويدل عليه أنه لم يرد بعده

((أمي)) وإنما ورد بلفظ ((وأبيه)) أو ((وأبيك)) بالإصافة إلى صغر المخاطب حاصراً

أو عائلاً ذكر هذا المسلك الخافض بن حجر وسبه السهيلي^(٣)

هذه ستة مسائل قبل في توجيه حديث ((أفلح وأبيه إن صدق)) حتى لا يتعارض مع

احاديث النبي عن خلف بعير الله تعالى ، وجميع هذه المسائل نقل أيضاً في حديث

((وأبيك لئلا)) سواء ، سواء باستثناء المسلك الخامس لأن هذا الحديث لا يخصه .

ثانياً عطفيه المنص

ذهب جمع من أهل العلم إلى أن ما ورد عن النبي ﷺ مما طاعره الخلف بعير الله تعالى

مسوخ وأنه قبل النبي ، ومن رجع هذا الطحاوي^(٤) وقاله لدارودي ، وقال السبكي

أكثر لشرح عليه^(٥) ، وعرفه الحافظ ابن حجر^(٦) ، وبصره الشيخ سليمان بن عبد الله^(٧)

واحتمله الخطابي^(٨) والسهلي^(٩) والفرط^(١٠) وقال ابن عبيد البر « وهذه لمعة إن

صحب فهي مسوخة »^(١١) وقال ابن قدامة « ثم لو ثبت - يعني حديث أفلح وأبيه

(١١) نظر المسالك ٢٩/١٠

(١) فتح الباري (٥٣٤/١١) وانظر (١٧/١)

(٢) انظر - طرح الثروب (١٤٤/٦) فتح الباري (١٠٨/١)

(٣) انظر فتح الباري (٥٣٤/١١)

(٤) انظر - مشكل الآثار (٢٤٤/١)

(٥) نقل ذلك عهنا الخافض بن حجر في الفتح (٥٣٤/١١)

(٦) انظر : الفتح (١٧/١)

(٧) انظر - تيسر تحرير التمهيد (٥٩٢)

(٨) انظر - معجم المس (١٠٤/١ ، ١٠٥)

(٩) انظر المسالك ٢٩/١٠

(١٠) انظر ملهم ، ١٦٠٠ (٦٢٢/٤)

(١١) التمهيد ، ١٠٨ ، ١١٦

فالمظهر أن النهي بعده « (١) » .

واستند هؤلاء بما يلي

حديث عيلة بن صفي « أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : يكفكم تسبؤن وإنكم تشركون ، يقولون : ما شاء الله وشئت ، ويقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يخلصوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، ويقولوا : ما شاء الله ثم شئت (٢) »
 قال الطحاوي « فكان في هذا الحديث ذكر سب النبي من رسول الله ﷺ عن الحلف بغير الله تعالى وكان في ذلك ما قد دل على أن المتأخر هو النهي عن الحلف بغير الله لا الإباحة » (٣)

٢ قول عمر رضي الله عنه وهو يروي الحديث بعد موت النبي ﷺ ((فوالله ما حلفت به صد سمعت النبي ﷺ ذاكراً ولا أقرراً)) مما يدل على أن آخر الأمرين منه ﷺ للنهي لا الإباحة (٤)

٣ أن من عادة العرب الحلف بالأبواء كما جاء في رواية ابن عمر رضي الله عنهما ((وكانت قريش تحلف بآبائها)) فالأصل عندهم هو الحلف بالأبواء وقد جاء قوله ﷺ ((أفلح وأبيه)) وقوله ((وأنيك لسأك)) مبقاً لهذا الأصل ، وجاء نهيه ﷺ بطلاً عن هذا الأصل وعند أهل العلم الباقر عن الأصل مقدم على الليقي عليه ، لأن السفل فيه إثبات حكم جديد ، فعليه ريادة ليست موجودة في الخير لليقي ، وعاية ما يعيده بخير لليقي التأكيد والتقرير ، سيما الخير الباقر يعيد التأسيس ، والتأسيس أولى من التأكيد (٥) والله أعلم

ثالثاً : مصعب التخرج

وهو ترجيح أحاديث النهي وضعيف روايات الحلف بغير الله تعالى وإل هذا ذهب ابن عبد البر رحمه الله تعالى فقال عن رواية ((أفلح وأبيه إن صدق)) : « هذه لفظة عمر

(١) الظفر صفي (١٦٣ ، ١)

(٢) سبق غرقه ص (١٥١)

(٣) مشكل الآثار (١ / ٢٤٤)

(٤) سطر صفي (١٠٠ / ٦٣)

(٥) سطر التمدد ص والزهري حيد من الإلهة قشرية للمعري (٢٢٢ ، ٢) ، يسير التمر محمد (٥٩٣) الشوك الأسم حقيقته وأحكامه وأثره ليد الله المصم (١٦٣) مطوع

مجموعة في هذا الحديث في حديث من صحيحه . وقد روى هذا الحديث مالك وغيره عن أبي سهيل لم يقولوا سكت فيه . وقد روي عن إسماعيل بن جعفر هذا الحديث وفيه ((أفلح والله إن صدق أو دخل الجنة والله إن صدق)) . وهذا أقوى من رواية من روى ((وأبيه)) لأنها لمطة مسكرة تردّها الآثار الصحاح . وبالله التوفيق «^(١)» .

ويمكن توضيح هذا القول بما يلي :

١ - أما حديث ((أفلح وأبيه إن صدق)) فإن إسناده يعرج إلى فرعين بعد أبي سهيل عن أبيه عن طلبة عليه السلام -

الأول . يرويه مالك عن أبي سهيل . وقد رواه عن الإمام مالك عشرة من الرواة كلهم بلقط ((أفلح إن صدق)) أي بدون الخلف بعير الله تعالى ، وهؤلاء الرواة هم

١ - قبة بن سعد

٢ - إسماعيل بن عبد الله .

٣ - عبد الله بن سلمة

٤ - عبد الرحمن بن القاسم

٥ - عبد الله بن مافع

٦ - الإمام الشافعي

٧ - مطرف بن عبد الله

٨ - عبد الرحمن بن مهدي

٩ - أحمد بن أبي بكر الزهري

١٠ - معمر بن عيسى

والمرع الذي يرويه إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل ، وإسماعيل بن جعفر مرة يرويه بعده ((أفلح إن صدق)) كما عند البحاري^(٢) أي بدون الخلف بعير الله تعالى كما رواه مالك

(١) التمهيد (٤ / ٣٦٧)

(٢) النظر صحيح البحاري (١ / ٦٦٩) ج (٢٩٢) ، (١ / ٢٥٥) ج (٦٥٥) وكذا أخرجه عنه فرويد عن إسماعيل بن جعفر بهذا اللفظ السائي (١ / ١٢٠)

والمرء الأخرى يرويه بلفظ ((أفلح وأيه إن صدق)) كما عند مسلم

وأما رواية مسند فق أخرجهما البخاري ومسلم بلفظ ((أفلح إن صدق))^(١) ولم يخرجهما بغير هذا اللفظ ، ولما ساعد من حديث نس^(٢) عند مسلم^(٣) . وهذا يبين أن لفظ اختلف بغير الله تعالى يلزم على إسناد من جعله فاعل الوهم منه لا سيما وأن مالكاً يرويه عن عمه أبي سهل

٢ وأما حديث أبي هريرة^(٤) في برهانهما فيه ((نعم وأنيك لسان)) فقد جاء بلفظين الأول : بدون اختلف بغير الله تعالى . والثاني : بلفظ اختلف بغير الله تعالى .
أما الأول : فعند روه عن أبي هريرة أبو زرعة ورواه عن أبي زرعة ثلاثة من الرواة هم . عماره بن القفصاع وعبد الله بن شجرة ويحيى بن أيوب .

ورواه عن عمارة ثلاثة هم . جرير بن عبد الحميد وفصل بن عروان وسفيان بن عيينة ورواه عن عبد الله بن شجرة ابنان هما محمد بن طلحة ووهيب بن خالد ورواه عن يحيى بن أيوب عبد الله بن المبارك .
وأما اللفظ الثاني وهو لفظ اختلف بغير الله تعالى ، فقد جاء من طريق شريك بن عبد الله عن عماره بن القفصاع وابن شجرة عن أبي زرعة عن أبي هريرة^(٥) .

واحد من هذا اللفظ ((وأنيك لسان)) يدور على شريك بن عبد الله ، وقد رواه شريك أيضاً بلفظ ((والله لسان)) أي بدون اختلف بغير الله كما عند ابن مسعود وأحمد والبخاري وشريك في إحدى روايته قد خالف ستة من الثقات وهم : سفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك ووهيب بن خالد ومحمد بن طلحة وجرير بن عبد الحميد وفصل بن عروان

فأي الروايتين نقل . رواية هؤلاء الستة الذين فيهم ابن المبارك وابن عيينة أم إحدى روايتي شريك بن عبد الله الذي قال فيه ابن معين « شريك ضعيف ثقة إلا أنه إذا خالف مع غيره أحب إليا منه »^(٦) وقال الحافظ ابن حجر فيه « صدوق يخطئ

(١) البخاري (٢٥٠/١) ح (٤٦) مسلم (٢٨ / ١) ح (١١)

(٢) نظر صحيح مسلم (٢٨٣/١) ح (١٢)

(٣) تهذيب الكمال ، ٤٦٩/١٢

كثيراً « ١٠٠ »

٣ وأما حديث أبي هريرة عنه في الصدقة وفيه ((أما وأبيث لتبأته)) فقد رواه عنه أبو زرعة

ورواه عن أبي زرعة عماره بن القعقاع

ورواه عن عماره بن القعقاع خمسة من الرواة هم عبد الواحد وجرير وسفيان بن عيينة وشريك بن عبد الله ومحمد بن فضيل

أما عبد الواحد وجرير وسفيان بن عيينة وشريك في إحدى روايته فقد رواه بدون الحلف مطلقاً . وفي الرواية الأخرى لشريك رواه بالحلف بالله تعالى .

وأما محمد بن فضيل فقد رواه بلفظين

أحدهما موافق للأربعة السابقين أي : بدون الحلف مطلقاً

والآخر : بلفظ الحلف بغير الله تعالى

فأما حصل أن رواية الحلف بغير الله تعالى تدور على محمد بن فضيل .

وعليه فمن نقل : رواية سفيان وعبد الواحد وجرير وشريك ومحمد بن فضيل في إحدى روايته والذين رواه بدون الحلف مطلقاً

أم إحدى روايتي محمد بن فضيل والتي فيها الحلف بغير الله تعالى ^(١) ؟

هذه إحدى أهل العلم من عدم عن الدليل الأول الذي استدلل به القائلون بالكراهة وهو : حلف النبي ﷺ بغير الله تعالى

ب) وأما ما استدل به القائلون بالكراهة من قسم الله تعالى ببعض مخلوقاته فمعه جوابان الأول : أن في الكلام حذفاً وإضماراً أي أن المقسم به مقدّر فقوله ﴿ وَالصَّحَى ﴾ ^(٢) أي ورب الصحن وهكذا . وبذلك عني ذلك أنه صرح بهذا المصمر في مواضع أخرى من كتابه كما في قوله تعالى ﴿ فَلَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ ^(٣) . وقوله : ﴿ وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ يَشْرِكْ بِمَا عِندَ رَبِّهِ ﴾ ^(٤) .

(١) ترتيب التهذيب (٤١٦١)

(٢) عند بعض ما ذكره : باسم من فضل منوره في رساله له صغيرة بعنوان طروحات الواردة في تفسيره بالله أو بغيره (٥٤ - ٧٩) وقد أضاف فيها وأضماراً من كرم الاستزادة فيرجع إليها

(٣) سورة القصص آية ٢٠

(٤) سورة الشعراء آية ١٠

والثاني أن ذلك يخص الله تبارك وتعالى فلا يقاس المخلوق بالخالق ، لأن الخالق له أن يقسم بما شاء من صفاته بعباده بشره ، ولما فيه من الدلالة على قدره الرب ووحدانيته وإحيائه وعلمه وحكمه وغير ذلك من صفات كماله ، وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق تعالى قال المشعبي الخلق يُقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق .
وقال مطر بن عبد الله إنما نُقسم الله بهذه الأشياء ليعجب بها المخلوقين ويعرفهم قدرته لتعلم شأنها عندهم ودلائلها على خالقها^(٥١)

(٥١) سورة العنكبوت (٢٣)

(٦) انظر شرح الله لمعجم ، ٦٠١٠ ، المعجم لعماري (٢٤/٢) اللهم فطرني (٦٢٢/٤) المعني لايس
نعمان (١٦٣/١١) فتح الباري (٥٣٣/١١) . فيمن القدير (٢٠٧/٦)
١٠) قصر المعجم (٢٤٠/٢) اللهم فطرني (٦٢٢/٤) المعني (١٦٣/١١) طريح الشرب (١٤٥/٧) .
بح الباري (٥٣٣/١١ ، ٥٣٥) نسو العبر لمحمد (٥٩٠)

المطلب الثالث

الترجيح

وبعد عرض الأقوال في هذه المسألة وأدلتها يظهر جلياً أن القول بالتحريم هو المتعين لا سيما وقد أطلق عليه النبي ﷺ وصف الشرك والكفر . ولذلك قال القرطبي « وصاهر الله المحرم ولا ينبغي أن يختلف في تحريمه »^(١) .

ومما يعصد القول بالتحريم بالإضافة إلى ما سبق ذكره من الأدلة - قول ابن مسعود « لا أحب أن أحلف بالله كذباً أحب إلي من أحلف بغيره وأنا صادق »^(٢) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله على قول ابن مسعود . « وذلك لأن الحلف بغير الله شرك والشرك أعظم من الكذب »^(٣) .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله « ولا اعتبار بحسن قبل من المتأخرين إن ذلك على سبيل كرمه السريه ، فإن هنا قول بطل ، وكيف يقال ذلك على ما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك ، بل ذلك محرم ، ولقد اختار ابن مسعود عليه السلام أن يحلف بالله كاذباً ولا يحلف بغيره صادقاً ، فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكثر من الكذب ، مع أن الكذب من غرمات في جميع أصل ذلك أن حلف بغير الله من أكبر المحرمات »^(٤) .

وقال الشوكاني « أقل ما يحصيه الأحاديث الكثيرة في الله من أحلف بغير الله والوعيد الشديد عليه أن يكون الماعل لذلك أمناً » وقيل أيضاً « وكيف تهمل الماهي والروايع التي وردت مؤمراً بقرب من التواتر مثل هذا الحديث الذي يعرض الغملاء لتأويله »^(٥) .

ففي أن يعلم هل المراد بالشرك والكفر المراد في قوله ﷺ « (ر من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) » الشرك والكفر للحرج من لغة أم المراد بذلك الشرك الأصغر ؟

(١) منهم (٦٢١/٤)

(٢) الطبراني في الكبير (١٨٣/٩) ج (٢) ٨٩ ، وقال طبراني في معجم الرواة (١٧٥٠/٤) و رجال الصحيح وقال الألباني في الإيضاح (١٩١/٨) ج (٢٥٦٢) وهذا إسناد صحيح عن شدة الشيخين

(٣) يسوع الناصري (٢٠٤/١) ولقد (٢٢٧/٣٥)

(٤) يسوع الناصري (٢٠٤/١) ولقد (٢٢٧/٣٥)

(٥) السبل البصر (١٦/٤)

الذي يظهر والله تعالى علم أن المراد بذلك الشرع الأصغر قال الخطيب الرازي رحمه الله «م يُريد به ترك ما يجرح من الإسلام حتى يكون به صاحبه خارجاً من الإسلام، ولكنه أريد أنه لا يبيح أن يحلف بغير الله تعالى، وكان من حلف بغير الله تعالى فقد جعل ما حلف به مخلوقاً به كما جعل الله تعالى مخلوقاً به» (١)

وقال ابن العربي «راد بقوله ((فقد كثر أو أشوك)) شرك الأفعال وكفرها وليس لمراد شرك الاعتقاد ولا كفره» (٢)

وقال سليمان بن عبد الله «قال الجمهور لا يكفر كعيراً يتعلمه عن الله ولكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عس ومن وعده وأب كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله، فلا من كفارة له مع استعداده كما قال في الحديث الصحيح (من حلف فقال في حلفه - واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله) وفي روايه ((فليستغفر)) فهذا كفارة له في كونه يعاطى صورة عظيم الصمم حيث حلف به، لا أنه لتجديد إسلامه ولو قدر ذلك فهو بحسب الإسلام نفسه بذلك لا تكفره

لكن الذي يعنيه عبادة المصور إذا حلفت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الإيمان صادعاً أو كاذباً فإن حلفت من اليمين بالشيخ أو برهته أو حياته وغو ذلك لم يُقسم على اليمين به إن كان كاذباً، فهذا شرك أكبر فلا ريب لأن المخلوق به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله» (٣)

وما ما استند به من قال بالكراهة من قسم الله تعالى بالمخلوقات فقد صيغت الإجابة عنه.

وكذلك ما استدلو به مما طاهره حلف النبي ﷺ بغير الله تعالى صيغت الإجابة عنه بهذه الجواب لعل أصحها - والله تعالى أعلم - منبذ الرجح وبليه منبذ المسح وذلك لقوة أدلتها ووضوح ما أحدهما وسلامتهما من الاعتراض الصحيح المنطوق على الدليل، عسماً أن نسبتهما وحده وهي تحريم الحلف بغير الله تعالى إما لأن ما ورد فيه من الروايات المبيحة

(١) مشكل الآثار ٢/ ٢٤٤

(٢) عروة الأسدي (١٩/٧)

(٣) سير المرير لعبد (٢٩٣)

له ضعيفة وإنما لأنها مسوغة .

مناقشة مسائل الجمع

وأما مسائل الجمع فصعوم ويمكن الإجابة عنها بما يلي .

أما المسئلة الأولى وهو أن هذا اللفظ كان يجري على أنستهم من غير قصد القسم به فقد أحاب عنه الشيخ سليمان بن عبد الله بقوله : « هذا جواب فاسد بل أحاديث النهي عامة مطلقة ليس فيها تعريض بين من قصد القسم وبين من لم يقصد وعناية ما يُقال . أن من جرى ذلك على لسانه من غير قصد معصية ، أما أن يكون ذلك أمراً جائزاً للمسلم أن يعاده مكرراً ، وأيضاً فهذا يحتاج إلى نقل - أن - ذلك كان يجري على أنستهم من غير قصد بقسم ، وأن النهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة خلف ، وأما أن يوجد ذلك ؟ »^(١) .

كما أن العزم بالألفاظ الشرعية مجرد الألفاظ لا بالمقصد . وإذا أردنا الحكم على اللفظ هل يثبت بذلك أم لا وإلى الشرع الأصغر هل يصل إلى درجته الشرك الأكبر أم لا ؟ رجعنا إلى قصد التعميط وبينه ، والله أعلم

- وأما المسئلة الثانية وهو أنه عليه الصلاة والسلام أصغر فيه سم الله . والنهي إنما ورد ممن لم يصبر ذلك ، فلا يخفى ما فيه من القصد لأن معناه حذر الخلف بغير الله تعالى مع الإصهار وهذا كاف في بيان صعبه ، كما أن هذا المسئلة عار من الدليل القائم على أن الرسول ﷺ رد الإصهار وأن النهي في حق من لم يصبر اسم الله تعالى

وأما المسئلة الثالثة وهو أنه ﷺ قال ذلك على سبيل التوكيد والنهي إنما وقع لما كان على سبيل التعظيم فقد أحاب عنه سليمان بن عبد الله بقوله « وهذا أسد من الذي قبله »^(٢) وكان من قال ذلك لم يتصور ما قال ، فهل يتراد بالخلف لا تأكيد المخلوف عليه يذكر من يعظم الخلف والمخلوف له ؟ فتأكيد المخلوف عليه يذكر المخلوف به مستلزم للتعظيم ، وأيضاً فالأحاديث المطلقة ليس فيها تعريض ، وأيضاً فهذا يحتاج إلى نقل أن ذلك

(١) ما بين الشرعيتين زيادة من حتى يستقيم الكلام

(٢) يسر فخره أجمية (٥٩١)

(٣) قصد القول بأن ذلك يجري على أنستهم من غير قصد . وهو المسئلة الأولى هنا

جائز للتأكيد دون التعظيم وذلك معلوم» (١).

- وأما المسلك الرابع وهو انقواء بالخصوصية فإنه يحسب من دليل لأن الأصل في معية الله عدم الخصوصية إلا ما قام الدليل على أن ذلك خاص به ﷺ ولذلك قال ابن حجر رحمه الله «وتعقب بأن الخصائص لا تنبئ بالاحتمال» (٢).
- وأما المسلك الخامس وهو دعوى التصحيف بعيد جداً كما أنه لا دليل عليه ولذلك قال القرطبي «ولهذا لا يُثبت إليه لأنه يخرم الثقة برواية الثقات الأئمة» (٣).
- وعلى فرض صحة هذا المسلك فإنه جواب عسى حديث ((أفصح وأبهر)) فقط، وأما حديث ((أما وأبهر لتبيان)) فإنه لا يستقيم فيه هذا المسلك لأنه لا يحتمله.
- وأما المسلك السادس وهو أن قوله ﷺ ((أفصح وأبهر)) لتعجب... إجماعاً على فرض صحته لم يرح عن كونه معسماً بغير الله تعالى (٤) فالإشكال لم يزل قائماً، إلا إذا ادعى جوارع المعسم بغير الله تعالى هذا كمال فيه معنى التعجب ١١٢

(١) تيسر العرف المعتمد (٥٩٢)

(٢) صح قبايري (٣٥٤/١٠)

(٣) التلخيص (١٦/١) ونظير حروف لأحودي (٢١/٧)

١٤: لأن القوم لا يأتون للتعجب بمراد عن المعسم انظر مثلاً معنى عيب عن كتب الأعراب في هشام، ٤٦٣: عرف المباني في شرح حروف القسي للمعالي (٤٩)

المبحث السادس :

ما جاء في بعض الألفاظ الموهمة للتشريك في الربوبية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .

المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

جاء في الصحيحين انتهى منه ﷺ عن خمسة ألفاظ هي :

إطلاق لفظ (الرب) و (المولى) على السيد .

- وقول السيد بملوكه (عبيدي) و (أممي)

اجمع بين الله تعالى ورسوله ﷺ في صمعه واحد .

وجاء في الصحيحين أيضاً ما ظاهره جواز إطلاق هذه الألفاظ ، حيث وردت على لسان رسول الله ﷺ ، وإليك بيان ذلك .

أولاً : ما ورد في النهي عن هذه الألفاظ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ((لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وصي ربك ، اسق ربك ، وليقل : سيدي مولاي ، ولا يقل أحدكم : عبيدي أممي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي))^(١)

وفي رواية مسلم ((ولا يقول أحدكم عبيدي فكلكم عبيد الله ، ولكن ليقل : فسي ولا يقل العبد : ربي ، ولكن ليقل : سيدي)) .

في رواية لمسلم أيضاً : ((لا يقول أحدكم عبيدي وأمتي ، كلكم عبيد الله ، وكل مسالككم إماء الله ، ولكن ليقل : غلامي وجاريتي وفتاتي))

وفي رواية أخرى لمسلم أيضاً ((ولا يقل العبد لسيد مولاي لأن مولاكم الله ﷻ)) .
عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال : من طبع الله ورسوله فقد رسد ومن يعصهما فقد عوى فقد رسول الله ﷺ ((ينس الخطيب أنت ، قل : ومن يعص الله ورسوله))^(٢) .

ثانياً : الأحاديث التي يفهم منها جواز إطلاق هذه الألفاظ :

جاء إطلاق هذه الألفاظ سواء ما كان منها يُطلق على السيد أو ما كان منها يُطلق

(١) مسند أحمد البصري كتاب الفقه باب كراهية تخطيب علي بن أبي طالب ومولاه عبيدي أو أممي (٩٠/٢)

ح (٢٤١١) . مسند كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (١٠/١٥) ح (٢٢٤٩)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب تضعيف الصلاة وتخطيبه (٤٠٧/٦) ح (٨٧٠)

على المنوك أو ما كان فيه الجمع بين الله تعالى ورسوله ﷺ في صميم واحد على لسان رسول الله ﷺ في عده حديث ، بل إن بعضها جاء في كتاب الله تعالى ، وإليك بيان ذلك

أ- من ورود لفظ الرب في كتاب الله تعالى قول يوسف ﷺ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَكَ﴾ أي عند ميتك

- ومن وروده على لسان رسول الله ﷺ -

، ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في أشراط الساعة ، وفيه قوله ﷺ . ((إذا ولدت الأمة ربتها)) وفي رواية ((ربتها))^(١)

٢- ما جاء في حديث ربه بن عائد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال عندما سُئل عن صلاة الإبل ((مالك ولها . معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربتها))^(٢)

ب ومن ورود لفظ (المولى) ما سبق من قوله ﷺ . ((وليقل سيدي ومولاي))

ج ومن ورود لفظ (العبد) و (الأمة) في كتاب الله تعالى : قوله تعالى ﴿وَالْعَبِيدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا نِيَّةٌ﴾^(٣)

ومن ورودها في السنة قوله ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما . ((العبد إذا نصح سيده ، وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين))^(٤)

وفيه ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ((إذا رست الأمة فاحلدها ، ثم إذا رست

(١) سورة يوسف ، آية (٤٢)

(٢) متفق عليه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان ، باب سؤال جده عن النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلم الساعة (٢٧١٠) ج (٥٠) وفي كتاب التفسير ، باب ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِزُّ السَّاعَةِ﴾

(١٧٩٢ : ٤٢٩٩) ج

ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٢٧٨/١) ج (١٠) ورواه مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الإيمان في الباب نفسه (٢٦٨/١) ج (٨)

(٣) متفق عليه البخاري كتاب المسألة ، باب شرب النسي والموت من الأهدر (٨٣٦/٢) ج (٢٤٢) ومسلم كتاب القنطة (٢٦٢/١٢) ج (١٧٢٢)

(٤) سورة النور ، آية (٣١)

٥ متفق عليه البخاري كتاب فضل ، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه (٨٩٩/٢) ج (٨) ومسلم كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة سيدنا محمد ﷺ (٥٤٦/٢) ج (١٥٤)

فاجلسوها)) (١١)

د - ومن ورود اللفظ الجامع بين الله ورسوله ﷺ في صميم واحد قوله ﷺ - كما في حديث أنس بن مالك عليه السلام - « (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) » (١٢)

بيان وجه التعارض

تضمنت الأحاديث السابقة الهي عن خمسة ألفاظ ، وهي :

إطلاق لفظ « الرب » و « الأول » على السيد

- قول السيد لمملوكه : « عبدي » ، « أمي »

- الجامع بين الله تعالى ورسوله ﷺ في صميم واحد

وهذا الهي يشكك عليه ورود هذه الألفاظ على لسان رسول الله ﷺ وبعضها في كتاب الله تعالى - كما تقدم - مما قد يُفهم من حوار إطلاق هذه الألفاظ ! ولذلك احتسب أهل العلم في الإجابة عن هذا الإشكال كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

(١) معني عليه السلام في كتاب العتق ، باب كراهية التطاول على الرفيق (٩٠١/٢) ح (٢٤١٧)

ومسلم كتاب المسود ، باب رجم اليهود عن طينة في الرمي (٢٢٤، ١١) ح (١٧٠٣)

(٢) معني عليه السلام في كتاب الإيمان ، باب حلاوة إيمان (١٤/١) ح (١٦)

ومسلم كتاب الإيمان ، باب خصاً من تصفهم وجد حلاوة الإيمان (٣٧٢/٤) ح (٤٣)

المطلب الثاني :

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

أولاً . ما يتعلق بلفظة « رَبَّ » :

يختلف أهل العلم في حكم إطلاق هذا اللفظ - رب - على السيد على ثلاثة أقوال لا يخرج كلها عن مذهب الجمع . وإليك هذه الأقوال :

القول الأول أن إطلاق هذا اللفظ على السيد محرم . وإليه ذهب ابن بطال وابن مطمح عليهما رحمه الله . فإن ابن بطال « لا يجوز أن يقال لأحد غير الله » رب « كما لا يجوز أن يقال له إله »^(١)

وقال ابن مطمح « وفظاهر النهي التحريم .. »^(٢) .

القول الثاني أن إطلاق هذا اللفظ على السيد مكروه كراهة سريه وليس محرم وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم بل نقل الحافظ ابن حجر اتفاق العلماء على أن النهي الوارد في الحديث إنما هو للسريه . حتى أهل الظاهر . ولم يستش من هذا الاتفاق إلا ابن بطال في لفظه : « رب »^(٣)

وممن صرح بالكراهة من أهل العلم القفاصي عياض والقرطبي والنووي عابهم رحمة الله . فإن القفاصي عياض « ونهى النهي للتحريم وإنما هو للأدب »^(٤)

وقال القرطبي عن «نهى الوارد في الحديث » هذا كله من باب الإرشاد إلى إطلاق اسم الأول . لأن إطلاق ذلك الاسم محرم ، فكان عمل النهي في هذا الباب ألا تحمد هذه الأسماء عادة فيذكر الأولى والأخس »^(٥) .

وقال النووي : « يكره أن يقول لغيرك لانيك ربني »^(٦) .

(١) بل ذلك أنه ابن حجر في المنتقى (١٧٩/٥)

(٢) بل ذلك أنه سليمان بن عبد الله في مسند العزير لمحمد بن (٦٥٣) ويصده ما ينهى . نهى الوارد في حديث (لا يقل أحدكم أحسن منك)

(٣) انظر فتح الباري (١٧٨/٥) وهذا الاتفاق الذي ذكره الحافظ يشمل أيضاً لفظ الله والأمة

(٤) نقل ذلك عنه الأئمة في شرحه لمسلم (٤٦٤/٧)

(٥) منهم (٥٥٢٢)

(٦) الأذكار (٥١٩)

ونقول بالكراهة هو ظاهر صحيح البخاري في صحيحه حيث يؤيد حديث ((لا يقل أحدكم أظعم منكم)) بقوله « باب كراهة التطاول على الرقيق . » ^(١) ثم ذكر شيئاً من أدلة الجواز التي سبق ذكرها .

فأصحاب هذا القول جعلوا النهي عوارضاً في الحديث للتسليم وما ورد من ذلك - في الإيات والأحاديث - لبيان الجواز

القول الثالث - التخصيص وهو ما ذهب إليه ابن حجر رحمه الله حيث حمل النهي على: إطلاق لفظ « الرب » بلا إضافة ، وأما مع الإضافة فيجوز إطلاقه ، قال رحمه الله : « الذي يختص بالله تعالى إطلاق الرب بلا إضافة ، أما مع الإضافة فيجوز إطلاقه كما في قوله تعالى : ﴿ أَذْكَرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ . » ^(٢) أحوية أهل العلم من أدلة الجواز :

لما كان الروايات في النهي واضحة وصريحة أخذ بها أهل العلم كما سبق - منهم من حمل النهي على التحريم ، ومنهم من حمله على الكراهة ومنهم من فصل في ذلك وأن أدلة الجواز لم تقدم ذكرها - فقد أصاب عنها أهل العلم بأحوية خاصة عن كل دليل يعينه ، وأحوية عامة تطرد في جميع الأدلة ، وإليك بيان ذلك .
أ- ذكر الأجوبة الخاصة عن كل دليل يعينه :

- أما الآية وهي قوله تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ أَذْكَرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ فعنها
جوابان -

أحدهما أن هذا حائر في شرع يوسف عليه السلام ، مهني عنه في شرعاً وإن هذا ذهب ابن العربي وشيخ الإسلام ابن تيمية واستظهره سيمان بن عبد الله ^(٣) . قال ابن العربي « يحتمل أن يكون ذلك حائراً في شرع يوسف عليه السلام » ^(٤) . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية « لا ريب أن يوسف عليه السلام متى السيد رباً في قوله : ﴿ أَذْكَرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ و ﴿ أَتَجِدُ الْإِنْسَانَ ﴾ ونحو ذلك ، وهذا كان حائراً في شرعه ،

(١) صحيح البخاري (٢ / ٩٠)

(٢) فتح الباري (١٢٩/٥)

(٣) انظر مسودته في تاريخ الحديث (٦٥٤)

(٤) نقل عنه ذلك القرطبي في تفسيره (١٩٥/٩)

كما جاز في شرعه أن يسجد له أسواه وإخوته ، وكما جاز في شرعه أن يؤخذ السارق عبداً »^(١)

والجواب الثاني أن يوسف عليه السلام « مخاطبه على التعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونه به ، ومثله قول موسى عليه السلام للسامري ﴿ وَأَعْرِضْ عَنْ آثِيكَ ﴾ أي السدي اعتدته بقاء »^(٢) وإلى هذا ذهب الطحاوي^(٣) وابن الأثير .

وأما قوله ﷺ في أشراط الساعة ((حتى تلد الأمة ربتها)) فله ثلاثة أحوية أحدها أن الحديث ورد بالثبوت ، فيحمل النهي على أنه موجه للذكر فلا يقال ذلك له لما فيه من إيهام المشاركة لله تعالى ، أما الأنتى فإن إيهام المشاركة فيها معنوم .

وثانيها أن يقال إن إطلاق لفظ « الرب » على الذكر محرم للنهي الوارد في الحديث ((لا يقل أحدكم أطعم ربه)) وأما الأنتى فيكره لورود الحديث بذلك - ((أن تلد الأمة ربتها))

وثالثها ما سطره الشيخ سليمان بن عبد الله وهو أن يقال رب هذا الحديث ليس فيه إلا وجهه بذلك لا دعاؤها به وتسميتها به ، وقرئ بين الدعاء والتسمية وبين الوصف ، كما تقول : زيد فاضل وتصفه بذلك ولا تسميه به ولا تدعوه به^(٤) .

وأما قوله ﷺ في صائفة الإبل « ((حتى يلقاها ربها)) » .
فجواب عنه بأن ما لا تعبد فيه من سائر الحيوان والجمادات يجوز إطلاق هذا الاسم عليه عند الإصاعة كقولك رب الدار ورب الدابة ورب الثوب ومجوزها^(٥)
ب ذكر الأجوبة العامة التي تطرد في الأدلة السابقة كلها^(٦) :

الجواب الأول أن النهي تشرية وما ورد من ذلك فليان أحوار^(٧) ، وهذا ما تمسك به

(١) مجموع الفتاوى (١٨/١٥) ، ونظر الأذكار للزوي (٥٢)
(٢) التمهيد لآداب الأثر (١٧٩/٢)
(٣) في مشكل الآثار (٣٣٨/١) ، ونظر الأذكار للزوي (٥٢٠)
(٤) نظر مسير القبر للشمس (٦٥٤)
(٥) نظر مشكل الآثار (٣٣٩/١) ، أعلام الحديث (١٢٧/١٢) ، تهذيب في غريب الحديث (١٧٩/٢)
الأذكار للزوي (٥٢٠) ، فتح الباري (١٧٩/٥)
(٦) أمي الأية والخصم في التفسير
(٧) نظر مسير بشرح الزوي (٩/١٥) ، فتح الباري (١٧٩/٥) ، مسير القبر للشمس (٦٥٤)

من قال بالكراهة

الجواب الثاني . ما ذهب إليه القاضي عياض والقرطبي عيهما رجة لله من أن يحل الشهي هو ألا تتخذ هذه الأسماء عادة فيترك الأولى والأخسر ، وليس المراد الشهي عن ذكرها في الجملة أو في مذكر الأحوال^(١)

الجواب الثالث . ما ذهب إليه ابن حجر رجة الله من التعريق بين إطلاق هذا اللفظ رب مع الإضافة وبين إطلاقه بغيراً من الإضافة ، فالأول جائز والثاني محرم .

الجواب الرابع هو جعل الشهي خاصاً بغير النبي ﷺ^(٢)

ثانياً - ما يتعلق بلفظة ((مولاي)) :

سلك فيها أهل العلم منهين

أحدهما . منذهب الجميع . وإنه ذهب سليمان بن عبد الله فحمله الشهي على الكراهة أو على خلاف الأولى ، وماورد فيه من الإباحة فليكن أحوار^(٣) .

ثانيهما . منذهب الجميع وهو الأحمد رواية الجوزي وأما رواية الشهي ((ولا يقل أحدكم مولاي)) فقد رجع القاضي عياض والسيوطي والقرطبي حملهما وقال الأخير : إنما حرما من الترجيح للتعريض بين الحديثين ، فإن الأول يقتضي إباحة قول العبد : مولاي ، والثاني يقتضي منعه من ذلك ، والجمع منعه والعلم بالتاريخ معقود فلم يسو إلا الترجيح^(٤)

وإذا أمدوا به ترجيحهم أن الأولى كثير التصرف ، فقد ذكر السيوطي وابن الأثير أنه يقع على ستة عشر معنى منها : الماصر والمالك والسياسة ومنعم والمعتق ومن العلم وخليف وغير ذلك^(٥)

(١) فظفر إكمال المعلم للقاضي عياض (١٨٨٢/٧) . صرح الأسدي عن صحيح مسلم (١٦٥/٥) . انهم (٥٥٢/٥) . مسلم بشرح النووي (٩/١٥) ، انماح لأحكام القرآن (١٦٥/٩)

(٢) فظفر فتح الباري (١٢٩/٥)

(٣) فظفر بسم الله الرحمن الرحيم (٦٥٥)

(٤) انهم (٥٥٢/٥) وانظر مسلم بشرح النووي (١/١٥) فتح الباري (١٨٠/٥)

(٥) انظر معجم سراج النووي (٩/١٥) النهاية (٢٢٨/٥) اسلام الحديث (١٦٧٢/٢) مجموع الحديث بلاسماعلي (٤٥٦/٢)

قد من حذر « مولى يطلق على أوجه متعددة منها الأسفل والأعلى ، فكان إطلاقه أسهل وأقرب إلى عدم الكراهة »^(١)

ثالثاً : ما يتعلق بلفظ (العبد) و (الأمة) :

ملك أهل العلم فيهما ملك جمع مذهبهم ، إلى أن انتهى موجه إلى السيد ميرزا به أن يقول : عدي وأمني لأنه مطبوعة الاستعطاف والتعاطف

وأن استعمال هذه الألفاظ من غير للتعريف والاختيار والوصف مجاز كقولك . هذا عبد زيد وهذه أمة خالد

قال بهد الصحاوي^(٢) وخصاصي^(٣) واستظهره النووي^(٤) وأحسنه سليمان بن عبد الله^(٥)

قال الخطابي « ولعل في ذلك كنه راجع إلى إقراءه من الكسر والفتح احتشوع وهذا عدي يليق بسملة العبد وبصفت مريويين ولا يحسن بعد أن يقول : فلان عدي وإن كان قد ملك قياده في الاستخدام له . »^(٦)

رابعاً : ما يتعلق بالجمع بين الله تعالى ورسوله ﷺ في ضمير واحد

ملك أهل العلم في هذه المسألة مذهبين : أحدهما . مذهب الجمع .

والآخر مذهب من جمع ، وإليك بيان ذلك

ولاً مذهب الجمع وإليه ذهب أكثر أهل العلم ، واعتصموا فيه على عدة أقوال كما يلي القول الأول أن شبه الصمير في قوله ﷺ ((أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)) بإجماع إلى أن الثغير هو المجموع للركب من الخبير ، لا كل واحدة منهما ، وبها وحدها لا عية إذا لم يرتد بالأخرى ، فمن يدعي حب الله مثلاً ولا يحب رسوله ﷺ

(١) فتح الباري (١٨٠٠٤) بصرف ضمير

(٢) في مشكل الآثار (٣٣٨/١)

(٣) في معالم الحديث (١٢٧٢/٢)

(٤) في شرح مسلم (١٠ / ١٥)

(٥) في تفسير العزيز الحميد ص ٦٥٦

(٦) معالم الحديث (٢ ، ١٢٦٦)

لا ينفعه ذلك ، ويشير إليه قوله تعالى : ﴿ قَلِيلٌ مِّنْكُمْ ذُرِّيَّةٌ يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ مِّنْ لَّدُنْكَ مَوْتٌ مَّيْمَنٌ مِّنْ لَّدُنْكَ ﴾ (٣١) لما وقع عليه الصلاة والسلام مكتومه بين قطري حبة لعلد لله وعمة الله تعالى للمعاد .
وأما أمر الخطيب بالإفراد فلاش كل واحد من العصباء مستقل باستلزام العوابة ، إذ العطف في صير التكرير ، والأصل استقلال كل من العظوم في الحكم ، وإلى هذا ذهب البيهقي (٣٢) والطبري وقال : « هذه كلام حسن متين » (٣٣) .
ووسع به حجر بأنه : « من محاسن الأجابة في الجمع » (٣٤) .
وحسنه سليمان بن عبد الله وقال عنه : « هذا جواب يليق جداً » (٣٥) .

المحل الثاني - سبب تكرار النبي ﷺ على الخطيب إنما هو تشريكه في الصبر بنفسه
للتسوية ، وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى وتأدياً معه ، وذلك بتقديم اسمه كما في قوله ﷺ :
(لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان) (٣٦) .
وإلى هذا القول ذهب القاضي عياض (٣٧) رحمه الله

وقرب من هذا القول ما ذكره أبو العباس القرطبي من أنه يحتمل أن يكون هذا من
سواء التسوية من جمعها في الصبر الواحد ، فمع ذلك لأجبه ، وحيث عدم ذلك جاز
الإطلاق (٣٨) .

القول الثالث أن سبب النهي هو أن الخطيب شأنها أبسط والإيصاح واحتساب الإشارات
والمرور ، وهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ثمهم

(٣١) سورة آل عمران ، آية (٣١)

(٣٢) انظر معجم البيهقي

(٣٣) شرح الطبري (١ / ٢٢١)

(٣٤) معجم الجوزي (١ / ٦٢)

(٣٥) تفسير العمري الحديث (١ / ٢٧٨)

(٣٦) أخرجه من حديث حذيفة أبو ذؤاد (١٣ / ٢٢٢) ح (٢٩٧٠) وأحمد (٣٨٤٤٥)

(٣٧) انظر : كمال التمام (٢ / ٢٧٥)

(٣٨) انظر شهاب (١ / ٥٦)

وأما نسبة الخطيب في حديث أنس ((أحب إليه مما سواهما)) فلأن الأمر هنا ليس خطبة وعط ، وإنما هو معهم حكم ، فكلما قلَّ لعنه كان أقرب إلى خطبته ، بخلاف خطبة الوعد فإنه ليس المراد خطبها ، وإنما المراد الاعتاط بها .

وإلى هنا نقول ذهب النووي ^(١٥) عليه رحمة الله

القول الرابع : حمل حديث الخطيب على الأرب والأولى ، وحمل حديث أنس عليه على ياب الجوار ^(١٦)

القول الخامس : أن سبب إنكار النبي عليه عن الخطيب هو أنه وصف على قوله ((ومن يعصهما)) ^(١٧)

القول السادس : دعوى الخصوصية فيمتنع من غير النبي عليه ولا يسمع منه ، لأن غيره إذا جمع أوهام إطلاقه التسوية ، بخلافه هو فإن منصبه لا يتعارف إثبه إيهام ذلك ، وإلى هذا ذهب العر بن عبد السلام ^(١٨)

وفي معنى هذا نقول : قول بعضهم في إخراج عن حديث الخطيب : إن لتكتم لا يدخل تحت خطاب منبه هنا وجه لغوه ، فقوله عليه ، ((ينس الخطيب أمت)) مصروف لغير النبي عليه لعنه ومعنى ^(١٩)
ثانياً : مذهب المترجيح

وذلك بترجيح حديث المنع على حديث الجوار لأسباب منها :

١ . أن حديث أسع ناقل عن الأصل ، وحديث الجوار متي عيه ، والناقل أولى بالاعتبار من سفي

٢ . أن حديث أسع قول ، وحديث الجوار فعل ، والقول مقدم على الفعل ^(٢٠)

(١٥) شرح النووي على مسلم (٤٠٩/٦)

(١٦) انظر تيسر التقرير لمحمد (٤٧٨)

(١٧) انظر إكمال التلمذ (٢٧٥/٣) للفهم (٥١٠/٢)

(١٨) انظر فتح الباري (٦١/١)

(١٩) انظر للفهم (٥١١/٢)

(٢٠) انظر للفهم (٥١٢ - ٥١١/٢) الفتح (٦١/١) تيسر التقرير لمحمد (٤٧٨)

المطلب الثالث

التزجيم

أ- أما ما يتعلق بلفظة « رب » *

عالم صحيح والله علم - هو يقول بالتحريم ، سواءً كان إطلاقها مع الإصاعة أو بدونها إلا ما لا بعد عنه من سائر الخسوس والجمادات فإنه لا بأس بإطلاق هذا الاسم عليه عند الإصاعة كقولك : رب العادة ورب العار وعو ذلك

وكذلك ما كان على سبيل الوصف والإخبار من العو فإنه لا بأس به كما في قوله ﷺ ((أن تلد الأمة ربها))

سبب لترحج

١ أن الأصل في النهي التحريم إلا إذا صرحه صارف ولا صارف ها وأما ما استدل به للحوار فيمكن الإجابة عنه كما تقدم .

٢ أن النبي ﷺ عند النهي عما يقتضي التحريم فقال ((ولا يقولن المملوك ربني وربني وليقل المالك فتاه وفتاني وليقل المملوك سيدي وسيدي هياكم المملكون والرب الله تعالى))^(١١)

قال الخطابي في سبب النهي « لأن الإنسان مرموب متعبد بإخلاص التوحيد لله عز وجل وترك الإشراك معه ، فحرم له التصاهة بالاسم فضلاً يدخل في معنى الشرك ، وحرم والتعب في حد بحركة واحدة »^(١٢)

٣- أن الأدلة التي استدل بها للحوار يمكن الإجابة عنها كما تقدم ، وأرجح هذه الأجوبة والله تعالى أعلم ما يلي :

أما الآية وهي قوله تعالى عن يوسف : ﴿ أَكْثَرُ مِنْ دَرَجَاتِكَ ﴾ فالذي يترجح فيه هو ما ذهب إليه ابن العربي وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما من أن هذا جائز في شرع يوسف

(٢١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة (ع) ٢١٨، ١٢ ج (٤٩٦٥) ومحمد (٥٤/٣) ج (٩١٨٨) وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥٦/٢) سند صحيح على شرط مسلم

(٢٢) إعلام الموقعين ٢٧١/٢ وانظر المعجم (٥٥٣/٥) ، مسلم بشرح النووي (٩١٠٥) النهاية

(١٢٩/٢) فتح الباري (١٧٩، ٥)

السلامة ومهي عن في شرحها .

- وأما ما أحاط به بطحاوي وابن الأثير عن الآية وهو أن يوسف عليه السلام صاحبهم على التعرف عددهم وعنى ما كانوا يسمونهم به فإنه يشكل عليه قول الله تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿ إِنَّمَا تَحْسَنُ قَوْلًا ﴾ لأن أكثر مفسرين أرجعوا الصمغ في قوله ﴿ رَمِي ﴾ إلى سيده وهو العزيز ^(٢٢)

وأما قوله عليه السلام في أشراط الساعة ((حتى تلد الأمة ربتها)) فأرجح الأخوية فيها والله تعالى أعلم . مذهب إليه سليمان بن عبد الله من التعريق بين الدعاء والتسمية وبين الوصف فالأول حرم والثاني جاز وهو الذي يحمل عليه الحديث .

وأما الأخوة الأخرى عن الحديث فصحيحة لأنها مبنية على رواية الثابت ((ربتها)) والحديث كما أنه ورد بالثابت فإنه قد ورد أيضاً بالكثير ((ربتها))

وأما الأخوة العامة عن أدلة الجواز فيجوز عنها بما يلي .

أما الجواب الأول وهو حمل البهي على الكراهة وما ورد لبيان الجواز فيرده ما تقدم من وجوب أدلة الجواز

وأما الجواب الثاني وهو أن عمل البهي هو أن لا تتحد هذه الأسماء عادة ، فيحتاج إلى دليل ولا دليل لديهم وليس في الحديث ما يشير إلى ذلك

وأما الجواب الثالث وهو : التعريق بين ما كان بدون إصافة فيحرم وما كان مع الإصافة فيجوز فلا تخفى ما فيه من الضعف لأن حديث البهي ورد بالإصافة ((لا يقل أحدكم أظلم رملث)) .

كما أنه بدون الإصافة يكاد يكون محل إجماع أنه محرم وعنى هذا فلا حديث في هذا القول قال النووي رحمه الله : « قال العلماء . لا غلق الرب بالآلف واللام إلا على الله تعالى خاصة » ^(٢٣) .

- وأما الجواب الرابع وهو دعوى الخصوصية فيحتاج إلى دليل لأن الأصل في فعله عليه السلام

(٢٢) مطهر - جامع البيان عن أسرار أي الغرر - طحاوي (١٨٢/٧) - التبع وأحكام القرآن للقرطبي

(١٦٥/٩) - تفسير ابن كثير (٧٣٢/٢)

(٢٤) - الإذكار ، ٥٢

عدم الخصوصية ، لا ما قام الدليل على أنه خاص به ﷺ والله أعلم

ب- وأما ما يتصل بمفظة ((مولاي))

فإن الترجيح والله تعالى أعلم - مذهب الجمع وهو حمل اللفظ على الكراهة أو على

خلاف الأولى وما ذكره من قوله ﷺ ((وليقل سيدي مولاي)) فإجاب الحوار .

وأما ما ذهب إليه المالكون بالترجيح^(٢٥) ودعواهم بأن أجمع معبراً فمستعجب بأن الجمع

يمكن كلفه مقدم ، والترجيح لا يفسد إلا مع إمكان الجمع ، وذلك قال سليمان بن

عبد الله رثاً على مذهب الترجيح « فب . الجمع يمكن حمل اللفظ على الكراهة أو على

خلاف الأولى »^(٢٦)

وقال أبو جعفر المحاسي « لا عدم اختلافاً بين العلماء أنه لا يعني لأحد أن يقول لأحد

من المخلوقين مولاي »^(٢٧)

ج- وأما ما يتعلق بمفظة العبد والأمة فالترجيح هو : ما تقدم بيانه من أن اللفظ متوجه إلى

السيد لأنه مظنة الاستغناء والاعتماد ، وأما استعمال هذين اللفظين من العبر للتعريف

والإخبار والتوصف فحائر

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى « هذه الألفاظ المهي عليها وإن كانت

نطقاً بغيره فإلهي ﷺ هي عليها تحقيقاً للتوحيد وسدّاً لدرج الشك لها فيها من التشريك في

المعط ، لأن الله تعالى هو رب العالمين جميعهم ، فإذا أطلق على غيره شريكه في الاسم فيهي

عنه بدت ، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى ، وإنما اعنى

أن هذا ماثل له فقلوب عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار فاللهي عنه حسماً لمادة التشريك بين

الخالق والمخلوق ، وتحقيقاً للتوحيد ، وبعداً عن الشك حتى في اللفظ وهذا من أحسن

مقاصد الشريعة ، لما فيه من عظيم القرب تعالى وبعده عن مشابهة للمخلوقين ، فأرشدهم ﷺ

إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ ، وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ بحجاب التوحيد »^(٢٨) .

(٢٥) أي ترجيح رواية المولاي عن رواية النبي

(٢٦) أجمع تقرير الجملة ص (٦٥٥)

(٢٧) نقل ذلك عنه النووي في الأذكار ص (٥٢١)

(٢٨) فتح المبحث ص (٤٤٨)

د- وما ما يتعلق بمسألة الجمع بين الله تعالى ورسوله ﷺ في صير واحد فأندي يظهر والله تعالى أعلم هو كرمه ذلك لما قد يؤهم من التسوية بين الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولعل أمر النبي ﷺ الخطيب بالجمع من هذا الباب ، ومن باب « أيضاً - تعظيم الله تعالى وتوقيره والتأدب معه ، ولذلك فإن النبي ﷺ في حديث عمر بن الخطاب ((إنما الأعمال بالنيات ..)) قال ((فمن كتب هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله)) ((ولم « ينسأ في الحراء فهجرته إليهم ، وإن كان أخضر ، بل أتى بالظاهر فقال هجرته إلى الله ورسوله ، وذلك من أدبه في تعظيم سم الله أن يجمع مع صير غيره » (٢٩)

و أما حديث أبي عبد الله وثقفي فيه ((أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)) فإنه يشمل جميع الأقسام السابقة في مذهب الجمع عند القول الخامس والسادس فإن مذهباً بعداً لا يجمع

أما الخامس وهو دعوى أن الخطيب وقد وقع على قوله ((ومن يعصهما)) فإن الرواية نكرة لأن آخر كلامه ((فقد غوى)) ، ولذلك قال المقرضي عن هذا القول « هذا ما روي لم يسمعه الرواية الصحيحة أنه أتى بالتفصيل في مساق واحد ، وآخر كلامه بما هو ((فقد غوى)) ، ثم إن النبي ﷺ رث عليه وعلمه صواب ما أصل به ، فقال ((قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى)) فظهر أن دته له إما كان على الجمع بين الاثنين في العصم » (٣٠)

وأما القول السادس وهو دعوى الخصوصية فيحتاج إلى دليل وليس ثمة دليل يدل عليها وأن مذهب المرجح فإنه لا يلجأ إليه إلا عند تعذر الجمع ، والجمع هنا غير متعذر كما تقدم

الخلاصة

- ١ أنه يحرم إطلاق لفظ الرب على السيد بدون إضافة وأما مع الإضافة فيجوز في حالتين ويحرم فيما عداهما ، وهاتان الحالتان هما :
 أ إذا كانت الإضافة إلى مالا تعبد عليه من سائر الأحيوان والجمادات
 ب إذا كان إطلاقها على سبيل الوصف والإخبار عن الغير
- ٢ أنه يكره أن يقول العبد لسيد ، مولاي
- ٣ أنه يكره أن يقول السيد لعبد وأسه عبيدي وأمتي ، وأما استعمال هذه الألفاظ من الغير للتعريف والإخبار والوصف فيجوز
- ٤ أنه يكره أن يجمع بين الله تعالى ورسوله ﷺ في صميم واحد ، لما قد يوهم من التسوية بين الله تعالى ورسوله ﷺ ، والله تعالى أعلم

المبحث السابع : في قوله ﷺ : ((إن الشيطان قد

أبصر أن يعبد المصلون في جزيرة العرب))

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

المطلب الثاني : مداعب العلماء نحاه هذا التعارض

المطلب الثالث : الترجيح

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يؤول ظاهرها التعارض

أولاً - ما جاء في إياس الشيطان من أن يعبد في حزيرة العرب .
عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول ، ((إن الشيطان قد أيسر أن يعبد
المصلون في حزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم))^(١)
ثانياً : ما جاء في وقوع الشرك والكفر وعبادة غير الله تعالى
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ((لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات
سواء دوس على ذي الخليفة))^(٢) ((^(٣) .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت . سمعت رسول الله ﷺ يقول ((لا يذهب الليل
والنهار حتى تعبد اللات والعزى))^(٤)

بيان وجه التعارض

في الحديث الأول ما صدقه أن الشيطان قد أيسر من وقوع الشرك والكفر وعبادة غير
الله تعالى من الأصنام والأوثان وغيرها ، وفي المقابل نجد أن النبي ﷺ يخبر - كما في
الحديثين الآخرين - بوقوع الشرك والكفر وعبادة الأصنام والأوثان .
وأيضاً فإن الواقع يؤكد ذلك محض يرى بعدد القصور والأضرحة التي تزدحم وتُطاف عليها
وتعبد من دون الله تعالى .. والله المسعان ، فإذا كان الأمر كذلك فما هو المخرج من
هذا التعارض الصاعق ؟

هذا ما سوف يتضح في المطلب التالية

نتيجه :

شراء عبادة الشيطان في حديث جابر * عبادة الصمم وغيره بدليل قوله تعالى حكاية عن

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب تحريش الشيطان (١٧ / ١٦٢) ح (٢٨١٢)

(٢) ذو الخليفة صمم كانت دوس معبد في الجاهلية انظر مسلم بشرح النووي (١٨ / ٢٥٠)

(٣) سبق عليه البخاري ، كتاب الفتن ، باب خبر الزمان حتى يعبد الأوثان (٦ / ٢٦٠) ح (٦٦٩٩)

و مسلم كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخليفة (١٨ / ٢٤٩) ح (٢٩٠٦)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يعبد دوس ذا الخليفة ، ١٨ / ٢٥٠ ح (٢٩٠٧)

إبراهيم الخليل ﴿يَكْفُرُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ وإما جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان لأنه
الآمر به والداعي إليه ^(١)

(١) انظر شرح الطبري (١/٨٢)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التصريح

لم يتجاوز من العلم في هذه المسألة مذهب الجمع ، وكلامهم يدور على حديث جابر ((أن الشيطان قد أيس .))
وأما الأحاديث التي فيها إخبار المصطفى ﷺ بوقوع الشرك وعبادته الأوثان والأصنام ، فإن أهل العلم لم يختلفوا في وقوع ما دلت عليه

ولذلك رتب المسح عنه من عبد الوهاب في كتاب التوحيد باباً بعنوان « ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان » قال الشيخ سبيلان بن عبد الله في شرح هذه الترجمة « أراد المصنف بهذه الترجمة طرد على عبادة القبور الذين يفعلون الشرك ويقولون إنه لا ينفع في هذه الأمة محمدية وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيس في هذه الباب من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ما يدل على نوع الشرك في هذه الأمة ، ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان ، وإن كانت عاتقة منها لا ترد على الحق ، ولا يصرفهم من عظيم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى »^(١)

وقال المسح عبد الله أباً بطي عن حديث ((إن الشيطان قد أيس ..)) « لا دلالة في الحديث على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب ، ويوضح ذلك أن أكثر العرب رندوا بعد وفاة النبي ﷺ ، فكثير منهم رجعوا إلى الكفر وعبادته الأوثان ، وكثير منهم صلحوا من ادعى السوء كتمسسه وغيره »^(٢)

وقد اختلف من العلم في الجواب على حديث جابر ((إن الشيطان قد أيس)) على عدة أقوال وهي كالتالي .

القول الأول أن لم تدان الشيطان قد أيس أن يجتمعوا كلهم على الكفر ، وبلى هذا ذهب ابن رجب وعند الله أباً بطي وغيرهما^(٣) .

القول الثاني . أن طيبي ﷺ أخبر عن وقوع بعض الشيطان من الناس عندما رأى

(١) سيرة العزير الحفيد (٣٦٢)

(٢) الثور المسية (١٠٨/١٢)

(٣) الثور المسية (١٢٠١٦٦ : ١٣٢) دعوى المازني (٢٢٣)

الفتوح ودفعوا الناس في دين الله أفواجاً، ولكن لا يلزم من هذا عدم وقوع الشرك وعبادة سوى الله تعالى، لأن الأمر يقع على خلاف ما حسه المشركون، كما ندل على ذلك الأحاديث الأخرى التي فيها إخبار النبي ﷺ بوقوع الشرك، ويدل على هذا القول أن النبي ﷺ سب الإيأس في الحديث إلى الشيطان ميباً لتعاضل، فلم يعمل: أيسر بالياء للمعول، معني أن الله يسه، فالإيأس الصائر من الشيطان لا يفرح بحقيقته واستمراره، ذكر هذا الجواب الشيخ عبد الله أبا بطي (١)، وإليه ذهب الشيخ محمد العثيمين (٢).

القول الثالث أن المراد أن الشيطان لا يطمع أن يعبد المومنون في جزيرة العرب، وهم المقصودون بما جاء به الرسول ﷺ من عبادة ربه المدعوى له، المتمثلون لأوامره، إذ أن من كان على هذه لصفحة فهو على بصيرة ونور من ربه، فلا يطمع الشيطان أن يعبد، ذكر هذا الجواب الألويسي (٣).

القول الرابع ذكره الألويسي أيضاً فقال: «يحتمل أن يراد بتأصيل أساس معلومون، بناءً على أن يكون (ن) تعبد، وأن يراد بهم الكاملون فيها.. وهم خير القرون، يؤيد ذلك قول النبي ﷺ في آخر الحديث ((ولكن في التحريش بينهم)). يقول الطيبي: «لعل للتأصيل معنى آخر مما يكون بعده من التحريش فوقع بين صحيحه وصحوا الله عنهم أجمعين، أي أيسر أن يعبد فيها، ولكن يطمع في التحريش (٤)» (٥).

القول الخامس ما ذهب إليه أبو العباس القرطبي من أن المعنى والمراد: «أن المسلمين في جزيرة العرب ما أقاموا الصلاة وأطهروها، لم يظهر فيها طائفة يرتدبون عن الإسلام إلى عبادة الأصنام ولأوثان، فوذا تركوا الصلاة وذهب عنهم اسم تأصيل فإد ذلك يكون شرار الخلق وهذا إنما يتم إذا حبس الله المؤمنين بالريح الباردة. وحينئذ يضطرب ألبات دوس حول ذي الخنصة وتُعد الثلاث والعري» (٦).

(١) «نظر الثور المسية» (١٦/١٦، ١٣١) دعوى القاري (٢٣٣) شرح الأبي (٢٦١/٩)

(٢) «نظر الثور المسية» (٢٦١/١، ٤٦٧)

(٣) نقل ذلك عنه صاحب دعوى البنايين (٢٢٤)

(٤) «نظر شرح الطيبي» (٢٠٩/١)

(٥) نقل ذلك عنه صاحب دعوى البنايين (٢٢٤)

(٦) «نظم» (٢١٠/٧)

المطلب الثالث

التزجيم

في الحقيقة أن جميع الأموال السابقة بحملة هذا القول الخامس ، لأن فيه أن عبادة الأصنام والأوثان لا تكون إلا في آخر الزمان عند قبس الله تعالى المؤمنين بالريح الباردة ، وهذا يردده الفوائد ، إذ أن عبادة غير الله تعالى من الأصنام والأوثان وجدت بعد وفاته ﷺ ولا تزال موجودة حتى الآن والله المستعان .

الفصل الثاني : ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وفيه أربعة مباحث :-

□ المبحث الأول : ما جاء في قوله ﷺ : ((كلنا يديه

يميز)) .

□ المبحث الثاني : ما جاء في صفة الرحمة لله ﷻ .

□ المبحث الثالث : ما جاء في علو الله تعالى وفوقيته

مع ورود نصوص المعية والقرب .

□ المبحث الرابع : ما جاء في رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ .

المبحث الأول : ما جاء في قوله ﷺ : ((كلنا يديه يمين))

وفيه ثلاثة مطالب :-

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يروهم ظاهرها المعارض

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا المعارض

○ المطلب الثالث : الترجيح

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

جاءت الأحاديث في هذه المسألة بأمرين

أحدهما . وصف كنا يدي الله تعالى باليمين ، كما جاء ذلك في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلنا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)) ^(١)

وثانيهما وصف إحدى يدي الله تعالى بالشمال ، كما جاء ذلك في حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : ((يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذها بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ أين المشكرون ؟ ثم يطوي الأرضين بسنائه ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟)) ^(٢) .

بيان وجه التعارض

وجه التعارض بين هذين الحديثين هو أنَّ أحدهما يوصي أن كلنا يدي الله تعالى يمين والآخر فيه وصف إحدى يدي الله تعالى بالشمال .

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة . باب فضيلة الإمام العادل . (١٢ / ٤٥٢) ح (١٨٢٧)

(٢) أخرجه مسلم كتاب صفات الصفات وأحكامهم (١٢ / ١٣٨) ح (٢٧٨٨)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض *

قبل ذكر مذهب أهل العلم في هذه المسألة لا بد من بيان أن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن الله تعالى يدين وأن إحدى يديه توصف باليمين كما دلل على ذلك النصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ خَبِيرَةٌ فَتَسْأَلُهُمْ أَفَرَسَمُوا فَمَا كَانُوا بِآيَاتِهِ لَمَّاعِينَ ﴾^(١) وأما السنة فالأحاديث فيها كثيرة أذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟))^(٢) .

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً - عن النبي ﷺ قال : ((إن يمين الله ملائكة لا يغيبها نقمة))^(٣) .

ويبقى الخلاف بين أهل العلم في اليد الأخرى لله تعالى ، هل توصف بالشمال أم لا ؟ فذهب بعضهم إلى وصف اليد الأخرى بالشمال ، وذهب الآخرون إلى اللع من ذلك ، فالعريق الأول سلك مذهب الجمع ، والعريق الثاني سلك مذهب الترجيح ، وإليك بيان ذلك

أولاً : مذهب الجمع :

سلك هذا المذهب من أثب الشمال واليسار ليد الله تعالى ، فأخذوا بالأحاديث التي فيها وصف يد الله تعالى بالشمال ، وحملوا قوله ﷺ ((كلنا يديه يمين)) ، على أنه قاله على جهة التأدب ، وذلك أنه لما كانت اليسار في حق أنقص من اليمين وأقل رتبة منها يسن

* انظر في هذه المسألة : صغاب ، الله عز وجل الرودة في الكتاب والسنة ، لصوي المصنف : قد أورد أحاديث

(١) سورة الزمر آية (٦٧) .

(٢) معنى عليه المنعوي : كتاب الفرق باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٢٤٨٩/٥) ج (٦١٥٤) ومسلم ، كتاب صفات الملائكة وأسماؤهم . (١٣٧/١٧) ج (٢٧٨٧)

(٣) معنى عليه البخاري : كتاب الوصية ، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (٢٦٩٩/٦) ج (٦٩٨٣)

ومسلم : كتاب الركعة ، باب بحث على النقمة (٨٣/٩) ج (٩٩٣)

الذي ﷺ أن كلنا يدي الله تعالى يمين مباركة ، ليس فيها نقص ولا عيب بوجه من الوجوه ، فليست الشمال بالنسبة له كالشمال بالنسبة لنا .

وإلى هنا ذهب الإمام عثمان بن سعيد الدرهمي ونُبو يعلى ثمراء وعبد بن عبد الوهاب وصديق حسن خان^(١) ، وإليك أقوالهم وأدلتهم :

قال الإمام الدرهمي : « وكفى تأويله : ((وكلنا يديه يمين)) أي مبره عن العصف والضعف كما في أيدي الشمال من العصف وعدم البطش ، فقال ((كلنا يديه يمين)) جازلاً وتعظيماً ، يوصف بالشمال ، وكذا لو لم يجر إطلاق الشمال واليمين لما أطلق رسول الله ﷺ ، ولو لم يجر أن يقال كلنا يدي الرحمن يمين لم يقم رسول الله ﷺ »^(٢) . وقال أبو يعلى الثمر ، بعد أن ذكر حديث أبي هريرة^(٣) : « وعلم أن هذا الخبر يبعد حوار إطلاق المصبة عليه واليمين واليسار والضح ، وذلك غير متبع »^(٤) . وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر باب من كتاب التوحيد في المسألة السادسة : « التصريح بسميتها الشمال »^(٥) يعني ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقد تقدم ذكره

وقال صديق حسن خان : « ومن صفاته سبحانه اليد ، واليمين ، والكف ، والإصبع ، والشمال »^(٦)

أدلة هذا القول

استدل أصحاب هذا القول بما يلي

- (١) وكذلك الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله شرح كتاب التوحيد له ص (٥٥)
- والشيخ محمد حبيب طرمن رحمه الله شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة (٦٦) حاشية (٤) .
- والشيخ عبد الله القديري رحمه الله شرح كتاب التوحيد (٢٥٩) مطبوع ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الله القديري رحمه الله (١)
- والشيخ عبد الله العبدان رحمه الله شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢١١٦ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣١٩)
- (٢) رد الإنان الدرهمي على لرميسي ص (٥١٣) مطبوع ضمن كتاب عقائد السلف
- (٣) ميثاقي قريباً ص (١٨١)
- (٤) إبطال التلويح ص (١٦٦) .
- (٥) كتاب التوحيد ص (١٦)
- (٦) تصدق الثمر ص (٦٦) . ورواه رحمه الله بأن أن الله تعالى يوصف بأن له يد وكف وإصبع

١ حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه . وفيه ((ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول)) ^(١) رواه مسلم

٢ حديث أبي المرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((خلق الله عز وجل آدم عليه السلام حين خلقه فصرب كتفه اليمنى فأخرج دبره سوداء كأنهم الحميم فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي وقال للذي في يساره : إلى النار ولا أبالي)) ^(٢)

٣ وصف إحدى اليدين باليمين كما في الأحاديث السابقة ، وهذا يقتضي أن الأخرى ليست يميناً مكرراً ، وفي بعض الأحاديث تذكر اليمين ويداً كمر مقابلتها ، ((يمينه الأخرى)) ^(٣) ، وهذا يعني أن الأخرى ليست اليمين فتكون الشمال ^(٤)

ثانياً : مذهب الجميع :

سلك هذا المذهب بعض أهل العلم الذين منعوا من إطلاق الشمال واليسار على يد الله تعالى وقالوا إن كذا يدي الله تعالى يمين لا شمال ولا يسار فيهما ، وصنعوا الرواية التي ورد فيها لفظ الشمال

ومن سلك هذا المذهب من حرية واليهودي والألماني ، وإليك أقوالهم وأدلتهم قال ابن خزيمة « ... الخائفاً - جل وعلا - يديس كتناهما يسار لا يسار الخائفاً عر وجل ، إلا اليسار من صفة المخلوقين » ، فجعل يميناً عن أن يكون له يسار « ^(١) . وقال أيضاً « ... بل الأرض جميعاً قبضة يميناً جل وعلا ، بإحدى يديه يوم القيامة

(١) تقدم شرحه ص ١٧٨ ،

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة (٤٦٦/٢) ج (١٠٥٩) والبرقعي في كشف الأسرار (٢١/٢) ج (٢١٤٤) وقال إسناده حسن

(٣) كذا في كتب في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((إن بين الله ملائكة لا يعصوا ملة ويهدى الأخرى لبعض أو لبعضين)) تقدم شرحه ص (١٧٩)

(٤) انظر كتاب صواب الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ، ص (٢٧٧)

(٥) التعليل بهذا فيه خطر إذ أنه يس كل ما كان صفة للمخلوق فهو منفي عن الله تعالى ، ولا تعبد - جريماً على هذه المقامه أشياء كثيرة من صواب الله تعالى ، كالتب والسمع والشم وغيرها جملة منها من صواب المخلوقين ، وإن لم يكن أن تثب هذه الصفات بمرود النعم بها ، الله تعالى على ما بين جلاله وعظمته . ولا يدرى من حيث أنه يكون من تلك الصفات للمخلوقين والله أعلم

(٦) كتاب التوحيد (١٥٩/١)

والسموات مطويات بيمينه وهي : اليد الأخرى ، وكلتا يدي ربا يمين لا شمال فبهما جل ربا وعر عن أن يكون له يسار ، إذ كونه إحدى اليدين يسار إنما يكون من علامات الخصوقين^(١) ، جل ربا وعر عن شبيه خلقه^(٢) .

وقال البيهقي عن رواية بسمله « ذكر الشمال فيه تعرد به عمر بن حمزة^(٣) عن سالم وقد روى هذا الحديث بلفظ^(٤) وعبيد الله بن مقسم^(٥) عن أبي عمر ، لم يذكروا فيه الشمال ، ورواه أبو هريرة^(٦) وعمره عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال .

وروي ذكر الشمال في حديث آخر في عمر هذه القصة ، إلا أنه صغير بحمرة ، نورد بأحمد جعفر بن الزبير ، وبالأحرار يزيد الرفاشي وحماد مازوك ، وكيف يصح ذلك ؟ وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتي يديه يميناً^(٧) »^(٨) .

وقال الألباني وقد سئل كيف يوفق بين رواية ((بشماله)) الواردة في حديث أبي عمر رضي الله عنهم في صحيح مسلم ، وقوله ﷺ ((وكلتا يديه يمين)) ؟

قال « لا تعارض بين الحديثين يادى بدء قوله ﷺ ((وكلتا يديه يمين)) تأكيد لعمومه بعد ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) وَهُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ^(٩) فهذا الوصف الذي أخص به رسول الله ﷺ تأكيد للتشريف ، فبدأ الله ليس كيد البشر : شمال ويمين ، ولكن كلتا يديه يمين ، وأمر آخر أن رواية ((بشماله)) : شاذة .

(١) انظر الثعنين على كلامه السابق من (١٨١)

(٢) كتاب التوحيد (١٩٧/١)

(٣) وهو جعفر بن الزبير ، انظر تهذيب التهذيب (٧١٥/١)

(٤) كتب في صحيح البخاري (٢٦٩٧/٦) ج (٦٩٧٧)

(٥) كتب في صحيح مسلم (١٣٨/١٧) ج (٢٧٨٨)

(٦) لا يعني هذا أن البيهقي رحمه الله تعالى يثبت قبيل النبي ﷺ حقيقة ، بل هو تأكيد ، فإنه لا ساق أعين كثيرة في البيهقي قال « واليهي أنه كثر في الأخبار التي ذكرها عمول في مصنفه على القوة والفساد ، ولما يصفه على حسن القول لأن في عرف الناس أن بجانب تكون برصده لما عثر من الأمور ، ومماثلهم ما كان منها والعرب تقول ملاك عدلها باليمن أي بدش الغلب » الأسماء والصفات (١٦٠٠٢) وانظر البيهقي وموسعه من الإلهيات من (٢٥٦)

لذا كثر الخ في عطية العامري

(٧) الأسماء والصفات (٣٩٠٢)

(٨) سورة الفطور ، آية (٦٦)

ويؤكد هذا أن أبا داود رواه وقال ((يديه الأخرى)) بدل ((بشماله)) وهو الموافق لمولده عليه السلام ((وكلنا يديه يمين)) والله أعلم ^(١) .

أدلة هذا القول :

«ستدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بما يلي

- ١- ما سبق من مولد عليه السلام في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ((إن المقسطين عند الله على ما بر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين)) ^(٢) .
- ٢- حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((أول ما خلق الله تعالى القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين)) ^(٣)
- ٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . ((لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه قال يديه وهما مقبوضان - حد أيهما شئت بما آدم فقال : يمين يمين وكلتا يديه يمين مباركة .)) ^(٤)

(١) انظر قصة الأسماء العدد الرابع من (٦٨)

(٢) تقدم تحريكه من (١٧٨)

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في قصة (٤٩/١) ح (٦٠٦) ، والآخري في الشريعة (١٢٤،٢) ح (٢٩٠) وحسن إسناده الألباني في شريكه نسخة

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في قصة (٩١/١) ح (٢٠٦) وابن حبان في صحيحه (٤٠،١٤) ح (٦١٦٧) والحاكم في مستدركه (١٣٧/١) ح (٢١٤) وقال . هذه حديث صحيح عن شرط مسلم

ومدرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٠/٢) ح (٢٨) وحسن إسناده الألباني في شرحه نسخة

المطلب الثالث

الترجيح

الذي يظهر - والله تعالى أعلم - عدم وصف يد الله تعالى بالشمال إذ أن إثبات شيء لله تعالى لا بد أن يكون من طريق صحيح يمسك الاستناد إليه ، لاسيما وقد ورد النص الصحيح الصريح بأن كسا يديه يمين

وأما الأدلة التي سدل بها من أثبت وصف الشمال ليد الله تعالى فإنها لا تنهض لأن يكون حجة في ذلك .

١- أما حديث ((يطوي الأرض يشماله)) فالأثر فيه عمر بن حنظلة وهو ضعيف قاله الإمام أحمد وأحد بن حنظلة ، وقال فيه إسحاق ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان عن يعقوب^(١) . وقال فيه ابن حجر : ضعيف^(٢)

٢- وأما حديث أبي طرادة فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد مختصراً ومما كسا عبد أحمد بنفسه الله آدم حين حرقه فحرق كفه اليسرى فأخرج ذرية بيضاء كآبهم البذر ، وحرق كفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كآبهم الحمم ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي . وقال للذي في كفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي^(٣)

وبهذا يتضح - التمسك في قوله - ((وقال للذي في يمينه ..)) في رواية عبد الله بن الإمام أحمد يعود إلى آدم عليه السلام ، وعليه فيس في هذا الحديث حجة لمن أثبت صفة

(١) انظر تهذيب الكمال (٢١ / ٣١١) تهذيب التهذيب (٧ / ٤٣٧)

(٢) تهذيب التهذيب (١٠ / ٧١٥)

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٩٤ / ٧) ح (٢٦٩٤٢) ومن طريقه روى ابن حبان في تاريخ دمشق (٣٩٧ / ٧) وقال الهيثمي في المجمع (١٨٥ / ٧) روى أحمد والبراء والطبراني ورجاله . حال الصحيح ، وقال الأئمة في التمهيد للصحيح (١٦) ح (٤٩) إسناده صحيح . وأخرجه الطبراني في كتاب المعجم (٥٢) ح (٣٦) وابن سعد في الإبانة الكبرى (٣٠٩ / ١) ح (١٣٢٩) تحقيق عثمان الأتوبي

وحديثه يثبت هنا أن الذرية السوداء في هذه الرواية من نصيب الكف اليسرى . بيد في رواية عبد الله بن الإمام أحمد التي سبق ذكرها من نصيب الكف اليميني ، والذي يظهر هو أنها من نصيب الكف اليسرى كما في رواية الإمام أحمد والتي فيها بيان الغمط بتدعيم أنها يشهد لها النصوص المكتوبة التي فيها أن أهل السماعة من نصيب اليمن وأهل السماعة من نصيب الشمال ، ثم هي الأئمة والروايات بخصوص الكثرة التي فيها يكرهم اليمن على الشمال والله أعلم

الشمال ليد الله تعالى

٣ وأما قولهم إن وصف إحدى يدي الله تعالى باليمين يدل على أن الأخرى ليست يميناً
مكوناً شيئاً فهو صحيح لو لم يرد في النصوص ما يدل على أن كلتا يدي الله تعالى
يمين^(١)

ولكن مما ينبغي التنبه عليه هنا مما له علاقة بهذه المسألة أن صفات الله تعالى
تتصل بعضها ببعض من بعض ، ولا يلزم من ذلك أن يكون للصفة المفصلة ناقصة أو
معيبة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « والصفة هي الآثار في تعصيل كلام الله ، بل وتعصيل بعض
صفاته على بعض معاده . وقول القائل (صفات الله كلها فاضلة في غاية التمام والكمال
ليس فيها نقص) كلام صحيح ولكن بوجه أنه إذا كان بعضها اتصل من بعض كان
لنصوص معينة متروكاً خطأ منه ، وإن النصوص تدل على أن بعض أسمائه اتصل من بعض ،
وهذا يُقَدَّر دعا الله باسمه الأعظم ، ويدل على أن بعض صفاته اتصل من بعض ، وبعض
أفعاله اتصل من بعض »^(٢)

وقال أيضاً « وإذا علم ما دل عليه الشرع مع العقل واتفاق السلف من أن بعض القرآن
اتصل من بعض ، وكذلك بعض صفاته اتصل من بعض .. »^(٣)

وعلى هذا فلا يرم من قوله ((كلنا يديه يمين)) تساويهما في الفصل ، فإن اليد اليمى
أفضل من اليد الأخرى ، وإلا لما كان لنفسه طين مربة في كونهما عن يمين الرحمن .

فإن شح الإسلام ابن تيمية « وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال
((يمين الله ملائكة لا يقضيها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أتفق من خلق
السموات والأرض فإنه لم يقض ما في يمينه ، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض))^(٤) .
هين ﷺ أن الفصل بيده اليمى ، بالعدل بيده الأخرى ، ومعلوم أنه مع أن كلنا يديه يمين

(١) انظر صفات الله عز وجل الواردة في الكتب والسنن صوري السقا (٢٨٢)

(٢) مجموع الفتاوى ١٧١/٨٩

(٣) مجموع الفتاوى ١٧١/٦٠٣

(٤) مقدم ترجمته عن أبي خزيمة ص ١٧٩ . وفيه بدل ((القسط)) ((اليد)) . ولم أجد في الصحيحين عن
أبي موسى ١٢

فالفصل أعلى من العدل ، وهو سبحانه كلُّ رحمة منه فضل ، وكلُّ نعمة منه عمل ، ورحمته أفضل من نعمه ، وهذا كان المقصود على ماير من سور عن يمين الرحمن ولم يكونوا عن يده الأخرى وجعلهم عن يمين الرحمن تمثيل لهم ، كما فصل في القرآن أهل اليمين وأهل اليمين على أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ، وبكناو. إنما عندهم بعدله ، وكذلك الأحياء والآثار جاء بأن أهل قبضة اليمين هم أهل طبعه ، وأهل القبضة الأخرى هم أهل الشقاوة ^(١) »

(١) مجموع الفتاوى (٩٣/١٧)

المبحث الثاني : ما جاء في صفة الرحمة لله عز وجل

وفيه ثلاثة مطالب :-

○ المطلب الأول ذكر الأحاديث التي قد يؤهم طاهرها التعارض .

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

○ المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يؤول منها ظاهرها التعارض

صفة الرحمة لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع والعقل

أما الكتاب فقد «كرر الله تعالى التمدح بالرحمة مرراً حجة، أكثر من خمسمائة مرة من كتابه الكريم، منها باسمه الرحيم أكثر من مائة وستين مرة، وباسمه الرحيم أكثر من مائتي مرة، وجميعهما للتأكيد مائة وست عشرة مرة...» (١).

وأما السنة فالأحاديث في إثبات هذه الصفة لله تعالى لا تكاد تحصى كثرة، ومنها على سبيل المثال

- ١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش - إن رحمتي غلبت غضبي)) (٢)
 - ٢- حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعوه به في صلاتي، قال: قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)) (٣)
 - ٣- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد خُبتُ نديها نسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فأصغته بين يديها وأرضعته فقال لها النبي ﷺ: ((أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟)) تك. لا، وهي تقدر على أن لا تصرحه، فقال: ((الله أرحم بعباده من هذه بولدها)) (٤).
- وأما الإجماع فإنه متعدد على إثبات هذه الصفة لله تعالى، قال ابن الورير: «وقد أجمع

(١) مقبس من كلام ابن الورير في كتابه إظهار الحق على ملخص، ص (٣٣٠)

(٢) متفق عليه البخاري، كتاب منه الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَكْفَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْظَرْتُمْ بَصَرَهُ﴾

(٣) (١١٦٦/٣) ج (٣٠٢٢)

ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها ميثب عصبه (١٧/٧٤) ج (٢٧٥١)

(٤) متفق عليه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب ما جاء من السلام (١٠٨٦/١) ج (٧٩٩)

ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٣١/١٧) ج (٢٧٠٥)

(١) متن عفيف البخاري، كتاب لأدب، باب رحمة الولد ولغيره (٢٢٣٥/٥) ج (٥٦٥٣)

ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى (٧٧/١٧) ج (٢٧٥٤)

المؤمنون على حسب إطلاق الرحمة على الله تعالى» (١).

وأن العنق ما - فلهذا آثار هذه الصفة من الإحسان إلى المخلوق والإنعام عليهم ، ودفع النقم عنهم شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء (٢).

ويكن مع دلالة الكتاب والنسبة والإجماع والعمل على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى مما هناك أحاديث قد يفهم منها بعض أسس أن هذه الصفة لله تعالى مخلوقة ، وإليك هذه الأحاديث

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول ((إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة)) (٣)

وفي رواية ((جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ، وأرسل جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ، حتى ترفع القوس حافوها عن ولدها خشية أن تصيبه)) (٤)

وفي رواية لـسهم : ((إن لله مائة رحمة أرسل منها رحمة واحدة ، بين الجن والإنس والبهائم والطيور ، فيها يتعاطفون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)) .

٢ - حديث سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((إن لله مائة رحمة فمهما رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة))

وفي رواية أخرى ((إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه

(١) إسناده صحيح على ما في (٣٣٣)

(٢) مظهر مختصر للتصريح (٢/٢٤٨) ، شرح المعية الواسطة للشيخين (١/٢٥٦)

(٣) معق عليه البخاري ، كتاب الترمذي ، باب الرجاء مع الخوف (٢٢٧٤١٥) ح (٦١٠٤)

ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى (٧٥/١٧) ح (٢٧٥٢)

(٤) معق عليه البخاري ، كتاب الادب ، باب حسن الله الرحمة في مائة جزء (٢٢٣٦٠٥) ح (٥٦٥٤)

ومسلم ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى (٧٥/١٧) ح (٢٧٥٢)

الرحمة ((^(١))

بيان وجه التعارض

أهل السنة والجماعة مجمعون على ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات صفة الرحمة لله تعالى ، ومعهم أن صفات الله تعالى غير مخلوقة ، ولكن لما كان حديث ((إن الله خلق الرحمة)) مدحهم معنى فاسداً عند بعض الناس ، وهو كون صفة الرحمة لله تعالى مخلوقة ، وذلك مسبب قوله في أول الحديث ((إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة)) ثم عوله عن شقي من هذه الأمة ((يرحمهم بها عباده يوم القيامة)) وجب التنبه وإزالة ما قد يرد على الأذهان من التليس والإيهام ، أو نوعهم التعارض .

١، اشرح كتاب الترويض بسلم في صحيحه كتاب التوبة ، ص ٧٦٠، ٧ (٧٦٠، ٧)
ح (٢٧٠٣)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

م يتعدى عمل العزم في هذه اسألة مذهب الجميع ، فسلكوا فيها مسلكين هما :

المسلك الأول : أن الرحمة للصاعدة إلى الله تعالى موعان .

أحدهما : مصاف إليه إصافة صفة إلى الموصوف بها كقوله تعالى :

﴿ وَخَشَعَتِ يُوسُفُ عَيْنَهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا مَوْلًى ۖ وَهُوَ كَذَّابٌ ۝١٠٠﴾ ، وقوله حكايه عن ملائكة

﴿ رَبَّنَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ .^(١)

وعنه الرحمة صفة ذاتية لازمة لله تعالى بالنظر إلى أصلها ، وهي صفة فعلية بالنظر إلى

أفرادها وإحاديثها ، لأن الله تعالى يرحم بها من يشاء من عباده ، وكل صفة تتعلق بالشيء

وهي صفة فعلية ، وكلها صفات قائمة به سبحانه

ثانيهما : مصاف إليه إصافة معمول إلى فعله ، ومخلوق إلى خالقه ، وهذه الرحمة ليست

صفة لله تعالى وإنما هي أثر من آثار رحمته التي هي صفته الذاتية الفعلية ، ومن أمثلة هذه

الرحمة قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ تَنْفِثُ بِهِ سَحَابًا مَبْرُورًا ۝١٠٢﴾ وقوله :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا الْإِسْمَاقِيَّةَ رَحْمَةً مِنَّا وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهَا بِإِذْنِ رَبِّكَ فَتَنَّا قُورُونَ ۝١٠٣﴾^(٢)

وقوله ﴿ حِكْمَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ فَالٌ لِلدُّعَاءِ ۖ ((أنت رحمتي أرحم بك من أشياء)) (٣) ،

وقوله ﴿ ((إن الله خلق الرحمة ...)) (٤)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « اعم أن الرحمة منصوبة إلى الله تعالى موعان :

(١) سورة الأنعام آية (١٥٦)

(٢) سورة طه آية (٧)

(٣) سورة الفرقان آية (٤٨)

(٤) سورة هود آية (٩)

٥٠، معن عليه البخاري كتاب الصبر ، باب قوله ﴿ وتقول حق من مرد ﴾ . (١٨٣٦) ج (٤٥٦٩)

ومسمى كتاب دجلة وعبدة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها النار وبها يدخلها الصعداء (١٨٧) ج

(٢٨٤٦)

(٦) انظر شرح كتاب التوبة من صحيح البخاري للشيخ (١٨٥٢) ، منهج الحفاظ ابن حجر العسقلاني في

الطبعة من خلال كتابه فتح الباري لمحمد إسماعيل كثر (٩٣٩/٢ - ٩٤٠)

أحدتهما مصاب إليه إصافة مفعول إلى فاعله .

والثاني مصاب إليه إصافة صفة إلى الموصوف بها .

فمن الأثر قوله في حديث الصحيح ((احتجبت الجنة والنار ..)) مذكر لحديث وجيه

((فقال للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشء)) .

فهذه رحمة مخلوقة معاداة إليه إصافة المخلوق بالرحمة إلى المخلوق تعالى ، وسماها رحمة لأنها

حلت بالرحمة وللرحمة وحسن بها أهل الرحمة وإنما يدعيها الرحماء

ومنه قوله ﷺ : ((خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ...))

وأما قوله تعالى سبحانه عن ملائكته ﴿ يَكُونُ مَعَهُ حُجُجٌ كُتُبٌ وَخِصْمٌ يُعَلِّمُهُمْ ﴾ فهذه رحمة

الصفة التي وسع كل شيء ^(١) .

المسلك الثاني - ما ذهب إليه القرطبي من أن « خلق في قوله ﷻ ((إن الله خلق يوم

خلق السموات والأرض عة رحمة)) معنى قلتر ، واستشهد بقول زهير :

ولأنت مصري من خلقت وبعد
عصر القوم يخلو ثم لا مصري

أي يكثر ، ويكون معناه : إن الله أظهر تقديره لتلك الرحمة ^(٢)

وعلى هذا المعنى يروى الإشكال الذي قد فهم من هذا الحديث .

(١) بدائع الفوائد (١٥٧/٢ ، ١٥٨)

(٢) انظر للعلم (٨٤ / ٢٣٧) ولا يصح هذا القول القرطبي رحمه الله بيب صفة الرحمة لله تعالى ، بل هو يلعب

كما يلعب الأشعره ويهزمهم إلى بلوئي صفة الرحمة لله تعالى ، وإن ذكرت قوله ها بأنه خلق معنى نوبياً ، وهو أن

الخلق يأتي بمعنى المصير ، قال ابن مرس « البدء والخلق والخلق أصلاً استحدث تقدير الشيء » لأعبر ملاحظة

الشيء « معجم ستاديس اللغة (٢١٤/٢) معناه (خلق) ، وأظهر بهذه اللغة للأزهري (٢٦/٧) معناه خلق

المطلب الثالث

الترجييم

الذي يظهر رجحانه ، والله تعالى أعلم ، هو تسلسل الأول وهو التعريف بين موضعين من
الرحمة المصافة إلى الله تعالى :

إحداهما : المصاحبة ، الله تعالى إصابه صفة إلى الموصوف بها .

والثانية : المصافة إلى الله تعالى إصافة مفعول إلى فاعله

وفي يوم القيامة يرحمهم الله عباده بكلا الرحمتين الرحمة التي هي صفة الله تعالى ، والرحمة
التي هي مخلوقة له تعالى

قال المذهب « لا بد أن يستعمل الله تلك الرحمة فيهم ويرحمهم بها سوى رحمته التي
وسعت كل شيء ، وهي التي من صفة دمه ، ولم يرل موصوفاً بها ، فهي التي يرحمهم بها
والدء على الرحمة التي خلقها هم »^(١)

وأما تسلسل الثاني ، والذي ذهب إليه الفرعي وهو أن : خلق بمعنى قسّر ، فإنه يُشكل
عليه أن الحديث جاء أيضاً بلفظ ((جعل الله الرحمة في مائة جزء)) وليس من معاني جعل
التقدير ، وإنما جاء من معانيها : الخلق^(٢) كما في قوله تعالى :

﴿ لَتَسْتَخِفَّنَّ إِلَىٰ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جِئُوا لَكُمْ فَتًى يَنْظُرُونَ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ بَرْنَآفَ وَجَنَدَ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ أَلْفًا مِّنْ ثَمَرًا ﴾^(٤) وقوله تعالى :

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ كُلِّ شَيْءٍ حَظًّا ﴾^(٥) أي خلقت

(١) نقل ذلك عنه ابن حجر في الفتح (١٠/٤٣٢)

(٢) انظر تهذيب اللغة (٣٧٢/١) ، معجم مصابيح اللغة (٤٦٠/١) ، لسان العرب (١١ / ١١) كلها في مادة
(جعل)

(٣) سورة الأنعام آية (١)

(٤) سورة الأنعام آية (١٤٩)

(٥) سورة الأنبياء آية (٣)

المبحث الثالث : ما جاء في علو الله وفوقيته مع

ورود نصوص المعية والقرب

وفيه ثلاثة مطالب :-

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قديمهم ظاهرها التعارض .

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء بتجاه هذا التعارض .

○ المطلب الثالث : شبهات والحوار عنها .

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يؤول فيها ظاهرها للتعارض

الأحاديث في هذه المسألة تتناول ثلاثة أشياء وهي كالتالي .

الأول : علو الله تعالى : والأحاديث في إثبات هذه الصفة لله تعالى كثيرة متنوعة .

أ- ومنها التصريح بعلو الله تعالى ، كما في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما مرض النبي ﷺ امرض ملدي مات فيه جعل يقول : ((في الرفيق الأعلى))^(١) ، فهذا للعلو يتناول جميع مراتب العلو ذاتاً وقدرًا وقهرًا^(٢)

ب- التصريح بالمعوية وأنه تعالى ليس فوقه شيء ، كما في قوله ﷺ ((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء))^(٣)

ج- التصريح بكونه تعالى في السماء ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((ألا تأمنوني وأما أمن من في السماء يأتيه خير السماء صباحاً ومساءً))^(٤) . وكما في بقره ﷺ للحدادية حين سألهما بقوله . ((أين الله ؟)) قالت : في السماء قال ((من أما ؟)) قالت : رسول الله قال . ((أعثفها لينا مؤمنة))^(٥) .

والسماء تطلق لعمري على العلو والارتفاع كما يطلق على السماء المعروضة - والتي هي سقف الأرض - فإن أحاديث على المعنى الأول فالأمر ظاهر ، وإن حملناه على المعنى

(١) كسرحة البخاري كتاب الصبر باب مرض النبي ﷺ رواه (١٦١٣/٤) ح (٤١٧٢)

(٢) وقد جاء هذا اللفظ أمي العلو في عدة أحاديث ، انظر مثلاً البخاري كتاب الصوم ، باب ثوبه في الصلاة

من استترق السبع فأنشأ شهاب شيب (١٧٣١/٤) ح (٤٤٢٤)

وكتاب الجهاد ، باب ما يكره من القتال والاصلاح في الحرب (١١٠٥/٢) ح (٢٨٧٤)

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب ال كبر والقداء ، باب ما يقول عند الصوم (٣٩١/٧) ح (٢٧١٣)

(٤) متفق عليه البخاري كتاب الصبر ، باب بحث علي من أبي طالب وحاله من الوليد ، بل ليس (١٥٨١/٤) ح ، ٩٤ ، ١٤ ، ومسلم كتاب الزكاة ، باب ذكر أموال زوجاتهم (١٦٨/٧) ح (١٠٦٤)

(٥) أخرجه مسلم من حديث معاوية بن الحكم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة (٢٢/٥) ح (٥٣٧)

الثاني كانت ((في)) بمعنى ((على)) وهذا جائز في اللغة ، ونظيره قوله تعالى حكاية عن
مروء بن وهب **﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى مَنْ مَلَأَ النَّاسُ﴾** أي على جموع النمل

د - التصريح بطله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، كما في حديث أبي هريرة **﴿أن رسول الله ﷺ قال : (يُرسل ربه تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)﴾** ^(١) ، والروايات المذكورة عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى أسفل .

هـ - إخباره **﴿بأنه يبعث الأرواح وصعودها وارتدادها إلى الله تعالى ، لأن الأرواح والصعود والارتفاع لا يكون إلا من كان في العلو**

- من إخباره **﴿بأنه يبعث الأرواح لأشياء إليه ما جاء في حديث أبي هريرة **﴿أن رسول الله ﷺ قال : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)﴾** ^(٢) .**

- ومن إخباره **﴿بأنه يصعد الأشياء إليه ، ما جاء في حديث أبي هريرة **﴿أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبا كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل)﴾** ^(٣)**

- ومن إخباره **﴿بأنه يرفع ما راع الأشياء إليه ما جاء في حديث أبي موسى **﴿أنه قال : قام بينا رسول الله ﷺ خمس كلمات فقال : (إن الله ﷻ لا يسم ولا ينهي له أن يسم ، ينقض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ،****

(١) سورة طه ، آية (٧١)

(٢) متفق عليه البخاري كتاب التهجيد ، باب الدعاء والصلوة من آخر الليل (٣٨١٠) ح (١٩٤)

ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب التوسيع في الدعاء والذكر في آخر الليل (٧٨٢٦) ح (٧٥٨)

(٣) متفق عليه البخاري كتاب مناقب الصلاة ، باب فضل صلاة العصر (٢٠٣١) ح (٥٣)

ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الصبح والعصر (١٣٨/٥) ح (٦٣٢)

(٤) متفق عليه البخاري كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى **﴿يُتَرَفَّعُ مَلَكُوكَ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾** (٢٦٦) ح (٢٧)

ج ، ٦٩٩٢ ، ومسلم كتاب الركة ، باب قول الصادق من الكتب الطيب (٢١٧) ح (١٠١٤)

حجابه النور - وفي رواية البار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))^(١)

و الإشارة الجمعية ، الله تعالى في علو كما جاء ذلك في حديث جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال في حجة الوداع : ((وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون)) قالوا : تشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة يرفعهما إلى السماء ويكفيها إلى الناس ((اللهم أشهد ، اللهم أشهد)) ثلاث مرات^(٢)

والثاني - ما رواه أحاديث هذه المسألة - معينه تعالى طلقه كما في قوله ﷺ في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . ((أربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصم ولا غالياً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم))^(٣) .

والثالث : قربه تعالى وذنوه من عباده ، ومن أمثلة ذلك :

- ما جاء في حديث أبي موسى رضي الله عنه - السابق ((إنكم تدعون سميعاً قريباً)) وفي رواية مسلم ((والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحته أحدكم))

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ ((يقول الله تعالى : أنا عبد ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ غير منهم ، وإن تقرب إلي شيراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه بائعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هولة))^(٤)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه - أيضاً - أن رسول الله ﷺ قال : ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء))^(٥)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ قال : ((ما من يوم أكثر من أن

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب قوله عليه السلام ((يا أيها الله لا يحيط)) (١٦/٣) ج (١٧٩)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (٤٢٠/٨) ج (١٢١٨)

(٣) متفق عليه البخاري كتاب الدعوى ، باب حروء غير (١٥٤١/٤) ج (٣٩٦٨)

ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٩/١٧) ج (٢٧٠٤)

(٤) متفق عليه البخاري كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ((وسأذكرنكم بأنفسن)) (٢٦٩٤/٦)

ج (٦٩٧٠) ومسلم كتاب الذكر والدعاء ، باب لمحت على ذكر الله تعالى (٥١/١٧) ج (٢٦٧٥)

(٥) أخرجه مسلم كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٤٥/٤) ج (٤٨٢)

يعنى الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ (١)

(١) انظر جده مستم : كتاب الحج ، باب فصل الحج والمعتمر ويوم عرفة (١٢٥/٩) ح (١٣٤٨)

بيان وجه التمازج

لما أخبر الله تعالى أنه في العلو وأنه قريب من عباده ، وأنه مع خلقه أينما كانوا ، أشكل ذلك على بعض الناس فافترقوا على أربع فرق :

(١) فرععت طائفة - وهم معتلة الجهمية^(١) - أن الله تعالى لا هو ، داخل العالم ولا خارجه ، عدم ولا هو ، ولا تحت .

فهم بهذا يتكلمون المتعصبين كلها ولا يأخذون بشيء منها ، وإنما يصنعون الله تعالى بالعدم المخلص ، ولذلك قال ابن المبارك فيهم : « الجهمية خارجون عن الثلاث والسبعين فرقة »^(٢)

(٢) ورعيت طائفة أخرى كالتجارية^(٣) وحلولية الجهمية من عبادهم وصوتيتهم - أن الله تعالى في كل مكان ، بدنه^(٤) ، ويسئلون على ذلك بخصوص المعية والقرب ، ويشأولون بخصوص العلو والاستواء

فهؤلاء تركوا ، بخصوص الكثيرة من الحكمة الميعة ، واعتلقوا بخصوص قليلة اشبهت عليهم معانيها .

(١) الجهمية هم أتباع جهم بن صفوان وهو من الجعرة مخالصة حيث زعم أنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأفعال إلى الخدم من غير سبيل لها ، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الإيمان لا ببعض ولا بأكمل فعله فيه . وقال كما قال النعمانية يعني المتعصبين أنزل الله تعالى ربه عليهم بأشياء ظهرت بدنه بزمده وقتله مسلم بن حرزك بن حمزة في آخر ملك بني أمية (انظر معالاب الإسلاميين وأبي حنيس الأشعري ٣٨١٢١٤ ، الفرق بين الفرق للبخاري (١٩٠) أصول الدين للبخاري أيضاً (٢٢٣) التلويح والتلويح للشهرستاني (٨٦١))

(٢) انظر نسخة ابن أبي عمير في الإسلام أحمد (٩/١) الإمامة لأبي داود (٥٦/٢) صحيح مسلم (١٠٠) يوسف القوامي فيهم

(٣) التجارية هم أتباع حنيس بن حنبل النخعي مدني سنة (٢٢٠) ، وهم فرق شتى أشهرها النخعونية والزعفرانية وكثرة من الزعفرانية ويجمع هذه الفرق ثلاثة أشياء : القول بحدوث كلام الله تعالى ، وبني عباده الأربعة وإحالة رؤيته بالأبصار ، فهم بهذا يوافقون النعمانية في هذه الأصول الثلاثة

وأما في الإيمان فيجمعهم القول بأن الإيمان هو المعرفة بما لله تعالى وبرسله ومراقبته التي أجمع عليها المسلمون ، والخصم له والإقرار بالنسب من جهل شيئاً من ذلك بعد قيام الحجة به عليه أو معرفته أو بغيره فقد كفر وانظر معالاب الإسلاميين (٢٠٦١ - ٣٤) الفرق بين الفرق (١٩١ - ١٩٢) أصول الدين (٣٣٤) التلويح والتلويح (٨٨/١ - ٩٠)

(٤) انظر التلويح والتلويح للشهرستاني (٩٠/١) أيضاً مجموع الفتاوى (١٧٢/٨)

و كما قيل: مكسمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتصورة الجهمية يعبدون كل شيء ، وذلك لأن الخلق أغلب على عباد الجهمية وصوغتهم وعاسيتهم ، والعبي والتعظيم أغلب على عقاربهم ومكسيتهم

(٣) وررعت ثلاثة ثالثة من أهل الكلام والتصوف كأي معاد التومسي (٤) أن الله تعالى فوق العرض وهو في كل مكان بدنه

فهؤلاء يدعون التمسك بالنصوص كلها ، ولكن كما قد شيع الإسلام ابن بيمية « من قال: إن الله بدنه في كل مكان فهو محالف لكتاب والنس وإجماع سلف الأمة وأئمتها مع ثلاثته لا قصر الله عليه عباده ، ولصريح للعقول وللأدلة الكثيرة » (٥)

(٦) وذهب ثلاثة رابعة - وهم سلف الأمة وأئمتها - إلى الإنكار بجمع ما جاء به الكتاب والفلسة من غير تحريف لكم عن مواضعه ، فأنبتو أن الله فوق سمواته على عرشه باني من خلقه ، وهم يأنون منه ، وهو أيضاً مع العباد عمومياً بعينه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالهصر والتأييد والكفاية ، وهو أيضاً قريب بحسب

وكان النبي ﷺ يقول: (اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل) (٧) وهو مع المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه ، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مخلطة بذواتهم كما قال بعض (٨) *لَمْ يَخْلُصْ مِنْ دَوْلِ الْفُتُو وَالْبُيُوتِ* (٩) أي على الإيمان لا أن ذاته في ذاتهم بل هم مصاحبون له (١٠)

وسنرى هذا القول تفصيلاً وبياناً فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

(١) انظر مقالات الإسلاميين (٣٥١/١)

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٥٠)

(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر في كتاب الحج (١١٨/٩) ج (١٣٤٢)

(٤) سورة الفتح آية (٢٩)

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٧/٢) (١٢٢٧/٥، ١٢٢٧/٦، ١٢٢٧/٧)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

أجمع أهل السنة وجماعة على مدح واحد في هذه النصوص - أعني بخصوص علو والعوقية وخصوص القرب والمعية - وهو مدح الجمع فلا يحصر عددهم بين هذه النصوص وإنما أتى هذا المذهب من نفي بسبب فيهم الخلق بالخلق ، وهذا أمر باطل لأن الله تعالى لا شبه له في ذاته ولا في صفاته

فأهل السنة وجماعة يُسَوِّدُ الله تعالى العلو والعوقية ، وكذلك القرب والمعية ، ولا يرون في إثبات هذه الصفات تشبهه لله تعالى آدمي ناقص فإن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وفيما يلي الكلام على كل صفة من هذه الصفات على حدة
أولاً : صفة العلو والعوقية . دلَّ على إثبات هذه الصفة لله تعالى الكتاب والسنة والإجماع والعقل والمنطق .

أما الكتاب فهو مليء بالآيات المتنوعة دلالة على علو الله تعالى وموقنته حتى نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض أكابر أصحاب الشافعي قوله « في القرآن ألف دليل أو يزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق ، وأنه فوق عبادته » (١) .

وابن كثير يمدح من أنواع الأدلة الدالة على علو الله تعالى
الأول . النصريح بالعلو ، كقوله تعالى على جميع مراتب العلو ذاتاً وقترأً وشرعاً كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَلِيمُ ﴾ (٢) .

الثاني . النصريح بالعوقية مقروناً بمادة ((من)) المعية للعوقية بالدات كقوله تعالى ﴿ يَتَكَلَّمُونَ مِنْهُ مِنْ هَوْنٍ ﴾ (٣)
الثالث . النصريح بالعروج إليه نحو ﴿ تَرْجِعُ الْمُلُوكَ مَكِيدَةً الرَّحْمَنُ إِلَيْهِ ﴾ (٤) .

(١) مجموع الفتاوى (١٢١٠٥)

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٥)

(٣) سورة النحل آية (٥)

(٤) سورة النجم آية (٤)

أربع . التصريح بالصعود إليه كقوله تعالى ﴿لَا تَصْعَدُ الْكُلُومُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)

الخامس التصريح بالامتواء معروفاً بأداه ((على)) مختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات ، كما في قوله تعالى :

﴿لَا تَدْرِي لَكَ لَهُ الْوَيْسُ لَقَدْ اسْتَوْتُوا الْأَرْضَ مَرَّةً وَسُقْيَا فَرِثُهُمْ أُسْوًى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢)

السادس التصريح بسريل الكتاب مع كونه تعالى ﴿بِرَبِّهِ الْكِتَابِ مِنْ لَدُنْهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣)

- وأما دلالة الـ « على علو الله تعالى فقد سبقنا الإشارة إلى مدح كثرة في ذلك ، مما يعني عن إعادتها ، وقد جاءت تلك النصوص دالة على علو الله تعالى بالقول والفعل والإقرار

أما القول ، فكما في قوله ﷺ ((ألا تأملوني وأنا أمين من في السماء)) .

وأما الفعل ، فكما في إشارته ﷺ بإصبعه السبابة إلى الله تعالى في العلو

وأما الإقرار ، فكما في إقراره ﷺ للحجرات حين سأها : ((أين الله ؟)) قالت : في السماء .

- وأما دلالة الإجماع على علو الله تعالى فقد نقل عدد كبير من أهل العلم الإجماع على علو الله تعالى وبذلك نقولهم في ذلك

قال الأزرعي . « كنا والشافعية متوافرون نقول . إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونظمنا ما وردت المسألة من صفاته جل وعلا »^(٤) .

وقال سفيان بن عمار الصنعبي ، وقد ذكر عنده الجمهية قال : « هم شر قولاً من اليهود والنصارى ، وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش ، وقالوا هم : ليس على العرش شيء »^(٥) .

(١) سورة طه آية (١٠)

(٢) سورة الأعراف آية (٥٤)

(٣) سورة طه آية (٢) وللمزيد الاطلاع انظر شرح المفاتيح المجلد (٣٨١ - ٣٨٦)

(٤) انظره في السمعاء والصفات (٣٠٤/٢) وانظر في « العلو » ص ١٣٦ ، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في التلخيص (٣٩٤) وفي القديم كما في اجتماع جيوش الإسلامية ص (١٣١) ، وقال في مختصر المصنف (٤١٤/٢) « ورواه كلهم نعمة نقاب »

(٥) انظر مجموع الفتاوى ، ٥٢/٥ ، اجتماع جيوش الإسلامية (٢١٥) ، انظر لدمي (١٥٨) .

وقال إسحاق بن راهويه « قال الله عز وجل ﴿ أَرَأَيْتُمْ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوًى ﴾ ^(١) إجماع أهل السنة نه فوق عرش سوى، ويعلم كل شيء، أسفل الأرض السابعة ^(٢) »
وقد قبية بن سعد « هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة يعرف ربنا سبحانه بأنه في السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى ﴿ أَرَأَيْتُمْ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوًى ﴾ ^(٣) »
وقال عثمان بن سعيد الدارمي « قد تعفب الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء ^(٤) »

وقال ابن بطة « وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين ، أن الله نذرنا تعالى على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ^(٥) »
وقال أبو عمر الظلمكي « أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته » وقال أبنا « أجمع أهل السنة على أن الله على العرش على حقيقته لا على بشار ^(٦) »

وقال أبو عثمان الساجي « وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه ، وعرشه فوق سمواته ^(٧) »
وقال ابن عبد « مرفوعاً عن حديث السرو « فيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة ^(٨) »

وقال سعد بن علي مرغاشي « وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى ﴿ سُبْحَانَكَ يَا أَعْلَى ﴾ ^(٩) ، وأن الله علو العلية والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو ، لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل ، فثبت بذلك أن الله علو السموات

(١) سورة طه: ٥٠

(٢) انظر: درر المعين والنبيل (٦٦٠/٦) ، إجماع الجيوش الإسلامية (٢٢٦) ، العلو للذهبي (١٧٩)

(٣) انظر: درر المعارف (٣٦٠/٦) ، إجماع الجيوش الإسلامية (٢٣١) ، العلو للذهبي (١٧٤)

(٤) نقض الإمام أبي سعيد علي بن أبي شيبة المصنف (٢٢٨/١)

(٥) المنصور من الإئمة من شريعة الفرقة الناجية (١٣٦)

(٦) انظر: درر المعارف (٦/٢٥٠) ، إجماع الجيوش (١٤٢) ، العلو للذهبي (٢٤٦)

(٧) عقيدة المسلم والمسلمة الحديث (١٧٦)

(٨) التمهيد (١٢٩/٧)

(٩) سورة الأعلى (١٠)

وعلو الصفات وعلو ثقله والعلية ، وجماع المسلمين وسائر خلقه قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله حين شأه من جهة فوق في الدعاء والسنن ، وسماعهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق حجة ، ولم يستحجر أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق ^(١)

وقال الإمام إسماعيل بن محمد شيبسي : « وقد أجمع المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى وعظم بدنه المراتب .. وعند المسلمين أن الله عز وجل علو العلية ، وعلو من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح فثبت أن الله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعسو الثقل والعلية » ^(٢)

وقال ابن قدامة بعد ما ساق شيئاً من أدبه العموم : « عهد وما أسبغه مما أجمع السلف رحمهم الله على ثقله وقوته ، ولم تعرضوا لردّه ولا تلويحه ولا تشبيهه ولا ثقله » ^(٣) . وقال أيضاً : « أثبت الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووضع بذلك رسوله محمد خاتم الأنبياء ، وأجمع القول على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء وتواتر الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين ، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين وجعله معروفاً في طباع أخلق أجمعين » ^(٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية : « وقد دخل مما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عني على خلقه » ^(٥)

وقال اندمجي : « مقامه السلف وأئمة السنة بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون : أن الله عز وجل في السماء ، وأن الله على العرش ، وأن الله فوق سمواته ، وأنه يبرئ إلى السماء الذليل . واحتجهم على ذلك المصوص والآثار » ^(٦)

(١) انظر إجماع مخيرين للإسلامية (١٩٢)

(٢) انظر إجماع مخيرين للإسلامية (١٨٢)

(٣) لمة الاعتقاد بشرح المشير (٦٥)

(٤) صفة العلو لابن قدامة ص (١٢)

(٥) العقيدة الواسطية بشرح إعراس (١٩٣)

(٦) العلو (١٤٣)

وأما المأثور عن سبع هذه الأئمة في إثبات هذه الصفة لله تعالى ، فلا يكاد يحصى كثرة ،
وسنذكر فيما ذكره من الإجماعات ثمانية وكافية .

— وأما دلالة العقل على علو الله تعالى فمن وجهين

« الوجه الأول » أن العلو صفة كمال والله تعالى لا نسب له كمال صفات الكمال موجب
إثبات العلو له سبحانه

الوجه الثاني . « لم يكن عالياً وإنما لم يكن تحت أو مساوياً ، وهذه صفة بعض ، لأنه
يستلزم أن تكون الأشياء فوقه أو مثله ، فزعم ثبوت العلو له

— وأما المقصود فلا أحد ينكرها ، إلا من انحرف فطرته ، فكل إنسان يقول يا الله !
يتجه فيه إلى السماء لا يصرف عنه بما ولا يسره لأن الله تعالى في السماء »^(١)

يذكر أن جعفر الميماني حصر مجلس الأساد أبي الفعالي الجويني وهو يتكلم في بعض
صفة العلو ويقول ، « كذا الله ولا عرش وهو الآن على ما كان » فقال الشيخ أبو جعفر .

« نعم يا أساد عن هذه الضرورة التي خلقها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط . يا الله إلا
وجد في قلبه ضرورة مطلب العلو لا يلتصق بما ولا يسره ، فكيف يمنع هذه الضرورة عن

أنفس ؟ فلعنم أبو الفعالي عن رأسه ورأس وفان « حيزي الميماني ، حيزي الميماني »^(٢)
قال بن حنبل « ولأسم كلها — عربيها وعجميها — تقول : إن الله تعالى في السماء ما

مركب على فطرها ، ولم تُقل عن ذلك بالتعليم »^(٣) .
وقال أبو الحسن الأشعري « وأما المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء

لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلو لا أن الله عز وجل على
العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش »^(٤) .

وقال بن عبد البر « ومن الحاجة أيضاً في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع
أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم يرفعون أيديهم نحو العرش ويضعونها على

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨/٢)

(٢) مظهر شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٠) ، مجموع الفتاوى (٦١/٤)

(٣) تأويل مختلف الحديث (٢٥٢)

(٤) الإيضاح عن أصول الفقه (٩٦)

لسماء يستعبر - ربهم باركاً ومعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند خاصة والعامة ، من أن جناح فيه إلى كثر من حكمة لأنه اضطرر لم يؤيدهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم^(١) وأخيراً قد شغى الله عليه أصفة العلو لله تعالى لا محتاج إثباتها إلى كثير أدلة لأن إثبات هذه الصفة قد تعالى قدره وغيبته معززة في القوس كمتضام لا يتبادل فيها إلا مكاناً أو محرف القطرة ولا عره بهما ، ولكن لما كثر التباس على النفس من ريس لهم الشيطان سوء أعمالهم احتاج أهل العلم إلى حشد النصوص الكثيرة في هذه مسألة من الكتاب والسنة وما أثر عن سلف هذه الأمة - فصموا المصداق العديدة للفرقة في إثبات هذه الصفة لله تعالى^(٢) والله المستعان .

ثانياً : صفة الهيبة . دل على إثبات هذه الصفة لله تعالى الكتاب والسنة

فما الكتاب . ففي مثل قوله تعالى :

﴿ مَا يَكُونُ لَكُمْ مَعَهُ أَنْ يَقُولَ أَفَهُوَ سَاوِيٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا تُؤَمِّنُون ﴾

فما كونه عز وجل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾^(٣)

وأم السنة ففي مثل قوله ﷺ : ((أرهبوا على أنفسكم !كم لا تدعون أصم ولا غائباً !كم تدعون سميعاً قريباً ، وهو معكم))^(٤)

وهذه الآية لا توجب حلولاً ولا خلاطاً ، ولا سائي عبو الله تعالى ، لأن معانها بإجماع أهل العلم^(٥) العلم والإحاطة ، أي أن الله تعالى معاً يعلمه وإحاطته ، وهي عند أهل السنة والجماعة على نوعين .

أحدهما معية عامة أي . مع الخلق كلهم ، ومثلاً ما سبق من قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ ومقصى هذه لفظة العلم والإحاطة والقدرة والسلطان .

ثانيهما . معية خاصة بأسيائه وأوليائه ، ومثلاً قوله تعالى

(١) التوبة (١٢٨/٧)

(٢) نظر مثلاً العز لا في نسخة المصنف بل في نسخة المصنف الإسلامي لا في نسخة

(٣) سورة الحديد آية (٦)

(٤) سورة الحديد آية (٤)

(٥) سبق شرحه ص ١٩٠

(٦) سنن أبي داود ذكر من حسن الإجماع ص ٢٠٧

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَذْهِبَ الْبَنِينَ أَتَنْتَحُونَ﴾ (١) وقوله عز وجل ،

﴿إِن تَقْعُدُوا نَاجِثِينَ فَإِنَّ تَحْقُقَ الْبَنِينَ أَتَنْتَحُونَ﴾ (٢) ومقتضى هذه الآية : البصرة والإعانة والتأييد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « لفظ تنحية في اللغة - وإن اقتضى الجمعة والتسوية والتأيد والمقدرة (٣) فهو ذا كان مع العباد لم ياب دلت عبده على عرشه ، ويكون حكم معيه في كل موطن حسه ، ومع الحق كلهم بالعلم والقدر والسلطان ، ويخص بعضهم بالإعانة والتأييد (٤) » ، وهذه اللفظي تسعة هي قول أهل اللغة أيضاً (٥) .

ثالثاً - قرب الله تعالى من عباده . دل على إثبات هذا القرب الله تعالى الكتاب والسنة . أم الكتاب فهي مثل قوله تعالى ﴿وَلَوْ سَأَلْتَهُ لَكُمُ مَكْرَهُ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَقْرَبُونَ﴾ (٦) وأما السنة فهي مثل قوله ﷺ ((والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عرق راحلة أحدكم)) (٧) ، وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ((وإن تقرب إلي شراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً)) (٨)

وهذا القرب الذي وصف الله تعالى به نفسه ووضع به رسوله ﷺ لا ينبغي علو الله تعالى بل هو تعالى بجماع اسلاف قريب في علوه تعالى في قربه ، لأنه تعالى ليس كشيء وهو السميع البصير

قال ابن القيم « وإن عسر على فهمك اجتماع الأمرين فإنه يوضح ذلك معرفة إحاطة قرب وسعته وأنه أكثر من كل شيء وأن السموات السبع والأرضين في يده كخردلة في كف الجيد ، وأنه يقص سمواته السبع بيده والأرضين باليد الأخرى ثم يهرس ، فمن هذا

١. سورة القدر آية (٤)

(٢) سورة النحل آية (١٢٨)

(٣) انظر تكملة التلخيص (٢٤٨/٣) مادة (ع) ، تاج العروس (٢٢ / ٢٦) مادة (ع) ، صان العرب (٣٤٠/٨) مادة (مع)

(٤) شرح حديث الشرايط (٣٦) ، منظر مجموع الفتاوى (١٢٦/٥) ، مختصر القصار (٤٥٦/٢) ، ولقد على الترياق والمهمة للإمام أحمد (٩٥ - ٩٧) مطبوع حسن كتاب عقائد السلف للشيخ

(٥) فتلز تاليف اللغة (٢٤٨/٣ ، ٢٤٩) مادة (ع) ، تاج العروس (٢٢ / ٢٦ ، ٢١) مادة (مع)

(٦) سورة البقرة آية (١٨٦)

(٧) سبق شرحه من (٩٧)

(٨) سبق شرحه من (١٩٧)

شأنه كيف يعبر عنه الله عن يريده الله منه وهو على عرشه ، وهو يوجب ذلك فهم اسمه الظاهر والباطن وتعلم أن المتصور الذي هو رسول الله ﷺ هذين الاسمين هو المتصور الحق عطايا لكونه بكل شيء محيط وكونه فوق كل شيء » ^(١)

بقي أن نعلم هل قرب الله تعالى للورد في الكتاب والصفة يكون بقرب العبد إليه فكلمة قرب منه العبد كان الله تعالى قريباً منه بالضرورة كمن قرب إلى مكة فإنها تكون قريبة منه بالضرورة دون أن يلزم منها حركة أم أن المراد بقرب الله تعالى قربيه بعلمه وفطرته وتربيته من جميع خلقه - أم أن المراد بقربه تعالى : قربيه بنفسه

أما الأول فيحلل إجماع بين أهل السنة بل هو قول كل من يشأ أن الله تعالى فوق العرش حتى من غير أهل السنة ، قال الإمام الغزالي : « من يأمر الله فوق عرشه فوق سمواته علم يقين أن رأس العرش أقرب إلى الله من أسفله ، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله تعالى من السادسة ، والسابعة أقرب إليه من الثامنة ثم كذلك إلى الأرض . وقرب الله إلى جميع خلقه أوصافهم وأديانهم واحد لا بعد عنه شيء من خلقه ، وبعض الخلق أقرب من بعض على عوالمهم من أمر السموات والأرض . وكذلك قرب الملائكة من الله ، فحاملة العرش أقرب إليه من جميع الملائكة الذين في السموات ، والعرش أقرب إليه من السماء سبعة ، وقرب الله إلى جميع ذلك واحد ، هذا معقول مفهوم لا بعد من لا يؤمن أن فوق العرش بقاء » ^(٢) .

وقد شجح لإسلام ابن تيمية : « وقربه من قلب الداعي : له معنى متعلق عليه بين أهل الأديان الذين يقولون : إن الله فوق العرش ، ومعنى آخر فيه سراع ^(٣) فالمعنى المتعلق عليه عندهم يكون بقرينة حسب الداعي إليه ، كما يقرب إليه قلب الساجد كما ثبت في الصحيح ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)) ^(٤) ، فالساجد يقرب الرب إليه

(١) مختصر الصواعق (١٢٨/٢) ، وانظر (٤٦٠/٢)

(٢) شفا على الترمذي (٤٠٤/١)

(٣) وهو الثالث التي مر بها

(٤) سبق عركته ص ١٩٧

يسوق قلبه من ربه ، وإن كان يده في الأرض ، ومنى قرب أحد الشئيين من الآخر صار
لآخر إليه قريباً بالضرورة ، وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تفرك يده ، كما أن من قرب
من مكة ، قرب مكة منه ^(١) .

وقال أيضاً : « أملي نسمة وخماعة يسوق أن الله على العرش وأن حملة العرش أقرب إليه
من دونهن ، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إلى الله من ملائكة السماء الثانية ، وأن النبي
ﷺ إذا غرغ به في السماء صار يرداد قريباً إلى ربه بعروجه وصعوده ، وكان عروجه إلى الله
لا إلى مجرد من خلقه ، وأن روح مصلي تقرب إلى الله في السجود وإن كان يده
متواصلاً ، وهذا هو الشيء ذب عليه بخصوص الكتاب » ^(٢) .

وقال أيضاً : « فقرب الرب من قنوب المؤمنين وقرب قلوبهم منه أمر معروف لا يحفل
بأن القلوب تصاح إليه متى قدر ما فيها من الإيمان والمعرفة والذكر والخشية والتوكل ،
وهذا متفق عليه بين الناس كلهم » ^(٣) .

وإنما المعنى البشري وهو أن المراد بقرب الله تعالى قرب به بعبده وعبده فمحفل إجماع أيضاً
من أهل السنة والجماعة وغيرهم من الطوائف إلا من ينكر علمه القديم من القدرية لأولى ^(٤)
وغيرهم

(١) شرح حديث الترمذي (٣٧٦)

(٢) مجموع الفتاوى (٧٠٦) بتصرف يسير

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٣٠٥)

(٤) القدرية : تقسم القدرية المعتدلة إلى فرقتين

١ - القدرية الأولى أو المعتدلة : وهم الذين يذكرون من علم الله بالأشياء قبل وجودها ويعتقدون أن الله لم يخلق الأمور
أولاً ولم يخلق علمه بها ، وإن ياتسبب علمه حال وقوعها

٢ - القدرية الثانية : وهم الذين يقدرون بتسليم علم الله قبل وأعمال قلبه قبل وسمعه ، لكنهم يبالغون في زعمهم
أن أعمال العباد ليست محبوبة لله تعالى ولا مقبولة له ، وأن العباد هم الموصون والمخلصون لأعمالهم وأعمالهم على جهة
الاستعجال وهذا المذهب هو الغالب عليهم الآن

١٠ - من أظهر بدعة المذاهب : أنه يزعمه كثير من المعتدلين عند الجمهور ثم بعد ذلك ظهرت البعثة فذهب هذه
البدعة وبسرها ، وإن كانت لم تأخذ هذه البدعة بكناسها لأنها أسب بعلوم الله بالتقدم ، كتاب التسمية (انظر مستم
بشرح السيوطي) (٢٦٩٠٦٥٩) (انظر من العرب ، ٢٥) (مجموع الفتاوى (٤٢٩٠٤٥٠١٨) (توضيح الأصول)

(١ - ٢ - ٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . « قربه الذي هو من لزوم ذاته مثل العلم والقدره ، صلا
رب أنه قريب بعلمه وقدرته وتديره من جميع مخلقه م يرل بهم علماً وم يرل عليهم قادراً
هذا مذهب جميع أهل السنة وعمدة الفتاوى إلا من سكر عمدة القديم من القدرية والرافضة^(١)
وموهم ، أو سكر قدره على الشيء قبل كونه من الرافضة والمعتزلة^(٢) وغيرهم »^(٣) .

وأما معنى الثالث وهو كون المراتب بفرده . قربه بمعنى قبه قولان لأهل السنة حكاهما
شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه قال بعدما ذكر أن أهل السنة والجماعة يشتون قرب الله تعالى
إلى لعباده بتعريفهم بأنه قال « ثم قرب الرب من عبده هل هو من لزوم هذا القرب كما
أن القرب إلى السي ، لساكن كاليب الخجوج واخدر وانجل كلما قربت منه قرب مثل
؟ أو هو قرب آخر بعلمه القرب كما أنك إذا قربت إلى شيء المتحرك إلتك تحرك أيضاً
إلتك ، فمثلك فعل ومنه فعل آخر ، هذا فيه قولان لأهل السنة »^(٤)

(١) الرافضة اسم يطلق على كل من رفض الله المبعوثين أي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان سبب هذه
التسمية ودول الظهور لله ما صرح به ابن عبيد بن راسم في أوائل ثلاثة الآيات في خلافة هشام بن عبد الملك اليم
التيمة فسقوه من بني بكر وحمر رضي الله عنهما قولهما وتر سم عبيهما فسمه تدم منهم فقال رخصتموني
رخصتموني فسرو الرافضة وقد عرفت الرافضة بعد ذلك إلى أربع فرق ريدية وإمامية وكهسالية وعلافة وانفردت
هذه الفرق إلى فرق أخرى كثيرة

ومن عتاد الرافضة أن يقرب الله من عبده على اختلاف علي بن أبي طالب مائمه وأظهر ذلك وأعلمه وأن أكثر
الصحابة صلوا بهم وهم الإثني عشر بعد وفاة النبي ، وأن الإمامة لا تكون إلا بسن وموصف الخ وانظر معاللات
الإسلاميين (٨٩٠١) الفرق بين الفرق (٢٩) مجموع الفتاوى (٢٥/١٣)

(٢) علمية حركة من الفرق الثلاثة من رؤوسها ومؤسسيها ومنزل بن عطاء وعمر بن عبد معتمد بنى صعب الله
عادل الأرية وعدم ادعاه ، وأن صاحب الكيزه في الدنيا في مرفة بين المرفقين وفي لأصروه حالك عند في النار ، وفي
باب المير يعتقد أصحاب القدرية امتناع أن الله غير حائق لأعمال العباد وأن العباد هم المخلقون لله على جهة
الاستعانة

فيل في نسبة تسميتهم بالمرتدة ، أصل بن عطاء كان من مناصبي محسن البصري صنف حال والمعتزلة بين
المركبين علم جالب الحسن البصري ، ومرتدة عن الله به فعل عند سارية من سوارتي للسهل والنقص إليه عريه في
الخلافة بعمر بن عبد فعال الناس يومئذ مهمما أنهم قد انصرفوا قول الأمة وسمي كمالهم من يومئذ معرفة البصري
مقالات الإسلاميين (٢٩٨ ٢٣٥/١) الفرق بين الفرق (١١٢ ١١٦) الإرشاد إلى توافيق الأدلة في أصول الاعتقاد
لشعوبي (٧٩) الثقل والمحل (١٣/١ - ١٦)

(٣) مجموع الفتاوى (١٣٠٦) وانظر شرح حديث البرول (٣٦٥)

(٤) مجموع الفتاوى (٨/٦)

وقال أيضاً : « وأما أهل السنة فهم مع التحلي ^(١) والظهور تقرب ذات العبد إلى ذات ربه ، وفي جوار ذوات الله الأقوال » ^(٢)

ويهدى بين أن زيات قرب الله تعالى بنفسه فيه قولان لأهل السنة

القول الأول : أن الله تعالى يقرب نفسه وإلى هذا مال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما رحمه الله تعالى ، قال شيخ الإسلام : « وأما قرب العبد قريباً يقوم به بنفسه فاعلم بنفسه عهد سببه فكلاية ^(٣) ومن مع قديم لأفعال الاختيارية بدائه ، وأما المسبب وأتمه الحديث ونفسه فلا يجمعون ذلك وكذلك كثير من أهل الكلام

مرويه كل ليلة بن السماء المذبح ومروله عشية عرفة . . . وهو ذلك . هو من هذا الباب ، وهذا حد الرسول بأنه بن السماء الدنيا ، وكذلك تكليمه لموسى للقليل ، فإنه لو أريد مجرد تقرب الخجاج وقوام القبل إليه لم يخص بروله بسماء الدنيا ، كما لم يخص ذلك في إجابته الداعي وقرب العابد من له ، قال تعالى :

﴿ وَإِن سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ فَنَقِي فِي سَحَابٍ مِّمَّنْ يُسَبِّحُ عِندَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ ذَلِكُمْ عَنَّا نَبْخِشُ ۚ إِنَّكَ لَا تَعْلَمُ ۖ ﴾ ^(٤)

وقال أيضاً : « وعرب الشيء من الشيء مستلزم لقرب الآخر منه . لكن قد يكون قرب الثاني هو اللزم من قرب الأول ويكون منه أيضاً قرب بنفسه

فالأول كسر تقرب إلى مكة أو سائر الكعبة ، فكما قرب منه قرب الآخر منه من غير أن يكون منه فعل

والثاني : كقرب الإنسان إلى من يعرب هو إليه كما نعلم في هذا الأثر الإلهي ^(٥) ،

(١) أي إثبات التحلي لله تعالى كما قال تعالى ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة الأعراف آية (١٤٣)

(٢) بصريح الصاوي (٤٦٦)

(٣) الكلاية : هم النوع أي عند الله بن سجد من كلام يذهب لأسماء وذهبوا للصفات الخيرية في الجملة يد أنهم يعمون على الصفات بشتة - الصفات الاختيارية . ويقولون إن هذه الصفات لازمة لذاته مدينة أربعة ، مما يرى في وقت دون وقت ، وإدبهم لصفات إلهية على طريقة أهل الكلام ، ولذلك يسميهم شيخ الإسلام ابن تيمية وعونه : مسكنة أهل إثبات وهم يقولون السلف في أكثر جملة مسائلهم ولا يطمعون بهم (انظر بصريح القسوي (٢٢٤) (١٥٦١٤٧٤) (٤١٠/٥) (٦١٩/٦) مقالات الإسلاميين (٢٤٩/١) (٢٢٥/٢)

شرح العشرة الطحاوية (٦٨٦)

(٤) شرح حديث الرسول (٣٧٧)

ماتقرب العبد إلى الله ومعرفته به بطلقت به بصوص متعددة مثل قوله

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ سَبْعُونَ إِلَٰهًا فَلَهُمُ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهِمْ أَقْرَبُ﴾ ^(١) ومعنى ذلك ، فهذا قرب الرب بحسه إلى عبده وهو مثل برودة يدي السعال الدبيب فإذا سس ذلك : فالداعي والساجد بوجه ووجه إلى الله تعالى . وفروع لها فروع بفسها ، فتضرب إلى الله بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب ، فيكون الله عز وجل منها قريباً قريباً يلزم من قربها ويكون منه قرب عزم كثره عشية غرفة وفي جوف الليل ولي من تقرب منه شيئاً تقرب منه ذراعاً ^(٢)

وبكس مع إثبات شبح الإسلام مقرب الله تعالى بنفسه فإنه لا يجعله المراد في جميع النصوص التي ورد فيها القرب وإنما ينظر إلى النص الوارد فيحمله على المعنى الذي دل عليه سواء كان المعنى الأول للقرب أو الثاني أو الثالث .

قال رحمه الله تعالى « ولا يلزم من جوار القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يُرد به قربه بنفسه ، بل يبقى هذا من «أشياء جارية» وينظر في النص الوارد هناك دل على هذا حمل عليه ورد دل على هذا حمل عليه » ^(٣)

وقال ابن القيم « والأصل أن الله قريب من المحسن ورحمته قريبة منهم ، فيكون قد أخبر عن قرب ذاته وقرب ثوابه من المحسنين » ^(٤)

وقال أيضاً « فهو قريب من المحسن بدنه ورحمته قريباً ليس له نظير ، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه » ^(٥)

القول الثاني تصير قرب الله تعالى الوارد في النصوص إما بالعلم وإما بتقريب عبده إليه وعدم حمله على معنى أنه يقرب بنفسه ، كما أشرنا ذلك عن مقاتل بن حيان أنه قال . « بعضاً والله أعلم في قوله عز وجل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد

(٥) يشهد الحديث القدسي ((من تقرب إلي شيئاً سميت إليه ذراعاً))

(٦) سورة الإسراء آية (٥٧)

(٧) مجموع الفتاوى (١٢٩/٥) ونظر (٢٤٠/٥) (٢٢/٦)

(٨) مجموع الفتاوى (١٤/٦)

(٩) مختصر الصواعق (٤٥٩،٢)

(١٠) المرجع السابق (٤٦٠،٢)

كل شيء ﴿ وَالظَّاهِرُ ﴾ فوق كل شيء ﴿ وَالْغَاطِئُ ﴾ ^(١) أقرب من كل شيء ، وما معي بالقرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه ^(٢)

وقال السعوي في تفسيره قوله ﴿ وَالْغَاطِئُ ﴾ . « العالم بكل شيء ، هما معي قول ابن عباس » ^(٣)

وقال شيخ الإسلام « وطاعة من أهل البسة . نسر المقرب في الآية والحديث ^(٤) بالعمم ذكره هو المقصود ، فانه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده ، وهذا هو الذي اقتضى أن يقول من يقول . به قريب من كل شيء معي . العلم والقدرة ، فإن هذا قد قاته بعض سلف كما تقدم عن مقاتل بن حيان - وكثير من السلف ^(٥) .

والذي ينبغي في هذا المقام هو إثبات ما جاء في الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف هذه الأمة من إثبات قرب الله تعالى قريباً يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تقييل ولا تكليف وأنه لا يأتي علوه لأنه تعالى ليس كمنه شيء وهو أسمى البصير

وأهتم هذه المسألة بكلام حمير للشيخ حافظ الحكيم قال رحمه الله : « بل يقول أمم بالله وما جاء عن الله على مراد الله ، وأما برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ ولا يطلب إماماً غير الكتاب والسنة ، ولا يخطئهما إلى غيرهما ، ولا يتجاوز ما جاء بهما فسطحاً عما يتفق به وتسكت عما سكنا عنه وسيرسورهما حيث سارا ويتفق معهما حيث وصفا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ^(٦)

تبييه -

إذ قلنا إن الله تعالى قريب من عبده بالإجابة أو أنه يقرب من عبده بنفسه أو أنه يقرب

(١) سورة الحديد ١٠٤ (٣)

(٢) مراده أي يقرب إلى الأسماء والصفات (٣١٢/٢) ، وأما شرح حديث الردى للشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦١) والعمد للشيخ (١٣٧)

(٣) تفسير السعوي ، ٢٩٣/١

(٤) يعني بالآية قوله تعالى ﴿ وَإِذْ سَأَلْتُ عَادِي عَنِّي ﴾ ، والحديث (أنكم لا تدعون أمراً)

(٥) شرح حديث الردى (٣٦٥)

(٦) معارج القبول (١٢٩/١)

من عنده بتقريب عبده إليه ، فمرادنا بالعباد هنا العبد المؤمن ، وعلى هذا يكون قربه تعالى بهذا المعنى من صفاته العلية الاختيارية ، وأما إذ عسرنا القرب بمعنى قربه بعلمه وإحاطته وقدرته فلا شك أنه يشمل جميع العباد مؤمنهم وكافرهم ، ويكون القرب على هذا المعنى صفة دائمة لأرومة له تعالى

وبالنسبة فلا يصح أن نصف الله تعالى بالتقرب على وجه الإطلاق إلا إذا أردنا بالمعنى الثاني ، كما أنه لا يصح وصف الله تعالى بالدعية على وجه الإطلاق إلا إذا أريد بها لدعية العامة والله تعالى أعلم

- وهل ينقسم القرب إلى عام وخاص كما هو الحال في اللعبة أم لا ؟

أما شيخ الإسلام بن تيمية وسميحه بن القيم فيرخصان هذا التقسيم ، قال شيخ الإسلام بن تيمية « وليس في القرآن وصف القرب على التقرب من كل شيء أصلاً ، بل قربه الذي في القرآن خاص لا عام »^(١)

وقال أيضاً « ليس في الكتاب والسنة وصفه بتقرب عام من كل موجود »^(٢)

وقال بن القيم رحمه الله « ولم يبي القرب كما جاءت للعبه خاصة وعامة ، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد وأنه قريب من الكافر والعاصي وإنما جاء خاصاً »^(٣)

والذي يظهر والله تعالى أعلم أن القرب نوعان أحدهما عام ينقسم عنه بكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، وعلى هذا جاء تفسير بعض المفسر لمعوله تعالى ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ فقد فسروه بالتقرب وفسروا العرب بالعلم والقدرة كما تقدم عن مقاتل بن حيان^(٤)

(١) شرح حديث الترمذي (٢٥٤) وانظر (٣٦٢ ، ٣٦٢)

(٢) المرجع السابق (٣٥٥) وانظر بمسرح الفتاوى (٢٤١/٥ ، ٢٤٢)

(٣) مختصر الفتاوى (٤٥٨)

(٤) سفر من (١١٢ ، ١١٣)

والثاني : خاص بضمم دونه وقربه من شاء من عباده وتقريبه إلى بقاء مهم^(١)
 وأما ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ومجتهدين ابن القيم عليهما رحمة الله من أنه لم يرد
 في الكتاب ولا في سنة وصف الله تعالى بالتقرب العام فليس مرادهم - والله أعلم - معي
 ورود المعنى العام للتقرب ، وإنما مرادهم معي أن يكون هذا المعنى العام ورد وجاء بمعنى
 (التقرب) وإنما لم يرد بلغة آخر يحمل معنى التقرب كالباطن مثلاً فلا يقال فيه ،
 ومما يده ، على ذلك أنه قد ورد عليهما إثبات هذا المعنى العام للتقرب قال شيخ الإسلام ابن
 تيمية : « قربه الذي هو من لوازم ذاته من العلم والقدرة فلا ريب أنه قريب بعينه وقدرته
 وسيره من جميع خلقه ، لم يزل بهم عناءً ولم يزل عيهم قاسراً ، هذه مذهب جميع أهل
 السنة »^(٢)

وقال ابن القيم : « مما من طاهر إلا والله قومه ، وماس باطن إلا والله بعينه ، فالأول .
 قدمه ، والآخر دأبه وبقاؤه ، والظاهر علوه وعظمته ، والباطن قربه ودنوه »^(٣)
 وقال أيضاً : « بل طاهر على كل شيء فكان قومه ، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من
 نفسه وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه . فهذا أقرب للإحاطة العامة
 وأما التقرب المذكور في القرآن والسنة فتقرب خاص من عبادته وسائرته وداعيته وهو ثمرة
 التبعيد باسمه الخاص فإن تعالى ﴿ وَإِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ قَدْ أُتِيَ غَيْرُكَ بِمِثْلِهِ ﴾^(٤)
 وفي النصحيح عن النبي ﷺ قال : ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))^(٥)
 . فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة والبطون »^(٦)

وبهذا يتضح أن شيخ الإسلام وابن القيم عليهما رحمة الله يُثبتان التقرب العام ، لكن ليس

(١) عظم طريق المحربين وابن القيم (٥١ - ٥٢) ، على التواضع الذين في شرح توحيد الأسماء والصفات لشيخ عبد
 الرحمن السعدي ، ٢٤٥ ، مطبوع حسن المطبوعة الكائنات للشيخ عبد الرحمن السعدي رقم (٢) التبعيد -
 نسبة على التبعيد الواسعة لب طريق الرشيد (٢٤) عو الله على خلقه لموسى القويش (٢٢٦)

(٢) مجموع الفتاوى (١٣٠٦)

(٣) طريق المحربين (٥٤)

(٤) سورة البقرة ، آية (١٨٦)

(٥) صمد محرره من (١٩٩)

(٦) طريق المحربين (٥١ - ٥٢)

بدلالة النصوص التي ورد فيها لفظ القرب ، كما أنه بهذا يتبين أن الخلاف في هذا التقسيم
يعتلي ، و الله تعالى 'علم

٤- من بعده وقد سبق نقل كلامه (١)

٥- «الصلح بيني وبينه قال رحمه الله: «وأجمع المسلمون من أهل بيته على أن معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ هو ذلك من القرآن أب ذلك عنده وأن الله فوق السموات بجلاله مستو على عرشه كيف شاء» (١)

۶۔ ابراہیم علیہ السلام فرمایا: اے اللہ! «و اما احتجاجاً کہم بقولہ عر و حل

﴿مَنْ حَسِبْتُ مِنْ تَتْلُوَ الْأَقْصَىٰ هَهُنَا وَلَا حَسِبُوا إِلَّا هَوَسًا مِّنْهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ لَّيْسَ هُوَ مَعَهُمْ إِنِّي مَا كُنتُ مِنْكُمْ﴾ «ولا حجة لهم في طاهر هذه الآية ، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حسمت عندهم الأول في القرآن، كانوا في تأويل هذه الآية هو على العرش ، وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك أحد بحيث بقوله «^(١)» .

٧ شيخ الإسلام بن تيمية فإنه قال في العقيدة النواسطية : « وقد رُحل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بأنهم لله ، الإيمان بأنهم لله به في كتابه وبما عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه سبب الأمة من أنه سبحانه فوق سائرهم على عرشه عليّ عيسى خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، كما جزم بين ذلك في قوله »

[illegible]

تَعْمَكُمُ ﴿١﴾ أَنَّهُ تَحْلُطُ بِالْخَلْقِ ، وَإِنَّ هَذَا لَا يُوَجِبُهُ اللَّفْظُ ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخِلَافُ مَا مَطَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ ، بَلْ يَقَعُ آيَهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْعَدِ عُلُوقَاتِهِ وَهُوَ مُوَضُوعٌ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ أَيْضًا كَانَ . وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ - مِنْ أَنَّهُ هَوَاكُ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ نَعَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَا يَخْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ وَلَكِنْ يَصَالُ عَنْ الطُّبُورِ الْكَادِمَةِ « (١)

(۱) نظر ص (۲۳) ، اعظم ص (۱۱۱) میں کتبہ مختار میں (۱) باب

(٢) دورة المعارض (٦ - ٢٥) ونظرة اجتماع بلديين في اسلامية (١٤٢) (المجلد الثاني) (٢٤٦)

$$(e^{-\lambda T} A_1^T \psi)_{\text{supp}(\psi)}(T)$$

(٤) العقيدة الماسطية بشرح مختصر (١٩٧٣)

كما أن مصير المعبه بالنعم مأثور عن عند كثير من السلف ، كما بن عباس^(١) والصفار^(٢) ومقاتل بن عبيمان^(٣) وسليمان الثوري^(٤) وعيم بن حماد^(٥) وأحمد بن حنبل^(٦) عليهم رحمة الله

الوجه الثاني أن سبق الآية ﴿ مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ تُنْقِذُوا ﴾ يدل على أنه أراد بالمعبه العلم لأنه احتج الآية بالعلم وعتمها بالعلم

قال لاخري : « والسي يذهب إليه أنه العلم أن الله عز وجل سبحانه على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء .. فإن قال قائل . فأيش معنى قوله

﴿ مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ تُنْقِذُوا لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ سَابِقَهُمْ وَالْكَافِرِينَ وَالْكَافِرِينَ أَكْثَرُ لَكُمْ مَعَهُمْ أَنْ مَا كُنْتُمْ ﴾ أي يا كفركم ؟ قيل له علمه عز وجل . والله عز وجل على عرشه وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه ، كذا فسره أهل العلم والآية يدل نوطاً وأمرها على أنه المعصم

فإن قال قائل . كيف ؟ قيل : قد الله عز وجل

﴿ الْقَدْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ ﴾ إلى آخر الآية قوله ﴿ ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمْ رُوحَهُمْ لِيُفْنِدُوا أَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ ﴾ فابتدأ الله عز وجل الآية بالمعصم وعتمها بالمعصم فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه وهو على عرشه ، وهذا قول المسلمين^(٨)

(١) تفسير القصة لعبد الله بن الإمام أحمد (٣٠٦١) ، شرح حديث الترمذي لأبي ميمية (٢٥٦)

(٢) تفسير القصة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (٢ / ٢) ، تفسيره للأخري (١٧٩٢) ، تفسيره من الإلهام لأس بنط (١٥٣) ، الأسماء والصفات لليهقي (٣٤٦ / ٢)

(٣) تفسير شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي بكر (٤٤٦ / ٣) ، الأسماء والصفات لليهقي (٢٤٢ / ٢)

(٤) تفسير القصة لعبد الله بن الإمام أحمد (٣ / ٦١) ، تفسيره للأخري (١٠٧٨٣) ، تفسيره من الإلهام (١٥٥) ، شرح

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٤٥ / ٢) ، الأسماء والصفات لليهقي (٣٤١ / ٢)

(٥) تفسير المختار من الإلهام لأس بنط (١٤٦)

(٦) تفسير القصة لعبد الله بن الإمام أحمد (٩٥) ، مطبوع ضمن كتاب عقائد السلف ، وانظر القصة من الإلهام

(١٥٩) ، (١٦) ، الأسماء والصفات لليهقي (٢٤٢ / ٢)

(٧) سورة العنكبوت آية (٧)

(٨) الترمذي (١٧٥٣) ، وانظر القصة لعبد الله بن الإمام أحمد (٩٥) ، مطبوع ضمن كتاب عقائد السلف ،

والقصة لعبد الله بن الإمام أحمد (١٤٤)

الوجه الثالث : « لمط لمعية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد بها احتضاد إحدى الدينين بالأخرى كما في قوله ﴿ تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَيُحَمِّدُهُ ﴾ ^(١) وقوله ﴿ فَأُولَئِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) وقوله ﴿ وَجَاهِدُوا فِيكُمْ ﴾ ^(٣) ومثل هذه كثير فامتنع أن يكون قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ يدل على أن ذاته مختصة بمواضع أعلى » ^(٤)

قال ابن قتيبة رحمه الله « وحسب نقول في قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ تُنَادِيكَ بِهِ إِلَّا هُوَ يُكَلِّمُكَ وَلَا جَمْعَ إِلَّا هُوَ يُصَلِّىْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذَنَ مِنْ دُونِهِ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ أنه معهم بالعلم بما هم عليه ، كما تقول للرجل وجهه إلى بعد شامخ وركبته بأمر من أمورك احذر القصير والإعجال لشيء مما تعدمت فيه إليك فإني معك ، يريد أنه لا يحضر عليّ بقصيرك أو جلتك بالإشراف عليك والبحث عن أسورك ... وكعب يسوع لأحد أن يقول إنه بكل مكان على اختلاف مع قوله ﴿ أَرَأَيْتَ حُلَّ الْعَرْشِ أَسْتَوِينَ ﴾ ^(٥) » ^(٦)

وقال ابن القيم « ليس فظاهر اللمط ولا حقيقته أنه سبحانه مختلف بالمخلوقات فمتخرج بها ولا تدل لمعية (مع) على هذا بوجه من الوجوه فصلاً أن يكون هو حقيقة اللمط وموصوفاً به (مع) في كلامهم لصحته اللاتقنه وهي تختلف باختلاف معنقاتها ومصحوبها ، فكون عن الإنسان معه لو ، وكون علمه وقدرته وقوته معه لو ، وكون روجته معه لو ، وكون أموره ورئيسه معه لو ، وكون ماله معه لو ، فإلغية ثابتة في هذا كله مع بوعها واختلافها ، فيصح أن يقال . روجه معه وبهيهما شقة بعينه » ^(٧)

الوجه الرابع : أن بعدد (العبة) جاء في كتاب الله عاماً وجاء خاصاً فلو كان المراد أنه

(١) سورة الصبح آية ٢٩

(٢) سورة النساء آية ١٤٦

(٣) سورة التوبة آية ١٩

(٤) سورة الأعدال آية ٧٥

(٥) شرح حديث الترمذ لابن أبي عمير ٣٦٠ وانظر مجموع الفتاوى (١٠٤ : ١٠٣/٥)

(٦) سورة طه آية ٥٠

(٧) تأويل مختلف الحديث (٢٥١)

(٨) مختصر الصواعق (٤٥٥/٢)

بداته مع كل شيء ، لأن التعظيم يناقص التخصيص^(١)

الشبهة الثانية .

كما استدل أهلوية بقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾^(٢) فقالوا في هذه الآية دليل على أن الله تعالى في كل مكان .

ولا شك أن هذا الاستدلال باطل لأن معنى الآية بالإجماع ، أنه لعبود في السماء وفي لأرض ، فهي كقولك ، فلان حاكم في مكة ولدنية ، فإن هذا لا يعني أنه موجود فيهما معاً ، وإنما هو موجود في أحدهما ، وربما يكون ليس موجوداً في كليهما

وهذا المعنى للإيه هو الذي عليه السلف وعامة المفسرين كالطبري^(٣) والبخاري^(٤) وابن كثير^(٥) وغيرهم ، وقد أخرج الطبري والآخرى والبيهقي عن قتادة قوله في معنى هذه الآية « هو الذي يحد في السماء ويحد في الأرض »^(٦) .

وقال الآخرى في معنى الآية . « أنه جل ذكره يله من في السموات وإله من في الأرض . إله يحد في السموات وإله يحد في لأرض ، هكذا عساه العلماء »^(٧) .

وقال ابن تيمية « وأما قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ فليس في ذلك ما يدل على الحلول فيهما ، وإنما أراد به أنه إله السماء وإله من فيها ، وإله الأرض وإله من فيها ومثل هذا الكلام قولك : هو بحر سان مؤر ومحضر مؤر ، فالإمارة تختص له فيهما ، وهو حل في أحدهما أو في كليهما ، وهذا واضح لا يخفى »^(٨)

وقال ابن عبد البر : « وأما قوله في الآية الأخرى ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ فالإجماع والاتفاق

(١) انظر ، شرح حديث الترمذي (٣٥٩) ، مجموع الفتاوى (٢٥٠/١١)

(٢) سورة الفرقان آية (٨٤)

(٣) تفسير تفسيره المنسي جامع البيان (٢١٧/١١)

(٤) تفسير تفسيره المنسي معالم التنزيل (١٤٧/٤)

(٥) تفسير تفسير القرآن العظيم (٢٠٦/٤)

(٦) البحر بمسرح الطبري (٢١٦، ١١) ، الشريعة لآخرى (١١٠٤/٣) ، والأسماء والصفات للبيهقي (٢٤٣/٢)

(٧) الشريعة (١١٤٣/١)

(٨) تأويل مختلف الحديث ، ٢٥٣

قَالَ يَسُّ لِهَرَد بَأَنَّهُ مَعْبُودٌ مِّنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَتَدْمِرُ هَذِهِ فَإِنَّهُ قَاطِعٌ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ » (١)

الشبهة الثالثة .

استدلوا أيضاً بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنَّا سَمِعْنَا نَدَائِهِمْ رَجَاءً وَعَدَهُمْ بِمَقْعِدِمْ ﴾ (٢) ويقولون أن الآية ليس معناها أن الله تعالى في كل مكان بداته بالإجماع كما حكاه ابن كثير رحمه الله فإنه قال « اختص مفسرون هذه الآية على أقوال ، بعد تصديقهم على إنكار قول شيخهم الأولين - تعالى الله عن قولهم عدواً كبيراً - بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال . أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض ، أي . بعده ويوحده ويعرف له بالالهية من في السموات ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رباً ورعباً إلا من كفر من الجن والإنس » (٣) ، ولما هذا المعنى ذهب أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره (٤)

الشبهة الرابعة :

كما استدلوا بحلولة بقوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (٥) وقوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٦) فقالوا إن معنى القرب في هاتين الآيتين قرب ذات الله تعالى عما لله قريب بدنه من حبل الوريد وفي هذا دليل على أن الله تعالى في كل مكان بداته وأنه قريب من كل شيء بدنه وأن ذات الرب في قلب كل أحد ولا ريب أن تفسيرهم للقرب في هاتين الآيتين بقرب الذات واستدلالهم بذلك على الحلول والانعقاد في غاية الضعف بل هو باطل يتضح بطلانه من عدة وجوه .

الوجه الأول : أن الإجماع متفق على بطلان الحلول والانعقاد وأنها معان عن الله تعالى

(١) التمهيد (١٣٤١٧)

(٢) سورة الأنعام آية ٣

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٩٩٠٢) وانظر . المختار من الإمامة لابن عثمة (١٤٣)

(٤) انظر . الرد على القاعدة المذهبية (٩٤) ، القواعد بين توليد الرحمن وتوليد الشيطان (٩٠) مجموع الفتاوى

(٢٥٠/١١)

(٥) سورة في آية (١٦)

(٦) سورة الواقعة آية (٨٥)

قال شيخ الإسلام بن سبويه : « وأما أن يكون ذات الرب في قلب كل أحد كافر أو مؤمن فهذا باطل ، ثم يقنه أحد من سبب الأمة ولا يقفه به كتاب ولا سنة ، بل الكتاب والسنة وإجماع السلف مع العقل ينافي ذلك » (١)

الوجه الثاني : أن الذين يقولون إنه في كل مكان أو أنه قريب من كل شيء بانه لا يحصون بذلك شيئاً دون شيء ولا يمكن مسلمة أن يقول : إن الله قريب من الميت دون أهله ولا أنه قريب من جن جنين دون سائر الأجزاء

وكيف يصح هذا الكلام على أصلهم وهو عدلهم في جميع بدن الإنسان ؟ أو قريب من جميع بدن الإنسان ، أو هو في أهل البيت كما هو في الميت ؟ فكيف يقول ونحن أقرب إليه منكم إذا كان معه ومعهم عبدي وجه واحد ؟ وهل يكون أقرب إلينا من نفسه من نفسه ؟

الوجه الثالث : أن سبق لأبي بن علي أن لفراديهما للثلاثة فإنه قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَتَّى الْآيَةِ ﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿ إِنِّي نَفَخْتُ فِي الْقُرْآنِ نَفْثًا لِّيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْءُوا آيَاتِي ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

فقد قرب بهذا الرمان ، وهو رمز تلقى المتلقين ، قيد عن اليمين ، وقيد عن الشمال وهما الملاكات الخاضعات للعدل يكسب كما قال : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدُنِّي رَجِيبٌ عِتِيدٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ومعوم أنه لو كان شره قرب من الرب لم يختص ذلك بهذه الحال ولم يكن لذكر القعديس والرقوب والتعبد معنى مناسب ، وكذلك قوله في الآية الأخرى :

﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا عِبَادُكُمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُسْتَظَرِّ ﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا عِبَادُكُمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُسْتَظَرِّ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

الوجه الرابع : أنه قال في الآية السابقة ﴿ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فلو هنا بما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال ولكن عمن لا يبصره ، والرب تعالى لا يراه في هذه الحال لا الثلاثة ولا البشر (٢)

وكما لا يجوز أن يكون المراد بهذا المقرب قرب ذات الرب جل وعلا منك ذلك لا يجوز

(١) شرح حديث الترمذي (٣٧٥)

(٢) سورة ق الآية (١٦ ، ١٧ ، ١٨)

(٣) سورة الواقعة آية (٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥)

(٤) شرح حديث الترمذي (٣٧٠)

أن يكون المراد بهذا القرب قرب الرب الخاص كما في قوله :

﴿وَأَسْأَلُكَ بِكَأَيِّ شَيْءٍ لَا يَفْجُرُكَ﴾ دون ذلك إنما هو قرب إلى من دعاه أو عبده ، وهذا المختصر قد يعود كافر أو فاجراً أو مؤمناً أو موقراً ومعصوماً ، تكذب أو انكاه لا يخصه الرب بقربه من دون من حوله ، وقد يكون حوله مؤمناً ^(١)

إد بين هذا وأن القرب في الآيتين السابقتين ليس المراد به قرب ذات الله تعالى وليس هو القرب الخاص فساداً يكون إد ؟ للعلماء في ذلك قولان :

أحدهما أن المراد بالقرب في الآيتين - سابغين - قربهم إليهم بالملائكة كما تقدم

والثاني أن المراد بالقرب هو العزم أو العزم والقار ، وإليه ذهب الظلمكي ^(٢) واليعوي ^(٣) وغيرهما

وأما الأول فقد حجه شيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم - وتلميذه ابن القيم واستدلاً على ذلك بأدلة كثيرة ^(٤)

وقال شيخ الإسلام بعد أن فسّر القرب بقرب الملائكة ، « وهذا هو المعروف عن المفسرين ، يختلفون من تسبب » ^(٥)

وممن ذهب إلى هذا القول من المفسرين الطحطاوي وابن كثير عليهما رحمة الله ، قال

الطحطاوي في قوله تعالى ﴿... وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ الْوَيْدُ﴾ « يقولون ورسولنا الذي

يفضون روحه أقرب إليهم منكم ولكن لا يصرون » ^(٦) .

وقال ابن كثير « أقوله عز وجل » ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ الْوَيْدُ﴾ يعني ملائكته تعالى

أقرب إلى الإله من حيث وريده إليه ، ومن تأوله على العلم وإنما هو لئلا يلزم حلول أو

انحداد وهذا معيب بالإجماع ، تعالى الله وتقدس ، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل : وأنا

(١) انظر شرح حديث البرز (٢٧٢)

(٢) انظر شرح حديث البرز (٣٩٦ ، ٣٩٧)

(٣) انظر تفسير اليعوي (٢٩١/٤)

(٤) انظر شرح حديث البرز (٢٥٥ ، ٢٦٦ ، ٣١٢) . مجموع الفتاوى (١٢٨/٥) ، مختصر الصواعق

(٤٥٨/٢) ، عز الله على خلقه للتوفيق (٢٦٩ - ٢٧٤)

(٥) شرح حديث البرز (٣٥٥)

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن (٦٦٤/١١)

[illegible]

وهذا القول وهو أن المرء بالقرب مما يقرب الملائكة هو الذي يقفهور رجحانه
للدلالة السياق عليه والله تعالى أعلم .

٩٠٤ و ٩٠٥

(٤) تصور القرآن العظيم : (٣٤٥/٤)

المبحث الرابع : ما جاء في رؤية النبي ﷺ

لربه ﷻ

وفيه ثلاثة مطالب :

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

○ المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

أولاً : ذكر الموصي الدالة على عدم الرؤية .

عن مسروق عن كعب بن مالك عن عائشة قالت : « يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت ما هي ؟ قالت : من رعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال وكعب متكئاً فجئت فقالت يا أبا المؤمسين أنظريني ولا تعجليني . ثم يعن الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ هَانُوا إِذْ بُدِئُوا بِآيَاتِنَا فَانْتَبَهُوا ﴾ (١) فقلت : يا أباؤنا من هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال ((إنما هو جبريل لم أراه على صورته التي خلق عليها غير هاتين المراتين ، رأيته مهيبطاً من السماء ساداً أعظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض)) فقلت : لو لم تسمع أب الله يقول : ﴿ لَا تَدْعِيهِمْ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ لِقَابِهِمْ ﴾ (٢) ولم تسمع أب الله يقول : ﴿ وَمَا كَانَ مِنْكُمْ لَدِينِكُمْ أَنَّ لَا وَحْيًا لَكُمْ مِنْ رَبِّي جَاءَكُمْ أَوْ رَسُولٌ مِمَّنْ لَا تَدْعِيهِمْ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ لِقَابِهِمْ ﴾ (٣) فقلت : ومن رعم أن رسول الله ﷺ كلم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرِيَكَ الْبَشَرِ مِنْكَ وَلَا تَرْفَعِ يَدَكَ إِلَى السَّمَاءِ سَالِكاً ﴾ (٤) فقلت : ومن رعم أنه يخبر بما يكون في عبده فقد أعظم على الله الفرية والله يقول : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغُيُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٥) وفي رواية قال مسروق : قلت لعائشة

(١) سورة النجم ١٠٤ (١٣)

(٢) سورة النجم ١٠٤ (١٣)

(٣) سورة النجم ١٠٤ (١٣)

(٤) سورة الشورى ١ (٥١)

(٥) سورة النجم ١٠٤ (١٣)

(٦) سورة النجم ١٠٤ (١٣)

(٧) نقل عليه البخاري كتاب التفسير ، باب تفسير سورة النجم (٤ / ١٨٤) ج (٤٥٧٤)

وسلم والمصنف كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله عز وجل ﴿ وَهَذَا رَأْيُكَ تُعْرَى ﴾ (١ / ١٣) ج

رعى الله عليها حين قوله ﴿قَدْ بَلَغْتَ أَهْلَ عِلْمِكَ الْكِتَابَ مِنْ دُونِ النَّاسِ أَنْ يَمْلِكُوا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ يَعْلَمُونَ﴾ (١) فكان قلب قوسير أو أدن ﴿١﴾ قالت ((ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل ، ولما أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الألف)) (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ هل رأي ربك ؟ قال ((سورأسي أراه)) (٣)

وفي صحيح آخر أنه ﷺ قال ((رأيت موراً)) (٤)

- وعن أبي إسحاق طنباطي قال سألت زر بن حبیش عن قول الله تعالى

﴿فَكَانَ قَلْبُ قُوسَيْرٍ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٥) قال حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له سمعته جاح (٦)

وفي رواية مسلم دار ﴿مَا كَتَبَ الْمَلَأُ مَرَّأَى﴾ (٧) قال رأى جبريل ﷺ له سمعته جاح

وفي رواية لمسلم - أيضاً - أنه قال في قوله تعالى ﴿قَدْ بَلَغْتَ أَهْلَ عِلْمِكَ الْكِتَابَ﴾ : رأى جبريل في صورته له سمعته جاح

وفي رواية للبخاري أنه قال في الآية السابقة . رأى رهراً فأعصر منه ألفق لسماء (٨) (٩)

(١٧٧)

(١) سورة النجم الأيات (٨ - ٩)

(٢) تنقيح عليه البخاري كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين (١١٨١/٣) ح (٣٠٦٣)

وسمى كتاب الإلهاء ، باب معنى من شأه عرجس ﴿وقد أدركته العرى﴾ (١١٨١/٣) ح (١٧٧)

(٣) شرح كلا الطرفين مسلم في كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه الصلاة والسلام : ((سورأسي أراه)) (١٥١/٣) ح (١٧٨)

(٤) تنقيح عليه البخاري في مواضع كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين (١١٨١/٣) ح (٣٠٦٠) وفي كتاب التفسير ، باب ﴿فَكَانَ قَلْبُ قُوسَيْرٍ أَوْ أَدْنَى﴾ (١٨٤٠/٤) ح (١٥٧٥) وباب

قوله ﴿فَارْجَى إِلَىٰ عُنْدِ رَبِّكَ﴾ (١٨٤١/٤) ح (٤٥٧٦)

ومسلم كتاب الإيمان ، باب في ذكر سورة النجم (٦٣) ح (١٧٤)

(٥) سورة النجم الآية (١١)

(٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين (١١٨١/٣) ح (٣٠٦١) وأخرجه

أيضاً في كتاب التفسير ، باب ﴿قَدْ بَلَغْتَ أَهْلَ عِلْمِكَ الْكِتَابَ﴾ (١٨٤١/٤) ح (٤٥٧٧)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال في قوله تعالى ﴿ فَلَقَدْ رَآهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ (١) : رأى جبريل (٢) .
فهذه النصوص كما ترى جاءت عن أربعة من الصحابة رضي الله عنهم عائشة وأبو ذر
وبن مسعود وأبو هريرة رضي الله عنهم كلها تعدد عدم رؤية النبي ﷺ لربه تعالى ، وأن للرؤيا في آيات
سورة النجم إما هو جبريل عليه السلام .

ثانياً . ذكر النصوص الدالة على الرؤية

م يرد في التصحيح ما يدل على الرؤية إلا ما أخر عن أبي عيسى رضي الله عنهما أنه
قال في قوله تعالى ﴿ مَا كُتِبَ الْقُرْآنُ مَكْرَأً ﴾ (٣) و ﴿ فَلَقَدْ رَآهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ (٤) قال : رآه بمؤاده مرتين
وفي روايه قال : رآه بقلبه (٥)

(١) هذه النصوص ثلاثة لا يعارض النصوص السابقه انه رأى جبريل عليه السلام . يوضح ذلك ما أخرجه الإمام أحمد (٦٥١٦)
ج (٢٧٢٢) (وحدكم ٩٠٢٥) ج (٢٧١٦) عن ابن مسعود انه قال ((رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة
من زعفران قد ملأ ما بين السماء والأرض)) فيحتاج من المحدثين أن يوضحوا عدم دلالة النصوص السابقة التي كان عليها ،
وذلك ما عرفت . الحق كما جاء ذلك عند أحمد والترمذي نسخة (١٧١٦٩) ج (٢٢٣٧) . ومطهر والقوجيد لاس
عريكة (٥٠٨/٢) فتح الباري (٦١١/٨)
(٢) سورة النجم ، آية (١٣)

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب متى قرأ الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ (٧/٢) ج (١٧٥)
(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب متى قرأ الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ (٨٠٧/٢) ج (١٧٦)

بيان وجه التعارض

بالنظر إلى النصوص السابقة نجد أن عائشة رضي الله عنها قد عرفت رؤية النبي ﷺ لربه
 لديه المعراج و رعت نفسه الآهين إلى النبي ﷺ وأن المراد بهما جبريل ﷺ وواصفها على هذا
 التفسير ابن مسعود وأبو هريرة رضي الله عنهما ، ثم استدللت رضي الله عنها عسى عسى
 الرؤية بآية الأنعام واية الشورى

وكذلك نجد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((نور أبي نوره)) ((رأيت سوراً)) - ما يعيد
 معنى الرؤية

وفي المقابل نجد أن ابن عباس رضي الله عنهما قد أثبت الرؤية الموعودة واستدل في ذلك بالآيات في
 سورة الحج

وبناء على هذا فأي القولين أولى بالقول قول عائشة رضي الله عنها ومن وافقها ، أم
 قول ابن عباس رضي الله عنهما ومن تبعه ؟

في هذا اختص أهل العلم كما سيبيح إن شاء الله تعالى في المطلب الثاني

تمهيد

قبل الخوض في مذاهب أهل العلم تجاه موضوع الرؤية لابد من بيان أن الأمة قد أجمعت على أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه ، باستثناء ما حصل من الرأى في رؤية النبي ﷺ لربه تعالى وقد نقل هذا الإجماع عدد من أهل العلم كالدورمي^(١) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) وابن أبي العر في شرح العقيدة الطحاوية^(٣) وغيرهم .

ومن مفسد هذا الإجماع قوله ﷺ وهو يحذر أنه من الدخان ((تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت))^(٤)

وأما رؤية النبي ﷺ لربه تعالى فإن الخلاف فيها قديم منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وقد جاء الروايات الصحيحة كما تقدم وكما سيأتي - على ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : إثبات الرؤية مطلقاً غير مقيدة بمصر أو فؤاد .

الوجه الثاني : إثبات الرؤية مقيدة بالفؤاد أو القلب

الوجه الثالث : نفي رؤية مطلقاً غير مقيدة بمصر أو فؤاد .

ونقسمه لعقيدة نقتضي وجه رابع وهو : إثبات رؤية مقيدة بالصدر ، ولكن هذا الوجه مريب من طريق صحيح عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم كما نص على ذلك عدد من أهل العلم

المحققين كالكفاسي عاصم^(٥) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٦) والذهبي^(٧) وابن كثير^(٨) وابن أبي العر^(٩) عليهم رحمة الله ، وأما ما ذهب إليه بعض أهل العلم من إثبات الرؤية البصرية

فإنما هو منهم مضموم من الوجه الأول وهو : الروايات التي فيها إطلاق الرؤية^(١٠) والله أعلم

(١) سطر العاصم عن مرسى (٢٣٨/٢) وفرد على أهميته (٣٠٦) مجموع حسن عماد السلف

(٢) سطر مجموع الفتاوى (٣٨٩/٢) ٥٩ / ٦٦) منهاج السنة (٣٤٩/٢ - ٣٥٠) بنية المراتب (١٧)

(٣) القلندر ، شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٢)

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر في كتاب الفتن ، باب ذكر ابن عباس (٢٦٨ / ١٨) ح (١٦٩)

(٥) انظر الشما يتعرف أصول التصوف (٢٦٥ / ١)

(٦) انظر مجموع الفتاوى (٢٨٩/٣) (٥٠٦ / ٦) (٥٠٩ ، ٥١٠) بنية المراتب (١٧٠)

(٧) انظر سيرة أعلام النبلاء (١٦٧ ، ٢)

(٨) انظر تفسير ابن كثير (٣٨٧/٤)

(٩) القلندر ، شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٤)

(١٠) سطر مجموع الفتاوى (٥٠٩ / ٦)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

سلك أهل العلم في موضوع رؤية النبي ﷺ لربه لغة ثلثة مذاهب وهي مذهب اجمع ومذهب الترجيح ومذهب الثالث : التوقف .
والبك بيان ذلك .

أولاً : مذهب اجمع :

والله ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر عليهما رحمة الله ، وذلك بحمل ما جاء عن عائشة رضي الله عنها عن إشكار رؤية العيون وحمل ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن إثبات رؤية العباد ، خاصة وأنه صرح بذلك في بعض الروايات كما تقدم . وأما ما ورد عنه من الروايات انطلقت - كما سيأتي - فمحمولة على الروايات لمقيدة بالمؤود .

قال شيخ الإسلام « والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالمؤود . ولم يثبت عن ابن عباس نعت صريح بأنه رآه بعينه » ^(١)

وقال ابن حجر « الجمع بين إثبات ابن عباس ومعني عائشة بأن يحمل معيها عن رؤية البصر وإثباته عن رؤية القلب » ^(٢)

ثانياً : مذهب الترجيح .

وقد سلكه فريقان من الناس :

الفريق الأول وهم الذين أثبتوا الرؤية للنبي ﷺ كعباد الله بن عباس ^(٣) وأمس بن مالك ^(٤) وأبي در ^(٥) ، وأبي هريرة ^(٦) وحكي عن ابن مسعود ^(٧) وعروة بن الزبير ^(٨) والحسن

(١) مجموع الفتاوى (٩٦ : ٥)

(٢) فتح الباري (٨ / ٦٨)

(٣) سنن أبي داود عنه قريباً من (٢٣٤ - ٢٣٥)

(٤) سنن أبي داود عنه قريباً من (٢٣٦)

(٥) سنن أبي داود عنه قريباً من (٢٣٦)

(٦) سنن أبي داود عنه قريباً من (٢٣٦)

(٧) سطر الشما للنحاسي عباس (٢٦٠ / ١) مسلم بشرح النووي (٧ / ٣)

المصري^(١) وكان جليل عيني أن محمد^(٢) رأى ربه . وكعب الأحبار^(٣) وعكرمة^(٤) وعبد الله بن الحارث بن موهب^(٥) وشرعري^(٦) وإبراهيم التيمي^(٧) ومعمر بن راشد^(٨) وسائر أصحاب ابن عباس^(٩) وأحمد بن حنبل^(١٠) والطبري^(١١) وابن جرير^(١٢) وأبي الحسن الأشعري^(١٣) وأبي يعلى القراء^(١٤) والقروي^(١٥) والوروي^(١٦) وغيرهم .

وقد ذكر أدلة هذا الفريق خمس اثبتت على أن هؤلاء كلهم جاءوا بالمعاني في إثبات الرؤية المطلقة أو مقيدة بالحوادث ، بل إن بعضهم كأنبياء در وعبد الله بن الحارث بن موهب وإبراهيم التيمي صرحوا بمعنى الرؤية البصرية وإثبات الرؤية القلبية ، ولم يصرح بالرؤية البصرية من هؤلاء إلا المتأخرون منهم كالطبري وابن جرير وأبي الحسن الأشعري وأبي يعلى القراء والقروي والوروي^(١٧)

(١) فطر فتح الباري (٦٠٨/٨)

(٢) أخرجه ابن جرير في التوحيد (٤٨٨/٢)

(٣) أخرجه ابن جرير في التوحيد (٤٩٦/٢) والديلميني في الرؤية (٣٠٨ ، ٣٠٧)

(٤) أخرجه الطبري في التفسير (١٢ ، ٥١) أخرجه الأحرار في التسمية (٥٤٦/٢) والحاكمي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٧١/٢)

(٥) أخرجه ابن جرير في التوحيد (٥١٨/٢)

(٦) فطر فتح الباري (٦٠٨/٨)

(٧) أخرجه ابن جرير في التوحيد (٥١٧/٢)

(٨) فطر فتح الباري (٦٠٨/٨) التوحيد لابن جرير (٥٦٢/٢)

(٩) فطر فتح الباري (٦٠٨/٨)

(١٠) أخرجه الحاكم في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٧٤/٣) ولفظ : مسائل والمسائل والمسائل ثروية عن الإمام أحمد في العقيدة لأحمد بن محمد (١٤٥١/٢)

(١١) نقل ذلك عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١١١ ، ١١٠/٣)

(١٢) انظر كتاب التوحيد (٥٦٣)

(١٣) نقل هذا عنه القاضي عياض في الفتاوى (٦٦١/١) وابن العربي في عارضة لأحمدي (١٢٠/١٢) والقرطبي في التبيين (٤٠٢/١) والقروي في شرحه لشمس (٧١/٣) والحاكمي في الفتح (٦٠٨/٨)

(١٤) انظر إبطال الشذوذات له (١١١/١ ، ١١٢)

(١٥) انظر الأربعين في دلائل التوحيد (٨١)

(١٦) انظر مستم شرح القروي (٩/٣) والنهاية لابن كثير (١١١/٣)

(١٧) وأما ما نسب بعضهم كالطبري في التبيين (١/١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣) وابن جرير في الفتح (٦٠٨/٨) إلى الإمام أحمد

وأما قول البعوي رحمه الله في تفسيره « وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه »^(١) وليس عليه مسند سوى ما ذكره عنهم أنهم قالوا رأى محمد ربه ، وهذا ليس صريحاً في إثبات الرؤية البصرية ، ولذلك نقل ابن كثير كلام البعوي هذا وقال « فيه نظر »^(٢)

ومثله ما ساه امرطى^(٣) وأبو حنيفة^(٤) بل ابن عباس وأبي ذر وأبي هريرة من أنهم يقولون بالرؤية البصرية ، فإن هذا ليس عليه مسند صحيح لأن الروايات عنهم - كما سيأتي - تدل إما على ما مضى وإما على ما مضى ، ولم يأت شيء منها مفيد بالبصر

أدلة هذا الفريق :

سند أصحاب هذا القول بعدة ثقة عن ابن عباس وأنس وأبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهم وإليك سياق هذه الأدلة

أولاً : ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما :

حالت عنده روايات صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في رؤية النبي ﷺ لربه ، في بعضها أطلق الرؤية ، وفي البعض الآخر قلده بالقرائن أو القلب وهي كالتالي .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « أتبعون أن يكون الخلة لإبراهيم الخليل والكلام لموسى والرؤية محمد ﷺ »^(٥)

من أنه يقول مرده الصريح غير صحيح من أحمد رحمه الله فإنه لم يثبت عنه إلا أنه رأى ما يتعلق بالرؤية وليس فيها ما يثبت ما به العين علم ثبت عنه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية « لم يزل أحمد رحمه الله تعالى أنه رأى النبي ربه بشكل ومن حكى عنه ذلك فقد فهم عليه ولكن قال مرده رأى . ومرده قال رأى بعينه . فحكى عنه . وحكى عنه الثالث من غير أن يثبت عنه أنه رأى بعينه . وهذه خصوص أحمد »^(٦) وجوده ليس فيها ذلك « بل ذلك عنه ابن القيم في رد المحتار (٣٧٣) ، وانظر مجموع الفتاوى (٩١٦) ٥ : ١٠٠٠ : ٤٧٠ : القيس في مصداق القرآن لابن القيم (٢٥٧ : ٢٦٦) المسائل والمسائل الرؤية عن الإمام أحمد في الطبعة لأحمد (١٤٥٤-١٥٦٠)

(١) معجم الترمذي (٢٤٧٤)

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٨٧)

(٣) النظر عليهم (٤٠٦٠)

(٤) النظر معجم بشرح النووي (٧٠٣)

(٥) أخرجه ابن أبي عمير في السنة (١٦٢) برقم (٤٤٢) وقال لأبي إسحاق صحيح عن شمر بن الجهمي ،

وعنه الأكثر فا صدر به ابن حزيمة - وهو من أشد المتصربين لإثبات الرؤية البصرية -
حجته عن هذه المسألة

- وفي رواية عن ابن عباس قال « إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة ، واصطفى موسى
بالكلام واصطفى محمداً بالرؤية »^(١)

وفي رواية أخرى عنه ﷺ قال « رأيي محمد وبه »^(٢)

- وفي روايه أخرى عنه أيضاً أنه قال في قوله تعالى « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْوَيْلَ » : قد رأيته
تبارك وتعالى^(٣)

- وفي روايه عند مسلم تقدم ذكرها - أنه قال في قوله تعالى :

﴿ تَكُنْ لِلْعَزَاةِ عَاقِبَةً ﴾ و ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْوَيْلَ ﴾ قال : رأيته بقاؤه مريئاً ، وفي رواية قال :
رأته بقلبه^(٤)

- وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : ((رأيته ربي تبارك وتعالى))^(٥) . فحمله

وعنه من الإمام أحمد في المسند (٢٩٩ ، ١) برقم (٥٧٩) وابن حزيمة في التوحيد (١٧٩ ، ٢) برقم (٢٧٢)
الترمذي في السنة (٣٤٤) برقم (٢٦٠) وحاكم في المستدرک (٩ / ٢) برقم (٣٧٤٧) وقال هذا حديث
صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه أحدهما الذهبي ، وأخرجه ابن منده في الإسماعيل (٢٦١ ، ٢) برقم (٧٦٢)
والإمام النجاشي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٦٩ / ٣) برقم (٩٠٥)

١٠ أخرجه ابن أبي حاتم في المسند (١٨٩) برقم (٤٣٦) وقال الألباني إسناده صحيح موثوق وعنه عنه
الإمام أحمد في المسند (٢٩٨ ، ١) برقم (٥٧٧) وابن حزيمة في التوحيد (١٨٥ / ٢) برقم (٢٧٢) والأحرشي في
الشمعة (١١١ / ٣) برقم (٦٨٦) والدارقطني في الرؤية (٣٤٥) برقم (٢٦٣)
٢١ أخرجه ابن أبي حاتم في المسند (١٨٩) برقم (٤٣٥) وقال الألباني إسناده صحيح موثوق وابن حزيمة في
التوحيد (١٨٦ / ٢) برقم (٢٧٨)

٣١ أخرجه ابن أبي حاتم في المسند (١٩١) برقم (٤٣٩) وقال الألباني إسناده حسن موثوق ، والترمذي
في المسند (١٦٩ / ١) برقم (٣٣٤) وقال هذا حديث حسن ، والأحرشي في الشمعة (١٥٤١ ، ٣) برقم (١٠٢٢)
والدارقطني في الرؤية (٣٥٢) برقم (٢٧٥) ، والبيهقي في الإسماء والصفات (٣٦٠ / ٢) برقم (٩٢٣)
(٤) سبق تخريجه عن (٢٦٩)

٥ أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٥٨٣ ، ٤) ح (٢٥٨٠) وقال البيهقي في الطلو (١٠٤) إسناده قوي ، وقال
ابن كثير في التفسير (٢٨٨ ، ٤) إسناده على شرط الصحيح لكنه شمر عن حديث اسم ، وقال الطبرسي في مجمع
البراهين (٤٨١) روى أحمد ورجله رجال الصحيح ، وقال أحمد شاكر في ملخصه عن المسند إسناده صحيح
وأخرج حديث أحمد عن أبي حاتم في المسند (١٤٨ ، ١٩) برقم (٤٤٠ ، ٤٣٢) وقال الألباني حديث
صحيح ولكنه مختصر عن حديث الترمذي ، وعنه الإمام أحمد في المسند (٣ / ٢) برقم (١٦٦٧) والأحرشي

بعضهم كآبي الجوزي على قاعه^(١)

واستدل بعضهم كعزوي وغيره^(٢) على إيجاب الرؤية الصورية بتفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَمَاحِجَّتَنَا (أَرْثَى) عَلَىٰ أَلْيَسٍ لَّيْسَ لَكَ إِلَّا فَتَةٌ لَّيْسَ لَكَ﴾ قال الله: هي رؤية عين أُنبيأ رسول الله ﷺ ليلة أُسري به^(٣)

ثانياً ما ورد عن أنس رضي الله عنه قال: «إذ حملنا ﷺ قد رأى ربه تبرك وعالي»^(٤).

ثالثاً ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد سُئل هل رأى محمد ربه؟ قال نعم قد رآه^(٥).

رابعاً ما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: رآه بعينه ولم ترق عيناه.

وفي طريق آخر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: رآه بقلبه، يعني النبي ﷺ^(٦)

قال أصحاب هذا القول موجهين استدلالهم بالأدلة السابقة إن هؤلاء الصحابة لا يمكن أن يقولوا برؤية وطهرهم في مثل هذه المسألة العجيبة التي لا تدرك إلا بص مس كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وعلى هذا فلا بد أنهم سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ^(٧)

وقالوا أيضاً إن ابن عباس ومن معه أثبوا شيئاً بناء على غيرهم وثبتت مقدم على الثاني لأن

في الشريعة، ١٥٤٢، ٣، رقم (١٣٣)، والدرر قطبي في الرؤية (٣٤٥) رقم (٢٦٤) واللائلكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٦٦، ٣) رقم (٨٩٧)

(١) الخطر كشف المشكوك من حديث الصحيحين لأبي الجوزي، (٢٧٣)

(٢) الخطر الأربعين في دلائل التوحيد لهروي (٩١) وما بعدها، والتوحيد لأبي حنيفة (٤٩٢/٢)

(٣) سورة الإسراء، ٩، (٦٠)

(٤) أخرجه البخاري في عدة من الصحاح في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا جِئْنَاكَ إِلَّا غُصَّةً لِّلنَّاسِ﴾

(٥٨٨/٤) رقم (٤٤٣٩) وفي كتاب مسائل الصحابة، باب «تصريح» (١٤١٢/٣) رقم (٣٦٢٥) وفي

كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا جِئْنَاكَ إِلَّا غُصَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (٢٤٣٩/٦) رقم (٦٢٣٩)

(٥) أخرجه أبو حنيفة في السنة (٨٨)، رقم (٤٣٦) وقال اللالكاني إسناده صحيح وليس بحجة في التوحيد

(٤٨٧/٢) رقم (٢٨٠) وهو ملحق بحجج أسناده في الصحاح (٦٠٨/٨)

(٦) أخرجه اللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٧١/٣) رقم (٩٠٨)

(٧) شرح كلا التعريفين من حجة في التوحيد، (٥٦٢) رقم (٣١٠) وماذا لمحقق إسناده صحيح ورجاله

صالح، والدرر قطبي في الرؤية (٣٤٣، ٣٤٤) رقم (٢٥٨، ٢٥٩) واللائلكاني في شرح الأصول، (٥٧١/٣)

رقم (٩١٥، ٩١٦)

(٨) الخطر التوحيد لأبي حنيفة (٥٥٩/٢) مسلم بشرح النووي (٩٠٣)

النبي لا يوجب علماً حلافاً بالإثبات فإنه هو الذي يوجب العلم (١).

- الفريق الثاني :

وهم الذين دعوا الرؤى التي ﷺ سئل المراح وعلى رأس هؤلاء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود (٢) وحكي عن أبي هريرة (٣) وأبي ذر (٤) وإليه ذهب الدارمي (٥) وجماعة من المحدثين والفقهاء والمكسبين (٦).

أدلة هذا الفريق :

استدل أصحاب هذا القول بما يلي

١ - ما جاء في الصحيحين عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلمن بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ما هن ؟ قالت : من رعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئاً فطلعت فقالت : يا أم المؤمنين أنطربني ولا محجلي ، ألم يقل الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ؟ فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : (إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته مهبطاً من السماء صادراً عظيم خلقه ما بين السماء إلى الأرض) فقال : أو لم سمع أن الله يقول :

﴿ لَا تَدْرِكُهُ لَاسُكْرَةٌ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاِسْمَ وَهُوَ أَلَطُّنُفُّ الْقَيْدِ ﴾ أو لم سمع أن الله يقول : ﴿ وَمَا كَانَ بِشَيْءٍ مُّشْكَلَةً فَعَلَهُ لَا تُدْرِكُهُ لَاسُكْرَةٌ وَهُوَ أَلَطُّنُفُّ الْقَيْدِ ﴾ ؟

خبركيت ﴿ بحديث (٧)

فقالوا هذا الحديث نص صريح مرفوع إلى النبي ﷺ في أن المراد بالمرئي بالايين إنما هو

(١) انظر فتح حيد لابن حريما (٥٤٦/٢) مسلم بشرح النووي (٩/٢)

(٢) انظر : الشفاء للعقاسي عباس (٢٥٧/١) اللهم علمني (٤٠١/١) فتح الباري (٦٠٨/٨)

(٣) انظر : الشفاء للعقاسي عباس (٢٥٧/١) اللهم علمني (٤٠١/١)

(٤) انظر : عارضة الأحمري (١٢٠/١٢) فتح الباري (٦٠٨/٨)

(٥) انظر : القس على الشريسي (٧٣٨-٧٣٧/٢)

(٦) انظر : الشفاء للعقاسي عباس (٢٥٨/٦) اللهم (٤٠١/١)

(٧) عدم عرجه من (٢٢٧)

جبريل عليه السلام وليس الله تعالى ، وقد جاءه أيضاً عن ابن مسعود وأبي هريرة (١) رضي الله عنهما .

قال البيهقي : « منعت رواية عبد الله بن مسعود وعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما عن هذه الآيات أربع في رؤية النبي ﷺ جبريل عليه السلام ، وفي بعضها أسد الخمر إن النبي ﷺ وهو أعلم بمعنى ما أمرل إليه » (٢) .

وأخرج ابن مردويه بإسناد مسلم كما يقول الحافظ ابن حجر - عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « لا ، إنما رأيت جبريل » (٣) .
٢ . ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « (نور أبي أراه) »

وفي طريق آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « (رأيت نوراً) » (٤) .
فقالوا : قد حدث صريح في معنى الرؤية ، بل هو أبلغ من المعنى الصريح بخبره على صورة الاستفهام الإنكاري ، لأن معناه : كيف أراه وقد منعي من رؤيته النور ؟ وهذا النور هو الحساب المورث في حديث أبي موسى عليه السلام « (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) » (٥) (٦) .
ثالثاً . مذهب التوقف .

حكى عن سعيد بن جبير (٧) رحمه الله وأبيه ذهب ثقليني والذهبي وعروة القرظي لطائفة من المشايخ معللين بوقفهم في هذه المسألة بأنه ليس فيها دليل قاطع صريح ولا إثباتاً ، وعامة الاستئصال على معنى ذلك أو إثباته التمسك بطوائف متعارضة (٨) .

(١) زاد تقدم خبرتهما عن (٢٢٨ ، ٢٢٩) .

(٢) الأسماء والصفات (٢٥٠ ، ٢٥٢) .

(٣) النظر فتح الباري (٦ / ٧٨) .

(٤) تقدم خبره عن (٢٢٨) .

(٥) تقدم خبره عن (١٩٧) .

(٦) انظر مجموع الفتاوى (٥ / ٦٩ ، ٥٨) شرح الحديث الطحاوي (٢٢٤) أسواق طين (٣٦١ / ٢) .

(٧) انظر التلخيص لقاظمي رحمه الله (٢٦٠ / ١) .

(٨) انظر التلخيص (١ / ٢٠٢ - ٢٠٣) فتح الباري (٦ / ٨٠) .

وقال النبي : « لا يصف من أثبت الرؤية لربه في الدنيا ولا من سماها ، بل يقول : الله ورسوله أعلم »^(١)

(١) سم الأعلام : ١٠٠

المطلب الثالث

الترجيح

الذي يظهر ، بحسبه - والله تعالى أعلم - مذهب الجمع وذلك بإثبات لرؤية المؤمنين
وعني الرؤية البصرية فحمل الروايات المعلقة في الرؤية عن أبي عباس على الروايات المعلقة
عنه بالمعنى ، وحمل ، كثر عائشة رضي الله عنها على معي الرؤية البصرية ، وبهذا تجتمع
لأدلة ويروى ما قد يُتوهم بينها من التعارض

سبب الترجيح :

- أما عن سبب معي الرؤية البصرية

١- فأنه عليه السلام - عندما سأله أبو ذر رضي الله عنه هل رأيت ربك ؟ قال : ((نور أرى أراه)) وهذا
صريح في معي الرؤية البصرية لأنها هي المسؤول عنها

وأما دعوى ابن خزيمة الانقطاع بين عبد الله بن شقيق وأبي ذر ، معير مستمدة لأن عبد
الله بن شقيق قد صرح بالتحديث عن أبي ذر كما عند مسلم رحمه الله .

وَمَا مَّا ذهب إليه ابن خوري رحمه الله من أن أبا ذر رضي الله عنه يحمل أنه سأل رسول الله ﷺ
قبل الإسراء فأجابته بالنفي ولو سألته بعد الإسراء لأجابته بالإثبات ^(١) ، فقد قال عنه ابن كثير
رحمه الله « هذا ضعيف جداً ، فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك
بعد الإسراء ولم يُسأل لها الرؤية » ^(٢)

٢- أن التصريح بالرؤية البصرية لم يثبت عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم بل قد نقل الترمذي
إجماع الصحابة على أنه عليه السلام لم يروى له رؤية ليلة المعراج ^(٣) ، وأما استثناء بعضهم لايس عباس رضي الله
فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية « ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل
رأه يعني رأسه » ^(٤)

(١) انظر التوحيد لابن خزيمة (٥١١/٢)

(٢) انظر كشف المشكل (٣٧٢/١)

(٣) مسند ابن كثير (٣٩١/٤)

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٥٠٧/٦) شرح لمصنفه الطحاوية (٢٢٤) .

٥٠ مجموع الفتاوى ، ١١٦ ، ١٥

وقال ابن كثير : « ومن روى عنه ^١ باليسر فقد أعرب قوله لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة ^٢ » .

وفرن شيخ الإسلام ابن تيمية : « وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من صحابته . ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك . بل الخصوص الصحيحة على فيه أن كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأى ربك ؟ فقال : ((نور أنى أراه)) .

وقد قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَهُ الْفَوْزُ الْكَافَّةُ لَأُولَئِكَ أَجْرُهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ نَزِيلٌ ﴾ ^٣ ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أول . وكذلك قوله : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الْكَرُورِ ﴾ ^٤ وهو كما رآه بعينه لكان ذكر ذلك أول .

وليس في شيء من أحاديث المعراج التي ذكر ذلك ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما حواه ^٥ .

وقد اتفقت على عياض : « وأما وجوبه لينا ^٦ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص » ^٧ .

وقال الذهبي : « ولم يأتنا نص جلي بأن النبي ﷺ رأى ربه بعينه » ^٨ .
 ٣ أن مسند طعائير بالرؤية البصرية تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لأيات سورة النجم كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ حيث جعل المرئي فيها هو الله تعالى ، وهذا غير صحيح لأن عائشة رضي الله عنها رعت تفسير هذه الآية إلى النبي ﷺ بأن المرئي هو جبريل عليه السلام ووافقه على ذلك أبو هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما في بقية الآيات كما تقدم إرواه عنهم . وأما ابن عباس رضي الله عنهما فإنه يخرجه عن اعتقاده ولم يرفعه إلى

١ . يعني ابن عباس عليه السلام .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٨١/٤)

(٣) سورة الإسراء آية (١)

(٤) صواعق الفتاوى (٥١٠ ، ٥٠٩/٦)

(٥) الشفا (٢٦٥/١)

(٦) مسند الإمام قبله (١٦٧/٢)

النبي ﷺ ، ولا شك أن لدفعه مقدم على الموقف .

- وأما استدلال عائشة رضي الله عنها على عبي الرواية بالأخبار وهما قوله تعالى ،

﴿لَا تَدْرِيكُمْ أَتَمَنَّا﴾ وقوله ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ . .﴾ فهو مسلم

أما الآية الأولى فلأن المعنى فيها لا يحيط به الأبصار ، فالإدراك فيها بمعنى الإحاطة ،

وهي قدر رائد على الرؤية ، وبالتالي هو معنى الإدراك لا يلزم منه معنى الرؤية ، فإن الشيء

قد يُرى ولا يدرك كما يقول المرحل . رأيت السماء وهو صادق مع أنه لم يحيط بصره بكل

السماء ولم يدركها ، ويقول . رأيت البحر ، ولم يدركه بصره كل البحر ، ويقول . رأيت

الشمس وهو عاجز عن الإحاطة بها على ما هي عليه ، والعرب تقول . رأيت الشيء وما

أدركه ، وعلى هذا فإن الله تعالى يرى لكن لا يدرك ولا يحاط به لعظمته تعالى ، وبطوره

جود وصعته بأنه يرى ولا يدرك . حوار وضعه بأنه نعم ولا يحاط بعلمه كما قال تعالى :

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١) فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا

ما شاء . ففي عن أبي يعقوب ، فهو تعالى يعلم ولا يحاط به علماً ويرى ولا يحاط به بكمال

عظمته عز وجل

وهذا التفسير للأية . كره الطبري عن أبي عباس وقده وعطية العمري^(٢) وبسبه العمري

سعيد بن المسيب وعطاء ومقاتل^(٣) وهو قول جمع من أهل العلم كالطبري والأحرري

ونعوي والقرطبي والمووي وابن سمية وابن القيم وابن أبي العز و ابن حجر وعبد الأمير

الشافعي^(٤) وغيرهم

وهو قول أهل اللغة أيضاً قال الزجاج في معنى الآية «أي لا يُحيط كنه حقيقته ، كما

يقول أدركت كذا وكذا»^(٥)

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٩٤ : ٥

(٣) انظر معالم التنزيل ١٢٠/٢

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٩١ : ٢٩٥ ، والسرابة للأحرري ١٠٤٨ : ٢ ، وتفسير العمري ١٢٠/٢ ، والشمس

ر ٢/١ : ٤ ، ومبهم شرح النووي ٩/٢ ، وحادي الأرواح ٣٧٠ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٨ : ٢ ، وشرح الفريفة

التحوي ٢ : ٢ ، وصح الندي ٦٨ : ٦ ، ودفع جهنم الإلهاف عن أي الكتاب للشمسي ٩٢

(٥) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤٦٧/٢

وقال أيضاً « معني هذه الآية إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته »^(١)

وبهذا يتضح أن الآية «سبب نصاً صريحاً في معنى الرؤية» ، وإنما هو استنباط من عائشة رضي الله عنها عاينها فيه ابن عباس وعمره كما تقدم

وأما الآية الثانية «لأنه لا يرم من إثبات الرؤية وجود الكلام حال الرؤية محصور وجرد الرؤية من غير كلام» ، وغاية ما معناه لآية هو معنى كلام الله لأحد من خلقه على غير هذه الأحوال الثلاثة^(٢)

وأما عن سبب إثبات الرؤية المعنوية .

١ - دلالتها ثبت عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما وقال بها جميع من يتقدمين ويتأخرين من أهل العلم

وكل أصحاب الفريق الأول من مدعي الترجيح - إلا من صرح منهم بإثبات الرؤية البصرية^(٣) - يحمل كلامهم في إثبات الرؤية على الرؤية المعنوية لأن الروايات عنهم إما مطلقة وإما معيدة برؤية العرف ، وقد يسا عنهم صحة إثبات الرؤية البصرية بموجب حمل لفظ من الروايات عنهم على التقييد منها بالمعنويات

وبما يحسن التيسر عليه أنه لو كان المعنوي غلبه في إثبات الرؤية المعنوية قول ابن عباس رضي الله عنهما فتقدم بوجه القول به ، لأن قوله رضي الله عنه مبني على تفسير الآيات في سورة الحج وقد ثبت مما سبق بأنه أن لدرجتها بها جبريل القليل .

٢ - وبما يؤيد حمل الروايات المطلقة على الروايات المتقيدة بالمعنويات في ما ورد عن ابن عباس . أن نفس الآيات التي وردت عن ابن عباس في تفسيرها إطلاق الرؤية هي بعينها الآيات التي وردت عن ابن عباس في تفسيرها معيدة الرؤية بالمعنويات^(٤) مما يدل على أنه لم يرد بالإطلاق إثبات رؤية البصرية وإنما أراد الرؤية المعنوية والله أعلم .

٣ - وبما يؤيد ذلك أيضاً ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « لم يره رسول

(١) انظر تهذيب التمهيد للأخري (١٧٨/١٢) وسنن الطبري (٦٤٤/٤) كلاهما مادة (يصر)

(٢) انظر التوحيد لابن خزيمة (٥٥٨/٢) كتاب الإيمان من إكمال المعلم للقاضي عياض (٧٤٤/٢) للمصنف للقرطبي (١٠٤١/١) مسلم بشرح النووي (٩/٣) فتح الباري (٦٠٩/٨)

(٣) وقد تقدم منهم من (٢٣٢)

(٤) انظر من (٢٢٩ ٢٣٥)

الله ﷻ بعينه وبما رآه بعينه^(١) فإن صح هذا فهو قاطع فيما نسب لآبى عباس .

٤ أني لم أجد حسب اطلاعي وتعني الشواصع - من صرح بمعي الرؤية القوادية بل إن بعض الذين يشوب الرؤية البصرية قد صرحوا بإثبات الرؤية القوادية^(٢)

- مناقشة أدلة المثبتين للرؤية البصرية -

١ أما ما استدلوا به من قول ابن عباس عليه السلام : « أتعجبون أن نكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية ل محمد ﷺ » وغيره مما ورد فيه عن ابن عباس إطلاق الرؤية فقد سبق بيان ذلك وأنه محمول على ما ورد عنه من الروايات المتيقنة للرؤية بالقواد ، ومثل هذا يُقال فيما ورد عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ، لأن إطلاقهما للرؤية ليس فيه أيهما أرادا الرؤية البصرية

٢ وأما ما استدلوا به من تفسير ابن عباس عليه السلام للآيات في سورة النجم - وهي قوله تعالى ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَآزِينَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا شِدْقَهُ ﴾ ﴿ وَكَلَّمْنَا هَارُونَ مَرْثَةً ﴾ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا شِدْقَهُ ﴾ بأن لمرئي فيها هو الله تعالى ، فإنه معارض بتفسير ابن مسعود ثلاثة الأولى وكذا أني هريرة وعائشة بالآية الثانية وقد رجعت عائشة هذا التفسير إلى النبي ﷺ بأن مرئي هو جبريل عليه السلام ، ثم لو سلمنا حداً أن الصواب مع ابن عباس عليه السلام في أن المراد بالمرئي هو الله تعالى ، فإنه ليس فيه إثبات الرؤية البصرية ، لأن الرواية عن ابن عباس في هذه الآيات إما مطلقة وإما مقيدة بالقواد وليس فيما نسب عنه من الروايات التصريح بالرؤية البصرية

٣ وأما ما رواه ابن عباس بسند صحيح عن النبي ﷺ أنه قال ((رأيت ربي تبارك وتعالى)) فإنه مختصر من حديث المأم^(٣) كما بين ذلك ابن كثير وغيره^(٤) .

(١) ذكره حافظ ابن حزم في المسح وعنده ليس مرفوعة ، وأمر به الدكتور في الرؤية (٢٥٤) رقم (٢٨) وحكم بتحقيق على بساطه بالضعف

(٢) انظر فتح الباري (٦٠٤٨)

(٣) حديث بشار بن عبد الله طرق في عدد من الصحابة كابن عباس وسعد بن حبيب وأنس وعبد الرحمن بن عائش وهي أدلة لا يمكن الاعتماد عليها من طريق غير صحيح وعنده الله بن عمر وثوبان وأبي هريرة وأبي رافع وحسن بن مسرة وأنس بن عبيد بن الجراح ، وهو مجموع هذه الطرق حديث صحيح صحيح جمع من أهل العلم والمحدث

عن ابن مسعود في الرد على البصيرة (٩١) « وروي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ ونقلها عنهم أهل البلاد من أهل الشرق والغرب »

وقال الشعبي في السير (١٦٧٢) « ما رأيت رؤية التمام صحابته من وجوه متعددة مستقيمة »

قال شيخ الإسلام بن تيمية « هذا الحديث لم يذكر ليلة المعراج ، وإن هذا الحديث كان بالمدينة ، وفي الحديث أن النبي ﷺ قام عن صلاة الصبح ثم حرج إليهم وقال : ((رأيت كما وكذا)) وهو من رواه من لم يصل خلفه إلا بالمدينة والمعراج إنما كان من مكة باتجاه أهل العلم وبعض القرآن والفلسة المتأخرة كما قال الله تعالى

وصحي هذا الحديث من طريق معاذ ، والذي هو أصح الطرق . هي معاذ بن جبل قال : اجتمع عنا رسول الله ﷺ ذات يوم من صلاة الصبح حتى كدنا نرى غير الشمس فخرج سريعا فثوبنا بالصلاة فقلبي رسول الله ﷺ وعجزني عن الصلاة . فلما سمع دعا يصوره فقال : « على مصافحكم كما أسمع » ثم فصل اليك فقال : (أنا إني سألتهمكم ما جسي عليكم العباد . إني قلت من قليل فلو كانت نصيحت ما قُربني ، فحسب لي علاتي فاستغفلت فوجدت ما يربي يربو ويعد ، في أجس صورة فقال : يا محمد ، فب ما ربي برب ؟ قلت : فب بتصميم صلاة الأحمي ؟ فب لا أدري رب . فقلت : ثلاثاً ، قال فرائه وضع كفه بين كفي ، فب وحده يرد أنامله بين ثنبي فتعطي لي كفي شيء وعرف ، فقال : يا محمد ، فب بياك رب ؟ قلت : فب بتصميم صلاة الأحمي ؟ قلت : فب بياك رب ؟ قلت : فب بصي الأقدام بين الأصابع واليوس في المساعدة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في التكررات ، فقال : ثم فبم ؟ فب بتصميم الطعام ومن الكلام والصلاة بالليل والليل ليام ، قال سئل : فبم التهم إني أسألك فعل الأقرباء ورك التكررات وحب الشاكرين وإن تعمر في وقوفي إذا رددت فب في يوم توفي عو مقرب ، وأبألت حيف وحب من بياك وحب علي بربك إن كنت ، قال رسول الله ﷺ : فيها سنن مائة رها ثم سألوها : أنمره فلو لمدي وقال حديث حسن صحيح وذكر ابن الجوزي : صحيحه . انظر من التوفيق : (لغة ١٠٧/٤) وأحمد في المسند (٣٢٣/٦) (ج ٢ : ٢١٦) (ج ٢ : ٢٤٠) (ج ٢ : ٣٢) (ج ٢ : ٢٤١) (ج ٢ : ٢٤٢) (ج ٢ : ٢٤٣) (ج ٢ : ٢٤٤) (ج ٢ : ٢٤٥) (ج ٢ : ٢٤٦) (ج ٢ : ٢٤٧) (ج ٢ : ٢٤٨) (ج ٢ : ٢٤٩) (ج ٢ : ٢٥٠) (ج ٢ : ٢٥١) (ج ٢ : ٢٥٢) (ج ٢ : ٢٥٣) (ج ٢ : ٢٥٤) (ج ٢ : ٢٥٥) (ج ٢ : ٢٥٦) (ج ٢ : ٢٥٧) (ج ٢ : ٢٥٨) (ج ٢ : ٢٥٩) (ج ٢ : ٢٦٠) (ج ٢ : ٢٦١) (ج ٢ : ٢٦٢) (ج ٢ : ٢٦٣) (ج ٢ : ٢٦٤) (ج ٢ : ٢٦٥) (ج ٢ : ٢٦٦) (ج ٢ : ٢٦٧) (ج ٢ : ٢٦٨) (ج ٢ : ٢٦٩) (ج ٢ : ٢٧٠) (ج ٢ : ٢٧١) (ج ٢ : ٢٧٢) (ج ٢ : ٢٧٣) (ج ٢ : ٢٧٤) (ج ٢ : ٢٧٥) (ج ٢ : ٢٧٦) (ج ٢ : ٢٧٧) (ج ٢ : ٢٧٨) (ج ٢ : ٢٧٩) (ج ٢ : ٢٨٠) (ج ٢ : ٢٨١) (ج ٢ : ٢٨٢) (ج ٢ : ٢٨٣) (ج ٢ : ٢٨٤) (ج ٢ : ٢٨٥) (ج ٢ : ٢٨٦) (ج ٢ : ٢٨٧) (ج ٢ : ٢٨٨) (ج ٢ : ٢٨٩) (ج ٢ : ٢٩٠) (ج ٢ : ٢٩١) (ج ٢ : ٢٩٢) (ج ٢ : ٢٩٣) (ج ٢ : ٢٩٤) (ج ٢ : ٢٩٥) (ج ٢ : ٢٩٦) (ج ٢ : ٢٩٧) (ج ٢ : ٢٩٨) (ج ٢ : ٢٩٩) (ج ٢ : ٣٠٠) (ج ٢ : ٣٠١) (ج ٢ : ٣٠٢) (ج ٢ : ٣٠٣) (ج ٢ : ٣٠٤) (ج ٢ : ٣٠٥) (ج ٢ : ٣٠٦) (ج ٢ : ٣٠٧) (ج ٢ : ٣٠٨) (ج ٢ : ٣٠٩) (ج ٢ : ٣١٠) (ج ٢ : ٣١١) (ج ٢ : ٣١٢) (ج ٢ : ٣١٣) (ج ٢ : ٣١٤) (ج ٢ : ٣١٥) (ج ٢ : ٣١٦) (ج ٢ : ٣١٧) (ج ٢ : ٣١٨) (ج ٢ : ٣١٩) (ج ٢ : ٣٢٠) (ج ٢ : ٣٢١) (ج ٢ : ٣٢٢) (ج ٢ : ٣٢٣) (ج ٢ : ٣٢٤) (ج ٢ : ٣٢٥) (ج ٢ : ٣٢٦) (ج ٢ : ٣٢٧) (ج ٢ : ٣٢٨) (ج ٢ : ٣٢٩) (ج ٢ : ٣٣٠) (ج ٢ : ٣٣١) (ج ٢ : ٣٣٢) (ج ٢ : ٣٣٣) (ج ٢ : ٣٣٤) (ج ٢ : ٣٣٥) (ج ٢ : ٣٣٦) (ج ٢ : ٣٣٧) (ج ٢ : ٣٣٨) (ج ٢ : ٣٣٩) (ج ٢ : ٣٤٠) (ج ٢ : ٣٤١) (ج ٢ : ٣٤٢) (ج ٢ : ٣٤٣) (ج ٢ : ٣٤٤) (ج ٢ : ٣٤٥) (ج ٢ : ٣٤٦) (ج ٢ : ٣٤٧) (ج ٢ : ٣٤٨) (ج ٢ : ٣٤٩) (ج ٢ : ٣٥٠) (ج ٢ : ٣٥١) (ج ٢ : ٣٥٢) (ج ٢ : ٣٥٣) (ج ٢ : ٣٥٤) (ج ٢ : ٣٥٥) (ج ٢ : ٣٥٦) (ج ٢ : ٣٥٧) (ج ٢ : ٣٥٨) (ج ٢ : ٣٥٩) (ج ٢ : ٣٦٠) (ج ٢ : ٣٦١) (ج ٢ : ٣٦٢) (ج ٢ : ٣٦٣) (ج ٢ : ٣٦٤) (ج ٢ : ٣٦٥) (ج ٢ : ٣٦٦) (ج ٢ : ٣٦٧) (ج ٢ : ٣٦٨) (ج ٢ : ٣٦٩) (ج ٢ : ٣٧٠) (ج ٢ : ٣٧١) (ج ٢ : ٣٧٢) (ج ٢ : ٣٧٣) (ج ٢ : ٣٧٤) (ج ٢ : ٣٧٥) (ج ٢ : ٣٧٦) (ج ٢ : ٣٧٧) (ج ٢ : ٣٧٨) (ج ٢ : ٣٧٩) (ج ٢ : ٣٨٠) (ج ٢ : ٣٨١) (ج ٢ : ٣٨٢) (ج ٢ : ٣٨٣) (ج ٢ : ٣٨٤) (ج ٢ : ٣٨٥) (ج ٢ : ٣٨٦) (ج ٢ : ٣٨٧) (ج ٢ : ٣٨٨) (ج ٢ : ٣٨٩) (ج ٢ : ٣٩٠) (ج ٢ : ٣٩١) (ج ٢ : ٣٩٢) (ج ٢ : ٣٩٣) (ج ٢ : ٣٩٤) (ج ٢ : ٣٩٥) (ج ٢ : ٣٩٦) (ج ٢ : ٣٩٧) (ج ٢ : ٣٩٨) (ج ٢ : ٣٩٩) (ج ٢ : ٤٠٠) (ج ٢ : ٤٠١) (ج ٢ : ٤٠٢) (ج ٢ : ٤٠٣) (ج ٢ : ٤٠٤) (ج ٢ : ٤٠٥) (ج ٢ : ٤٠٦) (ج ٢ : ٤٠٧) (ج ٢ : ٤٠٨) (ج ٢ : ٤٠٩) (ج ٢ : ٤١٠) (ج ٢ : ٤١١) (ج ٢ : ٤١٢) (ج ٢ : ٤١٣) (ج ٢ : ٤١٤) (ج ٢ : ٤١٥) (ج ٢ : ٤١٦) (ج ٢ : ٤١٧) (ج ٢ : ٤١٨) (ج ٢ : ٤١٩) (ج ٢ : ٤٢٠) (ج ٢ : ٤٢١) (ج ٢ : ٤٢٢) (ج ٢ : ٤٢٣) (ج ٢ : ٤٢٤) (ج ٢ : ٤٢٥) (ج ٢ : ٤٢٦) (ج ٢ : ٤٢٧) (ج ٢ : ٤٢٨) (ج ٢ : ٤٢٩) (ج ٢ : ٤٣٠) (ج ٢ : ٤٣١) (ج ٢ : ٤٣٢) (ج ٢ : ٤٣٣) (ج ٢ : ٤٣٤) (ج ٢ : ٤٣٥) (ج ٢ : ٤٣٦) (ج ٢ : ٤٣٧) (ج ٢ : ٤٣٨) (ج ٢ : ٤٣٩) (ج ٢ : ٤٤٠) (ج ٢ : ٤٤١) (ج ٢ : ٤٤٢) (ج ٢ : ٤٤٣) (ج ٢ : ٤٤٤) (ج ٢ : ٤٤٥) (ج ٢ : ٤٤٦) (ج ٢ : ٤٤٧) (ج ٢ : ٤٤٨) (ج ٢ : ٤٤٩) (ج ٢ : ٤٥٠) (ج ٢ : ٤٥١) (ج ٢ : ٤٥٢) (ج ٢ : ٤٥٣) (ج ٢ : ٤٥٤) (ج ٢ : ٤٥٥) (ج ٢ : ٤٥٦) (ج ٢ : ٤٥٧) (ج ٢ : ٤٥٨) (ج ٢ : ٤٥٩) (ج ٢ : ٤٦٠) (ج ٢ : ٤٦١) (ج ٢ : ٤٦٢) (ج ٢ : ٤٦٣) (ج ٢ : ٤٦٤) (ج ٢ : ٤٦٥) (ج ٢ : ٤٦٦) (ج ٢ : ٤٦٧) (ج ٢ : ٤٦٨) (ج ٢ : ٤٦٩) (ج ٢ : ٤٧٠) (ج ٢ : ٤٧١) (ج ٢ : ٤٧٢) (ج ٢ : ٤٧٣) (ج ٢ : ٤٧٤) (ج ٢ : ٤٧٥) (ج ٢ : ٤٧٦) (ج ٢ : ٤٧٧) (ج ٢ : ٤٧٨) (ج ٢ : ٤٧٩) (ج ٢ : ٤٨٠) (ج ٢ : ٤٨١) (ج ٢ : ٤٨٢) (ج ٢ : ٤٨٣) (ج ٢ : ٤٨٤) (ج ٢ : ٤٨٥) (ج ٢ : ٤٨٦) (ج ٢ : ٤٨٧) (ج ٢ : ٤٨٨) (ج ٢ : ٤٨٩) (ج ٢ : ٤٩٠) (ج ٢ : ٤٩١) (ج ٢ : ٤٩٢) (ج ٢ : ٤٩٣) (ج ٢ : ٤٩٤) (ج ٢ : ٤٩٥) (ج ٢ : ٤٩٦) (ج ٢ : ٤٩٧

وعدد الأحاديث هي هذا الجمع من الصحابة رسول الله عليهم تليد ان الله تعالى قد يرى في ادم تكن ليس على
جميعه في هو عنها الآن سبحانه وتعالى
قال الدرر في النضر على لريسي (٢٣٨/٢) « وفي ادم يمكن رؤية الله تعالى على كل حال وفي كل
مكان »

وقد نال القاضي عيسى شدة الفناء على حوثر رؤية الله في السلام ومحبته. نظر إكمال نعمه (٢٧٠/٧) مسلم بفتح القوي (٢١/١٥) فتح الباري (٢٨٩/١٢)

وقال شيخ الإسلام في حجة: « وقد يرى الظاهر منه في اللام في صور متوعدة على قدر لسانه وقبيله ، فلو كان لسانه صحيحاً ، لم يرد إلا في صورة حسنة ، وإذا كان في لسانه قصص رأى ما يشبه لسانه ، وروى اللام على حكم غير رؤيا للغمعة في البعثة ، وهذا غير وثوق ، بل فيها من الأساليب للصورة ، جعلت في مجموع المسائل ، ٣٩٠/٣ »

(١) الفهرست، ص (٢٢٥) ، در، هبما فیبحث

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَرْنَا عَنْبُدَهُ﴾ [التلاوة: المسجدين الحركين] إلى التسويد الأقمصا ﴿^(١)﴾ معلّم أن هذا الحديث كان رؤيا مام بالمدينة كما جاء مصرّفاً في كثير من طرقه أنه كان رؤيا مام مع أن رؤيا الأنبياء وحى لم يكن رؤيا يقطعه ليلة المعراج ^(٢) »

٤- وأما ما استدل به الطروي وغيره من تفسير ابن عباس ﷺ بقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَلَيْنَاكَ إِلَّا جَنَةً لِّلنَّاسِ﴾ بقوله هي رؤيا غير أنبياء رسول الله ﷺ ليلة أسري به ، عليس به دليل على أنه أراد رؤية النبي ﷺ لربه لأنه لم يذكر متعلق الرؤية . قال سميان ابن عيسى وهو أحد «هرو» هذا : لا أثر « ليس الخبر بالنبى أيضاً . أن ابن عباس أراد بقوله (رؤيا غير) رؤية النبي ﷺ لربه بعينه ^(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذه (رؤيا الأياف) لأنه أعبر الناس عما رآه بعينه ليلة المعراج فكان ذلك حجة لهم حيث صلفه قوم وكذبه قوم ولم يحرمهم بأمر رأى ربه بعينه ، وليس في شيء من أحداث المعراج الثابتة ذكر ذلك ، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه ^(٤) »

وذلك فإن هذا الدليل لا يُسلم به حتى بعض أصحاب هذا القول ^(٥)

٥- وأما قوهم إلى ابن عباس أثبت شيئاً معاً غيره وثبت مقدم على أساقى ، فإن هذا صحيح فيما كب الأصل فيه الإثبات ، أما هنا فالأصل النفي ، ولا بد لتقديم الإثبات عليه من دليل قاطع ، كيف وقد قام الدليل على النفي كما تقدم .

وأما مذهب التوقف صبه واسع وهو كما قال الذهبي « وهذه لسألة عما يسع المرء للمسلم في دمه السكوت عنها ^(٦) » .

الخلاصة .

أنه ﷺ لم ير ربه ببصره وإنما رآه بعفاده ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة القول بالرؤية

(١) سورة الإسراء آية (٦) .

(٢) مسود الفتاوى (٣٨٧/٢)

(٣) فتوحيد لابي حمزة (٤٩٤/٢)

(٤) مسود الفتاوى ، ٥١٠/٦

(٥) انصر التوحيد لابي حمزة (٤٩٢/٢)

(٦) سمر اعلام النبلاء (١٦٧٠٣) وانظر (١١٤١٠)

البصرية ، قد في ليلة القدر ، وأما الذين قالوا إنه رآه بعينه فليس لهم مستند على ذلك ، لا ما فهموه من الروايات القديمة في الرؤية عن بعض الصحابة كابن عباس وغيره ، ورآه أيضاً رؤيا صادقة في ليله كما في حديث ابن عباس ومعاذ وغيرهما والله تعالى أعلم

الفصل الثالث : مسائل تتعلق بالإيمان

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : ما جاء في مواخضة من أساء في الإسلام بعمله في الحاهلية والإسلام
- المبحث الثاني : أحاديث الوعد والوعيد
- المبحث الثالث : ما جاء في مكان سدرة المنتهى .

المبحث الأول : ما جاء في مؤاخذه من أساء في

الإسلام بعمله في الجاهلية والإسلام

وفيه ثلاثة مطالب .

○ المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

○ المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

الحديث الأول حديث عمرو بن العاص أنه قال : ((أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله .))^(١)

الحديث الثاني حديث عبد الله بن مسعود أنه قال قال رجل يا رسول الله أتواحد ما عمسا في الجاهلية ؟ قال ((من أحسن في الإسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر))^(٢)

وفي رواية مسلم ((ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام)) .

بيان وجه التعارض

وجه التعارض أن في الحديث الأول ما يعيد أن المرء إذا أسلم فإنه بإسلامه يُمحَرُّ عنه ما سلف في جاهليته لأن الإسلام يهدم ما كان قبله

بينما نجد في الحديث الثاني ما يعيد أن المرء إذا أسلم ثم أساء في إسلامه فإنه يعاقب عسى ساءه في حال إسلامه وفي حال جاهليته .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تكون الإسلام يهدم ما قبله (٤٩٦/٢) ح (١٢١)

(٢) صحيح عبد الباقى كتاب استقامة المردى والقاصى ، باب إنهم من أشرك بالله (٢٥٣٦)

ح (١٥٢٣) ومسلم كتاب الإيمان ، باب هل يؤخذ بما عمل الجاهلية ؟ (٤٩٥/٢) ح (١٢٠)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

سلك من العلم في هذه المسألة ثلاثة مسالك لا نشرح كلها عن مذهب الجمع وهي كالآتي
المسلك الأول أن المرء إذا دخل في الإسلام فإنه يعثر له في الإسلام كل ما سبق منه في الجاهلية من كفر وذنوب وإن أصر عليها في الإسلام

فأما وأن الإساءة الواردة في حديث عبد الله بن مسعود رضي عن محمولة على الكفر سواء كان ذلك بإبداءه عن الإسلام ، أو بكونه دخل في الإسلام طاهراً وأما في الباطل فهو باقٍ على كفره ، بمعنى أنه أسلم إسلام الناصي

وإلى هذا المسلك ذهب الخطحاوي ^(١) ، وبعض جماعة كبار حامد والفاصمي أبي يحيى ^(٢) ورجحه ابن بطال ^(٣) وعمره لجماعة من العلماء ، والقرطبي ^(٤) والسوي ^(٥) وعمره لجماعة من مشقير ، وابن حجر ^(٦) ، وأشار إليه البخاري وذلك بإيراد هذا الحديث بعد حديث (أكبر الكبائر شرك) وأورد كلاً في أبواب المرتدين ^(٧)

واستدل أصحاب هذا المسلك بما يلي

١- دلالة الكتاب والسنة والإجماع على أن الإسلام يهدم ما كان قبله

أما الكتاب فعوله تعالى ﴿ قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنِّي كُفِّرُ عَنْهُمْ أَوَّلَهُمْ إِنِّي فَاعِلٌ لَهُمْ مَا فَاعِلُهُمْ ﴾ ^(٨) . وكذلك قوله عز وجل :

﴿ قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا أَعْلَوْتُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ غَدَابَتِي وَسَاءَ مَا فَاعِلُهُ ﴾ ^(٩)

(١) انظر مشكل الآثار (١٤٧/١)

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (١٥٦/١)

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (٢٦٦/١٢)

(٤) سطر المفهم (٣٢٧/١)

(٥) انظر مسلم مسرح القوي (٤٩٥/٢)

(٦) انظر فتح الباري (٢٦٦/١٢)

(٧) طرجم الناصي ، طبر ، والصحة

(٨) سورة الأعداء آية (٣٨)

فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن ناساً من أهل طبرستان كانوا قد قتلوا وأكثروا ، ورووا وأكثروا ، فأمرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتلوا ، إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو غير ما . لما علمت كفارة قتل

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَتَّقُونَكَ كَتُمُوا بَاطِلًا لِّئَلَّا يَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَتُوبُوا ﴾ (١) «
وروي ﴿ قُلْ يُضِلُّ مَا يَلْمِزُ الَّذِينَ آمَنُوا غَرِيبًا مِمَّا نَفْسُ هُمْ مُخِلُّونَ ﴾ (٢) «

ب - وأما إساءة من حديث عمرو بن العاص وفيه أن الإسلام يهدم ما كان قبله .

ج - وأما الإجماع فقد نقه غير واحد من أهل العلم كالخطابي (٣) وابن بطال (٤) والووي (٥)

٢ قالوا ، وما يدل على أن الإساءة يراد بها الكفر والشرك قوله تعالى

﴿ وَمَنْ يَدْعُ إِلَى تَفْوِثٍ فَإِنَّهُ يَدْعُ إِلَى الْفَسَادِ هَلْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦) «

فقد ذهب لطبري إلى أن المراد بالإساءة هنا الشرك والكفر ونقل هذا التفسير عن أبي هريرة وابن عباس ومجاهد وعطاء وقتاده والصحاح وجميع من المتقدمين (٧)

قال الشوكاني عند هذه الآية . « قال جماعة من الصحابة ومن بعدهم - حتى قيل إنه

جمع عليه بين أهل التأويل - إن المراد بالإساءة هنا الشرك ، ووجه التخصيص قوله .

﴿ فَكُنْ لَهُمْ مَخْرُجًا كَمَا كُنْتَ لَهُمْ مُدْخِلًا ﴾ (٨) «

المسلك الثاني : ما ذهب إليه الإمام أحمد وبعض أصحابه كأبي بكر عبد العزيز بن جعفر

(٩) سورة الرعد الآية (٥٣)

(١٠) سورة الفرقان ، آية (٦٨)

(١١) معنى عليه البخاري كتاب التفسير باب ﴿ مَا عَادِيَ النَّاسُ أَنْزِلُوا عَلَيْهِمْ ﴾ (١٨١١/٤)

ج (٤٥٣٢)

وسلم كتاب الأيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله (٤٩٨/٣) ج (١٢٢)

(١٣) انظر أعلام الحديث (٢٣١١/٤)

(١٤) انظر فتح الباري (٢٦٦/١٢)

(١٥) انظر مسموع شرح الووي (٤٩٥/٢)

(١٦) سورة البمل آية (٩)

(١٧) انظر تفسير الطبري (٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ١٠) (٤١٨ ، ٤١٧ ، ٤١٦/٥)

(١٨) فتح القدير (١٥٦/٤)

وعبره ، وهو اختيار الحليمي من الشافعية ^(١) ، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٢) ، وابن أبي العر في شرح الطحاوية ^(٣) ، ومصره ابن حزم ^(٤) وابن رجب ، وهو قول طوائف من المتكلمين من المعتزلة وغيرهم ^(٥)

وهو أن الإسلام إنما يكفر ما كان قبله من الكفر ولو أحقه التي أحسبها لمسلم بالإسلامه ، دائماً للذنب متى فعلها في الجاهلية إذا أصر عليها في الإسلام فإنه يؤخذ بها ، لأنه إذا أصر عليها في الإسلام لم يكن مائتاً منها فلا يكفر عنه بقول النبوة فيها ، وعلى هذا فإن الإساءة في حديث ابن مسعود يرد بها الإصرار على الذنوب التي كان يعملها في الجاهلية قال أصحاب هذا المذهب : ويهدد لقول تجتمع الأدلة وأجابوا : عن استدلال أصحاب القول لأول بآية

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَسْتَهْوَئُوا فَسَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ فَوَافَقَتْهُمْ أَسْوَاقُ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٦) بأن المراد : يعمرهم ما سلف من شهواته

وأن أسوأهم عذيب (أن الإسلام يهدم ما كان قبله) فقال أصحاب هذا القول : إن الكلام في قوله (الإسلام) تعريف العهد ، والإسلام للمعهود بينهم ، كان الإسلام الحسن الذي يتضمن فعل الأوامر وترك النواهي فمن أسلم هذا الإسلام عصرت ذنوبه كلها وأنما من ذهبوا إليه من حمل الإساءة في حديث ابن مسعود على الكفر فقال عنه ابن رجب « هذا بعد جدواً ومضى تد عن الإسلام أو كذباً منافقاً قسم يس معه إسلام حتى يسيء فيه » ^(٧)

قال شيخ الإسلام بن تيمية وقد سئل عن اليهودي والنصراني إذا أسلم : هل يبقى عليه ذنب بعد الإسلام ؟

١ ، انظر المنهاج في شعب الإيمان (٥ ، ٥) فتح البارز لابن رجب ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، وفتح الباري لابن حجر ، ٢٦٦/٢ ، ٢٦٧ (٢) كذا في سباني المل عنه (٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٤٥١) (٤) انظر القصص في سبل والأهواء والنجس (٣٥٤ ، ٢) (٥) انظر فتح الباري لابن رجب (١٥٥/١) (٦) فتح الباري (١٥١/١)

دب بعد الإسلام ؟

مُجاب : إذا أسلم باحداً وعلماً أن عمر له الكفر الذي تاب منه بالإسلام بلا نزاع ، وأما الذنوب التي لم يسب منها مثل أن يكون مضرراً على ديب أو ظلم أو فاحشة ، ولم يسب منها بالإسلام فقد قال بعض الناس : إنه يعمر له بالإسلام

والصحيح أنه إنما يعمر له ما تاب منه كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قيل : ((أواحد مما عملنا في الجاهلية ؟)) فقال : من أحسن في الإسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر)) و (حسن الإسلام) أن يلتزم فعن ما أمر الله به وبرك ما نهى عنه ، وهذا معنى التوبة العامة ، فمن أسلم هذا الإسلام عُمِرَت ذنوبه كلها

وهكذا كان إسلام السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ((أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله)) جواب السلام لتعريف العهد ، والإسلام للعهد بينهم كان الإسلام أحسن

وتوبه ((ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر)) أي إذا أصر على ما كان يعمل من الذنوب فإنه يراعى بالأول والآخر ، وهذا موجب النصوص والعدل ، فإن تاب من ديب عمر له ذلك الذنب ، ولم يجب أن يعمر له غيره ، وللسلم ثابت من الكفر كما قال تعالى ﴿ إِذَا أَسْلَمَ الْأَشْهَرُ الْخَرْمُ أَقْبَلُوا الشَّرِيعَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوا حَتَرَهُمْ وَأَخْضَرُواهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ كُلٌّ مِّنْ صِلَةٍ إِلَّا أَفْوَاقًا مَّا لَكُمُ اللَّيْلَةُ وَمَا تَوَلَّوْا إِلَٰهَ كُوفَةٍ فَخَلُّوا سُبُلَهُمْ ﴾ (١) وقوله .

﴿ قُلْ لِلَّيْمَنِ كُفْرًا إِذْ رَسَتْهُوا يُعْذَرُ لَهُمْ مَا فَتَنَ سَلَفَ ﴾ (٢) أي إذا انتهوا عما نهوا عنه عذر لهم ما قد سلف فالانتهاء عن الذنب هو التوبة منه ، من انتهى عن ديب عمر له ما سلف منه وما من م ينه عن ديب فلا يجب أن يعمر له ما سلف لاسيما عن ديب آخر (٣)

المسلك الثالث ما ذهب إليه الخطابي من حمل لتواحدة بعمله في الجاهلية على التكسب

(١) سورة لقمان ، آية (١٠)

(٢) سورة الأعراف ، آية (٢٨)

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ٧) وقطر (١٠ / ٣٢٢ - ٣٢٣)

والشعير دون التعاقبة

وأما إساءته في الإسلام فإنه يعاقب عليها

قال رحمه الله « ووجه هذا الحديث وتأويله أنه إذا أسلم مرة لم يؤخذ بما كان سبب من كفره ولم يعاقب عليه ، وإن إساءة في الإسلام غاية إساءة ، وركب أشد ما يكون من تعاصي ما دام ثابتاً على إسلامه ، وإنما يؤخذ مما جاء في الإسلام من العصية ، ويُعير بما كان منه في الكفر ، ويُحكى به كأنه يقال له 'ليس قد فعلت كذا وكذا وأنت كافر مهلاً فعلى إسلامك من معارضة مثله إذ أسلمت ؟ ' »^(١)

قال الحافظ في المصحح « وحاصله أنه أول المؤاخذه في الأول بالتبكيك وفي الآخر بالعقوبة »^(٢)

(١) إعلام الحديث ٤ / ٢٢١

(٢) المصحح (٢٦٦/١٢)

المطلب الثالث

الترجيح

أجمع أهل العلم على أن من أسلم باحداً وظاهراً كفر له الكفر الذي ناب عنه بالإسلام^(١) كما أجمعوا على أن من أسلم وحسن إسلامه وذلك بأن يشترط بفعله ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه فإنه بهذا الإسلام تعذر له ذنوبه كلها^(٢)

وأجمعوا أيضاً على أنه من أسلم ظاهراً وأبطن الكفر ولم يوافق فإنه لا يعسر له شيء من ذنوبه بإظهاره الإسلام لأنه موافق لكفر^(٣)

وبقي الخلاف حينئذ بين أسلم إسلاماً صادقاً ولكنه بقي مصرّاً على بعض المعاصي التي كان يعمدها في الجاهلية ، فهل يحاسب على إساءته هذه في حال إسلامه فقط ، أم أنه يحاسب على إساءته في حال كفره وإسلامه ؟

في هذا ختلف أهل العلم كما تقدم

أما لمسلك الأول والثاني فلم يظهر لي رجحان أحدهما على الآخر

وأما ما ذهب إليه الخطابي من حمل المواجهة في الجاهلية على التكتك والتعير بعد حداً لأن الحديث صريح بالثبوت ، وإن كان هذا القول - في حقيقته - يؤول إلى لمسلك الأول لأن معاده عدم المواجهة بالإساءة في حال الكفر مسداً إلى أن الإسلام يهدم ما كان قبله .

والخاص أنه بالأخذ بلمسلك الأول أو الثاني يدفع الإشكال ويروى ما قد يوهم من التعارض بين الحديثين والله تعالى أعلم

(١) انظر مجموع الفتاوى (٧٠١/١١)

(٢) وعلى هذا الإجماع والذي قبله جعل الإجماع الذي نقله أصحاب لمسلك الأول ، أو قلنا إنه مجموع بماتمة أصحاب لقول الثاني كما ذهب إلى هذا ابن حجر في المنيع (٢٦٧ ، ٢٦٦/١٢)

(٣) انظر مسلم بشرح النووي (٤٩٥/٢)

المبحث الثاني : أحاديث الوعد والوعيد

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم طاهرها التعارض .
- المطلب الثاني : مداعب العلماء تجاه هذا التعارض .
- المطلب الثالث : الترجيح .

ومن أمثله

- حديث عباد بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ((لأن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يعني بذلك وجه الله))^(١)

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ((لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))^(٢)

- حديث أبي عيسى عبد الرحمن بن جو رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((من اغترت قلعه في سبيل الله حرمه الله على النار))^(٣)

- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار))^(٤).

ثانياً : أحاديث الوعيد .

وهي كثيرة جداً - بعضاً - ويمكن تقسيمها إلى ستة أنواع كبرى ، ومعت كل نوع يدرج عدد كبير من الأحاديث .

وسأذكر هذه الأنواع مع التمثيل لكل نوع

النوع الأول الأحاديث التي فيها إطلاق الكفر على بعض الكفار ومن أمثله

- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))^(٥)

حديث جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))^(٦)

(١) متفق عليه البخاري كتاب الصلاة ، باب المساعدة في البيوت (١٦٤/١) ح (٤١٥)

ومسلم كتاب المساعدة ومواضع الصلاة ، باب الرخصة في التخصف عن المساعدة لقبر (١٦٤/٥) ح (٦٥٧)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب تفريم الكفر وزيادة . (٤٥٠/٢) ح (٩١)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب الشيء إلى الجمعة (٣٠٨/١) ح (٨٦٥)

(٤) متفق عليه البخاري كتاب العلم ، باب من خص بالعصم قوة فوق قومه . (٥٩/١) ح (١٢٨)

ومسلم كتاب الإيمان ، باب التذليل على أن من سب عن التوحيد دخل فيه قطعاً (٣٥٣/١) ح (٣٢)

(٥) متفق عليه البخاري كتاب الإيمان ، باب خوف الناس أن يحبط عمله (٢٧/١) ح (٤٨)

ومسلم كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (٤١٢/٢) ح (٦٤)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : ((ليس من رجل ادعى لنفسه أنه - وهو يعلمه - (لا كفر)))^(١)

الوعيد الثاني . الأحاديث التي فيها نهي الإيمان عن ارتكاب بعض الكبائر ومن أمثلته .

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ((لا يرني الراعي حين يزي وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أنصارهم حين ينتهب وهو مؤمن))^(٢)

- حديث أبي شريح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن)) قيل ومن يارسول الله ؟ قال : ((الذي لا يأمن حارّة يوائقه))^(٣)

انوع الثالث . الأحاديث التي فيها براءة النبي ﷺ عن ارتكاب بعض الكبائر ومن أمثلته :

- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((من حمل عليا السلاح فليس منا))^(٤)

- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية))^(٥)

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((من شق فليس مني))^(٦) .

(٦) متن عليه البخاري . كتاب قطع . باب الإنصاف للعلماء (٥٦/١) ج (١٢١)

ومسلم . كتاب الإيمان . باب إذا دعى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفراً يضرب بعضكم رقاب بعض (٤١٥/٢) ج (٦٥)

(١) متن عليه البخاري . كتاب شق . باب منية اليمين قل إجماع (١٢٩٢/٣) ج (٣٣١٧)

ومسلم . كتاب الإيمان . باب إذا حال لك من رغب عن أبيه (٤١١/٢) ج (٦٦)

(٢) متن عليه البخاري . كتاب نظام . باب النهي بغير إذن صاحبه (٨٧٥/٢) ج (٢٣٤٣)

ومسلم . كتاب الإيمان . باب بيان بعض الإيمان بالمعصية (١١٢) ج (٥٧)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب . باب إذا من لا يأمن حارّة يوائقه (٣٢٤٠/٥) ج (٥٦٧٠)

(٤) متن عليه البخاري . كتاب الفتن . باب قول النبي ﷺ (من حمل عليا السلاح فليس منا) (٢٥٩/٦) ج (٦٦٥٩)

ومسلم . كتاب الإيمان . باب قول النبي ﷺ (من حمل عليا السلاح فليس منا) (٤٦٦/٢) ج (٩٨)

(٥) متن عليه البخاري . كتاب المغازي . باب ليس منا من ضرب الحدود (٤٣٦/١) ج (١٢٣٥)

ومسلم . كتاب الإيمان . باب تحريم ضرب الحدود (٤٦٩/٢) ج (١٠٢)

النوع الرابع : الأحاديث التي فيها معنى دخول الجنة لمن ارتكب بعض الكبائر ومن أمثلته :

- حديث حذيفة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((لا يدخل الجنة قتات)) ^(١)

- حديث جابر بن مطعم أنه سمع النبي ﷺ يقول : ((لا يدخل الجنة قاطع)) ^(٢) .

- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)) ^(٣) .

النوع الخامس : الأحاديث التي فيها الوعد بالدر من ارتكب بعض الكبائر ومن أمثلته :

- حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة)) فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : ((وإن قصصاً من أهلك)) ^(٤) .

- حديث عبيد بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ((لا تكذبوا علي فإسه من كذب علي فليبلغ النار)) ^(٥)

- حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعبد له في جهنم)) ^(٦) .

النوع السادس : الأحاديث التي فيها لعن من ارتكب بعض الكبائر ، ومن أمثلته :-

- حديث عبيد بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ما عهدنا شيئاً إلا كتاب الله وهذه الصريحة عن النبي ﷺ قال : ((لعن الله من أحدث فيها حديثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل)) وقال : دمة

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في لعن الكفار ، (١) من عشاء وليس (١) (١٦٨٠٢) ج (١٢١)

(١) متفق عليه البخاري كتاب الأكل ، باب ما يكره من الشبهة (٢٢٥٠/٥) ج (٥٧٠٩)

ومسلم كتاب الإيمان ، باب بيان عقاب من ترك الشبهة (١٧٢/٢) ج (١٠٥)

(٢) متفق عليه البخاري ، كتاب الأدب ، باب إثم القاطع (٢٢٣٦/٥) ج (٥٦٣٨)

ومسلم كتاب البر والصلة ، باب لعنة القرمص وتحرير مطلقها (٣٤٨/١٦) ج (٢٥٥٦)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر ويده (٤٤٨/٢) ج (٩١)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب عهد من قطع حق مسلم بيمينه بالنار ، (٥١٦٠٢) ج (١٣٧)

(٥) متفق عليه البخاري ، كتاب القسم ، باب إثم من كتب على النبي ﷺ (٥٢/١) ج (١٠٦)

ومسلم في لعنة ، باب لعنة الكذابين عن رسول الله ﷺ (١٨١/١) ج (١)

(٦) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان والربوبية ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٣٣٨/١٤) ج (٦١١)

المسلمين واحدة فمن أحقر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ومن بولى قوماً بغير إدد موايه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل))^(١) .

- حايث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دل النبي ﷺ قال ((لعن الله الواصلة والموصولة))^(٢)

حايث جابر بن عبد الله قال ((لعن رسول الله ﷺ آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء))^(٣)

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب حرم المدينة (٦٦٢/٧) ح (١٧٢١)

(٢) متفق عليه البخاري ، كتاب الطهارة ، باب الموصولة (٢٢١٨/٥) ح (٥٥٩٧)

ومسلم ، كتاب الطهارة ، باب من عصى على الواصلة (٣٤٩/١٤) ح (٢١٢٢)

(٣) أخرجه مسلم ، في كتاب المساقاة ، باب من آكل الربوا وموكله (٢٩/١١) ح (١٥٩٨)

بيان وجه التعارض

مدور الأحاديث السابقة حول العاقبة التي تأتي مع التوحيد وأصل الإيمان ، ولكنه يرتكب بعض الكناثر

وأحاديث الوعد بكلها موعبة بعيد أن هذا العاقبة التي موعود بدعوى الحية والنجاة من النار ، وإن ارتكب الكناثر خلا للشرك ، مدام أنه ينطق بالشهادتين ومع أصل الإيمان بهما بعد في أحاديث الوعد جميع أنواعها ما بعيد أن هذا العاقبة التي موعود بالنار والجحيم من أحده ، وفي بعضها نفي الإيمان عنه وبرائة الرسول ﷺ منه بل وإطلاق الكفر عليه عند ارتكابه بعض الكناثر

وجميع هذه النصوص - نصوص الوعد والوعيد - صحيحة صريحة ، ولذلك فهم أهل العلم بشأن هذه النصوص وتوجيهها بل عد بعضهم مسألة الوعد والوعيد من أكبر مسائل العلم^(١) ، لا سيما وأن أول خلاف وقع في الإسلام في مسائل أصول الدين كان فيها^(٢)

(١) انظر مجموع فتاوى (٦٤٩/١١)

(٢) انظر مجموع فتاوى (٤٧٩/٧) (١٨٢/٣)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

الكلام على هذه مسألة يمكن تقسيمه إلى قسمين .

القسم الأول توجيهات أهل العلم لأحاديث الوعد .

قل ذكر مسالك أهل العلم في أحاديث الوعد لا بد من بيان

أن الإجماع معتمد على ما دلل عليه النصوص الكثيرة من أنه لا بد أن يدخل النار قوم من أهل القبلة ، ثم جرحوا بها كما نطقت بذلك أحاديث تشيعة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية « وأما من حرم بأنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة فهذا لا يعرفه قولاً لأحد »^(١) إذا ترى هذا فما هو التوجيه الصحيح لأحاديث الوعد والتي في بعضها أن من أتى بالشهادة وحسنها فقد حرم الله عليه النار ؟

في هذا اسلم أهل العلم وسلكوا في توجيه هذه الأحاديث مذهبين

المذهب الأول مذهب الجمع فيه عدة مسالك أوصلها الخلفاء في العنق إلى ستة مسالك^(٢) ، ولكن بعض هذه المسالك مسددة وبالتالي يمكن حصرها في مسلكين :

المسلك الأول هو حمل أحاديث الوعد على ظاهرها وإطلاقها كما جاءت لكن لا بد لحصول انقضاء به من توفر الشروط وانتفاء الموانع وبالتالي فما ورد في الأحاديث أن من قتل لا إله إلا الله دخل الجنة وحرم الله عليه النار ، أو أن من فعل كذا دخل الجنة وما في معناها كل ذلك مقيد باستيعاء الشروط وانتفاء الموانع ، فليس في هذه الأحاديث ما يبدل إلا على أن هذه الأعمال سبب لدخول الجنة ولتجاء من النار ، والنسب كما هو معلوم لا يلزم من تحققه تحقق المسبب ، بل لا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع .

وعلى هذا فإن هذه الأحاديث تطلق كما جاءت ويُقال . أن من فعل كذا أو قال كذا دخل الجنة لكن لا يصح تطبيقها على شخص معين فيقال إنه من أهل الجنة لأنه فعل كذا أو قال كذا لأنما لا يعلم هل توفر فيه الشروط وانتفت عنه الموانع ثم لا

(١) مجموع الفتاوى (٥٠٦/٧) ونظر (١٨١/٧) . يستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

(١٢٤/١)

(٢) نظر الفتح (٢٢٦/١)

وإن هذا المسلك ذهب إليه البصري وذهب بن ميه ورححه شيخ الإسلام ابن تيمية
' وابن رجب ^(١) وسليمان بن عبد الله ^(٢) وغيرهم

وهذا القول هو معنى قول ابن حنبل رحمه الله تعالى على حديث أبي هريرة رضي الله عنه
(« ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ») قال رحمه الله .
« عبد الموت أو قبله إذا تاب وبدم وقال لا إله إلا الله وعاد عليه فقد توفرت فيه الشروط وانتصت

عه لتمام القدحة في هذه الشهادة

وهذا المسلك هو أيضاً معنى قول سليمان بن عبد الله « أي من تكلم بهذه الكلمة
عارفاً لمعناها عملاً بمقتضاها باطلاً وظاهراً » ^(٣)

وكذلك فإن هذا المسلك هو معنى قول من قال إن هذه الأحاديث مطلقة ، وقد جاءت
مقيدة بأحاديث أخر فوجب حمل المطلق على المقيد ^(٤) ، ومن هذه الأحاديث المقيدة :-

- ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : (« اذهب بتعلي هاتين فمن لقيت
من وراء هذا حائط يشهد أن لا إله إلا الله مسيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ») ^(٥) .

حدث حابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (« من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ») ^(٦)
- حدث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (« من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو يقبلاً

من قلبه لم يدخل النار أو دخل الجنة ») وقال مرة (« دخل الجنة ولم يمسسه النار ») ^(٧)

(١) انظر كتاب التوحيد لابن رجب (٣٩)

(٢) انظر المجموع الفتاوى (٢٧٠ / ٨ - ٢٧١) (٥٠٠ ، ٢٨ - ٥١)

(٣) انظر تفسير التحرير الخميني (٩)

(٤) صحيح البخاري (٢١٩٣)

(٥) تفسير التحرير الخميني (٢٢)

(٦) انظر كتاب التوحيد لابن رجب (٤٢) وانظر التوحيد لابن عريضة (٦٩٣ / ٢)

(٧) أخرجه مسلم . في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٣٤٨ / ١) ح (٢٠)

(٨) سنن عريضة (٢٥٨)

(٩) أخرجه الإمام أحمد ٢ / ٢٦٠ ح (٢٥٥٥) وابن حبان في مصبحة (٤٢٩ / ١) ح (٢) وصحيح
إسناده ضعيف لأثره في نسخة علي صحيح ابن حبان

قال ابن رجب رحمه الله ، « وتشتق هذه المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله ينصبي أن لا إله غير الله ، وإلا أنه الذي يضاف فلا يعصى هيبة له وجلالاً ومحبة وتوفاً ورحمةً وموكلاتاً عليه ومزاولاً معه ودعاءً له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ، ومعضاً في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع اشترك » (١) .

وإخلاصه هو بذلك هو حمل أحاديث الوعد على طاعها وإطلاقها كمن جاءت وهذا عمل بأحاديث الوعد - لكي لا بد لتحقيق هذا الوعد من توفر الشروط وانتهاء الموانع وهذا عمل بأحاديث الوعيد

المسلك الثاني : تأويل هذه الأحاديث وعدم حملها على طاعها ، وقد ذكر أصحاب هذه المسلك عدة تأويلات متفارقة للأحاديث التي فيها تحريم دخول النار على قائل لا إله إلا الله ، ومن هذه التأويلات ما يلي .

أ - مراد بتحريمه على النار تحريم مخلوقه فيها لا أصل لدخولها ، فلا يدخل النار دخول مخلوق وأبدية

- ثم المراد أنه لا بدخل النار التي هي موضع التكفير والتي هي ما عدا الدرك الأعلى ، أما الدرك الأعلى فإنه يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بدورهم ثم يخرجون بشفاعته الشافعين ، ويرحمه أرحم الراحمين (٢) .

- وفي معنى حديث ثأويلين ما ذهب إليه ابن أبي قتيبة والقاسمي عياض عليهما رحمة الله في أحاديث استحقاق الجنة لقائل لا إله إلا الله حيث حملاه على أن المراد : أن عاقبته إلى الجنة وإن عذب (٣)

(١) فتاوى (٤٩)

(٢) انظر فتاوى عبد الوار صرخة (٨٧٥/٢) الفتاوى لابن رجب (٣٨) فتح الباري (٢٢٦/١) مصرح القول (٢٨٠/١)

نحوه هناك تأويلات أخر حسب عهد لا يبعد جداً لا يحملها المصوم فقهر مثلاً الفتاوى لابن عريكة (٢٧٥/٢) فتح الباري (٢٢٦/١) مصرح القول (٢٨٠/١)

المذهب الثاني مدعب النسخ وإليه ذهب سعيد بن المسيب والزهري والثوري والأجوري عنهم رحمهم الله ، وخاصة أن أحاديث الوعد السابقة وما في معناها كانت في أول الإسلام قبل برز الوعد ثم أمر ونهي ثم رتب مخصوص المراتب فتسختها ^(١) .

قال ابن رجب بعد ذكره لبعض القائلين بهذا القول « هؤلاء منهم من يقول في هذه الأحاديث إنها مسبوحة ، ومنهم من يقول هي محكمة ولكن صم إليها شرائعاً ويلعب هذا إلى أن الريادة على النص هل هي مسح أم لا ؟ والخلاف في ذلك بين لأصوليين مشهور

وقد صرح الثوري وغيره بأنها مسبوحة ، وأن نسخها المراتب والحدود ، وقد يكون مرادهم بالنسخ التبرك ولا يصح فإن السلف كانوا يفتلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ويكون مقصودهم أن باب المراتب والحدود شئ بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل المراتب واجتناب المحارم ، فصار تلك المخصوص مسبوحة ، أي مبيحة مفسرة ، ومخصوص المراتب والحدود ماسحة أي مفسرة لمعنى تلك موضحة لها ^(٢) .

القسم الثاني توجيهات أهل العلم لأحاديث الوعد

قبل ذكر هذه التوجيهات لا بد من بيان فاعله مهمة اتفق عليها أهل السنة والجماعة فأصبحوا يوجهون مخصوص الوعد حتى لا تعارض مع هذه القاعدة ، وهذه القاعدة هي كالتالي

أجمع أهل السنة والجماعة على عدم مركب الكثرة ، وعدم عروجه من الإسلام ما لم يكن مستحلاً لها ^(٣)

- كما أجمعوا على أنه لا يكف في المار أحد من أهل التوحيد وإن ارتكب بعض الكبائر ^(٤)

(٢) إسناده تأريخ محمد الحديث (١٦١) كتاب الإيمان من إكمال لعظم الفقاهي عباس (٢٠٦١) مسس الترمذي ر تحفة ٣٩٢/٧ مسلم بشرح الثوري (٢٢٤/١)

(٣) انظر مسس الترمذي ر تحفة ٢٩٢/٧ ، التوحيد لأبي حنيفة (٧٧٥/٢) فشرحة للأجوري (٤٥٥/٢) شرح السنة صغيري ٣٠١ ، كتاب الإيمان من إكمال لعظم الفقاهي عباس (٢٢٣/١) التوحيد لأبي رجب (٤٥)

(٤) التوحيد (١٦)

(٣) انظر التمهيد لأبي عبد الله (٢٢/١٢) وشرح السنة للزهري (١٠٣/١) ومسلم بشرح الثوري (٤٠١/٢) شرح الفقيه الطبراني (٤٤٢)

- وأجمعوا أيضاً على أن مفقوف الدب مستحق للعقوبة المرتب على ذلك الدب^(١)
 - كما أجمعوا على أن مركب الكبيرة إن مات ولم يسب فأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه
 ثم أذبحه اجبة ، وإن شاء أدخله اجبة ابتداءً^(٢)

قال النووي رحمه الله : « يعلم أن مذنب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف
 وخلفاء من مات مؤحداً دخل اجبة قطعاً على كل حال ، وإن كان سائلاً من المعاصي أو
 مركباً لبعضها ولكنه مات بها ولم يحدث معصية بعد موته فإنه يدخل الاجبة ولا يدخل النار
 أصلاً »

وأما من كان له معصية كبيرة ومات من غير موته فهو في مشيئة الله تعالى ، فإن شاء
 عفا عنه وأذبحه اجبة أولاً وجعله كالقسم الأول ، وإن شاء عذبه القبر الذي يريد سيحانه
 وتعالى ثم بذحه اجبة ، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما
 عمل ، كما أنه لا يدخل أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال الخير ما عمل^(٣) »

وقد دل على هذه مقاعد الكتاب والسنة والإجماع والطريق الصحيح

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٤) ، وقد
 يوب البخاري رحمه الله في صحيحه بقوله : « باب للمعاصي من أمر جاهلية ولا يكفر
 صاحبها بارتكابها إلا بالشرك »^(٥) ثم ذكر هذه الآية .

وأما السنة فقوله ﷺ في حديث عباده ﷺ : ((يايعومي على أن لا تشركوا بالله شيئاً
 ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تفرون بين أيديكم وأرحلكم
 ولا تعصوا في معروف . فمن ولي منكم فأجره على الله . ومن أصاب من ذلك شيئاً^(٦)
 فعوقب في الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم مَرَّ الله فهو إلى الله .

(١) انظر مجموع النووي (٢٢٦،٧) شرح المعتمد الطحاوية (٤٤٢) مجمع الأمور (٣٧٠/١)

(٢) انظر شرح المعتمد الطحاوية (٤٤٤)

(٣) مسند بشرح النووي (٣٣٠/١)

(٤) مسند بشرح النووي (٣٣١/١)

(٥) سورة النساء ، آية (٤٨)

(٦) صحيح البخاري (٢٠/١)

(٧) قال النووي : هذا عام مخصوص بالشرك لأنه لا يعذر ، انظر مسند بشرح النووي (٢٣٦/١)

إن شاء عفا عنه وإن شاء عقابه»^(١)

قال النووي في فوائد هذه الحديث « منها الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالدار إذا مات ولم يثبت فيها بل هو بحسبته الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه »^(٢)

وقال ابن حجر في هذا الحديث « إنه تضمن الرد على من يقول . إن مرتكب الكبيرة كافر أو عبد في النار »^(٣)

وأما كون مصروف اللفظ مسحق للوعيد فقد دلت عليه أحاديث الشفاعة

- وأما الإجماع فقد تقدم بقله في القاعدة السابقة^(٤) .

- وأما النظر الصحيح فقد ذكره ابن عبد البر فقال « ومن جهة النظر الصحيح لم يرد لا مدح له . أن كل من ست له عقد الإسلام في وقت إجماع من المسلمين ، ثم أذنب ذنباً أو بأول تأويلاً ما احتلوا به في حروجه من الإسلام لم يكسب إلا ما هم بعد إجماعهم معي بوجوب حجة ، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا بانساق آخر أو سنة ثابتة لا معارضة لها »^(٥)

إذا سوى هذا ، فما هو توجيه ما سبق من أحاديث الوعيد ؟

في هذا اصنف أهل العلم فتوابع مسائلهم وتعدد طرقهم في توجيه هذه النصوص وقبل ذكر هذه التوجيهات بين أن أحاديث الوعيد منها ما يتعلق بحكم الدنيا كإحراق لفظ الكفر على من ارتكب بعض الكبائر أو بغير الإيمان عنه أو التوبة منه ومنها ما يتعلق بحكم الآخرة كالوعيد بالنار لمن ارتكب بعض الكبائر أو عدم دخول الجنة أو لعه .

(١) متفق عليه . لمصري ، كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان حبه الأنصار (١٥١/١) ج (١٨)

ومسلم ، كتاب الحدود ، باب الحدود كفارت لأهلها (٢٣٥/١١) ج (٩) (١٧)

(٢) مسلم بشرح النووي (٢٣٦/١١)

(٣) فتح الباري ، ٦٤١

(٤) مطهر ص (٢٦٧ - ٢٦٨)

(٥) التمهيد (٢١، ١٢)

وقدما يلي توجيهات أهل العلم هذه الأحاديث ، وسأذكر أولاً التوجيهات التي يمكن طردها في جميع الأحاديث^(١) ثم أتت به ذكر أشهر التوجيهات الخاصة بكل نوع من أنواع أحاديث الوعيد التي تقدم بيانها .

أولاً : التوجيهات التي يمكن طردها في جميع أحاديث الوعيد وهي على نوعين :
المذهب الأول مذهب الجمع وقد عده مسائل هي كالتالي

١ - ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وطرده في جميع نصوص الوعا والوعيد المتعلقة بأحكام الآخرة ، وهو القول بحملها على ظاهرها وإطلاقها كما جاء واستبعاد أن هذا العمل سبب لاستحقاق الوعيد^(٢) الرب عليه ، لكن لا يحكم على معنى باستحقاقه لهذا الوعيد حتى تتوفر فيه الشروط وتنتمي عنه اللوائح ، ويقوم به المتعصي الذي لا معارص له

قال رحمه الله : « نصوص الوعيد من الكتاب والسنة كثيرة جداً ، والقول بموجبهما واجب على وجه العموم والإطلاق من غير أن يفتى شخص من الأشخاص فيقال : هذا ملعون أو معصوب عنه أو مستحق للعار لا سيما إن كان فذلك الشخص فضائل وحسان

وإن من سوى الأشياء عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم الصغار والكبار مع إمكان أن يكون ذلك الشخص صديقاً أو شهيداً أو صالحاً ، لما تقدم أن موجب الدلب يتخلف عنه بقوة أو حسنة محبة أو مصالح مكفرة أو شقاوة أو محض مشيئة الله ورحمته »^(٣)

وقد أيضاً : « لمن اتقى لا يستلزم لمن لم يتق الله الذي قام به ما يجمع حقوق اللغة له ، وكذلك التكثير المنصوب بالوعيد المطلق ، وهذا كد الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطاً بشروط شروط وانحاء مواقع ، فلا يلحق الثابت من اللبس بالماضي المسلمين »^(٤) .

٢ - أن الوعيد في هذه النصوص إما يكون في حق المستحل لهذه للعاصي إذا كان عالمًا بالتحريم ، وغير متناول تأويلًا مائعاً ، لأنه في هذه الحالة كافر كراماً مخرجاً من الملة^(٥) .

(١) وقد لحق إلى هذا التسميم حتى لا أسطر إلى ذكر بعض التوجيهات التي يجب في جميع أنواع أحاديث الوعيد

(٢) ومراده باستحقاق الوعيد استحقاق العقاب ، وليس مراده العقوبة في الدار أو عدم دخول الجنة مطلقاً

(٣) وقع الكلام عن إقامة الأعلام ، ٩٧ (

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢٩/١٠) ، ٣٣٠ ، ونظر (٥٠٠/٢٨) ، ٥٠١ (لوائح الأثر) (٣٧١/١)

(٥) انظر تفسير القرطبي (٥٩١/٤) ، تهذيب الآثار له أيضاً (٦٢٤/٢) ، شرح السنة (١٣٠/١٣) ، مسلم بشرح

القرطبي (٦٢٤/٢) ، مدارج السالكين (١٢٧/١) ، لوائح الأثر (٣٧٠/١)

٣ أن المراد بهذه المصووص لملالعة في الرحر والزهب واللعلط واللعلمير مر انوعوع في هذه العاعصي^(١)

٤ أن عب وعيد واخلاف الوعيد لا يدم بل يمدح ، والله عال يور عليه إخلاف الوعيد ، ولا يور عليه إخلاف الوعد ، ولعرق بينهما أن الوعيد حقه وإخلافه عقو وعية وإسقاط وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه
والوعد حق عليه توبه على عبه ، والله لا يخلع للعباد^(٢)

المذهب الثاني : مذهب الوقف :

ذهب بعض أهل العلم إلى النوع في تفسير هذه الأحاديث ، وقالوا بإمرارها كما جاءت من غير تعرض لتأويلها أو تفسيرها
وبن ذهب إلى هنا

الإمام الرعري رحمه الله فإنه لما سئل عن بعضها قال . « من الله عر وجل العلم وعلى الرسول البلاغ وعليها تسليم »^(٣)

- الإمام أحمد رحمه الله فإنه لما سئل عن حديث . ((من عشنا فليس منا)) قال « لا أدري إلا على ما روي »^(٤)

الإمام العسوي فإنه قال في حديث ((لا يرسي الزاني حين يزني وهو مؤمن))
« القول ما قال رسول الله ﷺ والعلم عند الله عر وجل »^(٥) .

الشيخ محمد بن عبد الوهب فإنه قال عن مصووص الوعد والوعيد « أحسن ما قيل في ذلك أمروها كما جاءت ، معناه . لا تعرضوا لها بتفسير »^(٦) .

(١) انظر القصة للعلال (٢٧٩/٢) مسائل الإمام لأبي يعنى (٣١٦) شرح فقه (٩٠/١) مسلم بشرح النووي (٤٦٧/٢) فتح الباري (١١٢/١) ، (٢٤/١٣)

(٢) انظر مدرج المسالكين (٤٢٨ ، ٤٢٧/١) لواعع الأنوار (٣٧٠/١)

(٣) قصة للعلال (٧٩/٣) والله سبحانه من سب (١١٤/١) مسلم بشرح النووي (٤٢٢/٢) فتح الباري (١٢ ، ١٢)

(٤) قصة للعلال (٣٢٨) وروي عن الإمام أحمد أيضاً قول عائش بلقول الملائكة الذي سب

(٥) شرح القصة (١١٠/١)

(٦) قسرد لاسيه (١٨٥/١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « عدمه علماء السلف يقررون هذه الأحاديث ويمرونها كما جاءت ويكرهون أن تناول بأويلات عرجها عن مقصود رسول الله ﷺ » (١)

ثانياً التوجيهات الخاصة بكل نوع من أنواع أحاديث الوعيد

أولاً توجيه الأحاديث المتعلقة بحكم الدنيا :

سبق ذكر حملة من الأحاديث في بعضها إطلاق لعط الكفر على من ارتكب بعض الكبائر وفي بعضها نفي الإيمان عنه ، وفي بعضها براءة الرسول ﷺ عنه ، وقد تناول أهل العلم هذه الأحاديث بالشرح والبيان شارحون توجيهها فتتفق مع القاعدة التي سبق بيانها وتقبل الإجماع عليها ، وجمع هذه التوجيهات لا عرج عن مذهب الجمع ، وإليك بيان ذلك .

« ما الأحاديث التي ورد فيها إطلاق لعط الكفر على من ارتكب بعض الكبائر فقد

جاءت توجيهات أهل العلم لها كالتالي

١- أن المراد بالكفر في هذه الأحاديث كفر دون كفر ، أي ليس بالكفر الدخول من اللذة وإنما هو كفر دونه ، وهو الكفر الأصغر ، وإلى هذه ذهب ابن عباس وأصحابه كطاوس وعطاء وغيرهما (٢) وسه شيخ الإسلام ابن تيمية لعامة السلف (٣) .

٢- أن يردد بالكفر في هذه الأحاديث الكفر النعوي وهو السر والتعطية للإحسان والنعيم فيكون معنى هذا الكفر كفر النعمة والإحسان ، قالوا : ويشهد هذا قوله ﷺ للنساء ((إنكن تكفرن بالله وإن كنتم تعلمن)) (٤) وإلى هذا القول ذهب الطحاوي (٥) رحمه الله

٣- أن المراد بيان أن هذه بقااضي من الأخلاق والسنن والأعمال التي عليها الكفار والمشركون ، وإلى هذا ذهب الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (٦) ، وكذا طبري (٧) عليهما

(١) مجموع الفتاوى (٦٧٤/٧)

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٩٦/٤ ، الإنباء الكبرى (٢٣١/٢ - ٢٣٧) تفسير رجب معطي ، مجموع فتاوى (٣١٢/٧ - ٣٥٠)

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٣٥ /٧)

(٤) نقل عنه من حديث ابن مسعود البخاري (١١٦/١) ح (٢٩٨) ، ومسلم (٤٢٨/٢) ح (٨)

(٥) انظر مشكل الآثار ٢٥ /١ مسلم شرح النووي (٤١٤/٢) فتح الباري (١١٢/١)

(٦) انظر كتاب الإيمان (٤٢)

(٧) انظر مسلم شرح النووي ٤١٧/٢

رحمة الله ، وعزهم

١ أن المراد أن هذه المعاصي تؤول به إلى الكفر ، وذلك لأن المعاصي يروى بالكسر ويُخالف على المكسر منها أن يكون عاقبة شؤمها لتصل إلى الكفر ^(١) .

* وأما الأحاديث التي ورد فيها نصي الإيمان عمن ارتكب بعض الكبائر فقد جاءت توجيهات أهل العلم لها كالتالي

١ أن المراد بالنصي في هذه الأحاديث إنما هو كمال الإيمان أي ليس بمستكمل الإيمان من فعل هذه المعاصي ، وليس المراد نصي أصل الإيمان

وبل هذا ذهب أبو عبد القاسم بن سلام ^(٢) وابن قسبة ^(٣) وابن عبد البر ^(٤) والنووي ^(٥) وسبح الإسلام بن بيه ^(٦) وجميع من أهل العلم عليهم رحمهم الله ، بل جعله النووي القول الصحيح الذي عليه الخفقور

واسمه أبو عيب هذا القول بقوة ﷺ للمسيء صلاته ((ارجع فصل فإنك لم تصل)) ^(٧) فإن الرسول ﷺ في هذا الحديث لم يُرد نصي مطلق الصلاة لأنه قد آه يصلي ، وإنما أراد نصي حقيقة الصلاة وكملها الواجب .

قال النووي رحمه الله : « وهذا من الألفاظ التي تنطبق على نصي الشيء ويُرد نصي كماله وبخلافه كما يُقال لا علم إلا ما مع ، ولا مال إلا لإل ، ولا عيش إلا عيش . لا عيشة ^(٨) »

وبحسب التنبية هنا إلى أن المراد بالكمال الملمي إنما هو . التكمال الواجب ، ولا يجوز أن يكون المراد بالكمال المستحب ، لأن من فعل الواجبات ولم يتقصر شيئاً منها لا يجوز أن

(١) انظر معجم بشرح النووي (٢٠٩/٢ ، مع البحري (١١٢/١)

(٢) انظر كتاب الإيمان ٢٠ ١٢

(٣) انظر تاريخ مختلف الحديث (١٦٠ ١٦١)

(٤) انظر التمهيد (٢٤٣/٩)

(٥) انظر معجم بشرح النووي (٢٠١/٢)

(٦) انظر مجموع الفتاوى (٢٩٣/١٩) الشريعة على مجموع الفتاوى (٢٩/١)

(٧) معنى هذه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه : البخاري (٢٦٣١١) ح (٢٢٤) ومعجم (٢٤٩/٤) ح (٢٩٧)

(٨) انظر معجم النووي (١٠٠) ، انظر الإيمان لابن عبد (٥٩٥/٢) وشرح السنة للبخاري (٩١)

يُقدَّر أنه ما فعلها لا حقيقة ولا شعاراً ، ولا يجوز أن يُعْمَى عنه الإيمان لأنه م يفعل للسُنَّيات
وعول الرسول ﷺ بلسانيه صلاته (راجع فصل في ذلك لم تحصل) إنما كان لركبته
وجب^١

فهذا اتقيد لا بد منه ، وهو كقول مراد بالكمال بلساني في هذه الأحاديث الكمال
الواجب ، قال شيخ الإسلام بن بيمية « اسم الإيمان إذ أطلق في كلام الله ورسوله فإنه
يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ، ومن نوى الله ورسوله عنه الإيمان فلا بد أن يكون
قد ترك واجباً أو فعل محرماً فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد بل
يكون من أهل الوعيد »^(١)

٢- وقيل المراد أنه يرجع منه اسم الفدح الذي يُسمى به أولياء الله بالمؤمنين ، ويستحق
اسم آدم قبل سارقي وراي وعاقر وفاسق ، وإلى هذا ذهب الطبري رحمه الله^(٢) .

٣- وقيل به يرجع منه الإيمان عند ارتكاب الكبيرة فإذا فارقها عاد إليه الإيمان^(٣)
ومستدل من قال بهذا بقوله ﷺ (إذا رنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه
كالظلة فإذا انقلع رجع إليه الإيمان)^(٤)

* وأما الأحاديث التي ورد فيها براءة الرسول ﷺ من ارتكب بعض الكبائر فقد جاءت
بوجهات أهل العلم ما كالتالي :

١- أن المراد ليس من المطيعين لنا ولا من المقتنين بنا ، ولا من الخاضعين عني شرائعنا ،
وعلى هذا فإن الاسم مبني في قوله ﷺ (ليس هذا) يتصرف إعلانه إلى المؤمنين
الإيمان الواجب الذي به يستحقون ثواب بلا عقاب ، وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن

(١) انظر مجموع الفتاوى ، ١٥١٧ ، ٥٢٤

(٢) مجموع الفتاوى (٤٢/٧) والفتاوى (٦٧٦/٧)

(٣) انظر تهذيب الأئمة لسبوري (٦٤٠/٢ ، ٦٥٠) مسلم بشرح النووي (٤٠٢/٢)

(٤) انظر تهذيب الأئمة لسبوري (٦٤٨/٣) شرح السنة بليغي (٩٠/١)

(٥) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة (عون ٢٩٥/١٢) ح (٤٦٧٦) وصححه الألباني في صحيح سنن
أبي داود (٨١٧/٣) ح (٣٩٢٤) وأخرجه الحاكم (٧٢/١) ح (٥٦) وقيل عند حديث صحيح على شرط
الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه إسناده أيضاً لما رواه ابن حجر في الفتح (٦١/١٢)

سلام^(١) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) عندهما رحمة الله ، وهذا التوجيه في الحقيقة يرجع إلى توجيهيهما السابق لأحاديث نعي الإيمان

٢ - وقيل إن النعي ، ليس مثلاً ، وهذا مسوَّب لسعيان بن عبيدة^(٣) .

ثانياً توجيه الأحاديث المتعلقة بحكم الآخرة :

بعدت الإشارة إلى عداد من أحاديث الوعد في الآخرة لم يرتكب بعض الكبائر ، في بعضها نعه ووعدته بعدم دخول الجنة ، وفي البعض الآخر وعيده بدخول النار ، وقد سلك أهل العلم فيها منهج الجمع فجاءت توجيهاتهم ها كالتالي

١ - أن المراد بقوله ﴿ لا يدخل الجنة ﴾ أي بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعمة وسروراً وبهجة ، لا أنه أراد أنه لا يدخل شيئاً من تلك الجنان التي هي في بقية^(٤)

٢ - وقيل المراد لا يدخل الجنة في الوقت الذي يدعيها من لم يرتكب هذا الذنب ، لأنه يحبس عن دخول حبه ما للمحاسبه علم الذنب أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب ثم يخرج منها ويدخل الجنة^(٥)

وهذا معنى قول بعضهم « إن النعي هو الدخول لخلق الذي لا يكون معه عذاب ، لا الدخول المقيد الذي يحصل لمن دخل النار ثم دخل الجنة »^(٦) .

٣ - وقيل ، إن في الكلام شرطاً أو استثناءً مقدراً ، والتقدير لا يدخل الجنة إن عذبه ، أو لا يدخل الجنة إلا أن يعمر له^(٧)

٤ - ونما الأحاديث التي ورد فيها الوعد بالنعيم ، النار من ارتكب بعض المعاصي فقد قال فيها النووي رحمه الله « سئل كل ما جاء من الوعد بالنار لأصحاب الكبائر غير الكفر

(١) مطر الإيماني (١٣)

(٢) مطر مجموع الفتاوى (٢٩٤ / ١٩) . والمستدرك على مجموع الفتاوى (١٢٩ / ١)

(٣) نظر الإيمان لأبي عبيدة (٤٢)

(٤) نظر التوسيع لأبي عبيدة (٨٦٨ / ٢ ، ٨٧٦) معارج القبول (٢٧٩ / ١) .

(٥) نظر التوسيع لأبي عبيدة (٨٧٧ / ٢) معارج القبول (٢٨ / ١)

(٦) نظر مجموع الفتاوى (٦٧٨ / ٢) فتح الباري (٤٢٣ / ١٠)

(٧) مطر التوسيع لأبي عبيدة (٨٦٩ / ٢) معارج السالكين (١٢٧ / ١) لواعب الأكرار (٣٧ / ١)

مكلها يُقال فيها: هذا عرقه ، وقد يُجاري وقد يمتص عنه ، ثم إن سُوري وأدخل النار فلا يُخلد فيها بل لا بد من خروجه منها بفصل الله ورحمته ، ولا يخلد في النار أحد مضاف على التوحيد ، وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة ^{١ ٢}

١) مسلم بسرخ السوري (١٨٤، ١)

المطلب الثالث

الترجييم

الذي يترجح في هذه المسألة - والله أعلم - هو القول بإطلاق هذه الأحاديث كما جاءت - سواءً أحاديث الوعد أو أحاديث الوعيد - المتعلقة بأحكام الأمانة - وحملها على ظاهرها - واعتداد أن هذه الأعمام سب وموجب لتحقيق الوعد أو الوعيد المرسب عليها ، لكن لا يُحكم على معنى تحقيق الوعد أو الوعيد فيه حتى تتوفر فيه الشروط ، وتنص على ذلك ، وقد مصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وقرره في مواضع كثيرة من كتبه ويدل على صحة هذا القول في أحاديث الوعد .

١- أنه ﷺ رتب دعوى بله على الأعمال الصالحة - مع الإيمان وعدم الشرك - في كثير من الأحاديث ، ولم يصر فيها على مجرد الإيمان بالشهادتين ، ومن هذه الأحاديث .
أ- حديث أبي أيوب رضي الله عنه أنه قال قال النبي ﷺ : «عبرني بعمل يدخلك الجنة ، فقال النبي ﷺ : ((تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم))»^(١)
ب- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : «ياي على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال ((تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان))»^(٢)

٢- أن الروايات متطابقة وفيها أن من جاء بالشهادة أو الشهادتين دخل الجنة أو حرمه الله على النار - جاءت مقيدة في روايات أخرى^(٣) ، فوجب حمل المطلق على التقيد فالروايات متطابقة ليس فيها إلا أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاه من النار ، ومقتضى لذلك ، ولكي لا يـ حصول المسبب والمقتضى من توفر الشروط وانتهاء المانع . أم إذا خلف شرط أو وجد مانع فلا ريب أنه قد يتخلل المسبب أو يقتضي .

(١) متفق عليه البخاري كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة (٥٠٥/٢) ح (١٣٣٢)

ومسلم كتاب الإيمان ، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة (٢٨٦/١) ح (١٣)

(٢) متفق عليه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة (٥٠٦/٢) ح (١٣٣٣)

ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة (٢٨٨/١) ح (١٤)

(٣) وعد تقدم ذكر سيء بها من (٢٦٥)

وقد ثبت ما قبل بحسب إجماع يعقوب بن مسكين قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، قال : « من قال لا إله إلا الله فأثبتهها وفرصها دخل الجنة »^(١).

وذكر وهب بن مسكين أنه قال لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال « بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسرار ، فإن أحب مفتاح له أسرار ففتح لك ، وإلا لم يفتح لك »^(٢). وقد ذكر أهل العلم شروطاً سبعة لابد من تحققها فيمن قال لا إله إلا الله حتى تنفعه وقد حُصِب في هذا الباب

علم يقرر وإصلاح يصيبك مع حصة وإفهام والتفصيل لما^(٣) قال من علمه معقلاً على حديث ((إن الله حرم على الناس أن يقولوا لا إله إلا الله يعني بذلك وجه الله))^(٤) ، قال رحمه الله : « والنسارح صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول الناس فقط ، فإن هذا خلاف المعلوم بالاصطلاح من دين الإسلام ، فإن السابقين يقولونهم بالتسليم وهم مع ذلك في الترك الأسفل من النار ، فلا بد من قول القلب وقول اللسان

وقول القلب يضمن من معرفتها والتفصيل بها ومعرفة حقيقة ما تضمنته من المعنى والإتيان ومعرفة حقيقة الإلهية المنعنة عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره ، وقدم هذا المعنى بالعلم عسماً ومعرفة ويقياً وحالاً ، ما يوجب تحريم قائلها على الناس ، وكل قول رتب الشارح ما رتب عليه من الثواب فإنما هو القول التام »^(٥).

وقال سليمان بن عبد الله : « أن الطلق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع »^(٦).

٣- أن أبا بكر عليه السلام لما أراد قتال مانعي الزكاة احتج عليه عمر بن الخطاب عليه السلام بقوله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله

(١) شعر التوحيد لأبي رجب (٤٠)

(٢) أخرجه القهستاني ص ١٦١ (٤١٧/١)

(٣) شعر تفصيل هذه المسألة ، وأنتها في معارج القبول للحاكمي (٢٧٣/١ - ٢٧٩)

(٤) تقدم تقريره ص (٢٥٩)

(٥) معارج السالكين ص ٣٥٩ ، مصروف يسير ، وأخر كلاماً جليلاً في حسن التصريح (٣٥٨ ، ٣٥٩/١)

(٦) تيسر تقريره أحمد (٧٢)

ونفسه إلا يحقه وحسابه على الله)) (١) حيث فهم به عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة - أن من أنى بالشهادتين سمع من عقوبة الله بما مجرد ذلك فتوقفوا في قتال ما يعني الزكاة .

وفهم الصديق أنه لا يتمتع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ ((فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا يحقه)) قال والركاة حتى المال .

ولا قرر أبو بكر رضي الله عنه هذا لصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صواباً .

مع أن هذا التهم الذي فهمه الصديق رضي الله عنه جاء من يؤيده مرجعاً إلى النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسبهم على الله)) (٢) ، (٣) .

وإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترفع عمر أذى الشهادتين مطلقاً بل قد يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة (٤) .

وبهذا القول يُعَمِّمُ الجمع - أيضاً - بين الأحاديث التي فيها تحريم النار على من قال لا إله إلا الله والأحاديث التي فيها عروجه من النار بالشهادة ، وذلك بأن يكون المراد بتحريم النار على من قال لا إله إلا الله من قلها مستوفياً لشروطها متمتة به موافقاً

- وما ما ذهب إليه أصحاب المسلك الثاني من التناويل لأحاديث التوحيد ، وهذا وإن كان محتملاً إلا أنها بعيدة عن طاهر هذه الأحاديث ولذلك عدّها ابن القيم رحمه الله من التناويل المستكرهة (٥)

(١) مثل فيه البصري ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة (٥٠٧/٢) ح (١٣٣٥)

ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأجر بقتل النفس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٣٩٤/١) ح (٦٠)

(٢) مثل فيه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ((من تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)) (١٦٩/١) ح

(٣) ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأجر بقتل النفس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٣٢٥/١) ح (٢٢)

(٤) من النووي رحمه الله « وفي استدلال أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما دليل على أنها لم يعمدوا رسول الله ﷺ ما رواه أبي عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع ذلك فاجابها بما كان احتج بالحديث منه بهلله أربعة حصص عليه ولو سمع أبو بكر ذلك منه الزيادة لأحتج بها وما سمع بالقيس والقنوم والله أعلم » مبسوط بشرح النووي

(٥) (٣٢٠/١)

(٦) انظر التوحيد لابن حزم (٤٣/١٥)

(٧) انظر مدارج السالكين (٣٥٩/١)

وأما ما ذهب إليه القائلون بأن أحاديث الوعد كانت قبل نزول الفرائض ثم نزلت نصوص الفرائض والحدود فمسئحتها غاية بعيدة جداً سواء كان مرادهم حقيقة التسخير أم كان مرادهم بالتسخير السبب والإيضاح لأن كثيراً من نصوص الوعد كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود ، وفي بعضها أنه كان في عروة بؤك وهي في آخر حياة النبي ﷺ ^(١) كما أن أبا هريرة رآه من روى أحاديث الوعد وهو متأخر الإسلام ، أسلم عام عشرين سنة مسيح بالأنطاكي ، و كانت أحكام الشريعة مستقرة وأكثر هذه الواجبات كانت مروجها مستقرة ، وكانت الصلاة والصدقة والزكاة وغيرها من الأحكام قد تقرر فرضها ^(٢) تبيينه .

قد يشكك على هذا القول الذي تقدم ترجيحنا ما جاء في صحيح مسلم من قوله ﷺ : ((لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان)) ^(٣) وكذلك ما جاء في حديث شجاعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ﷺ قال : ((... فيقول الله عز وجل شعثت الملائكة وشعث السبيون وشفع المؤمنين وشفع المؤمنين ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيحرق بها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حملاً فيلقينهم في نهر في أفوه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حبل السيل)) قال : ((فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بعمل عملهم ولا خير قدموه)) ^(٤) ووجه الإسكال في الحديث الأول ما بعد أن مجرد شيء يسير من الإيمان يحصي من النار فلا يدخلها أصلاً كما هو ظاهر الحديث .

وفي الحديث الثاني التصريح بخروج قوم من النار وإدخالهم الجنة مع أنهم لم يعملوا خيراً قط .

(١) انظر التوحيد لأبي رجب (٤٥ ، ٤٦)

(٢) انظر مسلم بشرح النووي (٣٣٤/١) فتح الباري (٢٢٦/١)

(٣) سبق لمناقشته ص (١٥٩)

(٤) انظر عليه البحري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ وَجُودَ بِرَبِّهِمْ مُصْرَعٌ ﴾ (٢٧٠/١٦)

ج (٧٠٠)

ومسند والفظه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق قرؤية (٣٠/٣) ج (١٨٣)

وبجواب عن هذا الإشكال في هذين الحديثين وما في معناهما ، أن هذه الأحاديث محمولة على حالات خاصة تكون فيها مارك جس العمل غير مخلد في البار ، وقد لا يدخلها أصلاً ومن هذه الحالات التي يمكن تطبيق هذه الأحاديث عليها ما يلي :

١ - سكان الأضراف البعيدة وحرر الثانية من لم يصيبهم من الإسلام إلا اسمه ويتشرب فيهم التشرك والجهل في الذين هم عاقلون عنه أو معرضون عن تعلمه ولا يعرفون من أحكامه شيئاً ، هؤلاء لا شك أن فيهم المعتدور وفيهم المؤمن .

والمراد بحدود درجاء ، فقد يخرج بعضهم عن حكم الإسلام عمرة ، وقد يكون لا يخلد في النار . وهكذا مما لا يعلم حقيقته إلا علام الغيوب .

٢ - بعض شرار الناس ، عمر الرمان حين بعثوا الجاهل ويسرس الدين ، وعلى هذا جاء حديث حديفة رضي الله عنه مرفوعاً : ((يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك ، ويُدرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس - الشيخ الكبير والعجوز يقولون - أذكر كنا آباءنا على هذه الكلمة - لا إله إلا الله فبحس نقولها)) قال صلة بن رمر حديفة فما نعي عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك ؟ فأعرض عنه حديفة ، مرددها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حديفة ، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال ، يا صلة نحبهم من النار ^(١) .

فهؤلاء الذين يكونون في هذا الرمن - سؤال الله العافية - يقول فيهم كما قال حديفة رضي الله عنه : لا إله إلا الله سبحانه من النار ، إذ لا يعلمون غيرها في ذلك الرمن الذي هو أسوأ زمان ^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكثير من الناس قد يشأ في الأمانة والأزمة التي يدرس فيها كثير من علوم البواطن حتى لا يبقى من يُطلع ما بعث الله به رسوله ، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك ، ومثل هذا لا ينكر . ولهذا اتفق الأئمة على أن من بشأ ببادة بعيدة عن أهل

(١) أخرجه ابن ماجة (١٣٤٤/٢) ح (٤٩) ، وأبو داود والترمذي (٥٢/٤) ح (٨٤٦) ومسلم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال أبو عوي في مصابيح الرمانية (١٩٤/٤) . هذا ، مسند صحيح ورجاله ثقات

(٢) انظر خلاصة الإرجاء في الفكر الإسلامي للدكتور عمر الخولي (٧٥٧/٢ - ٧٥٨)

والعلم والإيمان وكان حديث العهد بالإسلام ، فأفكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول ﷺ ^(١) ، ثم ذكر حديث حديثه السابق .

وأما الدلالة على صحة هذا القول في أحاديث الوعد المتعلقة بأحكام الآخرة فظاهرة : وذلك أنه ﷺ مروي عن إطلاق هذه الأحاديث وبين الحكم بها على المعص ، وذلك كما في حديث أنس رضي الله عنه قال ((لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها)) ^(٢)

ففي هذا الحديث أطلق رسول الله ﷺ اللعن على شارب الخمر على وجه العموم . وثبت في صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكب بلقب حماراً ، وكان يصحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد حمله في الشراب ، فأتي به يوماً فأمر به بضرب ، فقال رجل من القوم ، اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ - ((لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله)) ^(٣) ففي هذا الحديث بين رسول الله ﷺ عن لعن هذا الرجل الذي يشرب الخمر مع إصراره على شربه وفي الحديث الأول لعن شارب الخمر ، وذلك لأن لعن التلويح لا يستلزم لعن المعص الذي قام به ما يمنع لوق التلعة نه ^(٤) .

وهذا التعريف بين إطلاق نصوص الوعد وبين الحكم بها على معص يجب تطبيقه في جميع نصوص الوعد المتعلقة بأحكام الآخرة ، مثلاً قوله ﷺ ((إذا التقى المسلمان بسيهما فالقاتل والمقتول في النار)) ^(٥) يجب العمل به في تحريم اقتتال المؤمنين بعسر حق ، واعتقاد أن فاعل ذلك موعود بهذا الوعد . ومع ذلك فإنما لا يحكم على أهل الجمل وصعين بالنار ،

(١) مجموع الفتاوى (٤٠٧/١) بصرف يسير

٢ أخرجه الإمامي (نسخة ٢١٦/٤) ج (٢١٣) ، عن : هذا حديث عريب من حديث أنس ، وقد روي هو هذا عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبي ﷺ ، وأخرجه ابن ماجه (١١٢٢/٢) ج (٣٢٨١) وقال الألباني عن إسناده قازمدي حسن صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٧٢/٢) ج (١٠٤١)

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١٩٦) ج (٦٢٩٨)

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٣٢٩/١) ، (٤٨٤٠٠٤٧٤/٤)

(٥) معنى عليه من حديث أبي بكره البخاري (٢٠/١) ج (٣١) ومسلم (٢٢٦/١٨) ج (٢٨٨٨)

لأن هم عمرٌ وتاريخاً في القتل ، وحساب معت القتلى أن يعمل عمله ^(١)
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية « ثبت أن الأحاديث المتعلقة بالوعد يجب العمل بها في
 مقتضاها باعتقاد أن فاعل ذلك العمل موعد بذلك الوعد ، لكن لحوق الوعيد به موقوف
 على شروط وله مواع ^(٢) »

وقال أيضاً « وعد ، كما في خصوص الوعد ، من الله سبحانه وتعالى يقول :
 ﴿ إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الذِّكْرَ فَلْيَصْطِرْ لِنَفْسِكَ إِنَّهَا تُنَافِي مَا تُكَذِّبُ بِهَا فَأَنصِرْ إِلَهَاكَ فَأَبْدِ لِلدِّينِ بِحُجَّتِكَ أَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّتٌ مُّشْكُوكَةٌ ﴾ ^(٣) فهذا
 ونحوه من خصوص موعد حق ، لكن الشخص المعنى لا يشهد عليه بالوعد ، فلا يشهد
 له من أهل نفسه بالخوار أن لا يلحقه الوعد لموعد شرط أو نوب مانع ^(٤) .
 وقد ذكر أهل العلم أحد عشر سبباً تسقط العمومية على ادب ، وجمع من إضاد الوعد

وهي كالتالي

١- الوعيد

٢- التوبة : وهي مانعة من إضاد الوعد بالإتفاق .

٣- الاستعمار .

٤- الحساب المذبح

٥- دعاء المؤمنين للمؤمن من مثل صلاتهم على حارته

٦- ما يعمل لمصيب من أعمال البر كالصدقة ونحوها

٧- شعاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة .

٨- المنصائب الدنيوية التي يكفر الله بها الخطايا

٩- ما يحصل في الغير من الفتنة والضعفة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا .

١٠- أهوال يوم القيامة وكرها وشداكدها

١١- رحمة الله وعفوه ومعرفته من غير شعاعة ^(٥)

(١) الظفر ومع كلام من أئمة الأعلام من (٦٩) ، ونظر من هذا من الأشعة (٦٥ - ٧١) .

(٢) ومع كلام من (٦٥)

(٣) سورة الشعراء آية (١٠١)

(٤) مجموع الفتاوى (٣٤٥/٢٣)

(٥) مظهر تبيين هذه البراهين وأثبتها في مجموع الفتاوى (٤٨٧/٢١ - ١٠٦) شرح الصمدية الصغرى (٤٥١ - ٤٥٥)

وأما أحاديث الوعد المتعلقة بأحكام الدنيا ، كإني فيها إطلاق الكفر على من ارتكب بعض الكبائر أو نفي الإيمان عنه أو إيمانه به ، فإنه لا يصح حملها على الكفر المصريح من الملة ، لأن الإجماع متفق كما تقدم على عدم كفر مرتكب الكبيرة ما لم تكس شركاً أو يكون مستحلها

- وعلى هذا فإن صحيح في الأحاديث التي ورد فيها إطلاق الكفر على من ارتكب بعض الكبائر أن مراد بها الكفر الأصغر والذي عير به بعض السلف بقوهم كفر دون كفر ، وصاحب هذا الكفر أنه كل ما ثبت به كفر ، نكر دلت الدلائل على أنه ليس كفرٌ محرماً من الملة ، مثال ذلك قوله ﷺ ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))^(١) مع قوله تعالى :

﴿وَلَا يَتَّخِذُوا لِلْكَافِرِينَ أَصْنَادًا يَتَّبِعُوهُمْ يَكْفُرُ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

تجوز إلى أمر الله ﷻ بالكفر المراد في الحديث نس الكفر المخرج من الملة ، وإلا لما أمنت الله لم تقابلوا وصف الإيمان الذي هو في الآية بالإسلام الظاهر^(٢)

- وأما الأحاديث التي ورد فيها نفي الإيمان عن ارتكب بعض الكبائر فإن المراد بالمعنى فيها كمال الإيمان الواجب وبس المراد نفي مطلق الإيمان ، ولا نفي كمال الإيمان المستحب وهذا الذي ذهب إليه جمع من أهل العلم ، كما تقدم

وكذلك أحاديث إيمانه من أصحاب الكبائر فإنها محمولة على هذا فيكون لنفي فيها: ليس من المؤمنين الإيمان الواجب الذي به يستحقون الثواب بلا عذاب

وهذا القول والذي به في خصوص الكفر مبني على أصل عظيم عند أهل السنة والجماعة وهو أن الشخص الواحد يمكن أن يجمع فيه كفر وإيمان ونفاق وإيمان ، وليس مرادهم بكفر ، أصل الكفر المخرج من الملة ، فإنه لا يجمع مع الإيمان ، وإنما مرادهم شعبة من شعب الكفر إذ للعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات من شعب الإيمان ،

مواقع افتاد الوعد رسالة ما يستثير ذلك كقول عيسى السعدي ، مخطوط

(١) تقدم بحريته ص (٢٢٩)

(٢) سورة الممتراة ، آ٧ (٩)

(٣) أنظر صوليات التفكير عند أهل السنة والجماعة بعد الله القرمي

وكذلك ليس مردهم بالمعاقب . اتفاق لأعتقادي الموضح من لفظه ، وإنما مردهم بالمعاقب المعنوية ، قال ابن القيم رحمه الله : « الرجل قد يتمتع فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد ، وتقوى وجور ، ومعاق وإلحاد ، وهذا من أعظم أصول أهل السنة ، وغالبهم فيه غيرهم من أهل البدع ، كالنصارى^(١) والمعتزلة والمقدسية ، ومثالة خروج أهل الكبار من النار وتبديلهم فيها عليه هذا الأصل ، وهذا دل عليه القرآن والسنة ، واعتضده وإجماع الصحابة »^(٢) ثم ساق الأدلة على هذا الأصل .

فإذا قام بالنسب شخص من شعب الكفر فإنه ينتمي عنه الإيمان ، فيطلق فلا يوصف به ، وإن يوصف بالإسلام - لأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ولذلك قال بعض السلف في قوله ﷺ (لا يوسي الزاني حين يزني وهو مؤمن ..) قال هذا الإسلام ودور دائره واسعة ، وهذا الإيمان ودور دائره ضيقة ، وسط الكثرة ، فإذا رسي أو سرق خرج من الإيمان إلى الإسلام ، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر بالله^(٣) .

قال شيخ الإسلام بن تيمية « لا شأن له يكون فيه شعبه من شعب الإيمان ، وشعبة من شعب النفاق ، وما يكون مسلماً وفيه كفر دون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية ،

(١) الخوارج سمعوا بذلك فخرجهم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبسبب أيضاً به (المحكمات والحرورية والشرعة وعقوبة)

أما تسميتهم بالهكمية فلهذه الكثرة المحكمات وقالوا لا الهكم إلا الله

وأما تسميتهم بالحرورية فلأنهم قالوا بحرورية في أول أمرهم

وأما تسميتهم بالشرعة فلهذه سبباً فلسفة في طاعة الله ، أي بعبادته بعبادة وأما تسميتهم بطرفة فأصلها من قوله ﷺ (يخرجون من الدين كما يزل السهم من الرمية) وهم يرضون هذه الأسماء كلها إلا (المارقة) سميتهم بكمون لأن يكتموا سرها من الدين ، ويخونون فرق شتى تريد على المشركين فرقة ، ولكن الذي يجمعها تكفير عيسى بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ، أصحاب الخليل والمكشور من رضي بالحكمين وصوب الحكمين أو أحدهما والخرج على السلطان بغير

كما أن الخوارج يصحرون على تكفير مرتكب الكفر وأنه حاله حاله في السر إلا (المصنف) ميزهم حاله في ذلك (انظر مقالات الإسلاميين ١ : ٦٦٤ ، ٢ : ٢٤٢ ، الفرق ٢ : ٦٨) أصول الدين ٣ : ٣٢٢ القليل والنقل (١٦٤/١)

(٢) الصلاة وحكم ما ركبها من (٣٠) وانظر أعمال مسائل الاعتقاد لعبد الرزاق بن طاهر ٢ : ١٥٨ (١٥٨)

(٣) انظر السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٢٤٢/١) ج (٢٢٥) ، مجموع الفتاوى (٣١٩/٧)

كما فان الصحابة ، من عباس وغيره : كثر دون كفر ، وهذا قول عامة السلف وهو الذي نص عليه أحمد وغيره من قال في السارق والشارب ونحوهم من قال فيه النبي ﷺ : ((إنه ليس مؤمن)) إنه يُقال لهم مسلمون لا مؤمنون ، واستدلوا بالقرون والنسبة على نفي الإيمان مع إثبات اسم الإسلام ، وبأن الرجل قد يكون مسلماً ومعه كفر لا ينقل عن الملة بل كفر دون كفر ^(١)

فالإيمان من حيث العموم به مرتبتان .

الأولى وهي الإسلام الذي هو أصل الدين

والثانية وهي الإيمان الخاص

وهي المربة الأولى بضمين نفي المرتبة الثانية ، لكس نفي المرتبة الثانية لا ينصحين نفي المرتبة الأولى

وكذلك فإن الكفر مرشكاهما .

فكفر المحرح من جهة تعادل الإيمان الذي هو لإسلام على الحقيقة

والكفر الذي لا يخرج من الملة ويقابل الإيمان الواجب الذي هو رائد على مرتبة الإسلام على الحقيقة

وبناء على هذا فإنه لا يلزم من إطلاق وصف الكفر أن يكون المراد به الكفر المحرح من الملة ، بل قد يراد به الكفر الأصغر ، كما أنه لا يلزم من نفي الإيمان بعينه بالكيفية ، بل قد يكون مراد نفي الإيمان الواجب مع بقاء وصف الإسلام ^(٢) .

(١) مجموع الفتاوى (٣١٠/٧)

(٢) انظر : سوائد الشكوى تقريري (١٩٠)

مناقشة الأقوال والتوجيهات المرحوحة لأحاديث الوعيد :

من المناقشة لا بد من التنبه على أن بعض التوجيهات السابقة لأحداث الوعيد متداخلة أو على أقل الأحوال ليست متعارضة ، ولذلك فإن من حرج رحمه الله « بعض الأقوال المسوبة لأهل السنة يمكن رد بعضها إلى بعض »^(١) .

كما أنه من الملاحظ أن جميع التوجيهات - سواء في أحاديث الوعد أو الوعيد - تشترك في شيء معين ، من أجله قال أهل العلم بهذه التوجيهات :

ففي أحاسيس الوعد بعد أن جميع الأقوال فشرك في كون مركب الكبير مستحقاً لعقاب وهذا بلا شك أمر مغلط عليه عدد أهل السنة .

وفي أحاديث شعبة عن أبي جميع الأقبوال مشرك في عدم كسر مركب الكسرة كقراً
مخرجاً من الله ، إذا لم يكن مستحلاً لها ، وعدم خلوه في الباب دخولها ، وهذا أمر متفق
عليه كما تقدم

ويمتد إلى منتهى الوجوه التي يمكن أن يقال بها في جميع أحداث الوعيد ، لأنها هي التي تتكرر كثيراً ويقال بها في جميع أحداث الوعيد^(١)

أما ما ذهب إليه بعضهم من حمل هذه المصووص على استحلالها ^(٢٧) فقد أنكره الإمام أحمد وقال «لو استحل ذلك لم يعبه كان كافراً، والذي يذهب إلى ما ذكرنا ((من فعل كذا كذا ...))» ^(٢٨)

وقال ليعطوني في الصباح بعد ما سيبعد هذا القول : « لو كان مرءاً لم يحصل التعريق بين
السياب والقتل »^(١) . فاحسبوا نعم المسمم بعز تأويل يكفر أيضاً »^(٢) .

(٦) فتح الباري (٦٢/١٤)

(٢) أما نحو جهابذة الخاصة المتعلقة بكل نوع من أنواع معصومين فلو عهدنا لفظ في الرد عليهم لإيمان أبي حميد (٣٤) (١ : السنة لمعالم) (٥٧٦/٣ - ٥٧٧) : يسوع الفلأوى (٥٢٥/٧ ، ٦٧٤) : فتح الباري (١١٣/١)

(٢) وقد تم بالفعل على ما تضمنه ما من غير تأويل سابق ، ومن غير جهل ، لأنَّ من بعد حالة عدم كفاة الإجماع ، إذ إنَّ كان معلوماً بأنَّه سادساً أو كذا معلوماً ، فإنه لا يمكن والله أعلم ، فشرع المصلحة الطحاوية (٤٧٣)
 فيجعل مجلس الاعتماد وحكيمة لجنة الرقابة من طاهر

4. مصادر التكاليف: ٤٣٧

(*) يعني قوله ﷺ ((صاب السلم مسوق وقاله كثير)) وقد تقدم بحريه (٧٥٩)

- وأما حمل هذه الأحاديث على * مرد بها الرجز والرهيب والتخدير ، فقد رده أبو عبيد لقاسم بن سلام فقال : هذا « أقصع تأويل عسى رسول الله ﷺ وأصحابه ، أن جعلوا مقيماً عسى الله وعسى رسوله وعبيده لا حقيقة له ، وهذا يؤول إلى بطلان العقاب » ^(١) وقد عُدَّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الأقول من التأويلات المستكرهة ^(٢) .

وأما قول بعضهم في توجيه هذه الأحاديث : إن هذا وعيد وإعلاف الوعيد جائر ، خلاف إعلاف الوعد ، فنقول : صحيح لكنه مائل ضمن القول الذي سبق توجيهه ، بإعلاف الله لوعيده معناه عفو ورحمة ومعفوه ، وهذا مانع واحد من عدة مواضع لوعيد تقدم ذكرها

وأما تضعيف شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا القول فعليه نظر حيث قال رحمه الله تعالى على قوله تعالى ﴿ لَا تَحْبِسْهُمُ اللَّهُ وَقَدْ نَبَأُ الْإِنِّكَرَ بِالْوَيْدِ ﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَعْمًا لَنَا يَطْلُرُ لَيْبِي ﴿ ^(٣) قال رحمه الله : وهذه الآية تضعف جواب من يقول : إن إعلاف الوعيد جائر ، فإن قوله ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَعْمًا ﴾ بعد قوله ﴿ وَقَدْ نَبَأُ الْإِنِّكَرَ بِالْوَيْدِ ﴾ دليل عسى أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعاهه ^(٤)

(١) فتح الباري (١١٢/١) .

(٢) الإيمان (٣٩) .

(٣) النظر في مجموع الفتاوى (٦٧٤/٦) .

(٤) سورة ق ، آية (٢٨ ، ٢٩) .

(٥) مجموع الفتاوى (٤٩٨/١٤) .

تبيه

لا يعني هذا القول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه يرى أن إعلاف الوعيد في حق المؤمنين غير جائز لأن هذه متعبد بتصرفه كما قد مر في حديث شيخ الإسلام عنه . وعُدَّ هذا من أصولهم هناك في مقدمة أصول التفسير (٢٥) « ومن أصولهم تصرفه في الإساءة » فعاد الوعيد في الأسر . وأن الله لا يرضى أن يرضى أكثر شناعة ولا يخرج منهم أحداً من النار »

وي ينبغي على أنه رحمه الله لم يرد هذا نصي أنه قال في محاسن التوضيح (٤٩٨/١٤) : « وهذا لما حجب به العاقلون ما من الله لا يرضى من الله ، من الله وحده فكيف يحجب في غير هذا الموضع » وقال أيضاً في محاسن التوضيح المسابق : « لكن التحسين جميع بين الوعد والوعيد وبغير بعضها بعض من غير تديل شيء منها »

فعليه ما في كلام شيخ الإسلام رحمه الله أنه يرى أن الآيات في سورة (ق) تضعف قول من يقول : إن إعلاف الوعيد جائر ، وهذا غير مسلم كما تقدم

والصحيح أن اختلاف التوحيد جاز في حق المؤمنين ، ولا يجوز في حق الكافرين ، وسبق هذه الآيات التي استند بها شيخ الإسلام يدل على أنها واردة في الكفار .

والذي يدل على أن خلاف التوحيد جاز في حق المسلمين ما جاء في أحاديث الشريعة وعراح الله تعالى لأقوام من النار ، وكذلك تعلق لعصاة بالمشيئة كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴾ (١) ، (٢)

- وأما القول بالتوقف في هذه الأحاديث فليس المراد به التوقف في كسر مركب التكبير أو عروجه من الإسلام ، أو عدم دخوله الجنة مطلقاً أو خلوته في النار ، لأن هذه الأمور قد تقدم بطلان الإجماع على أنه لا يحكم بها على مرتكب الكبيرة بسبب كثرتها ما لم يكن مستحلاً لها ، فلم يبق إلا أن يكون مرادهم بهذا التوقف التوقف في توجيه هذه الأحاديث أو بعضها ، على أي التوجيهات يمكن أن تحمل ، وهذا باب واسع كما تقدم والله أعلم

(١) سورة النساء ، آية ٤٨

(٢) انظر صريح ابن تيمية في مسأله التكفير ، لكثير عبد المجيد طبعه ، ١٠ / ١٨٤٤

الخلاصة

أن القول الصحيح في أحاديث الوعد وكذلك أحاديث الوعد المتعلقة بأحكام الإحصر ، هو إطلاق القول بها كما جاءت واعتقاد أن هذا العمل سبب لاستحقاق الوعد أو الوعيد المرتب عليه ، لكن لا حكم على معنى دخوله في حد الوعد أو ذلك الوعد حتى تتوفر فيه الشروط ، ويتعي عنه الموضع .

قال في شرح الطحاوية : « نكنا مع في الشخص نغفل فلا تشهد له نجمة ولا نار إلا من علم ، لأن حقيقة باصه وما مات عليه لا يحيط به ، لكن يرجو للمحسن وعفاف على المسيء »^(١)

وقال ابن عبد البر معقلاً عن أحاديث الوعيد : « والآثار في هذه الآيات كثيرة جداً لا يحكر أن يحيط بها كتاب ، ولا أحاديث اللمية روي والشديدة تحشى ، والمؤمن بين الخوف والرجاء ، والمذنب - إن لم يتب - في مشيئة الله »^(٢) .

وأما الفاسق السي الذي تدور حوله هذه الأحاديث فحكمه في الدنيا أنه لا يُعفى عنه مطلق الإيمان ولا يوصف بالإيمان التام ، ولكن يُقال : مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن ببقائه عاصي بكبريته ، فلا يُعفى الاسم للطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم .

وأما حكمه في الآخرة فإنه تحت تشيئة ، إن شاء الله تعالى عذبه ثم أدخله الجنة ، وإن شاء أدخله الجنة ابتداءً مع اعتقاده أنه إن غلب فإنه لا يخلد في النار^(٣) .

وبهذا القول تبيين وسطه أهل السنة والجماعة بين العرق ، حيث أحلوا بمجموع النصوص ونظروا إليها كلها ولم يكونوا كالخوارج والمعتزلة ولا المرجئة^(٤) الذين نظروا بعين واحدة ، وإلى جانب واحد من النصوص

(١) شرح الطحاوية (٥٣٧) وانظر عقيدة السلف ولأصحاب الحديث للتصاوي (٢٨٦) للسيد علي بن موسى القناري (١٠٩/١)

(٢) التمهيد (٧٦، ١٧)

(٣) نظار بمجموع الفتاوى (٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٦٧٣، ٦٧٩) معارج النبيل (٢٨٦/٢)

(٤) المرجئة : مرة واحدة كانت طريقتهم مخالفة وهم الذين يقولون لا نصر مع الإيمان معصية كذا لا نمنع مع الكفر طاعة وهو قول المرجئة الذين يقولون إن الإيمان هو شعرة فقط ، وأنه لا ينقسم إلى عتد وعمل ، والمرجئة عرق كثيرة

وذلك أن المخوارح والمعصية أخذوا بمصوص الوعد وس ثم حكموا على مرتكب الكبيرة في الآخرة بالخير في النار

وأخرجته بخوارج في الدين من الإسلام ، وجعله المعصية في منزلة بين المنزلتين وعلى القاص من ذلك ذهب المرجحة الخالصة إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ، فأعادت بمصوص الوعد وأعطت بمصوص الوعيد .

المبحث الثالث : ما جاء في مكان سدرة المنتهى

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .
- المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .
- المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

جاء في بعض أحاديث المخرج أن سدرة المنتهى ^(١) في السماء السابعة أو فوقها كما في حديث مالك بن صعصعة وأنس رضي الله عنهما

وفي حديث مالك بن صعصعة قال ﷺ ((. فاتيا السماء السابعة ، قيل : من هذا ؟ قيل جبريل ، قيل : من ملك ؟ قيل : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ، مرحباً به ونعم اغنيء جاء ، فاتيت عني إبراهيم فسلمت عليه فقال : مرحباً بك من ابن نبي ، فزُفِع لي البيت المعمور . فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ، وزُفِعَت لي سدرة المنتهى ...)) ^(٢)

- وفي حديث أنس ﷺ ((ثم فُوح به إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن ملك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح له ، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مستنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه . ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى ...)) ^(٣)

- وجاء في حديث عبد الله بن مسعود - عند مسلم - أنها في السماء السادسة قبل ﷺ ((لُد أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة ، إليها ينتهي ما يخرج به من الأرض فيقبض بها ، وإليها ينتهي ما يُهبط به من فوقها فيقبض

(١) ما من الأثر في الشبهة (٢٥٢/٢) : سدر شجر البس ، وسدره المنتهى شجرة في أقصى الجنة إليها تنهي جميع الأرواح والأسماء ولا يملكها

وإنه ليس بين مسعود ﷺ سبب تسميتها بالمتى يعرفه : إليها ينهي ما يخرج به من الأرض فيقبض بها ، وإليها ينهي ما يُهبط به من فوقها فيقبض بها

(٢) متصل عليه البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر ملائكة (١٧٢/٢) ، ح (٢٠٣٥) وفي كتاب فضائل الصحابة باب المرح (١٤١٠٣) ح (٣٦٧٤)

ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ ، ح (٥٨) / ٢

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ (٥٦٧/٢) ح (١٦٦)

منها))^١

بيان وجه التعارض

بالنظر في الأحاديث السابقة نجد أن في الحديثين الأولين ما يفيد أن سيرة المنتهى في السماء السابعة أو فوقها
وفي المقابل نجد في حديث بن مسعود رضي الله عنه ما يفيد أنها في السماء السادسة
ولذلك قال القرطبي رحمه الله : « هـ تعارض لا شك فيه »^(١)

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في ذكر سيرة المنتهى (٥/٣) ج (١٧٣).

^٢ انهم (٣٩٠)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

ملك أهل العلم في هذه المسألة مذهبين

الأول مذهب الجمع

والثاني مذهب الترجيح . وإليك بيان ذلك .

أولاً . مذهب الجمع . وإليه ذهب النووي وابن حجر عليهما رحمهما الله فقالا : إن أصلها

في السماء السادسة ومعظمها كأعضائها ومروءاتها في السماء السابعة

قال النووي رحمه الله : « ويمكن أن جمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في

السابعة فقد عُلِمَ أنها في نهاية من العظم »^(١)

وقال ابن حجر رحمه الله : « ولا يعارض قوله إنها في السادسة ما ذهب عليه بقية

الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة لأنه يحمل على أن أصلها في السماء

السادسة وأعضائها ومروءاتها في السابعة وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها »^(٢) .

ثانياً مذهب الترجيح . وإليه ذهب ابن العربي^(٣) وعلقاصي عياض^(٤) والقرطبي^(٥)

عليهم رحمهم الله - وقال : إنه قول الأكثر مرجحاً كونها في السابعة ، واستدلوا على

ذلك بما يلي :

١- أن روافد كونها في السابعة أكثر قال ابن العربي : « وفي الصحيح من الأحاديث أنها في

السابعة ولا شك فيه مروءة ذلك أكثر »^(٦)

٢- قالوا : إن الأحاديث المذلة على أنها في السابعة مرفوعة ، وأما حديث عبد الله بن

مسعود . ونسب في أنها في السادسة - فهو موقوف عليه من قوله

(١) مسند بشرح النووي (٦ ، ٥١٣)

(٢) فتح الباري (٢١٣/٧)

(٣) انظر : عارضة الأحاديث (١١٩/١٢)

(٤) انظر : كتاب الإيمان من إكمال اللغز للعلامة عياض (٧٣٣/٢) مسند بشرح النووي (٥/٢) فتح الباري

(٢١٣/٧)

(٥) فسر المعجم (٢٩٤/١)

(٦) عارضة الأحاديث (١١٩/١٢)

والمرحوم مقدم على الموقوف^(١)

٣- وفاته ان كبرها في السابعة هو الذي يقتضيه وضعه وسميته بالمتنبي^(٢)

(١) انظر ملهم (٣٩٤١٦)

فيه قال العلامة عر حديث ابن مسعود عنه صحيح مرفوع انظر فتح الباري (٢١٢/٢) فان اردت انه مرفوع حكى فيظهر لان هذا امر عربي لا يمكن ان يقول ابن مسعود عنه من عنده وان اردت الحفاظ بقوله مرفوع انه ورد مرفوعا ان قلبي انما فيه بشر لان الحديث عند مسلم عن مرفوع - كما تقدم - وهو كذلك عند الشافعي (٢٤٢/١) ح (٤٥) والترمذي (١٦٣/٩) ح (٣٣٢) والبيهقي (٢٤٣/٥) ح (٢٦٦٥) وصحيح ابنسنة لمحمد شافعي وايضا (٢١٤/٩) ح (٥٣٠٣)

(٢) انظر مسلم بشرح النووي (٥/٣) ملهم (٣٩٤١٦)

المطلب الثالث

الترجيح

لا شك أن الجمع بين الأحاديث وإعمالها كلها أولى من إيمان شيء منها وذلك إذا كان الجمع ممكناً وعملاً ، وهو الذي يلحأ إليه أهل العلم عند وجود ما يؤهم التعارض ، فإن عسر عليهم ذلك ، أو كان الجمع بعيداً لا تشمله الأحاديث بهاؤا إلى مسلك آخر وهما المذهب ببحر سبقه في هذه المسألة فإن الجمع ممكن كما تقدم ، خاصة وأن الأدلة التي ذكرها السابقون مذهب الترجيح لا تدح في الجمع ، لأن كون رواة السانعة أكثر وأحاديثها مرفوعة ووصفها بالمتنهي يدل على ذلك ، لا يجمع من الجمع ، كما أن القول بالجمع لا يعارض شيئاً من هذه الأدلة ، والله أعلم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قَسْرُ الْعَقْدِ لَا

**أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض
في الصحيحين**

دراسة وترجيح

ساعة مقدمة ليل درجة الماجستير من قسم العقيدة

اعداد الطالب

سليمان بن محمد بن علي الديلمي

آشپزهای

أ. د / علي بن زفيح العلياني

الجزء الثاني

5459

۱۳۸۸

© 2001 Blackwell Science Ltd

© 2006 Blackwell Publishing Ltd

www.elsevier.com/locate/jmb

1. 2000

الحمد لله رب العالمين

اسم والی حسیں سے پہلے علم (نہایت) کی وجہ اللہ و اس کے رسول صلی اللہ علیہ وسلم ، مقتدیہ

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين

مجلسي هي عبيد القضاة للكونكرو، فبالله لأطرح معكم الفكرة، والملاءمة - وهي غير مناسبة في رأيي - ٢٠١٩، ٢٠٢٠، ٢٠٢١، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣، ٢٠٢٤، ٢٠٢٥، ٢٠٢٦، ٢٠٢٧، ٢٠٢٨، ٢٠٢٩، ٢٠٣٠، ٢٠٣١، ٢٠٣٢، ٢٠٣٣، ٢٠٣٤، ٢٠٣٥، ٢٠٣٦، ٢٠٣٧، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٢٠٤٠، ٢٠٤١، ٢٠٤٢، ٢٠٤٣، ٢٠٤٤، ٢٠٤٥، ٢٠٤٦، ٢٠٤٧، ٢٠٤٨، ٢٠٤٩، ٢٠٥٠، ٢٠٥١، ٢٠٥٢، ٢٠٥٣، ٢٠٥٤، ٢٠٥٥، ٢٠٥٦، ٢٠٥٧، ٢٠٥٨، ٢٠٥٩، ٢٠٦٠، ٢٠٦١، ٢٠٦٢، ٢٠٦٣، ٢٠٦٤، ٢٠٦٥، ٢٠٦٦، ٢٠٦٧، ٢٠٦٨، ٢٠٦٩، ٢٠٧٠، ٢٠٧١، ٢٠٧٢، ٢٠٧٣، ٢٠٧٤، ٢٠٧٥، ٢٠٧٦، ٢٠٧٧، ٢٠٧٨، ٢٠٧٩، ٢٠٨٠، ٢٠٨١، ٢٠٨٢، ٢٠٨٣، ٢٠٨٤، ٢٠٨٥، ٢٠٨٦، ٢٠٨٧، ٢٠٨٨، ٢٠٨٩، ٢٠٩٠، ٢٠٩١، ٢٠٩٢، ٢٠٩٣، ٢٠٩٤، ٢٠٩٥، ٢٠٩٦، ٢٠٩٧، ٢٠٩٨، ٢٠٩٩، ٢١٠٠، ٢١٠١، ٢١٠٢، ٢١٠٣، ٢١٠٤، ٢١٠٥، ٢١٠٦، ٢١٠٧، ٢١٠٨، ٢١٠٩، ٢١١٠، ٢١١١، ٢١١٢، ٢١١٣، ٢١١٤، ٢١١٥، ٢١١٦، ٢١١٧، ٢١١٨، ٢١١٩، ٢١٢٠، ٢١٢١، ٢١٢٢، ٢١٢٣، ٢١٢٤، ٢١٢٥، ٢١٢٦، ٢١٢٧، ٢١٢٨، ٢١٢٩، ٢١٣٠، ٢١٣١، ٢١٣٢، ٢١٣٣، ٢١٣٤، ٢١٣٥، ٢١٣٦، ٢١٣٧، ٢١٣٨، ٢١٣٩، ٢١٤٠، ٢١٤١، ٢١٤٢، ٢١٤٣، ٢١٤٤، ٢١٤٥، ٢١٤٦، ٢١٤٧، ٢١٤٨، ٢١٤٩، ٢١٥٠، ٢١٥١، ٢١٥٢، ٢١٥٣، ٢١٥٤، ٢١٥٥، ٢١٥٦، ٢١٥٧، ٢١٥٨، ٢١٥٩، ٢١٦٠، ٢١٦١، ٢١٦٢، ٢١٦٣، ٢١٦٤، ٢١٦٥، ٢١٦٦، ٢١٦٧، ٢١٦٨، ٢١٦٩، ٢١٧٠، ٢١٧١، ٢١٧٢، ٢١٧٣، ٢١٧٤، ٢١٧٥، ٢١٧٦، ٢١٧٧، ٢١٧٨، ٢١٧٩، ٢١٨٠، ٢١٨١، ٢١٨٢، ٢١٨٣، ٢١٨٤، ٢١٨٥، ٢١٨٦، ٢١٨٧، ٢١٨٨، ٢١٨٩، ٢١٩٠، ٢١٩١، ٢١٩٢، ٢١٩٣، ٢١٩٤، ٢١٩٥، ٢١٩٦، ٢١٩٧، ٢١٩٨، ٢١٩٩، ٢٢٠٠، ٢٢٠١، ٢٢٠٢، ٢٢٠٣، ٢٢٠٤، ٢٢٠٥، ٢٢٠٦، ٢٢٠٧، ٢٢٠٨، ٢٢٠٩، ٢٢١٠، ٢٢١١، ٢٢١٢، ٢٢١٣، ٢٢١٤، ٢٢١٥، ٢٢١٦، ٢٢١٧، ٢٢١٨، ٢٢١٩، ٢٢٢٠، ٢٢٢١، ٢٢٢٢، ٢٢٢٣، ٢٢٢٤، ٢٢٢٥، ٢٢٢٦، ٢٢٢٧، ٢٢٢٨، ٢٢٢٩، ٢٢٣٠، ٢٢٣١، ٢٢٣٢، ٢٢٣٣، ٢٢٣٤، ٢٢٣٥، ٢٢٣٦، ٢٢٣٧، ٢٢٣٨، ٢٢٣٩، ٢٢٤٠، ٢٢٤١، ٢٢٤٢، ٢٢٤٣، ٢٢٤٤، ٢٢٤٥، ٢٢٤٦، ٢٢٤٧، ٢٢٤٨، ٢٢٤٩، ٢٢٥٠، ٢٢٥١، ٢٢٥٢، ٢٢٥٣، ٢٢٥٤، ٢٢٥٥، ٢٢٥٦، ٢٢٥٧، ٢٢٥٨، ٢٢٥٩، ٢٢٦٠، ٢٢٦١، ٢٢٦٢، ٢٢٦٣، ٢٢٦٤، ٢٢٦٥، ٢٢٦٦، ٢٢٦٧، ٢٢٦٨، ٢٢٦٩، ٢٢٧٠، ٢٢٧١، ٢٢٧٢، ٢٢٧٣، ٢٢٧٤، ٢٢٧٥، ٢٢٧٦، ٢٢٧٧، ٢٢٧٨، ٢٢٧٩، ٢٢٨٠، ٢٢٨١، ٢٢٨٢، ٢٢٨٣، ٢٢٨٤، ٢٢٨٥، ٢٢٨٦، ٢٢٨٧، ٢٢٨٨، ٢٢٨٩، ٢٢٩٠، ٢٢٩١، ٢٢٩٢، ٢٢٩٣، ٢٢٩٤، ٢٢٩٥، ٢٢٩٦، ٢٢٩٧، ٢٢٩٨، ٢٢٩٩، ٢٣٠٠، ٢٣٠١، ٢٣٠٢، ٢٣٠٣، ٢٣٠٤، ٢٣٠٥، ٢٣٠٦، ٢٣٠٧، ٢٣٠٨، ٢٣٠٩، ٢٣١٠، ٢٣١١، ٢٣١٢، ٢٣١٣، ٢٣١٤، ٢٣١٥، ٢٣١٦، ٢٣١٧، ٢٣١٨، ٢٣١٩، ٢٣٢٠، ٢٣٢١، ٢٣٢٢، ٢٣٢٣، ٢٣٢٤، ٢٣٢٥، ٢٣٢٦، ٢٣٢٧، ٢٣٢٨، ٢٣٢٩، ٢٣٣٠، ٢٣٣١، ٢٣٣٢، ٢٣٣٣، ٢٣٣٤، ٢٣٣٥، ٢٣٣٦، ٢٣٣٧، ٢٣٣٨، ٢٣٣٩، ٢٣٤٠، ٢٣٤١، ٢٣٤٢، ٢٣٤٣، ٢٣٤٤، ٢٣٤٥، ٢٣٤٦، ٢٣٤٧، ٢٣٤٨، ٢٣٤٩، ٢٣٥٠، ٢٣٥١، ٢٣٥٢، ٢٣٥٣، ٢٣٥٤، ٢٣٥٥، ٢٣٥٦، ٢٣٥٧، ٢٣٥٨، ٢٣٥٩، ٢٣٦٠، ٢٣٦١، ٢٣٦٢، ٢٣٦٣، ٢٣٦٤، ٢٣٦٥، ٢٣٦٦، ٢٣٦٧، ٢٣٦٨، ٢٣٦٩، ٢٣٧٠، ٢٣٧١، ٢٣٧٢، ٢٣٧٣، ٢٣٧٤، ٢٣٧٥، ٢٣٧٦، ٢٣٧٧، ٢٣٧٨، ٢٣٧٩، ٢٣٨٠، ٢٣٨١، ٢٣٨٢، ٢٣٨٣، ٢٣٨٤، ٢٣٨٥، ٢٣٨٦، ٢٣٨٧، ٢٣٨٨، ٢٣٨٩، ٢٣٩٠، ٢٣٩١، ٢٣٩٢، ٢٣٩٣، ٢٣٩٤، ٢٣٩٥، ٢٣٩٦، ٢٣٩٧، ٢٣٩٨، ٢٣٩٩، ٢٤٠٠، ٢٤٠١، ٢٤٠٢، ٢٤٠٣، ٢٤٠٤، ٢٤٠٥، ٢٤٠٦، ٢٤٠٧، ٢٤٠٨، ٢٤٠٩، ٢٤١٠، ٢٤١١، ٢٤١٢، ٢٤١٣، ٢٤١٤، ٢٤١٥، ٢٤١٦، ٢٤١٧، ٢٤١٨، ٢٤١٩، ٢٤٢٠، ٢٤٢١، ٢٤٢٢، ٢٤٢٣، ٢٤٢

3. 4. 4. 4.

المجلس الوطني

270 سہ ماہی

المحاضر والمعلمين

ظفر

2. Impulse is

۶- د/عالي پوښ لارويان ۷۰۰ د غېټه پر مخ

927

20/5/2011
2/11

والى مع (عصية)

اسم: محمد اسماعیل

وضع هذا النموذج أثناء المناقشة المطولة لمصاحبة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.

الباب الثاني : اليوم الآخر

وتحتة فصلان :

الفصل الأول : أشرط الساعة

الفصل الثاني : مسائل تتعلق باليوم الآخر

الفصل الأول : أشرطة الساعة

وفيه مبحثان :-

□ المبحث الأول : ما جاء في ابن صياد . هل هو

المسيح الدجال أم غيره ؟

□ المبحث الثاني : ما جاء في الدخان ، هل مضى أم

لم يأت بعد ؟

المبحث الأول : ما جاء في ابن صياد ، هل هو

المسيح الدجال أم غيره ؟

وفيه ثلاثة مطالب :-

- المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قدروهم طاهرها المعارض .
- المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا المعارض .
- المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول :

ذكر الأحاديث التي قد يؤول فيها ظاهرها التعارض

أولاً : ذكر حديث الجساسة -

عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : ذكرت قصة تأميمها من زوجها واعتدبها عند أبي أم مكتوم . فلما أنقص عذتي سمعتُ بدء المأدي ، مُدادي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُنادي : الميلاء جامعة ، فخرجتُ إلى المُشجِب ، فصلَّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكُنتُ في صف النساء التي تبي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، جلس على المنبر وهو يصحك ، فقال : ((لِمَ تَقُومُونَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلِّاة)) ثُمَّ قَالَ : ((أَلَمْ تَرَوْا لَمْ جَمَعْتُكُمْ ؟)) قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : ((إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرِغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنْ تَمِيمَا الْمَدَارِي ، كَانِ رَجُلًا بَصْرَانِيًّا ، فَخَاءٌ فَيَافِعٌ وَأَسْلَمٌ ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافِقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مُبِيعِ الدَّخَالِ ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بِحَرِّيَّةٍ ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجِلْدَانِ ، فَلَمَعَ بِهِمْ أَمُوحٌ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ ارْتَفَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ سَمَى مَغْرِبُ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي قُرْبِ السَّعِينَةِ ، فَدَخَلُوا الْحَرِيرَةَ ، فَلَقِيَتْهُمْ ذَاتَةٌ أَهْنَبُ^(١) كَثِيرُ الشَّعْرِ ، لَا يَذَرُونَ مَا قَبْلَهُ مِنْ دُبُرِهِ ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ ، فَقَالُوا : وَتِلْكَ مَا أَسْرَ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَاسَةُ^(٢) ، قَالُوا : وَمَا الْجَسَاسَةُ ، قَالَتْ : أَتَيْتُ الْقَوْمَ أَنْطَلَقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدُّنْيَا^(٣) ، فَإِنَّهُ إِلَى حِرْكَتِهِ بِالْأَشْوَاقِ ، قَالَ : لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرَّقَ بَيْنَهُ أَنْ تَكُونَ حَبِطَانَةً ، قَالَ : فَأَنْطَلَقْنَا سِرَاعًا ، حَتَّى دَخَلْنَا الدُّنْيَا ، فَبَدَا فِيهِ أَكْثَرُ إِنْسَانٍ رَأَيْتُهُ لَطَ

(١) الأندلس عبط السمر كبره . انظر معجم الفرس (٣٢٢/٤) ، النهاية في غريب الحديث (٦٦٩) ، معجم

(٢٩٨/٧) ، معجم شرح الثوري (٢٩٥/١٨)

(٢) سميت بذلك لأنها تفسد الأحبار بالمحال . انظر معجم الفرس (٣٢٢/٤) ، النهاية في غريب الحديث (٢٧٢/١)

المعجم (٢٩٨/٧) ، معجم شرح الثوري (٢٩١/١٨)

(٣) قال القزويني : « الدنور بيت يتعبد فيه القرعيل ولا يكاد يكون في القصر الأعظم إنما يكون في الصحاري

وروز جمال ديب كان في القصر كانت كبيرة أو بعة » معجم القبيدات (٥٦٣/٢) ، وشراد به هنا القصر كما في

رواية أبي داود ، دون دون (٣١١/١١ ، ٣٢)

حلقاً ، واشدة وثاقاً ، مخلوعة بذاة إلى عقبه ، ما تيسر ركبته إلى كعبته ، بالخبيد ، قلنا . وبذلك ما أنت ؟ قال . قد فترتم على خبري فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا نحن أمان من أعرب ، ركبنا في سعة بحرين ، فصادقنا البحر حين اعتلم^(١) ، فلقبنا بالمسوخ شهراً ، ثم ارتأينا إلى جريوتك هذه ، فحدثنا في أثرها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا ذاتة أطلب كثير الشعر ، لا يدرى ما قبله من ذببه من كثرة الشعر ، قلنا . وبذلك ما أنت ؟ فقلت . أما الجساسة ، قلنا . وما الجساسة ؟ قالت : اذهبوا إلى هذا الرجل في التيم فإنه إلى حيركم بالاشواق ، فالفينا إليك سرعاً ، وفرغنا منها ، ولم نأمن أن تكون حيطاة ، فقال أخبروني عن نحل يسم^(٢) ، قلنا : عن أي شأبه تستخبر ؟ قال : أما أنكم عن نخلها ، هن يجمع ؟ قلنا له نعم ، قال : أما إنه يوشك أن لا تسمع ، قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية ، قلنا : عن أي شأبه تستخبر ؟ قال : هن فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء ، قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب ، قال : أخبروني عن غير^(٣) قالوا : عن أي شأبه تستخبر ؟ قال : هن هي الغني ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء الغني ؟ قلنا له نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مايبها ، قال : أخبروني عن بني الأمان ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل بفرب ، قال : أفأنتل الغرب ؟ قلنا : نعم قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ، قلنا نعم ، قال : أما إن ذلك خير لهم أن يطعوه ، وإني مخبركم عني ، إني أنا المصيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها هي أربعين ليلة ، غير مكة وطية ، فهما محرمتان علي ، كلفاهما ، كنما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحدة منهما ، استقبلني ملك يديه السيف صلتاً ، يصديني عنها ، وإن علي كل نقيب منها ملائكة يخبرونها ، قالت : قال رسول

(١) أي هاج وعصفت أسرابه . النهاية في غريب الحديث ٣/٣٨٢ ، التمهيد ٧/٢٩٩

(٢) هي مدينة مدأدب بالمر السامي بين حوران ولسطير وبها عين القلوس ، وهي عين فيها ملححة بسيرة ، ويوصف بكثرة النحل ، قال ياقوت الحموي : لا راحة لها من أربها غير عنتي حاشا ، وهو من علامات

خروج الدجال في الطر . معجم البلدان (١/٦٢٥) . عون المعبود (١١/٣١٨)

(٣) بحر بوزن ضمير عين بالضم من أرض قبضة ، جبل هو سمي له وعمل اسم امرأة سبب إليه . القدر . شهادة في

غريب الحديث (٢/٣٠٤) . معجم شرح الترمذي (١٨/٢٩٦)

اللَّهُ صلى الله عليه وسلم ، وطمع بمحضرة (١) في المنبر : فَنَبَذَ طَبِيَّةً ، هَلَبَهُ طَبِيَّةً ، هَذِهِ طَبِيَّةٌ - يعني المدينة - أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ؟ ((فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ)) لِأَنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثَ نُسَيْمٍ تَهَ وَأَعْنِ الَّذِي كُنْتُ أَحَدْتُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَفَكَفَّ ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ ، لَا بَلَّ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ)) وَلَوْ مَا بَنَدَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ ، قَالَتْ : مَحِيطَةٌ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : أخبار ابن صياد .

١- عن محمد بن المنكدر قال : رأيت حابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال قلت : تحلف بالله ؟ قال : إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ ولم يذكره النبي ﷺ (٢)

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر «طلق مع النبي ﷺ في رمط قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الغصيان عند أطعم بني معاذة» ، وقد قارب ابن صياد الحلم فلم يشعر حتى صرّب النبي ﷺ يده . ثم قال لابن صياد . ((أتشهد أني رسول الله ؟)) فطر إليه ابن صياد فقال : أشهد أنك رسول الأمين ، فقال ابن صياد للنبي ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ فرفضه وقال : ((أعتيت بالله وبرسوله)) فقال له . ((هاتفا ترى ؟)) قال ابن صياد : يأتي صدق وكاذب فقال النبي ﷺ ((خلط عليك لأمر)) ثم قال له النبي ﷺ : ((إني قد خيأت لك خيئاً)) فقال ابن صياد . هو الدج . فقال : ((أعصاً ، قلن))

(١) لمحضرة . ما يحضره الإنسان يده فيسكنه من عب أو عكاز أو عصي وقد ينكس عليه النهاية في غريب الحديث (٣٦/٢)

(٢) أخرجه مسنوني كتاب الفتن باب قصة الجساسة (٢٩١/١٨) ح (٢٩١/٢)

(٣) متن عليه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب من رأى موكب الكفر من النبي ﷺ حصة (٢٩٧/٦) ح (٢٩٧/٦) ومسلم كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد (٢٩٦/١٨) ح (٢٩٦/٦)

(٤) الأسم : الحصى وهو ماء من حجارة مرموق كالقصر ، وهو معاذة : كل ما كان عن يمينك إذا وقعت أحمر البلاط مستعين بسند النبي ﷺ ، وقال بعضهم : هو معاذة حي من فصاعة ، انظر معالم الفتن (٣٢٩/٤) النهاية في غريب الحديث (٥٤/١) انظر (٢٩٣/٧) مسلم بطرح الشوزي (٢٩٩/١٨)

(٥) الصحيح أنه اسم له آية الدجال ، وهي موكب علق ﷺ فأزفهم يوم أي النساء دحان من ﷺ سورة الدخان آية

تعدو قنبرك)) فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أصرب عنقه فقال النبي ﷺ ((إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله))^(١)

وقال سام سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ ومي من كتب إلى شغل النبي فيها ابن صياد وهو يحتل أن يسمح من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد ، فرأه النبي ﷺ وهو مصطحع يعني في قطيعه له فيها امرأة أو امرءة^(٢) فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتبع مجموعة النخل فقالت لابن صياد يا صايف وهو اسم ابن صياد - هذا محمد ﷺ فثار ابن صياد فقال النبي ﷺ ((لو تركته بين))^(٣) .

٣ عن عبد الله قال : كما مع رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بصياد فبهم ابن صياد عمر الصبيان وجلس بين صياد فكان رسول الله ﷺ كره ذلك فقال له النبي ﷺ : ((تريت بذلك أتشهد أمي رسول الله ؟)) فقال : لا بل يشهد أمي رسول الله ، فقال عمر بن الخطاب : درسي يا

(١) وهذا قول جمهور المفسرين مفسر التوروي (٢٦٦/١٨)

(٢) يرد سؤال هنا وهو : لماذا لم يذنب النبي ﷺ مع أنه دعني التوبة ؟

الاجابة : عن هذا السؤال من وجوه ذكرها أهل العلم

الوجه الأول : ان هذه القصة حرب له منه أيام مهادة اليهود وحلفائهم ، وذلك أنه لما قدم النبي ﷺ الثانية كتب إليه ويهم كتاباً من عندهم فيه على أن لا يهاجموا ، وأن يتركوا على أمرهم ، وكان ابن صياد في جملة القوم ، وظلمه ذلك ما رآه ، فقام أحد من بني بني ﷺ به ﷺ عن نصر من خطاب الله ما استأنفه في مثل ابن صياد : ((إن يكن هو فمسا سانه إن صاعبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وإن لا يكن هو عيسى بن مريم ، فكن من رجل من أهل العهد)) خرجته الإمام أحمد في مسنده (٣٤٥/٤) ح (١٤٥٢٨) واليعقوبي في شرح السنة (١٥/٨) وقال يعقوبي في الجمع (٣/٨) روى أحمد ورواه عن الصحيح وهذا ابواب حرم الخطابي واليهودي ومن العربي ، وذكره ابن خوري والتوروي ، وهذا ابن حنبل هو للغير . انظر معجم التيسر (٣٢٢/٤) شرح السنة (١٥/٨) عارضة الأسودي (٧٤/٩) كشف المشكل (٣٣٦/١) مسلم بشرح التوروي (٧٦٤/١٨) فتح الباري (١٧٤/٦) .

الوجه الثاني : أنه حين حرب له منه هذه القصة كان صياً حراً بالغ ، ولا حكم لقول النبي ، وما يدل على هذا ما جاء في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ وحده يصحب مع الصبيان وقد عذب ابن صياد الخيل ، وذكر هذا الوجه البيهقي واستلزمه القاضي عياض كما أنكره التوروي . انظر معجم بشرح التوروي (٧٦٤/١٨) عارضة الأسودي (٧٤/٩) كشف المشكل (٣٣٦/١) . قلت : ولا مانع من القول بكل الوجهين ، والله أعلم

(٤) وشظ مسلم به فيها امرأة ، والمرمة صوت حسي لا يكاد يهيم ، انظر النهاية في غريب الحديث (٣١٣/٢) معجم بشرح التوروي (٧٧٠/١٨) فتح الباري (٢٢٠/٢)

(٥) سبق عليه البخاري ، كتاب الجاهل باب ما أسلم النبي صلات من ينادي عليه (١٥٤/١) ح ، ١٢٨٩ ومسلم كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد (٢٦٦/٨ ، ٢٦٧) ح (٢٩٣٠ ، ٢٩٣١)

رسول الله حتى أقسمه بعد رسول الله ﷺ ((إن يكن الذي ترى فمن تستطيع قتله))^(١)

٤- عن أبي سعيد قال : لقى رسول الله ﷺ وهو بكر وعمر في بعض طرق المدينة فقال له رسول الله ﷺ : ((أتشهد أنني رسول الله ؟)) فقال هو : أتشهد أنني رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((آمنت بالله وعلائكته وكتبه ، ما ترى ؟)) قال : أرى عرشاً على الماء فقال رسول الله ﷺ : ((ترى عرش إيليس على النحر ، وما ترى ؟)) قال : أرى صادقين وكاذبين أو كافرين وصادقاً فقال رسول الله ﷺ : ((أليس عليه ، دعوه))^(٢)

٥- عن أبي سعيد الخدري قال : « صحبت ابن صائد إلى مكة فقال لي : أما قد لقيت من الناس بزعيم أبي الدجال ، أليس سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إنه لا يولد له)) قال قلت : بلى ، قال : فله ولد لي ، أليس سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لا يدخل المدينة ولا مكة)) قلت : بلى ، قال : فقد ولدت في المدينة وهذا أبا يزيد مكة ، قال ثم قال لي : في آخر يومه أما والله ، بي لأعلم مولده ومكانه وأين هو ، قال فلبسي »^(٣)

وفي طريق آخر قال : « أما والله ، بي لأعلم الآن حيث هو وأعرف أمه وأمه ، قال وقيل له : أفسر أنت ذلك لرجل ؟ قال : فقال لو عرضت علي ما كرهت » .

وفي طريق آخر قال أبو سعيد رضي الله عنه : « خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعا ابن صائد قال صرنا مرةً معرق الناس ويقببنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه قال : وجاء محتاجه موصعه مع مناهي ، فقلت : إن آخر شديد علو وضعه تحت تلك الشجرة ، قال فعجل قال : فرفعت لنا عزم فاطلق فجاء بعض^(٤) فقال : اشرب أبا سعيد فقلت : إن آخر شديد والذين حذر ، ما بي إلا أنني أكره أن أشرب عن يده ، أو قال أحد عن يده ، فقال أبا سعيد : لقد هممت أن أحد حلاً فأعلقه بشجرة ثم احتسب مما يقول بي الناس ، يا أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عنكم معشر الأعمش ، أمنت من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ أليس قد قال رسول الله ﷺ : ((هو كافر)) وأنا مسلم

(١) أخرجه مسلم في كتاب القس ، باب ذكر ابن حبان (٢٦١/١٨) ج (٢٩٢٤)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القس ، باب ذكر ابن حبان (٢٦٢/١٨) ج (٢٩٢٥)

(٣) أنظر خطي القس في أمه وأشك فيه ، خط القس في غريب الحديث (٢٢٦/٤)

مسلم بسراج القوي (٢٦٢/ ٨)

(٤) فليس القدر الكبير النهاية في غريب الحديث (٢٢٦/٣) بشهيم (٢٦٩/٧) .

أوليس قد قال رسول الله ﷺ - ((هو عقيم لا يولد له)) وقد تركت ولدي بالمدينة أوليس
عد فان رسول الله . (لا يدخل المدينة ولا مكة)) وقد أنقلت من المدينة وأنا أريد مكة
قال أبو سعيد القدري حتى كذب أن أعدته ثم قال أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده
وأين هو الآن . قال قلت له : بئ لك سائر اليوم ^(١)

٦- عن ثعلب قال : لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال له قولاً أعضبه فانتفخ
حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت : رحمتك الله ما أردت من
ابن صائد أم علمت أن رسول الله قال ((إنما يخرج من غبطة يفضيها))

وفي طريق آخر قال ابن عمر لعفته مرتين قال : فلقينه فعب ليصعبهم هل تحدثون أنه
هو؟ قال لا والله . قال قلت كذبي والله لقد أخبرني بعضكم أنه لم يموت حتى
يكفون أكثركم مالا وولداً هكذا هو رعموا اليوم . قال تحدثنا ثم عارفته قال فلقينه لقيته
أخرى وقد عرب ^(٢) عه ، قال فقلت متى لعبت عليك ما أرى ؟ قال لا أندري ، قال :
قلت لا ندري وهي في رأسك قال إن شاء الله حطفتها في عصاك هذه قال : فحمر كأشد
حمر سمعت قال فرعم بعض أصحابي أبي صرخته بعضا كاب معي حتى يكسرب ،
وأما أنا فوالله ما شعرت قال وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت : ما تريد
إليه أم تعلم أنه عد قال ((إن أول ما يبعثه على الناس غضب يفضيه)) ^(٣)

(١) أخرجه مسلم في كتاب القس . باب : ذكر ابن صياد (٢٦٢/١٨) ح (٢٩٢٧)

(٢) أي ورع . النهاية (٩٣/٥) اللهم (٢٧١/٧) مسلم بشرح النووي (٢٧٢/١٨)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القس . باب : ذكر ابن صياد (٢٦٢/١٨) ح (٢٩٣٢)

بيان وجه التعارض

لما كتب ابن صياد فيه بعض أمراء المسيح الدججال اسمه أمره على بعض الصحابة فمن بعدهم لا سمح وأنه يصرح بأنه يعرف مكانه وأين هو لأن وأنه لو عرّض عليه أن يكون المسيح الدججال ما كره أنصف إلى هذا أن النبي ﷺ تردد في شأنه في أول الأمر حتى إن عمر عليه السلام حذف عنه أن ابن صياد هو الدججال فلم يُكره عليه ، وقد يدل على شدة اشتباه أمره ولذلك صرح كثير من أهل العلم بأن أمره مشكل .

قال الخطابي رحمه الله : « وقد اختلف الناس في ابن صياد اختلافاً شديداً وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول » ^(١)

وقال طبرطاي رحمه الله : « وعلى الخليفة فأمره كله مشكل وهو فتنة ومحنة » ^(٢) .
وقال النووي رحمه الله : « قال العلماء : وقصته مشككة وأمره مشبه في أنه هل هو للمسيح الدججال المشهور أم غيره » ^(٣)

وقال الحافظ ابن حجر : « ولشدة التباس الأمر في ذلك سلك البخاري مسلك الترجيح فاقصر عن حديث جابر عن عمر في ابن صياد ولم يخرج حديث عائشة بن قيس في قصة تميم » ^(٤)

وقال المشوكاني رحمه الله : « وإنما نكلمنا عن قصة ابن صياد مع كون المقام ليس مقام الكلام عليها لأنها من المشكلات العصيات التي لا يزال أهل العلم يُسألون عنها » ^(٥) .

(١) معجم النسي (٤/٣٢٢)

(٢) تقيهم (٧/٢٦٣)

(٣) مسلم بشرح النووي (١٨/٣٦٦)

(٤) صح قباري (١٣/٢٢٨)

(٥) بيل الأول (٧/٢٤٢)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التمازج

التصنيف بين صياد .

قبل ذكر مذهب أهل العلم في ابن صياد لا بد من معرفة شخصيته .

واسمه عبد الله بن صياد ، ويُقال فيه : ابن صياد وابن صائد وابن الصائد^(١) ، قال ابن كثير « لعله عبد الله » ، ويُقال صاف ، وقد جاء هذا وهذا ، وقد يكون أصل اسمه صاف ثم سمي لما أسلم بعد الله^(٢) .

وكنيته أبو يوسف^(٣)وُلدَ رَمِيَّ بْنَ أَبِي بَكْرٍ^(٤)

وذكر ابن الجوزي وابن الأثير وطهري وابن كثير وابن حجر^(٥) وغيرهم ، أن أباها كان من اليهود ، وقال ابن كثير : كان ابن صياد من يهود المدينة ، وقال ابن حجر « وكانوا يقولون نحن بنو شبيب بن النجار مدفعهم بنو النجار »^(٦)

ولعل لصواب هو أنه من يهود المدينة ، وما يزيد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن حبان بن عبد الله بن أبي بكر قال لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (إن يكن هو فليست صاحبة إنما صاحبة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . وإن لا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد)^(٧)

ومن أولاده عمارة بن عبد الله بن صياد من حيار المسلمين وسادات التابعين ، روى عنه أصحابك ومالك بن أنس وغيرهم ، قال فيه ابن معين والنسائي . ثقة ، وقال أبو حاتم

(١) انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣٣٤/١)

(٢) النهاية في الغنى وسلاسل (١٧٣/١) وفي الأصل هكذا « ثم سمي لما أسلم بابن عبد الله » طبعه تصحيح إله الصواب من أبيه ، والله أعلم

(٣) مرجع السابق (١٧٢/١)

(٤) انظر كشف المشكل (٣٣٤/١) أمه المايه في معرفة الصحابة لابن الأثير (٢٨٣/٣)

(٥) سطر كتبه مسكن (٣٣٤/١) أسد الغابة (٢٨٣/٣) بحرر أسماء الصحابة (٣١٩/١) النهاية لابن كثير

(٦) الإحصاء في غير الصحابة - فقه المراجع عن اسمه عبد الله (١٤٨/٥)

(٧) تهذيب التهذيب (٤١٩/٧)

(٨) عدم تحريره ص (٣٠٤) هامش (١)

صالح الحديث ، وقال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، وكان مالك بن أنس لا يقدم عليه في الفصل أحد^(١)

وفاته قيل إن ابن صياد توفي بالمدينة^(٢) ، وقيل إنه قدِم يوم الحرة^(٣) ، فقد أخرج أبو دود في سببه عن حماد بن عبد الله بن عمار قال : « قتلنا ابن صياد يوم الحرة »^(٤)
قال الخطابي تعليقاً على هذه الرواية : « وهذا خلاف رواية من روى أنه مات بالمدينة »^(٥)

وقال النووي : « وقد يعطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصحى عليه »^(٦)
وقال ابن حجر : « وهذا يصعب ما تقدم أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه وكشعوا عن وجهه »^(٧)

وبعد هذا التعريف بابن صياد إليك مذاهب أهل العلم فيه :
أولاً : مذهب الجمع .

وأيه ذهب الحافظ بن حجر فقال : « وأقرب ما يجمع به بين ما نصحه حديث تميم وكوث ابن صياد هو الدخال أن الدخال بيه هو الذي شاعبه تميم موثقاً ، وأن ابن صياد شيطان تبدي في صورة الدخال في تلك السنة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قريبه إلى أن يجيء ليلة التي قدر الله تعالى خروجه فيها »^(٨)

(١) انظر أسد الغنة (٢٨٣/٢) تهذيب لابي كثر (١٧٢/١) تهذيب التهذيب (٤٨٧/٤ ٤١٩) الإبهمة (١٤٨/٥)

(٢) انظر معاني السير (٤/٣٤٣) مسلم بشرح النووي (١٨/٢٦٢) فتح الباري (١٣/٣٢٦)

(٣) الحرة أرض بظاهر المدينة بها حصارة سود كثرة

ويوم الحرة هو اليوم الذي دخل فيه عسكر أهل الشام ومن يده بين معاوية المدينة سنة ثلاث وسبعمائة فالتقى بها وعامر فيها سنة وسبعمائة ومات بها . وصحى هذا اليوم يوم الحرة لأن الوثقة كانت فيها . انظر النهاية في غريب الحديث (١٦٥/٣) حرم المعبود (١١/٣٢٥)

(٤) أخرجه أبو دود و هو : ٣٢٥/١١ ، وحكم النووي ومن حقه عن إسناده بالصححة انظر مسلم بشرح النووي

(٥) ٢٦٢/١٨ فتح الباري (١٣/٣٢٨) تهذيب التهذيب (٧/٤١٩)

(٦) معاني السير (٤/٣٢٢)

(٧) مسلم بشرح النووي (١٨/٢٦٢)

(٨) فتح الباري (١٣/٣٢٦)

(٩) فتح الباري (١٣/٣٢٨)

ثانياً : مذهب الترجيح :

وقد سلكه فريقان من الناس فريق رجح أن ابن صياد هو الدجال الأكبر ، والفريق الآخر رجح أنه يس هو وأن المسيح الدجال هو الذي في قصة الخساسة ، وإليك بيان ذلك :

الفريق الأول وهم الذين ذهبوا إلى أن ابن صياد هو المسيح الدجال وعلى رأس هؤلاء بعض الصحابة كعمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله^(١) وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأبي ذر^(٢) . وبمعهم على ذلك بعض أهل العلم كأبي عبد الله القرطبي ، وهو ظاهر كلام النووي واشتو كاني^(٣)

قال القرطبي رحمه الله . « والصحيح أن ابن صياد هو الدجال »^(٤)

وقال النووي « وإنما احتجاجة هو^(٥) بأنه مسموم والدجال كافر ، وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو وإن لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل للمدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له على أن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وصف فتشبهه وخروجه في الأرض وأما طهارته الإسلام وحجته وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال »^(٦) . فظاهر هذا الكلام من النووي رحمه الله أنه يحيل إلى كون ابن صياد هو الدجال الأكبر وإن كان لم يقطع في هذه المسألة بقول صريح

أدلة هذا الفريق

استدل من ذهب إلى أن ابن صياد هو المسيح الدجال بما يلي :

١ - ما تقدم من الأحاديث في أخبار ابن صياد والتي فيها أنه يأتيه صادق وكاذب وأنه يرى عرشاً فوق الماء وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال ، وأنه يعرف مكانه وموئله وأنه هو ذلك ، ونور عينه وانتعاضه حتى ملأ السكة كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وقول أبيه حفصة له بعد ذلك . ما أردت من ابن صائد أما علمت أن رسول الله ﷺ قال :

(١) بنسبة الرواية عنهما من (٣٠٣)

(٢) سنن أبي داود عنهم حديثاً إن شاء الله من (٢٦١)

(٣) انظر نيل الأوطار (٢٣٩/٧)

(٤) انظر كونه في أصول الترمذي وأصول الأئمة (٥٨٣/٢)

(٥) يعني ابن صياد

(٦) مسم بشرح النووي (٢٦١/٨ - ٢٦٢)

((إذا يخرج من غصبة يقضيها))

٢- حلف عمر رضي الله عنه بخبره النبي ﷺ كما تقدم - على أن ابن صياد هو الدجال وم يكنر عليه النبي ﷺ ذلك

٣- حلف بعض الصحابة رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه على أن ابن صياد هو الدجال كخبر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأبي ذر رضي الله عنه

أما خبر رضي الله عنه فقد تقدمت طريقته عنه ^١ ، وعبد أبي داود أن خائراً رضي الله عنه شهد أن المسيح الدجال هو ابن صياد ، قال الرباعي عنه قلت : فإنه قد مات ، قال : وإن مات ، قلب : فإنه قد أسلم ، قال : إن أسلم ، قلت : فإنه قد دخل المدينة ، قال : وإن دخل المدينة ^(١) .
وأما ابن عمر رضي الله عنه فقد روى عنه أبو داود أنه كان يقول : « والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد » ^(٢)

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فقد روى عنه أبو يعنى والقطامي أنه كان يقول : « لأن أحلف به لله مسلماً أن ابن صياد هو الدجال أحب إلي من أن أحلف واحده » ^(٣) .

- وأما أبو زر رضي الله عنه فقد روى عنه الإمام أحمد أنه قال « لأن أحلف عشر مرار أن ابن صائد هو الدجال ، أحب إلي من أحلف مره واحدة أنه ليس به » ^(٤) .

وأما أصحاب هذا القول من نردد النبي ﷺ في أمر ابن صياد بخبرين :
أحدهما أن نردد كما قبل أن يقدمه الله تعالى بأنه هو الدجال فلما أعلمه م يكنر عسى عمر حلفه

والثاني أن نردد قد عرج الكلام عرج الشك وإن لم يكن في الخبر شك فيكون ذلك من

(١) من (٣٣٣)

(٢) أخرجه أبو داود م عود (٣١٦/١١) ح (٤٣١٨) وحسنه الشيخان إسناده في التلخيص (٣٢٩/٣٢٧، ١٢)

(٣) أخرجه أبو داود م عود (٣٢٤/١١) ح (٤٣٢١) وصححه النووي وابن حجر إسناده التلخيص م شرح البيهقي (٣٢٦/١٨) فتح الباري (٣٢٥/١٣)

(٤) رواه أبو يعنى في مسنده (١٣٢/٩) ح (٥٢٧) وثالثه في التلخيص (٥/٨) زاد المعاد وأبو يعنى ورجال أبي يعنى رجال الصحيح

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٣/٦) ح (٢٠٨١٢) وصححه الحافظ إسناده في التلخيص (٣٢٩/٣) ومثل البيهقي في التلخيص (٣/٨) روى أحمد رجال الصحيح غير الخارث بن حصيرة وهو ثقة

بطلع النبي ﷺ بعمر في صرعه عن قمه ^(١) .

الفرق الثاني وهم مدعي ينسبون إلى ابن صياد ليس هو المسح الدجال وإنما هو دجال من الدجاجة ، وأما المسيح الدجال هو الوارد في حديث الحساسة ، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم كابن عسكروان والأثير وابن بيمية وابن كثير والبرقي وغيرهم .
قال البيهقي رحمه الله : « وليس في حديث حابر أكثر من سكوت النبي ﷺ بقول عمر فيمن أنكره كان كمن توقف في أمره ثم جاءه البيان أنه عمره كما صرح به في حديث ثيس » ^(٢) .

وقال ابن الأثير : « الذي صح عنه أنه ليس الدجال » ^(٣) .
وقال شيخ الإسلام ابن بيمية : « .. عيّد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وكان قد طعن بعض الصحابة أنه الدجال ، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له مما بعد أنه ليس هو الدجال لكنه كان من حسن الكهان » ^(٤) .

وقال ابن كثير رحمه الله : « ولتقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً وذلك لحديث فاطمة بنت قيس الأميرة فإنه يحصل في هذا مقام » ^(٥) .
وقال البرقي : « لأصح أن الدجال غير ابن صياد » ^(٦) .
أدلة هذا الفرق : استدلال أصحاب هذا القول بما يلي .

١ - حديث الحساسة وهو عمدهم الذي تمسكوا به بل عدّه ابن كثير رحمه الله مبطلاً في هذه المسألة ^(٧) .

وقال البيهقي بعد ذكره لحديث الحساسة : « فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر

(١) مظهر فتح الباري (١٣، ٢٢٥) جيل الأوطار للسوكلاني (٢٣٩/٧)

(٢) مصنف بشرح النووي (٢٦٣/١٨)

(٣) إسناده الغاية (٢، ٢٨٣)

(٤) مسرع التنزي (١١، ٢٨٣)

(٥) النهاية في الفن وتلاسم (١٠٨/١) ولتقتصر (١٢٢٢)

(٦) الإضاءة لأضرار الساعة (٢١٥)

(٧) وقد تقدم على كلامه وانظر الشهادة في الفن وتلاسم (١١٨/١)

الزمان عمر ابن صياد ^(١)

٢ - أ. النبي ﷺ أحمر - كما تقدم - مصغره للمسيح الدجال لا تطبق على ابن صياد ، كإحصاءه ﷺ بأنه لا يؤمن به وأنه لا يدخل مكة ولا المدينة ، وابن صياد قد وُلد له ودخل مكة والمدينة

٣ - أن قصة تميم مآخذه عن قصة ابن صياد فهي كالتاسخ له ، قاله البرزنجي ^(٢) .

٤ - أن في بعض طرق حديث تميم كما عند البيهقي في وصف الدجال بأنه شبح - وسدنها صحيح كما فإن الحافظ ابن حجر ^(٣) - فكيف يكون ابن صياد هو الدجال وهو في حياة النبي ﷺ صغير يلعب مع الصبيان قد قارب الخمر ١٩

٥ - أنه حين إحصاءه ﷺ - في قصة تميم - عن مكان الدجال أنه من قبل المشرق كان ابن صياد بالمدينة

قال البرزنجي ردًا على من يقول إنه ﷺ أحمر بما يؤون إليه أمره ولم يحبر أن ابن صياد هو الدجال الأكبر حشية أن يقتضوه قال - « هذا ليس بشيء إذ كيف يقتلون شخصاً قبل أن يولدوا ؟ » بما نقله في الله عيسى عليه السلام ^(٤) واستشهد رحمه الله على ذلك بإحصاءه ﷺ عن الرجل الذي اعترضه عبي قسمه بأنه أصل الخوارج وأن له أصحاباً كذا وكذا ^(٥)

فلو كانت مشيئة القتل ماعة من الإخبار ما أحمر ﷺ عن هذا الرجل ^(٦)

- وأجاب أصحاب هذا القول عن تردد النبي ﷺ في شأن ابن صياد في أول الأمر بأنه كان متوقعاً في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال كما في قصة تميم الداري عليه السلام قال طيهي رحمه الله . « يحتمل أن يكون النبي ﷺ كان متوقعاً في أمره ثم جاء التثبت من الله تعالى بأنه غيره على ما تقصيه قصة تميم الداري ، وبه تمسك من جرم بأن الدجال

(١) صح البخاري (٣٢٦/١٣)

(٢) لإشاعة لأشرطة الساعة (٢١٥)

(٣) نظر صح البخاري (٣٢٦/٣)

(٤) لإشاعة لأشرطة الساعة (٢١٥)

(٥) الحديث عند علي بن أبي حمزة (١٢١٩/٣) ح (٣١٦٦) ومسلم (١١٦/٧) ح (١٠٦١)

(٦) نظر الإشاعة لأشرطة الساعة (٢١٥)

عن أبي صبيد وطريقه أصح ، وتكون النسخة التي في أبي صبيد وافقت ما في الدجال ^(١) .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . « ونوقف النبي ﷺ في أمره حتى يبرأ له فيما بعد أنه ليس
هو الدجال » ^(٢)

(١) فتح الباري، (٣٢٦/١٣) والطبرسي، (٢٦٣/١٨)

(٢) المنوع الصوري (٢٨٣/١١)

المطلب الثالث

الترجيح

بح لا شك فيه عند كل العلم أن ابن صياد دجال من الدجالين^(١) وإنما وقع الخلاف بينهم في كونه للمسيح الدجال أم غيره
قال لدوي : « قال القدماء وقصه مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال أم غيره ولا شك في أنه دجال من الدجالين »^(٢)

وقال ابن خال : « فإن وقع الشك في أنه الدجال الذي يقتله عيسى بن مريم فإنه لم يقع الشك في أنه أحد الدجالين المذكورين الذين أنذر بهم النبي ﷺ في قوله . ((لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله))^(٣) »^(٤) .

والراجح والله تعالى أعلم - أن ابن صياد ليس هو المسيح الدجال الذي يقتله عيسى بن مريم عليه السلام وذلك للأدلة الكثيرة التي استدلل بها أصحاب هذا القول . ولأن أحاديث ابن صياد مخنعة وحديث الحساسة نص في هذه المسألة^(٥) ولذلك عده ابن كثير - كما تقدم - الفصيل في هذه المسألة

وأما الفصح في حديث الحساسة عيسى إليه سبيل ، قال ابن حجر رحمه الله . « وقد نوههم بعضهم أنه عرب مرد وليس كذلك فقد رواه مع عاتمة بنت عيسى أبو هريرة وعائشة وجابر »^(٦)

وأما القول بأن عدم دخوله مكة والمدينة وعدم الولادة له إنما هو في وقت خروجه على الناس فيحتاج إلى دليل يدل على أن ذلك في وقت خروجه فقط وأنه في غير وقت خروجه يدخل مكة والمدينة ويخرج ويولد له^(٧)

(١) هذا قول أن يدعي الإسلام

(٢) مسلم بشرح النووي ٨ / ٢٦٦

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة البخاري (٢٦٠٥/٦) ح (٦٧٠٤) ومسلم (٢٦٠١/٨) ح (١٥٦)

(٤) فتح الباري بتصرف بسير (٣٢٥/١٣)

(٥) تفسير الإضاءة لأضرار الساعة (٢١٥)

(٦) فتح الباري (٣٢٨/١٣) وانظر جيل الأوطار (٢٤٢/٧)

(٧) انظر : فقد جاء أضرارها محمد عطية (٤٠٣)

مناقشة الأقوال المرحوجة .

أولاً - مناقشة مذهب الجميع

ما ذهب إليه الحفاظ ابن حجر من جمع بين حديث الحساسه وحيز ابن صياد وفوله إن ابن صياد شيط - يبدى في صورة الدجال بعيا جداً ، كيف وفه بروح وولد له ولد من أفاضل المسميين وسارم السابغى وكان الإمام مالك لا يقدم عليه في الفصل أحداً كما تقدم قال الشيخ حمود التوتري رحمه الله بعد نقله جمع ابن حجر « قلت وفي هذا الجمع نظر لا يحصى فإن ابن صياد قد وُلد في المدينة وكان أبوه وأمه من اليهود وكان في زمن النبي ﷺ وقد قاب ب حنم سم أسلم بعد ذلك وولد له ابنان من خيار السابغى ، ومن كتاب هذه الحالة فليس بشيطان يبدى في صورة الدجال وإنما هو آدمي قطعاً » (١)

ثانياً - مناقشة طرحين لكون ابن صياد هو الدجال الأكبر

- أما استدلالهم بالأمور التي احتجوا وأقروا بها ابن صياد فإنها لا تعنى أن تكون صفات وافقت ما عند الدجال ، ولا يسرم من هذه الموافقة أن يكون هو الدجال الأكبر ، قال البيهقي « ونحو أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال ، كما ثبت في الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العري من قطي » (٢) « (٣)

ثم إنه مع هذه الموافقة في بعض الصفات قد عطلوه في صفات أخرى ككونه دخل مكة ولندنه وولد له والدجال ليس كذلك

وأما حلف عمر ﷺ بحصره النبي ﷺ على أن ابن صياد هو الدجال فليس فيه أكثر من سكوت النبي ﷺ وهذا لا يعي الإقرار دائماً ، فقد يكون سكوه ﷺ لأمرٍ آخر كأن يكون متوقفاً مثلاً ، وهو كذلك في هذه المسألة كما تقدم ، لأن النبي ﷺ كان مؤدداً في أول الأمر كما يدل عليه قوله لعمر ((إن يكن هو فلي تستطيع قتله ...)) وكذلك محاولته عليه

(١) إجماع الجماعة بحديثه في الفقه والملاحم وأشراف الساعة (٣٦٤/٢)

(٢) ومن الحديث أنه ﷺ بعد ما ذكر رؤيته لعيسى بن مريم عليه السلام في المنام قال ((ثم رأيت رجلاً وراءه جعدٌ مطعناً أصفر العين لعيسى كاشبه من ركب بابي قفس - قلت من هذا ؟ قالوا المسيح الدجال)) متفق عليه - البخاري (١٢٦٩/٣) ح (٣٢٥٦) ومسلم (٥٩١/٢) ح (١٦٩) وابن علقم قال قرطبي - رجلى من حرافة هناك في بلادهم انظر صحيح البخاري (١٢٧٠/٣)

(٣) مسلم بشرح النووي (٢٦٣/١٨)

لصلاه والسلام أكثر من مرة لكشف أمر ابن صياد ومعرفة حقيقته ، ثم تبين أنه بعد ذلك كما في حديث حساسة أنه ليس هو الدجال

قال ابن حجر رحمه الله « كان جابراً لما سمع عمر يخلف عبد رسول الله ﷺ فلم يكر عليه فهم منه مطابقة ، ولكن بقي أن شرط العمل بالتفجير أن لا يعارضة التصريح بخلافه فمن قال أو فعل عصية لبي ﷺ شيئاً فأنفذه ذلك على ادعواه ، وإن قال النبي ﷺ أو فعل بخلاف ذلك دل على سحر ذلك التفجير ، إلا إن ثبت دليل لمخصوصية » (١)

ثم ساق بعد ذلك كلام ابن دويق العهد ملخصاً فقال « قال - يعني ابن دقيق العيد - إذا أخبر بحصوه النبي ﷺ عن أمر ليس فيه حكم شرعي ، فهل يكون سكوته ﷺ دليلاً على مطابقة ما في الواقع ، كما وقع لعمر في حيمه على - أو (٢) - ابن صياد هو الدجال فلم يكر عليه فهل يدل عدم إنكاره على أن ابن صياد هو الدجال كما فهمه جابر حتى صار يخلف عليه ويسند إلى خلف عمر أو لا يدل ؟ فيه نظر ، قال - ولأقرب عندي أنه لا يدل » (٣)

- وأما خلف بمقابلة الصحابة الذين تقدم ذكرهم كجابر وابن عمر وعمرهم على أن ابن صياد هو الدجال وإنما أنه استأذ إلى خلف عمر رضي الله عنه النبي ﷺ كما صرح بذلك جابر فإنه ما قبل له خلف بالله ؟ قال - إني سمعت عمر يخلف على ذلك عبد النبي ﷺ فلم يكره النبي ﷺ ، وقد تقدم الجواب على هذا .

وإنما أن يكون جميعهم على ذلك ما استحب به من القرائن والأحوال للشبهة لما في المسيح الدجال كما فهم من قصة ابن عمر معه ، وهذا أيضاً قد تقدم الجواب عنه

- وأما جواب أصحاب هذا القول عن تردد النبي ﷺ في شأن ابن صياد في أول الأمر بأن ذلك قيل أن يعلمه الله أنه هو الدجال فلما أعلمه م يكره على عمر حمله ، أو أنه ﷺ أعرج الكلام عرج الشك تطفلاً بعمر ﷺ

أقول هذا جواب غير مسلم ، لأننا نقول ما الدليل على أن الله تعالى أعلم رسوله ﷺ

(١) فتح الباري (١٣/٣٢٥)

(٢) ما بين الشرطين رتبة سي لكي يصح الكلام

(٣) فتح الباري (١٣/٣٢٧)

بأن ابن صياد هو الدجال ؟ وما الدليل على أنه ﷺ أخرج كلامه مخرج الشك ؟
تسوية

انكشف في حال ابن صياد بعد كبره فقبل إنه ثاب وماب مسلماً وقيل غير ذلك
بعد ذكر من الأثر في أسد الغابة في معرفة الصحابة أنه توفي مسلماً ثم قال : « فإن كان
إسلام ابن صياد في حياة النبي ﷺ منه صحة لأنه رآه وعاطبه ، وإن كان أسلم بعد النبي ﷺ
فلا صحة له ، ولاصح أنه أسلم بعد النبي ﷺ » (١)
ومجموعه له الذهبي في تخرجه أسماء الصحابة وذكر أنه أسلم وأنه تابعي له رؤية (٢)
قال ابن حجر : « وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة ، لأنه إن كان
الاحتمال ليس بصحابي قطعاً لأنه يموت كفرة ، وإن كان غيره فهو حال تقيته النبي ﷺ لم
يكن مسلماً » (٣) .

ودعيت الزعمي إلى القول بكفره وعدم إسلامه حتى بعد ادعائه الإسلام قال رحمه الله
« فإن قيل كيف يحكم بكفر ابن صياد فضلاً عن كونه دجالاً بعد أن ثبت إسلامه وحججه
وجهادته ، والأصل بقاءه على الإسلام إلى الموت ؟ قل : قوله في حديث أبي سعيد لا يكره
أنه يكون دجالاً ولو عرض عليه ذلك لمبله دل على عدم إسلامه في الباطن ، إذ كيف
يرضى المسلم أن يدعي الربوبية أو السوء ؟ فهذا الذي حوّر الحكم بذلك والله أعلم » (٤)
ولعل أول الأصول في إسلامه ما قاله ابن كثير رحمه الله في النهاية « الصحيح أن
الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجة ثم ثاب بعد ذلك وأظهر
الإسلام ، والله أعلم بصحته وسيره » (٥)

وأن الحكم على باطنه حسن أسره اليأس خاصة وأن آخر حياته عامصة مختلف فيها
وحتمال حسن إسلامه عند وفاته ومرد
وما قصته مع أبي سعيد فلا شك أنها تدل على عدم حسن سيرته ولكن ما للمابع من أن

(١) أسد الغابة (٢٨٣/٣)

(٢) النظر في تخرجه أسماء الصحابة (٣١٩/١)

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة - القسم الرابع من ١٠٠٠ عبد الله - (١٤٩/٥)

(٤) الإضاءة لأشرطة الساعة (٢١٦)

(٥) النهاية في القدر (١٧٢/١)

يكون حسن إسلامه . ذلك ؟

وماء على عهدنا بكل باطنه وسريته إلى الله تعالى والله أعلم

المبحث الثاني : ما جاء في الدخان هل مضى أم لم يأتِ بعد

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .

المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

أولاً الأحاديث التي تفيد أن الدخان لم يأت بعد :

- عن حذيفة بن أسيد الصغاري قال : اطلع السيّد عليّاً وعنه تذاكر فدان ((ما يذكرون ؟)) قالوا : يذكر الساعة . قال ((إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والذابة وطلوع الشمس من مغربها وبرول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك در تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))^(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ((يأتونكم بالأعمال سبعة تطلع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الذابة أو خضرة أحدكم^(٢) أو أمر العامة^(٣)))^(٤) ثانياً الأحاديث التي تفيد أن الدخان قد مضى :

عن مسروق قال قال عبد الله « خمس قد مضين الدخان والقمر^(٥) والروم^(٦) والبطشة^(٧) والرم^(٨) »^(٩)

(١) أخرجه مسلم في كتاب القس وشرحه الساعة . باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٤٣/١٨) ح (٢٩٠١)

(٢) أي لوقت الظلم الشبهه لاس الأسر (٣٧/٢) مسلم بشرح النووي (٢٩٨/١٨)

(٣) أي القيامة انظر . النهاية لاس الأسر (٣٠٢/٣) . مسلم بشرح النووي (٢٩٨/١٨) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القس وشرحه الساعة . باب في بنية من أحاديث الدخان (٢٩٨/١٨) ح (٢٩٤٧)

(٥) هو ما حدث في عهد النبي ﷺ من انشقاق القمر وهو الواردة في قوله تعالى ﴿ تَحَرَّتِ السَّاعَةُ وَشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ سورة القمر آية (١) انظر تفسير ابن كثير (٤٠٧/٤)

(٦) هو ظهور الروم على فارس يوم بدر وهو الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ قُلْ هَلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَرْدٌ خَالٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ ﴾ سورة الروم آية (٢٧) . انظر تفسير الزمخشري (شعاع ٢٩ ص ٥)

(٧) سبيل الكلام عنها إن شاء الله تعالى ص (٣٢٦ ، ٣٢٨)

(٨) الررم هو الواردة في قوله تعالى ﴿ قُلْ كَلِمَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ ﴾ سورة الفرقان آية (٧٧) أي يكون عندهم لارث وهو ما وقع بكسر هاء يوم بدر من القس والأسر انظر . النهاية لاس الأسر (٢٤٨/٤) . ومسلم بشرح النووي (١٤٨/١٧) لفسو ابن كثير (٥٢٨/٣)

وعن مسروق قال « كما عبد عبد الله جلوساً وهو مصطليح يبا فأنه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن إن قاماً عبدُ نوب كلفه بعضُ وير عم أن آية الدخان بحسب فأنخذ بأعصاب الكفار وبأحد المزمعين منه كهينة الركنم ، فقال عبد الله وجلوس وهو عصاب . يا أيها الناس اتقوا الله ، من علم منكم شيئاً فليس بما يعلم ، ومن لم يعلم فيقول . الله أعلم ، فإنه أعلم لأحدكم . يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله عز وجل قال نبيه ﷺ .

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ وَمَا أَنَا مِنَ السَّائِلِينَ ﴾^(١) إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إنباراً فقال ((اللهم سمع كسمع يوسف)) وأنعمهم به حبساً^(٢) كل شيء حتى أكنوا الخلود وألميه من شوع . ويطر إلى السماء أحنهم موى كهينة الدخان ، فأنه أبو سعيان فقال يا محمد إنك حبس تأمر بظاعه الله وبصلة رحم وإن فومك قد هلكوا فدع الله هم ، قال الله عز وجل ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ أَسْفُوفٍ ﴾^(٣) يَفْخُفُ النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ إلى قوله ﴾ إِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿^(٤) قال فكشف عذاب الآخرة ﴿ يَوْمَ تَوَلَّى السَّمَاءُ الْفَيْشَةَ فَكُفِّرُوا بِنَارِهِمْ ﴾^(٥) فالبطشة يوم بدر ، وقد مضى بة الدخان والبطشة والبرام وآية الروم^(٦) »

وفي طريق آخر عبد مسلم . قال « إنما كان هذا أن قرشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسير كسي يوسف فأصابهم فحط وجهه حتى جعل الرجل يطر إلى السماء موى به وبها كهينة الدخان من الجهد ، وحتى أكنوا العظام ، فأتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله سنعم الله مصر ، فإنهم قد هلكوا فقال . ((لمضرب ؟ إنك لمضرب)) قال :

(١) متفق عليه البخاري في مواضع من كتاب التفسير ، باب ﴿ سُبْحَانَكَ وَبُحْبُوكَ ﴾ (١٧٨٠/٤) ج (٤٤٨٩) وفي باب فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٨٢٣/٤) ج (٤٥٤٣) وفي باب يوم يهطل البقلة الكبرى (١٨٢٥/٤) ج (٤٥٤٨)

ومسلم كتاب صغاب للناظرين وأحكامهم ، باب . الدخان (١٤٨/١٧) ج (٢٧٩٨)

(٢) سورة ص آية ٧٦ ،

(٣) في أحسنه وسأسته نظر النهاية لأم الأثر (٣٩٦/١) مسلم بشرح النووي (١٤٦/١٧)

(٤) سورة الدخان الآيات (١٠ - ١٥)

(٥) سورة الدخان ، آية ١٦ ،

(٦) متفق عليه البخاري في مواضع من كتاب التفسير ، باب بعصو سورة (١٠) بيت الروم ، (١٧٩١/٤)

ج (٤٤٩٦) وفي باب قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ السَّائِلِينَ ﴾ (١٨٠٩/٤) ج (٤٥٣٦)

ومسلم واللفظ في كتاب صغاب للناظرين وأحكامهم ، باب الدخان (١٤٦/١٧) ج (٢٧٩٨)

فدعا الله لهم فأرسل الله عز وجل ﴿إِنَّا كَاتِبُوا الذَّنْبَ قَبْلَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ﴾ قال فمضوا فلما أصابهم الرعدة ، فإن عادوا إلى ما كانوا عليه ، قال : فأرسل الله عز وجل ﴿فَارْتَدُّوا إِلَى الْمَوْتِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال يعني يوم بدر ^(١) .

بيان وجه التعارض

بالعطف إلى لصوص السابقة نجد أن في حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما ما يفيد أن الدخان من علامات الساعة وأماراتها وأنه لم يأت بعد ، وفي المقابل نجد أن ابن مسعود رضي الله عنه يصرح بأن الدخان قد مضى وانتهى وهو ما حصل لقريش من الجهد والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حتى أصبح أحدهم ينظر إلى السماء فيرى كهنة الدخان ، ولا يكفي ابن مسعود رضي الله عنه التصريح بأن الدخان قد مضى بل يعصب ويشدد بكوره على من يخالف ذلك

(١) أخرجه مسلم في ملحقه الثاني

المطلب الثاني :

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

سلكت أهل العلم في هذه المسألة مذهبين أحدهم مذهب الجمع والأخر مذهب الترجيح وإليك بيان ذلك

أولاً : مذهب الجمع ، وإليه ذهب الطحاوي وأبو الخطاب بن دحية وأشار إليه الطبري واحتمله النووي وهو حمل ما جاء في النصوص على أنها دخانان أحدهما ما أصاب قريش عندما دعا عليهم النبي ﷺ كما جاء ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وهذا قد مضى ونهى

والثاني يكون من علامات الساعة قبل قيامها كما جاء ذلك في حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما .

قال الطحاوي « الدخان المذكور في أحاديث ابن مسعود رضي الله عنه غير الدخان المذكور في حديثي حذيفة وأبي هريرة »^(١)

وقال أبو الخطاب بن دحية « ولدي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قصتين إحداهما وقع وكانت الأخرى ستقع وستكون ، فأما التي كانت عاصي كانوا يرون فيها كهيئة دخان وهي الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من لأشرطة والعلامات »^(٢)

وقال الصوري رحمه الله « وبعد ، فإنه غير مكرّر أن يكون أهل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ، ويكون عللاً فيما يستأنف بعد تأخير دخاناً على ما جاء به الأخبار عن رسول الله ﷺ »^(٣)

وقال النووي « ويُحتمل أنها دخانان للجمع بين هذه الآثار »^(٤)

ثانياً : مذهب الترجيح : وقد سلكته فريقان من الناس^(٥) وإليك بيان ذلك

(١) مشكلى الآثار (٢٨٧/١)

(٢) مثل ذلك عنه الصوري في التذكرة (٥١٦/٢)

(٣) قسم الطبري (٢٢٨/١١)

(٤) قسم بشرح النووي (٢٤١/١٨)

المفريق الأول : ذهب إلى أن الذئبان قد مضى وانتهى وهو ما أصاب مشركي مكة من الظلم والظنوع حتى أصبح أحدهم إذا نظر إلى السماء يرى كهيئة الذئبان وعلى رأس الغنم بهذا الموضع مسعود عليه وقبته على ذلك جماعة من السلف منهم أبو العباس وغيرهم السجعي وشهدوا وصحباك وعظيمة العوفي^(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري^(٢)

أدلة هذا الفريق :

ليس هؤلاء ما يستدلون به سوى الآيات في سورة النجمان فقالوا: إن سياق الآيات يدل على أن المراد بها ما "صاب مشركي مكة عندما دعا عليهم الرسول ﷺ"، وهذا حرم ابن مسعود عليه السلام وعصبوا واشتد بكروه على من قال بخلاف هذا، وقالوا: "الله مستكبر". فبُكِّش عذاب الآخرة، أي إن كشف العذاب ثم عودهم لما هم عليه لا يكون في الآخرة وإنما يكون في الدنيا.

قال ابن جرير الطبري « قوله تعالى ليه محمد ﷺ ﴿فَازْيَبْتِيَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مَحِينٍ﴾ في سياق عذاب الله كعار قريش وتقريره بإمام لشركهم بقوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحْمَدُ، وَبِشَيْءٍ رَزَقُوا وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿بَلَّغْهُمْ مَعَالِيَ الْمَقْسُوتِ﴾ نسأله أن يبلغ ذلك بقوله ليه محمد ﷺ ﴿فَلْيُعْطِ مَعَالِيَ الْمَقْسُوتِ﴾ أمرٌ له بالعصرين أن يأبىهم بأسمائهم وبدأ للمشركين ، فهو بأن يكون إذا كان وعيداً لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون آخره عنهم نعوذهم »^(٢)

وقال الطحاوي مزيداً: «كون هذه الأيام إثمها في ما أصاب مشركي مكة من الجهد والجوع». قال رحمه الله: «إن الله تعالى قال في كتابه في سورة النحل: ﴿لَقَدْ يَمَنُّ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ أَنْ يُكْفَرُوا﴾ وأنعم ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ يَمَنُّ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ أَنْ يُكْفَرُوا﴾ أي

(٥) وهناك مرق ثلاث أو غول ثلاث نقله القرطبي في تكملة (١٣١/٦) عن عبد الرحمن الأفرج وهو : أن امرأة بالحدود ما حصلت يوم فتح مكة لما حبيت النساء الفجرة . ولا شك أن هذا بعدد جنة ، ولذلك رده ابن كثير وقال : « هذا القول غريب جداً ، بل منكر » نصير إلى كثير (٣١١/٤)

(۶) انظر: معجم الطبري (۲۲۶/۱۱) وتلخيصه في كثير (۷۱۱/۴)

(٢) *المطر* - *نفس الطير* (٢٢٨/٦٦)

(٧) تمیز القیومی (١٠٧٨٠)

عقوبه لما هم عليه من الشك واللعب ، ومحال أن يكون هاتان العنوسان لغيرهم أو يؤتى بهما بعد خروجهم من الدنيا وسلامتهم من ذلك الدخان » (١) .

وعنى هذا القول يكون معنى قوله تعالى حكاية عن المشركين :

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّمَا نَسْتَأْذِنُ ﴾ (٢) أن الكافرين الذين أصابهم ذلك الجهد والجوع يدعون ربهم أن يكشفه عنهم ويقولون : إنك إن كشفتنا عما أبك وعدناك ، فوجد الله تعالى عنهم بعمه ﴿ إِنَّا كَانُوا أَكْذَابًا مُّبِينًا ﴾ (٣) أي إنكم أيها المشركون إذا كشفت عنكم ما بكم من صر عذم إلى صلاتكم وعيكم (٤)

كما أنه عنى هذا القول يكون المراد بالبطشة الكبرى في قوله تعالى

﴿ يَوْمَ يَبْسُطُ السَّعْيَةَ لَكُمُوعًا إِنَّمَا نَسْتَأْذِنُ ﴾ (٥) بطشة الله تعالى بمشركي قريش يوم بدر كما ذهب إلى ذلك ابن مسعود (٦) ، وهو قول جماعة من السلف كابن عباس وأبي بن كعب (٧) ومسروق وشاهد وأبي العالية والضحاك وغيرهم (٨) .

وهل أن أسفل إلى الفرع الثاني يمس ذكر آيات سورة الدخان - المتعلقة بهذه المسألة

يتممه حتى يعمم الموضع السابق ويتضح الربط بينها على ما قالوه

قال الله تعالى في سورة الدخان :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُكَفِّرُ وَبَشِيرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٩) وَلَهُمْ فِي سَائِرِ الْمَعْنُوتِ ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٠) يَمْشِي الْبُحْبُوحُ ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّمَا نَسْتَأْذِنُ ﴾ (١١) أَن نَّذْكَرَكَ وَنَسْأَلُكَ ﴿ ثُمَّ نَزَّلُوا عَمُوقًا أُولُوعًا مُّجُورًا ﴾ (١٢) إِنَّا كَانُومُوا الْعَذَابَ مُبِينًا ﴿ نَزَّلْنَا سَحَابًا مَّهِينًا ﴾ (١٣) يَوْمَ يَبْسُطُ السَّعْيَةَ لَكُمُوعًا إِنَّمَا نَسْتَأْذِنُ ﴾ (١٤) .

والفرع الثاني : ذهب إلى أن الدخان آية وأمانة من أمارات الساعة لم تأت بعد ، وهذا

مروي عن ابن عباس (١٥) وابن عمر (١٦) وعني بن أبي طالب (١٧) وأبي هريرة وحذيفة (١٨)

(١) مشكل الآثار (٨٧/١)

(٢) تفسير الطبري (٢٢٨ ، ١١ ، ٢٢٩)

(٣) تفسير ص (٣٢٠ ، ٣٢١)

(٤) تفسير الطبري (٢٢٨ / ١١) تفسير القرطبي (١٣٤ / ١٦) تفسير ابن كثير (٢١٤ / ٤)

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٨ / ١١) وقال ابن كثير في تفسيره (٢١٣ / ٤) : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

والنفس^(١) وابن أبي مبيكة^(٢) ورجع هذا القول القرطبي^(٣) وابن القيم^(٤) وانصرف له ابن كثير^(٥) . كتب ذهب إليه صلاح الدين العلائي^(٦) وجمع من أهل العلم عليهم رحمة الله . أدلة هذا الفريق : استدلال أصحاب هذا القول بما يلي :

١ - حديث حديثه بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال : ((إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال .))^(٧) .

قال النووي : « هذه الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان دخان يأخذ بأعinas الكفار يأخذ المؤمن منه كهشة فركام وأنه م يأت بعد وإنما يكون قريباً من قيام الساعة »^(٨) وقال العلائي . « هذا نص صريح في أن الدخان لم يأت بعد »^(٩) .

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((ياحدوا بالأعمال متاً : طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال ..))^(١٠) .
فانوا : فهذا الحديثان مرفوعان ، والمرفوع مقدم على الموقوف^(١١) .

وقال ابن كثير بعدما سبق أثر ابن عباس والمدي معاذة أن الدخان لم يأت بعد ، قال : « هذا إمام صحيح ابن أبي عباس رضي الله عنهما حذر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٧/١١)

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨٨/١٠)

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٧/١١)

(٤) أخرجه في سببه هذا القول ابن خزيمة . كشف المشكل لابی الجوزي . ٢٧٩، ١ (ملهم للقرطبي (٢٣٩/٢) مسلم شرح النووي (٢٤ / ١٨) التبيهات لعمدة على مواضع تشكيلة لصالح الدين العلائي (٦٣) مواضع الأصول (١٢٩/٢)

(٥) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(٦) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(٧) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(٨) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(٩) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(١٠) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(١١) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(١٢) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

(١٣) غفر اللهم (٢٢٩/٢)

قول من وافقه من الصحابة والسابعين عليه السلام، أجمعين مع الأحاديث مدفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردها بما فيه مقنع ، ودلالة طاهره على أن الدخان من الآيات منتظره ^(١) .

٣- سئل من كثير بقصة الرسول ﷺ مع ابن صياد وأنه عبأ له قوله تعالى : ﴿قَارِنْتَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ يُبْهِرُ﴾ ^(٢) فقال ابن كثير : « هذا فيه إشعار بأنه من المنتظر ليرقب » ^(٣) .

٤- قالوا « ظاهر المراد - وهو قوله تعالى ﴿قَارِنْتَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ يُبْهِرُ﴾ - يدل على أنه م يأت بعد وفيه دخان من السماء وأصبح حين يراه كل أحد يعشى الناس ، وهذا أمر محقق عام ، وليس كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه حبال في أعين فرئيس من شدة الخروع إذ لو كان كذلك لما قال - ﴿يَعْنَى النَّاسُ﴾ ^(٤) .

قال السمرقاني « قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى ﴿قَارِنْتَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ يُبْهِرُ﴾ ^(٥) »
وأما تفسير ابن مسعود هذه الآية بما حصل لقريش بعد ذلك عنه ابن كثير . « هذا التفسير غريب جداً ، ولم يُقبل مثله عن أحد من الصحابة غيره » ^(٦) .

وعسى هذا القول تكون بطلنة الكبرى في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَغْشَى السَّمَاءَ الْغَشَاةُ﴾ ^(٧) يوم القيامة كم هو مروى عن ابن عباس وأبي بصير وعكرمة ^(٨) واختاره الزجاج ^(٩) وابن كثير ^(١٠) عليهم رحمة الله

(١) تفسير ابن كثير ، ٢١٦/٤

(٢) تقدم غرضه ص ٢٢

(٣) تفسير ابن كثير ، ٢١٦/٤

(٤) التلخيص : الهداية في الفتن واللاحم (٢٤٤/٦) نفس ابن كثير (٢١٦/٤)

(٥) تومع الأنوار (١٢٩/٢)

(٦) الهداية في الفتن (٢٢٤/١)

(٧) أخرج ذلك عنهم ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٣١/١١) ومطهر تفسير القرطبي (١٣٤/١٦) ، وتفسير ابن كثير

(٢١٤/٤) وكشف المشكل لشيخ الإسلام (٢٧٩/١)

(٨) التلخيص - تفسير القرطبي (١٣٤/١٦)

(٩) التلخيص - تفسير ابن كثير (٢١٤/٤)

المطلب الثالث

الترجيح

الذي يظهر والله تعالى أعلم هو القول بذهب الجمع إذ ليس فيما أنبئه ابن مسعود مما أصاب قريشاً من الجهد والخرع حتى أصبح أحدهم إذا نظر إلى السماء يرى كهيئة الدخان ليس فيه ما يخاف حديثي حديثه وأبي هريرة رضي الله عنه والذي فيهما أن الدخان من علامات الساعة وأنه لم يأت بعد ، لاسيما وأن أبا هريرة أحد الرواة وهو لم يُسم إلا في السنة السابعة بينما ما حدث لقريش كما في رواية ابن مسعود كان قبل وقعة بدر .

وعلى هذا نقول إنهما دخانان

أحدهما : ما أصاب قريش من الجهد والخرع عندما دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبح أبو حد منهم ينظر إلى السماء فيرى كهيئة الدخان ، وهذا الدخان قد مضى وانتهى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه

والثاني دخان يكره رب قيام الساعة وهو من علاماتها وأمراتها كما في حديث حديثه وأبي هريرة رضي الله عنه

وقد ذكر القرطبي في التذكرة أنه روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنهما دخانان فقال : « قال مجاهد كان ابن مسعود يقول هما دخانان قد مضى أحدهما ، والذي بقي يحمل ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالثمرة ، وأما الكافر فتقلب مسامحه » ^(١) فإن ثبت هذا عن ابن مسعود فهو قاطع في المسألة .

إذا تبين هذا فعلى أي الدخانين نحمل الآيات التي في سورة الدخان ؟ هل عملها على ما أصاب قريشاً كما فعل ابن مسعود رضي الله عنه ؟ أم فعلها على أنه الدخان الذي يكون من علامات الساعة قرب قيامها ؟

في ظني أن هذا هو موطن النزاع وسبب الخلاف ، والحقيقة أن الآية وهي قوله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّطَيَّرٍ ﴾ تفصل كلا التفسيرين فإننا إذا نظرنا إلى سياق الآية وما قبلها وما بعدها وجدنا أنها لا تدل على ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه ، ولذلك فإننا نرى

(١) التذكرة (١٦٦٢)

خاتمونه منهم من حشر بعض تلك الآيات بما حصل قرئش كإعطائه الكبرى فإن منهم من فسرها بوقعة بدر ، وإد نظراً إلى لعنة الآية وأن الأصل أن يحصل السحابة على حقيقة والذي في حديث ابن مسعود ليس دخاناً حقيقة وإنما هو شيء تنوهمه قرئش أنه دخان ، إذ نظراً إلى عدم وجدنا أن الآية تؤيد ما ذهب إليه غير ابن مسعود رحمته ، وإن كان الطحاوي رحمه الله قد حاب عن هذه بأن المذكور في حديث ابن مسعود مني دخاناً على النجاس لثوبهم قرئش أنه دخان على حقيقة ^(١) ، ولكن هذا الجواب غير مقنع

وعلى كل حال فإنه حتى لو قلنا إن الآية تؤيد ما ذهب إليه ابن مسعود فإنه لا يعارض كون الدخان من علامات الساعة وأنه م يأت بعد ، وذلك بحسب ما جاء في النصوص والآثار على أنها دخاناً كما تقدم ، ويكون الدخان الذي هو من علامات الساعة ثابتاً في السنة فقط كما ذهب إلى هذه الشيع مرعي فيما نقل عنه السعاري ^(٢) والله تعالى أعلم .

(١) انظر مسكن الآثار ٦ : ٢٨٧ .

(٢) انظر لومع الأصول (١٣١/٢)

الفصل الثاني : مسائل تتعلق باليوم الآخر

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول . ما جاء في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه .
- المبحث الثاني : ما جاء في قلة النساء وكثرتهم في الجنة .

المبحث الأول : ما جاء في تحذير الميت ببقاء أهله عليه

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .

المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يروى فيها تعذيب الميت بكاء أهله عليه

أولاً : الأحاديث التي تعيد أن الميت يعذب بكاء أهله عليه

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((الميت يعذب في قبره بما يح عليه))^(١)

وفي رواية أنه لما أصيب عمر رضي الله عنه جعل صهيب يقول : وا أخاه ، فقال عمر : أما علمت أن النبي ﷺ قال : ((إن الميت ليعذب بكاء أهله))^(٢)

وفي رواية أخرى قال قال رسول الله ﷺ : ((إن الميت يُعذب ببعض بكاء أهله عليه))^(٣)

وفي رواية لسم ، أن عمر لما طعن عوكل عليه حفصة ، فقال يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((الموعول عليه يُعذب)) وعوكل عليه صهيب فقال عمر : يا صهيب أما علمت أن الموعول عليه يعذب .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((إن الميت ليعذب بكاء أهله عليه))^(٤)

- وعن المغيرة بن سعدة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من يح عليه يُعذب عما يح عليه))^(٥)

(١) متن عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب ما يكره من القصاص على الميت (٤٣٤/١) ح (١٢٢)

ومسلم كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب بكاء أهله عليه (٤٨٢/٦) ح (٩٦٧)

(٢) متن عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب من أوصى النبي ﷺ ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)) (٤٣٤/١) ح (١٢٢٨) ومسلم كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب بكاء أهله عليه (٤٨٤/٦) ح (٩٦٧)

(٣) متن عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب من أوصى النبي ﷺ ((يُعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)) (٤٣٤/١) ح (١٢٢٦) ومسلم كتاب الجنائز ، باب الميت يُعذب بكاء أهله عليه (٤٨٥/٦) ح (٩٦٨)

(٤) متن عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب قول النبي ﷺ ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)) (٤٣٤/١) ح (٢٢٦) ومسلم كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب بكاء أهله عليه (٤٨٥/٦) ح (٩٢٨)

(٤٨٧/٦) ح (٩٢٠)

(٥) متفق عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب ما يكره من القصاص ، (٤٣٤/١) ح (١٢٢٩)

ثانياً الأحاديث التي تنهي ذلك :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك ^(١) عائشة رضي الله عنها فقالت : رحم الله عمر ، والله ما حدثت رسول الله ﷺ . إن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، ونكس رسول الله ﷺ قال : ((إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه)) وقال : حسيكم أفواه ﴿لَا تَرْوُوهَ وَلَا تَرْوِيهِ وَلَا تَحْرِيصُهُ﴾ ^(٢) ، قال ابن عباس رضي الله عنه : صد ذلك والله هو أصحك وأبكي ^(٣)

وفي رواية مسلم : بلغ عائشة قول عمر و ابن عمر رضي الله عنه قال : ينكم لتحدثوني عن عمر كاذبين ولا مكذبين ونكس السمع يظنون ^(٤) .

وفي رواية أنه أكره عد عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر رضي الله عنه رفع إلى النبي ﷺ . ((إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله)) فقال : وهل ابن عمر رحمه الله إنما قال رسول الله ﷺ ((إنه يعذب بمخيطته ودمه وإن أهله ليكون عليه الآن)) ^(٥)

وفي رواية أخرى أنه ذكر عائشة أن عبد الله بن عمر يقول : إن الميت يعذب ببكاء أهله ، فقالت عائشة بعمر لله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه سي أو أختصأ إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يئس عبيها فقال : ((إيهم ليكون عليها وإلها لصذب في قبرها)) ^(٦)

ومسلم كتاب الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه (١٨٩/٦) ح (٩٣٣)

(١) أي ذكر ابن عمر و أنه ﷺ يندنون أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه

(٢) سورة الأعراف : آية (١٦٤)

(٣) متفق عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب : قول النبي ﷺ ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه))

(٤) (٤٣٢/١) ح (١٢٢٦) ، ومسلم كتاب الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه (١٨٩/٦) ح (٩٢٨)

(٥) مسلم كتاب الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه (١٨٥/٦) ح (٩٢٩)

(٥) متفق عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب : قيل لأبي جهل (١٤٦٧/٤) ح (٣٧٥٩)

ومسلم كتاب الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه (١٨٨/٦) ح (٩٣٢)

(٦) متفق عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب : قول النبي ﷺ ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه))

(٤٣٢/١) ح (١٢٢٧) ، ومسلم واللفظ له كتاب الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه (١٨٨/٦)

وفي رواية لمسلم أنها قالت : رحم الله أب عبد الرحمن سمع شيئاً قسم يحفظه ^(١) ، ثم ذكرت الحديث السابق

بيان وجه التعارض

بالعذر إلى الأحاديث السابقة نجد أن عمر وابنه ولعمرة بن شعبة رضي الله عنهم يروون عن النبي ﷺ أن الميت يعذب بكاء أهله عليه .
وفي المقابل نجد أن عائشة رضي الله عنها شكر هذه الرواية وترى بها معارضة للقرآن ، وتتهم الرواية لها بالخطأ والسيان ، وتسروي أن النبي ﷺ قال ذلك في الكافر ، وفي بعض الأحاديث نروي ما يفيد أن النبي ﷺ أراد بقوله ذلك أن الميت يعذب حال بكاء أهله عليه كما في قوله ﷺ ((إنه ليُعذب بخطيئته وذنبه وإن أهله ليسكون عليه الآن)) ؟؟

(١) مسلم كتاب النكاح ، باب الميت يعذب بكاء أهله عليه (٤٨٧/٦) ح (٩٣١)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

الخلاف في هذه المسألة قدمه مد عهد الصحابة وصوان الله عليهم ، وباءً على اختلافهم ، اختلف أهل العلم من بعدهم على عدة أقوال ومذاهب ، ولكن قبل ذكر مذهب أهل العلم تجاه هذه الأحاديث لا بد من تحرير محل النزاع كما يلي .

أجمع أهل العلم على أنه لا يعذب أحد بذنب غيره كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة^(١)

- كما أجمع أهل العلم على تحريم الشياحة^(٢) ، فإن النووي رحمه الله تعليقاً على حديث أبي مالك الأسعري أنه سئل **يَكْفَى** قال ((إن الشاة إذا لم تنب فيل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال^(٣) من قطران^(٤) ودورع من حرب))^(٥) قال . ((فيه دليل على تحريم الشياحة وهو مجمع عليه))^(٦)

وقال المقرئ بعد أن ذكر شيئاً من صور الشياحة : « فكل ذلك عرم من أعمال الجاهلية ولا يختلف فيه »^(٧)

- وجميع أهل العلم أيضاً على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالكاء هنا الكاء بصوت

(١) فطر عارضة الأحمدي (١٨٠/٤) مجموع الفتاوى (٣٧٢، ٣٧٣/٢٤)

(٢) الشاة هي امتناع النساء وعصبيهن عنهن والتمسهن ورمي الذئب على رؤوسهن وحلق شعورهن كل ذلك عرم على منعهن ، وهي من أعمال الجاهلية وهذا مبني على التشكال عند بعض الأصوليين ، والله المستعان انظر عارضة الأحمدي (١٧٧/٤) مسائل العرب (٦٢٧/٢) مادة (عرم)

(٣) السربال القميص ، وقد جعل على ظهره الفراء الشهية في حرب الحديث (٣٥٧/٢)

(٤) القطران عصارة الأشجار والأشجار يطبخ بسحب وتغلى به الإبل والنعى أنها تطبخ بالقطران حتى يغير كالتنصيص حتى يترك شمال النار والقصاصه ما يستعمله القطران ، والله المستعان انظر مسائل العرب (١٠٥١/٥) مادة فطر ، غرر الصالح (٥٤١، ٥٤٢) مادة (فطر) المعجم (٥٨٨/٢)

(٥) أخرجه مسلم (٤٨٩/٦) ح (٩٣٤)

(٦) مسند بشرخ النووي (٤٨٩/٦) وانظر (٤٩٢/٦)

(٧) المعجم (٥٧٧/٢) وانظر من الأوطار للشركان (١٢٩/٤) .

وبإباحة لا مجرد منع لعين^١ ، لأن مجرد منع العين قد ثبت عنه ﷺ من قوله وفعله كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : اشتكى سعد بن عبادَةَ شَكْوَى لَهُ ، فَأَتَاهُ أَبِي ﷺ يَمُودُهُ مَعَ عَدْلٍ لِرَحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَوَجَدَهُ فِي عَاشَةِ أَهْنَهُ فَقَالَ ((قَدْ قُضِيَ ؟)) فَأَنزَلُوا لَا يَارَسُولَ اللَّهِ ، بَكَى إِلَيْهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بَكَاءَ إِلَيْهِ ﷺ بَكَوْا فَقَالَ ((أَلَا تَسْمَعُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا يَخْرُجُ الْقَلْبُ وَلَكِنْ يَعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ بِرَحِمٍ))^(١)

من خلال هذا التحرير يصبح بآ أن شكالها إنما هو في حديث تعذيب الميت ببكاء أهله ، لأن طاهره يخالف للقرآن كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾^(٢) ولذلك أنكرته عائشة رضي الله عنها ، ومن تبعها ، وذهب جمهور أهل العلم إلى تأويله حتى لا يخالف ما ثبت بالنص والإجماع من أن الميت لا يعذب بدنب غيره ، قال الشوكاني : « وذهب جمهور العلماء إلى تأويل هذه الأحاديث لخالفتها للعمومات القرآنية وإلّاها تعذيب من لا ذنب له »^٣

والخاص أن أهل العلم سلّكوا في هذه المسألة أو بالأحرى في هذا الحديث ثلاثة مذاهب هي كالتالي

أولاً : مذهب الجميع وإليه ذهب جمهور أهل العلم ولكنهم اختلفوا في طريقة الجمع على عدة مسائل وإليك بيانها

المسألة الأولى أن هذا الحديث وهو حديث تعذيب الميت ببكاء أهله محمول على من نوصى بأن يحكى عليه ويباح عليه بعد موته كما كان أهل الشافعية يفعلون ، قال أحدتهم : سؤال من سألني عما أنا أعني وشقني عليّ أجيب يا أبا عبد الله^(٤) قالوا فإذا عذّب عليّ ذلك لأنما عذّب بدميه لأنه هو المسبب في ذلك ، وإلى هذا

(١) انظر مسمّى بشرح النووي (٦ : ٤٨٩ ، ٤٨٥) شرح معاني الآثار للطحاوي (١ : ٢٩٢ ، ٢٩٤) كشف المشكك لأمير المؤرخين (٢ : ٥٥٦) .

(٢) متن عبد الحمدي (١ : ٤٢٩) ح (١٢٤٢) ومسلم (٦ : ٤٧٩) ح (٩٢٣)

(٣) سورة النعم ، آية (١٦٤)

(٤) من الأوطار (٤ : ١٢٥ ، ١٢٦)

(٥) القائل هو طرفة بن قيس انظر ديوان طرفة (١ : ٣٩)

المسك ذهب المزي وأبو هيم الحربي وبعض الشافعية^(١) والمووي وسبه للجمهور^(٢)
المسك الثاني أن يحاط بموت عمول على من أقبل بهي أمه عن ذلك مع علمه أن لهم في
ذلك عادة أو قل أنهم يفعلون ذلك

وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بترك البياحة إذا علم أو طئ منهم ذلك^(٣)
قائلاً «وإذا عذب على ذلك فإنه عذب بعمل نفسه لأنه موطئ في عيبيه
قال ابن المبرد «إذا علم أنه لما جاء في الشهي عن النوح وعرف أن أهله من شأنهم
يفعلون ذلك ولم يمنعهم سحره ولا حرهم عن تعذيبه فإذا عذب على ذلك عذب بعمل
نفسه لا بعمل غيره محذره»^(٤)

والى هذا المسك ذهب دود وأبو البركات ابن تيمية وطائفة من أهل العلم^(٥).
المسك الثالث أن الحديث عمول على من كانت البياحة من سنته وطريقه، وإلى هذا
ذهب البخاري رحمه الله حيث جوب عن ذلك في صحيحه بقوله «باب قول النبي ﷺ
(«يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه»)) إذا كان الروح من سنه لقوله تعالى
﴿قَدْ أَفْلَحَ وَوَأَعْلَىٰ مَرَاكِبُ﴾^(٦) وقال النبي ﷺ ((كلكم راع ومسئول عن رعيته))^(٧).
إذ لم يكن من سه فهو كما قالت عائشة رضي الله عنها «﴿وَلَا تُزْوَیْةٌ وَلَا أُخْرَىٰ﴾»
ثم ذكر رحمه الله تعالى حديث ابن مسعود - مستشهداً به على ما ذهب إليه - أن
النبي ﷺ قال ((لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول
من سن القتل))^(٨)

(١) نظر فتح الباري (١٥٤/٣) مجموع الفتاوى (٣٧/٢٤).

(٢) نظر مسلم شرح النووي (٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤)، ونظر هذا القول في معالم السنن (٢٦٤/١) كشف المشكل
(٥٧١/١)، ٥٧٢/٢، ٥٨٢/٢، ٥٨٣/٢، ٥٨٤/٢، ٥٨٥/٢، ٥٨٦/٢، ٥٨٧/٢، ٥٨٨/٢، ٥٨٩/٢، ٥٩٠/٢، ٥٩١/٢، ٥٩٢/٢، ٥٩٣/٢، ٥٩٤/٢، ٥٩٥/٢، ٥٩٦/٢، ٥٩٧/٢، ٥٩٨/٢، ٥٩٩/٢، ٦٠٠/٢، ٦٠١/٢، ٦٠٢/٢، ٦٠٣/٢، ٦٠٤/٢، ٦٠٥/٢، ٦٠٦/٢، ٦٠٧/٢، ٦٠٨/٢، ٦٠٩/٢، ٦١٠/٢، ٦١١/٢، ٦١٢/٢، ٦١٣/٢، ٦١٤/٢، ٦١٥/٢، ٦١٦/٢، ٦١٧/٢، ٦١٨/٢، ٦١٩/٢، ٦٢٠/٢، ٦٢١/٢، ٦٢٢/٢، ٦٢٣/٢، ٦٢٤/٢، ٦٢٥/٢، ٦٢٦/٢، ٦٢٧/٢، ٦٢٨/٢، ٦٢٩/٢، ٦٣٠/٢، ٦٣١/٢، ٦٣٢/٢، ٦٣٣/٢، ٦٣٤/٢، ٦٣٥/٢، ٦٣٦/٢، ٦٣٧/٢، ٦٣٨/٢، ٦٣٩/٢، ٦٤٠/٢، ٦٤١/٢، ٦٤٢/٢، ٦٤٣/٢، ٦٤٤/٢، ٦٤٥/٢، ٦٤٦/٢، ٦٤٧/٢، ٦٤٨/٢، ٦٤٩/٢، ٦٥٠/٢، ٦٥١/٢، ٦٥٢/٢، ٦٥٣/٢، ٦٥٤/٢، ٦٥٥/٢، ٦٥٦/٢، ٦٥٧/٢، ٦٥٨/٢، ٦٥٩/٢، ٦٦٠/٢، ٦٦١/٢، ٦٦٢/٢، ٦٦٣/٢، ٦٦٤/٢، ٦٦٥/٢، ٦٦٦/٢، ٦٦٧/٢، ٦٦٨/٢، ٦٦٩/٢، ٦٧٠/٢، ٦٧١/٢، ٦٧٢/٢، ٦٧٣/٢، ٦٧٤/٢، ٦٧٥/٢، ٦٧٦/٢، ٦٧٧/٢، ٦٧٨/٢، ٦٧٩/٢، ٦٨٠/٢، ٦٨١/٢، ٦٨٢/٢، ٦٨٣/٢، ٦٨٤/٢، ٦٨٥/٢، ٦٨٦/٢، ٦٨٧/٢، ٦٨٨/٢، ٦٨٩/٢، ٦٩٠/٢، ٦٩١/٢، ٦٩٢/٢، ٦٩٣/٢، ٦٩٤/٢، ٦٩٥/٢، ٦٩٦/٢، ٦٩٧/٢، ٦٩٨/٢، ٦٩٩/٢، ٧٠٠/٢، ٧٠١/٢، ٧٠٢/٢، ٧٠٣/٢، ٧٠٤/٢، ٧٠٥/٢، ٧٠٦/٢، ٧٠٧/٢، ٧٠٨/٢، ٧٠٩/٢، ٧١٠/٢، ٧١١/٢، ٧١٢/٢، ٧١٣/٢، ٧١٤/٢، ٧١٥/٢، ٧١٦/٢، ٧١٧/٢، ٧١٨/٢، ٧١٩/٢، ٧٢٠/٢، ٧٢١/٢، ٧٢٢/٢، ٧٢٣/٢، ٧٢٤/٢، ٧٢٥/٢، ٧٢٦/٢، ٧٢٧/٢، ٧٢٨/٢، ٧٢٩/٢، ٧٣٠/٢، ٧٣١/٢، ٧٣٢/٢، ٧٣٣/٢، ٧٣٤/٢، ٧٣٥/٢، ٧٣٦/٢، ٧٣٧/٢، ٧٣٨/٢، ٧٣٩/٢، ٧٤٠/٢، ٧٤١/٢، ٧٤٢/٢، ٧٤٣/٢، ٧٤٤/٢، ٧٤٥/٢، ٧٤٦/٢، ٧٤٧/٢، ٧٤٨/٢، ٧٤٩/٢، ٧٥٠/٢، ٧٥١/٢، ٧٥٢/٢، ٧٥٣/٢، ٧٥٤/٢، ٧٥٥/٢، ٧٥٦/٢، ٧٥٧/٢، ٧٥٨/٢، ٧٥٩/٢، ٧٦٠/٢، ٧٦١/٢، ٧٦٢/٢، ٧٦٣/٢، ٧٦٤/٢، ٧٦٥/٢، ٧٦٦/٢، ٧٦٧/٢، ٧٦٨/٢، ٧٦٩/٢، ٧٧٠/٢، ٧٧١/٢، ٧٧٢/٢، ٧٧٣/٢، ٧٧٤/٢، ٧٧٥/٢، ٧٧٦/٢، ٧٧٧/٢، ٧٧٨/٢، ٧٧٩/٢، ٧٨٠/٢، ٧٨١/٢، ٧٨٢/٢، ٧٨٣/٢، ٧٨٤/٢، ٧٨٥/٢، ٧٨٦/٢، ٧٨٧/٢، ٧٨٨/٢، ٧٨٩/٢، ٧٩٠/٢، ٧٩١/٢، ٧٩٢/٢، ٧٩٣/٢، ٧٩٤/٢، ٧٩٥/٢، ٧٩٦/٢، ٧٩٧/٢، ٧٩٨/٢، ٧٩٩/٢، ٨٠٠/٢، ٨٠١/٢، ٨٠٢/٢، ٨٠٣/٢، ٨٠٤/٢، ٨٠٥/٢، ٨٠٦/٢، ٨٠٧/٢، ٨٠٨/٢، ٨٠٩/٢، ٨١٠/٢، ٨١١/٢، ٨١٢/٢، ٨١٣/٢، ٨١٤/٢، ٨١٥/٢، ٨١٦/٢، ٨١٧/٢، ٨١٨/٢، ٨١٩/٢، ٨٢٠/٢، ٨٢١/٢، ٨٢٢/٢، ٨٢٣/٢، ٨٢٤/٢، ٨٢٥/٢، ٨٢٦/٢، ٨٢٧/٢، ٨٢٨/٢، ٨٢٩/٢، ٨٣٠/٢، ٨٣١/٢، ٨٣٢/٢، ٨٣٣/٢، ٨٣٤/٢، ٨٣٥/٢، ٨٣٦/٢، ٨٣٧/٢، ٨٣٨/٢، ٨٣٩/٢، ٨٤٠/٢، ٨٤١/٢، ٨٤٢/٢، ٨٤٣/٢، ٨٤٤/٢، ٨٤٥/٢، ٨٤٦/٢، ٨٤٧/٢، ٨٤٨/٢، ٨٤٩/٢، ٨٥٠/٢، ٨٥١/٢، ٨٥٢/٢، ٨٥٣/٢، ٨٥٤/٢، ٨٥٥/٢، ٨٥٦/٢، ٨٥٧/٢، ٨٥٨/٢، ٨٥٩/٢، ٨٦٠/٢، ٨٦١/٢، ٨٦٢/٢، ٨٦٣/٢، ٨٦٤/٢، ٨٦٥/٢، ٨٦٦/٢، ٨٦٧/٢، ٨٦٨/٢، ٨٦٩/٢، ٨٧٠/٢، ٨٧١/٢، ٨٧٢/٢، ٨٧٣/٢، ٨٧٤/٢، ٨٧٥/٢، ٨٧٦/٢، ٨٧٧/٢، ٨٧٨/٢، ٨٧٩/٢، ٨٨٠/٢، ٨٨١/٢، ٨٨٢/٢، ٨٨٣/٢، ٨٨٤/٢، ٨٨٥/٢، ٨٨٦/٢، ٨٨٧/٢، ٨٨٨/٢، ٨٨٩/٢، ٨٩٠/٢، ٨٩١/٢، ٨٩٢/٢، ٨٩٣/٢، ٨٩٤/٢، ٨٩٥/٢، ٨٩٦/٢، ٨٩٧/٢، ٨٩٨/٢، ٨٩٩/٢، ٩٠٠/٢، ٩٠١/٢، ٩٠٢/٢، ٩٠٣/٢، ٩٠٤/٢، ٩٠٥/٢، ٩٠٦/٢، ٩٠٧/٢، ٩٠٨/٢، ٩٠٩/٢، ٩١٠/٢، ٩١١/٢، ٩١٢/٢، ٩١٣/٢، ٩١٤/٢، ٩١٥/٢، ٩١٦/٢، ٩١٧/٢، ٩١٨/٢، ٩١٩/٢، ٩٢٠/٢، ٩٢١/٢، ٩٢٢/٢، ٩٢٣/٢، ٩٢٤/٢، ٩٢٥/٢، ٩٢٦/٢، ٩٢٧/٢، ٩٢٨/٢، ٩٢٩/٢، ٩٣٠/٢، ٩٣١/٢، ٩٣٢/٢، ٩٣٣/٢، ٩٣٤/٢، ٩٣٥/٢، ٩٣٦/٢، ٩٣٧/٢، ٩٣٨/٢، ٩٣٩/٢، ٩٤٠/٢، ٩٤١/٢، ٩٤٢/٢، ٩٤٣/٢، ٩٤٤/٢، ٩٤٥/٢، ٩٤٦/٢، ٩٤٧/٢، ٩٤٨/٢، ٩٤٩/٢، ٩٥٠/٢، ٩٥١/٢، ٩٥٢/٢، ٩٥٣/٢، ٩٥٤/٢، ٩٥٥/٢، ٩٥٦/٢، ٩٥٧/٢، ٩٥٨/٢، ٩٥٩/٢، ٩٦٠/٢، ٩٦١/٢، ٩٦٢/٢، ٩٦٣/٢، ٩٦٤/٢، ٩٦٥/٢، ٩٦٦/٢، ٩٦٧/٢، ٩٦٨/٢، ٩٦٩/٢، ٩٧٠/٢، ٩٧١/٢، ٩٧٢/٢، ٩٧٣/٢، ٩٧٤/٢، ٩٧٥/٢، ٩٧٦/٢، ٩٧٧/٢، ٩٧٨/٢، ٩٧٩/٢، ٩٨٠/٢، ٩٨١/٢، ٩٨٢/٢، ٩٨٣/٢، ٩٨٤/٢، ٩٨٥/٢، ٩٨٦/٢، ٩٨٧/٢، ٩٨٨/٢، ٩٨٩/٢، ٩٩٠/٢، ٩٩١/٢، ٩٩٢/٢، ٩٩٣/٢، ٩٩٤/٢، ٩٩٥/٢، ٩٩٦/٢، ٩٩٧/٢، ٩٩٨/٢، ٩٩٩/٢، ١٠٠٠/٢، ١٠٠١/٢، ١٠٠٢/٢، ١٠٠٣/٢، ١٠٠٤/٢، ١٠٠٥/٢، ١٠٠٦/٢، ١٠٠٧/٢، ١٠٠٨/٢، ١٠٠٩/٢، ١٠١٠/٢، ١٠١١/٢، ١٠١٢/٢، ١٠١٣/٢، ١٠١٤/٢، ١٠١٥/٢، ١٠١٦/٢، ١٠١٧/٢، ١٠١٨/٢، ١٠١٩/٢، ١٠٢٠/٢، ١٠٢١/٢، ١٠٢٢/٢، ١٠٢٣/٢، ١٠٢٤/٢، ١٠٢٥/٢، ١٠٢٦/٢، ١٠٢٧/٢، ١٠٢٨/٢، ١٠٢٩/٢، ١٠٣٠/٢، ١٠٣١/٢، ١٠٣٢/٢، ١٠٣٣/٢، ١٠٣٤/٢، ١٠٣٥/٢، ١٠٣٦/٢، ١٠٣٧/٢، ١٠٣٨/٢، ١٠٣٩/٢، ١٠٤٠/٢، ١٠٤١/٢، ١٠٤٢/٢، ١٠٤٣/٢، ١٠٤٤/٢، ١٠٤٥/٢، ١٠٤٦/٢، ١٠٤٧/٢، ١٠٤٨/٢، ١٠٤٩/٢، ١٠٥٠/٢، ١٠٥١/٢، ١٠٥٢/٢، ١٠٥٣/٢، ١٠٥٤/٢، ١٠٥٥/٢، ١٠٥٦/٢، ١٠٥٧/٢، ١٠٥٨/٢، ١٠٥٩/٢، ١٠٦٠/٢، ١٠٦١/٢، ١٠٦٢/٢، ١٠٦٣/٢، ١٠٦٤/٢، ١٠٦٥/٢، ١٠٦٦/٢، ١٠٦٧/٢، ١٠٦٨/٢، ١٠٦٩/٢، ١٠٧٠/٢، ١٠٧١/٢، ١٠٧٢/٢، ١٠٧٣/٢، ١٠٧٤/٢، ١٠٧٥/٢، ١٠٧٦/٢، ١٠٧٧/٢، ١٠٧٨/٢، ١٠٧٩/٢، ١٠٨٠/٢، ١٠٨١/٢، ١٠٨٢/٢، ١٠٨٣/٢، ١٠٨٤/٢، ١٠٨٥/٢، ١٠٨٦/٢، ١٠٨٧/٢، ١٠٨٨/٢، ١٠٨٩/٢، ١٠٩٠/٢، ١٠٩١/٢، ١٠٩٢/٢، ١٠٩٣/٢، ١٠٩٤/٢، ١٠٩٥/٢، ١٠٩٦/٢، ١٠٩٧/٢، ١٠٩٨/٢، ١٠٩٩/٢، ١١٠٠/٢، ١١٠١/٢، ١١٠٢/٢، ١١٠٣/٢، ١١٠٤/٢، ١١٠٥/٢، ١١٠٦/٢، ١١٠٧/٢، ١١٠٨/٢، ١١٠٩/٢، ١١١٠/٢، ١١١١/٢، ١١١٢/٢، ١١١٣/٢، ١١١٤/٢، ١١١٥/٢، ١١١٦/٢، ١١١٧/٢، ١١١٨/٢، ١١١٩/٢، ١١٢٠/٢، ١١٢١/٢، ١١٢٢/٢، ١١٢٣/٢، ١١٢٤/٢، ١١٢٥/٢، ١١٢٦/٢، ١١٢٧/٢، ١١٢٨/٢، ١١٢٩/٢، ١١٣٠/٢، ١١٣١/٢، ١١٣٢/٢، ١١٣٣/٢، ١١٣٤/٢، ١١٣٥/٢، ١١٣٦/٢، ١١٣٧/٢، ١١٣٨/٢، ١١٣٩/٢، ١١٤٠/٢، ١١٤١/٢، ١١٤٢/٢، ١١٤٣/٢، ١١٤٤/٢، ١١٤٥/٢، ١١٤٦/٢، ١١٤٧/٢، ١١٤٨/٢، ١١٤٩/٢، ١١٥٠/٢، ١١٥١/٢، ١١٥٢/٢، ١١٥٣/٢، ١١٥٤/٢، ١١٥٥/٢، ١١٥٦/٢، ١١٥٧/٢، ١١٥٨/٢، ١١٥٩/٢، ١١٦٠/٢، ١١٦١/٢، ١١٦٢/٢، ١١٦٣/٢، ١١٦٤/٢، ١١٦٥/٢، ١١٦٦/٢، ١١٦٧/٢، ١١٦٨/٢، ١١٦٩/٢، ١١٧٠/٢، ١١٧١/٢، ١١٧٢/٢، ١١٧٣/٢، ١١٧٤/٢، ١١٧٥/٢، ١١٧٦/٢، ١١٧٧/٢، ١١٧٨/٢، ١١٧٩/٢، ١١٨٠/٢، ١١٨١/٢، ١١٨٢/٢، ١١٨٣/٢، ١١٨٤/٢، ١١٨٥/٢، ١١٨٦/٢، ١١٨٧/٢، ١١٨٨/٢، ١١٨٩/٢، ١١٩٠/٢، ١١٩١/٢، ١١٩٢/٢، ١١٩٣/٢، ١١٩٤/٢، ١١٩٥/٢، ١١٩٦/٢، ١١٩٧/٢، ١١٩٨/٢، ١١٩٩/٢، ١٢٠٠/٢، ١٢٠١/٢، ١٢٠٢/٢، ١٢٠٣/٢، ١٢٠٤/٢، ١٢٠٥/٢، ١٢٠٦/٢، ١٢٠٧/٢، ١٢٠٨/٢، ١٢٠٩/٢، ١٢١٠/٢، ١٢١١/٢، ١٢١٢/٢، ١٢١٣/٢، ١٢١٤/٢، ١٢١٥/٢، ١٢١٦/٢، ١٢١٧/٢، ١٢١٨/٢، ١٢١٩/٢، ١٢٢٠/٢، ١٢٢١/٢، ١٢٢٢/٢، ١٢٢٣/٢، ١٢٢٤/٢، ١٢٢٥/٢، ١٢٢٦/٢، ١٢٢٧/٢، ١٢٢٨/٢، ١٢٢٩/٢، ١٢٣٠/٢، ١٢٣١/٢، ١٢٣٢/٢، ١٢٣٣/٢، ١٢٣٤/٢، ١٢٣٥/٢، ١٢٣٦/٢، ١٢٣٧/٢، ١٢٣٨/٢، ١٢٣٩/٢، ١٢٤٠/٢، ١٢٤١/٢، ١٢٤٢/٢، ١٢٤٣/٢، ١٢٤٤/٢، ١٢٤٥/٢، ١٢٤٦/٢، ١٢٤٧/٢، ١٢٤٨/٢، ١٢٤٩/٢، ١٢٥٠/٢، ١٢٥١/٢، ١٢٥٢/٢، ١٢٥٣/٢، ١٢٥٤/٢، ١٢٥٥/٢، ١٢٥٦/٢، ١٢٥٧/٢، ١٢٥٨/٢، ١٢٥٩/٢، ١٢٦٠/٢، ١٢٦١/٢، ١٢٦٢/٢، ١٢٦٣/٢، ١٢٦٤/٢، ١٢٦٥/٢، ١٢٦٦/٢، ١٢٦٧/٢، ١٢٦٨/٢، ١٢٦٩/٢، ١٢٧٠/٢، ١٢٧١/٢، ١٢٧٢/٢، ١٢٧٣/٢، ١٢٧٤/٢، ١٢٧٥/٢، ١٢٧٦/٢، ١٢٧٧/٢، ١٢٧٨/٢، ١٢٧٩/٢، ١٢٨٠/٢، ١٢٨١/٢، ١٢٨٢/٢، ١٢٨٣/٢، ١٢٨٤/٢، ١٢٨٥/٢، ١٢٨٦/٢، ١٢٨٧/٢، ١٢٨٨/٢، ١٢٨٩/٢، ١٢٩٠/٢، ١٢٩١/٢، ١٢٩٢/٢، ١٢٩٣/٢، ١٢٩٤/٢، ١٢٩٥/٢، ١٢٩٦/٢، ١٢٩٧/٢، ١٢٩٨/٢، ١٢٩٩/٢، ١٣٠٠/٢، ١٣٠١/٢، ١٣٠٢/٢، ١٣٠٣/٢، ١٣٠٤/٢، ١٣٠٥/٢، ١٣٠٦/٢، ١٣٠٧/٢، ١٣٠٨/٢، ١٣٠٩/٢، ١٣١٠/٢، ١٣١١/٢، ١٣١٢/٢، ١٣١٣/٢، ١٣١٤/٢، ١٣١٥/٢، ١٣١٦/٢، ١٣١٧/٢، ١٣١٨/٢، ١٣١٩/٢، ١٣٢٠/٢، ١٣٢١/٢، ١٣٢٢/٢، ١٣٢٣/٢، ١٣٢٤/٢، ١٣٢٥/٢، ١٣٢٦/٢، ١٣٢٧/٢، ١٣٢٨/٢، ١٣٢٩/٢، ١٣٣٠/٢، ١٣٣١/٢، ١٣٣٢/٢، ١٣٣٣/٢، ١٣٣٤/٢، ١٣٣٥/٢، ١٣٣٦/٢، ١٣٣٧/٢، ١٣٣٨/٢، ١٣٣٩/٢، ١٣٤٠/٢، ١٣٤١/٢، ١٣٤٢/٢، ١٣٤٣/٢، ١٣٤٤/٢، ١٣٤٥/٢، ١٣٤٦/٢، ١٣٤٧/٢، ١٣٤٨/٢، ١٣٤٩/٢، ١٣٥٠/٢، ١٣٥١/٢، ١٣٥٢/٢، ١٣٥٣/٢، ١٣٥٤/٢، ١٣٥٥/٢، ١٣٥٦/٢، ١٣٥٧/٢، ١٣٥٨/٢، ١٣٥٩/٢، ١٣٦٠/٢، ١٣٦١/٢، ١٣٦٢/٢، ١٣٦٣/٢، ١٣٦٤/٢، ١٣٦٥/٢، ١٣٦٦/٢، ١٣٦٧/٢، ١٣٦٨/٢، ١٣٦٩/٢، ١٣٧٠/٢، ١٣٧١/٢، ١٣٧٢/٢، ١٣٧٣/٢، ١٣٧٤/٢، ١٣٧٥/٢، ١٣٧٦/٢، ١٣٧٧/٢، ١٣٧٨/٢، ١٣٧٩/٢، ١٣٨٠/٢، ١٣٨١/٢، ١٣٨٢/٢، ١٣٨٣/٢، ١٣٨٤/٢، ١٣٨٥/٢، ١٣٨٦/٢، ١٣٨٧/٢، ١٣٨٨/٢، ١٣٨٩/٢، ١٣٩٠/٢، ١٣٩١/٢، ١٣٩٢/٢، ١٣٩٣/٢، ١٣٩٤/٢، ١٣٩٥/٢، ١٣٩٦/٢، ١٣٩٧/٢، ١٣٩٨/٢، ١٣٩٩/٢، ١٤٠٠/٢، ١٤٠١/٢، ١٤٠٢/٢، ١٤٠٣/٢، ١٤٠٤/٢، ١٤٠٥/٢، ١٤٠٦/٢، ١٤٠٧/٢، ١٤٠٨/٢، ١٤٠٩/٢، ١٤١٠/٢، ١٤١١/٢، ١٤١٢/٢، ١٤١٣/٢، ١٤١٤/٢، ١٤١٥/٢، ١٤١٦/٢، ١٤١٧/٢، ١٤١٨/٢، ١٤١٩/٢، ١٤٢٠/٢، ١٤٢١/٢، ١٤٢٢/٢، ١٤٢٣/٢، ١٤٢٤/٢، ١٤٢٥/٢، ١٤٢٦/٢، ١٤٢٧/٢، ١٤٢٨/٢، ١٤٢٩/٢، ١٤٣٠/٢، ١٤٣١/٢، ١٤٣٢/٢، ١٤٣٣/٢، ١٤٣٤/٢، ١٤٣٥/٢، ١٤٣٦/٢، ١٤٣٧/٢، ١٤٣٨/٢، ١٤٣٩/٢، ١٤٤٠/٢، ١٤٤١/٢، ١٤٤٢/٢، ١٤٤٣/٢، ١٤٤٤/٢، ١٤٤٥/٢، ١٤٤٦/٢، ١٤٤٧/٢، ١٤٤٨/٢، ١٤٤٩/٢، ١٤٥٠/٢، ١٤٥١/٢، ١٤٥٢/٢، ١٤٥٣/٢، ١٤٥٤/٢، ١٤٥٥/٢، ١٤٥٦/٢، ١٤٥٧/٢، ١٤٥٨/٢، ١٤٥٩/٢، ١٤٦٠/٢، ١٤٦١/٢، ١٤٦٢/٢، ١٤٦٣/٢، ١٤٦٤/٢، ١٤٦٥/٢، ١٤٦٦/٢، ١٤٦٧/٢، ١٤٦٨/٢، ١٤٦٩/٢، ١٤٧٠/٢، ١٤٧١/٢، ١٤٧٢/٢، ١٤٧٣/٢، ١٤٧٤/٢، ١٤٧٥/٢، ١٤٧٦/٢، ١٤٧٧/٢، ١٤٧٨/٢، ١٤٧٩/٢، ١٤٨٠/٢، ١٤٨١/٢، ١٤٨٢/٢، ١٤٨٣/٢، ١٤٨٤/٢، ١٤٨٥/٢، ١٤٨٦/٢، ١٤٨٧/٢، ١٤٨٨/٢، ١٤٨٩/٢، ١٤٩٠/٢، ١٤٩١/٢، ١٤٩٢/٢، ١٤٩٣/٢، ١٤٩٤/٢، ١٤٩٥/٢، ١٤٩٦/٢، ١٤٩٧/٢، ١٤٩٨/٢، ١٤٩٩/٢، ١٥٠٠/٢، ١٥٠١/٢، ١٥٠٢/٢، ١٥٠٣/٢، ١٥٠٤/٢، ١٥٠٥/٢، ١٥٠٦/٢، ١٥٠٧/٢، ١٥٠٨/٢، ١٥٠٩/٢، ١٥١٠/٢، ١٥١١/٢، ١٥١٢/٢، ١٥١٣/٢، ١٥١٤/٢، ١٥١٥/٢، ١٥١٦/٢، ١٥١٧/٢، ١٥١٨/٢، ١٥١٩/٢، ١٥٢٠/٢، ١٥٢١/٢، ١٥٢٢/٢، ١٥٢٣/٢، ١٥٢٤/٢، ١٥٢٥/٢، ١٥٢٦/٢، ١٥٢٧/٢، ١٥٢٨/٢، ١٥٢٩/٢، ١٥٣٠/٢، ١٥٣١/٢، ١٥٣٢/٢، ١٥٣٣/٢، ١٥٣٤/٢

قال صاحب « وحاصل ما يشبه النصف في هذه الرحمة أن الشخص لا يُعذب بفعل غيره إلا إذا كان له فيه تسبب »^(١)

مسئلة الرابع أنه يُعذب بما يمدح به في الدنيا مما هو قبيح محرم في الشرع كما كذب أهل الجاهلية بفعلهم فإنهم كانوا يوحون على الميت ويدبونه بتعذيب ثماله ومحاسنه في رعبهم ، وتلك التماثل قبيح في الشرع يُعذب بها ، كما كانوا يقولون يا ممل السوان وميثم المؤقتان وعرب العمرون ومرق الأخداف ، ونحو ذلك مما يروونه شائعة وفخراً وهو حرام شرعاً^(٢)

وبل هذا لسبب ذهب ابن حرم وإسماعيلي وطائفة من أهل العلم^(٣) واستدل أصحاب هذه المسئلة بما يلي

١ - حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال ((الميت يعذب بكاء أهله عليه ، إذا قالت الناحية واعصاء وابصراء واكسياه جبد الميت وقيل له أنت عضدها أنت ناصرها أنت كاسيها ؟))^(٤)

٢ - حديث العلاء بن بشر رضي الله عنهما قال . أغمي على عبد الله بن رواحة فصعدت أمته عمره بسكي وابيلاء واكد واكد ، بعدد عيه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل بي . أنت كذلك^(٥)

٣ - حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال ((ولكن يعذب بهذا))^(٦) وأشار إلى لسانه

(١) انظر صحيح البخاري (٤٣١/١)

(٢) صحيح البخاري (١٥٣/٣) وانظر هذا القول في شرح الفصول (٣٨٥) وبعض أهل العلم يفعل هذا ، انظر مع القرون السابحين قولاً واسعاً

(٣) انظر مستم مسرج السوي (٤٨٤ ، ٤٨٣/٦) عرجه الأحمد دي (١٧٩/٤) كشف مشكل (٥٨٦/١) للمهم (٥٨٢/٢) فتح الباري (١٥٥/٣) شرح الفصول (٣٨٥) بل الأوطار (١٢٦/٤)

(٤) انظر فتح الباري (١٥٥/٣) بل الأوطار (١٢٦/٤)

(٥) أخرجه إمام أحمد في مسنده (٥٦١/٥) ح (٧ ١٩٢) وفردوسي يعطى مشارب (خمة ٨٤/٤) ح (٨ ١) وقال هذا حديث حسن عريب ، ابن ماجه (٥ ٨٠) ح (١٥٩٤) وحسنه الألباني انظر صحيح سنن فريسي

(٦) (٢٩٤/١) ح (٨ ١) ، صحيح سنن ابن ماجه (٤٢/٢) ح (١٣٠٥)

(٥) أخرجه البخاري (١٥٥٥/٤) ح (٤٠١٩)

(٦) سبق ترجمته ص (٢٢٧)

قال ابن حزم علقماً على هذا الحديث « فصح أن طليقاء الذي يُعذب به الإنسان ما كان منه بالإنسان إذ بسببه بريسته التي حار فيها وشجاعته طين صرغها في غير طاعة الله وجوده الذي لم يصعه في آخر ، وأنه يكون عليه بهذه المعاصي وهو يعذب بذلك »^(١) .

٤ - قالوا : وعنى هذا ، شمل روايته ((بعض بكاء أهله)) إذ ليس كل ما يُعدنونه من حصاله يكون مدموماً ، فقد يكون من حصاله كسوم واعتقال رقاب وكشف كروب وغير ذلك مما هو مخدوح^(٢)

المسلك الخامس أن معنى التعذيب الورر في الحديث : توبيخ ملائكة له عما يديه أهله به ، فكما ذكر له ما يح به عليه كان ذلك عذاباً له ، قالوا : ورب توبيخ راد على التعذيب^(٣) واسئل أصحاب هذا المسلك : متى من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حيث رواه الزمدي بلفظ : ((ما من ميت يموت فيقوم بكاءهم فيقول : واجبلاله واسيلاه أو نحو ذلك إلا وكُل به ملكان ينهراؤه^(٤) أهكذا كنت ؟))^(٥)

وكذلك استئلوا بحديث النعمان بن بشير الذي تقدم ذكره .
المسلك السادس أن المراد بالتعذيب في الحديث : تألم الميت ونأديه عما يقع من أهله ورقته هم وشعته عليهم

وال هذا المسلك ذهب الطبري ورجحه بس الترابط والقصاصي عباس^(٦) والقرطبي^(٧) ونصره شيخ الإسلام ابن ماجة^(٨) واستدل هؤلاء بما يلي :

- (١) نقل ذلك عنه ابن حجر في المنيع (١٥٥/٣)
- (٢) انظر الفهم (٥٨٣/٢)
- (٣) انظر كشف الطيكل (١/ ٦) ، مع الباري (١٥٥/٣) ، شرح الصلوة (٣٨٥) ، بيل الأوطار (١٢٧/٤)
- (٤) أي يصداه ويصره ، والظهر القرب يسبح الكعب في العشر ، وعشره سارح إذا خدته به النهاية في غريب الحديث (٢٨١/٤)
- (٥) تقدم تحريجه من (٣٣٩)
- (٦) انظر إكمال معجم لقصاصي عباس (٣٧١/٣ - ٣٧٢) ، معجم بشرح النووي (٤٨٤/٦) فتح الباري (١٥٥/٣) شرح الصلوة (٣٨٦ ، ٣٨٧) ، بيل الأوطار (١٢٧/٤)
- (٧) انظر الفهم (٥٨٣/٢)
- (٨) انظر معجم الفتاوى (٣٦٩/٢٤ - ٣٧٥)

١- حديث قيلة بس محرمة أنها ذكرت عند رسول الله ولداً لها مات ثم بكّت فقال رسول الله ﷺ ((يغلب أحدكم أن يصاحب صويغيه في الدنيا معروفاً ، فإذا مات استرجع ، فالذي نفس محمد بيده ، إن أحدكم ليكني فيستعير إليه صويغيه ، فيأبى عباد الله لا تعذبوا موتاكم))^(١)

٢- حديث أبي موسى الأشعري والعمان بن بشير اللذين تقدم ذكرهما لما فيها من أن ذلك يطلع الميت^(٢)

٣- قالوا : إن رسول الله ﷺ لم يقل : إن الميت يعاقب بيكاه أهله عليه ، بل قال : ((يعذب)) والعذاب أعم من العقاب ، فإن العذاب هو الألم ، وليس كل من سأم بسبب كان ذلك عذاباً به على ذلك السبب فإن النبي ﷺ قال ((السمر قطعة من العذاب ، يمسح أحدكم قطعة من شرايه))^(٣) فسمى السمر عذاباً وليس هو عقاباً على دسب^(٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . « والإنسان يعذب بالأمر المكرهة التي يشعر بها ، مثل الأصوات المائلة والأرواح الخبيثة والصور القبيحة ، فهو يتعذب بسماع هذا وشم هذا ورؤية هذا ، ولم يكن ذلك عملاً له عوقب عليه ، فكيف يُنكر أن يعذب الميت بالساحة وإن لم يكن الساحة عملاً له يعاقب عليه ؟ »

والإنسان في هذه يعذب بكلام بعض الناس ويتألم مرؤية بعضهم وبسماع كلامه^(٥) ، ثم قال رحمه الله « وقد يدفع حكم المسبب بما يعارضه ، فقد يكون في الميت من قوه المكرهة ما يدفع عنه من العذاب كما يكون في بعض الناس من القوة ما يدفع صرر لأصوات المائلة والأرواح والصور القبيحة »^(٦) .

(١) قال الحافظ ابن حجر في المصح (١٥٥/٣) « هذا طرف من حديث حسن الإسناد أخرجه في أبي حنيفة وابن أبي شيبة والترمذي وغيرهم ، وأخرج أبو داود والترمذي أطرافاً منه » وقال القرطبي في التذكرة (١٦٨) . « هو حديث معروف إسناده لا يمس به »

(٢) انظر فتح الباري (١٠٠/٣) في الأثر (١٢٧/٤)

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة البخاري (٦٣٩٢) ح (١٧١٠) ومسلم (٧٤/١٣) ح (١٩٢٧)

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٣٧٤/٢٤)

(٥) المرجع السابق ، الجزء ١ ، الصفحة

(٦) المرجع السابق (٣٧٥/٢٤)

سألت السامع أن ذلك خاص بالكافر دون المؤمن على ما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها^(١).

واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله ليريد الكافر عدائاً بكاء أهله عليه))^(٢).

سألت السامع أن (باء) في قوله: ((بكاء أهله)) لتحال أي معنى (عد) كقولہ تعالى ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِالْأَسْحَابِ﴾^(٣) ونفى أنه يعذب عد وقت الباحة أو حال بكاء أهله فيه، لأن غالب الباحة يقع عند قرب العهد، ومعظم عذاب العذب في القبر يكون عند نزول المجد، ثم يدوم منه ما يدوم، فيكون العذاب واقعاً حال النوح لا بسبب النوح وهذا المسلك كالذي قبله قالت به عائشة رضي الله عنها وبعض أهل العلم^(٤).

واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((إنه ليعذب بمخاطبته وذبه وإن أهله ليكون عليه الآن))^(٥).

ثانياً - مذهب الزحيح: وقد سلكه فريقان من النسخ

والفريق الأول - حماد حديث: ((إن الميت ليعذب بكاء أهله عليه)) على ظاهره وهو أن الميت يعذب بكاء أهله عليه، وعلى رأس الثقات بهذا عمر بن الخطاب وأبو عبد الله رضي الله عنهما^(٦)، وقد تقدمت قصة عمر مع صهيب وابنته حفصة^(٧).

وأخرج عبد الرزاق من طريقه أن ابن عمر شهد جنازة رافع بن خديج فقال لأهله: «إن رافعاً شيخ كبير لا صافه له بالعذاب، وإن الميت يعذب بكاء أهله عليه»^(٨).

(١) نظير فتح الباري (١٥٤/٣) شرح الصلوة (٣٨٥) من الأوطار (١٢٦/٤)

(٢) تقدم تحريجه من (٣٣٤)

(٣) سورة آل عمران: ١٧

(٤) نظير معجم الحس (٢٦٤/١) كشف المشكوك (٥٨/١٠) مسلم بشرح النووي (٦/١٨٤) شرح الصلوة (٣٨٥) من الأوطار (١٢٦/٤)

(٥) تقدم تحريجه من (٣٣٤)

(٦) نظير فتح الباري (١٥٢/٣) شرح الصلوة (٣٨٥) من الأوطار (١٢٥/٤) مجموع الفتاوى (٣٧١/٢٤)

(٧) نظير من (٣٣٣)

(٨) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٥٦/٢) ح (٦٦٧٨) ونظير الفتح (١٥٤/٣)

والعريف الثاني : رَدَّ حديث تعذيب الميت بكاء الحي واحتج عليه بقوله تعالى

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾^(١)

وعسى أنس لفناذين بهذا عائشة رضي الله عنها - كما تقدم - ونحو خبره^(٢) وهو ظاهر استدلال ابن عباس - كما تقدم - بقوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ هُمْ أَصْحَابُكُمْ وَأَنْتُمْ هُمْ أَهْلُكُمْ ﴾^(٣) كما ذهب إلى هذا الشافعي رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه كأبي حنيفة رحمه الله^(٤) وحرم البغلابي وعمره بأن طر وي سمع بعض الحديث ولم يسمع بعصه^(٥) واستدل بقول عائشة رضي الله عنها يعمر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه سبي أو أعطى إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يُكفى عليها فقال ((إِيَّاهُمْ لِيَكُونَ عَلَيْهَا وَإِيَّاهَا لَتُعَذَّبَ فِي قَبْرِهَا))^(٦)

وروى قال بعض أصحاب هذه القول . إن حديث عمر وابنه ﷺ يحمل وحديث عائشة رضي الله عنها معسر ، وللعسر أول من الحمل^(٧) .

وحاصل هذا القول هو عدم الأمد حديث تعذيب الميت بكاء أهله ، واتهام الراوي له إما بالخطأ أو السب أو عدم حفظ أو أنه سمع بعض الحديث ولم يسمع بعصه ثالثاً مذهب المتوقف . وابنه ذهب الشوكاني رحمه الله فقال . « يقول ثبت عن رسول الله ﷺ أن الميت يعذب بكاء أهله عليه ، فسمعنا وأطعنا ولا نريد على هذا »^(٨) .

(١) سورة الأنعام آية (١٦٤)

(٢) الفهرست البرقي (٦٥٤/٣) ج ١ الأوطار (١٢٥/٤)

(٣) سورة النجم آية (١٢٢) ووجه الاستدلال هو أن الآية لا يمكنها أن تكون من سبب من سبب ما فيها فكيف يصح عليها فضلاً عن ذلك . انظر فتح الباري (١٥٩/٣) ، ١٦٦ .

(٤) انظر : مصابيح الحديث للشافعي (١٦٦) ومس الزمعي (٨٧/٤) مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٧) فتح الباري (١٥٤/٣) ج ١ الأوطار (١٢٥ / ٤) شرح الصور (٣٨٥)

(٥) انظر : فتح الباري (١٥٤/٣) ج ١ الأوطار (١٢٦/٤)

(٦) تقدم شرحه ص (٣٣٤)

(٧) انظر معالي النسي (٢٦٤/١) كشف المشكك (٥٩/١)

(٨) ج ١ الأوطار (١٢٨/٤)

المطلب الثالث

الترجيح

في الحقيقة أنه سر بين مسائل اجمع لسابقه تعارض لأنه يمكن القول بها كلها وسر يلها على أشخاص أو حالات مختلفة ، وأما القول بأحدها وجعله هو المراد في الحديث فهو تحكم فيه نظر ، إذ أنه مبرد من صريح في اختصاص العذاب بنوع أو سبب معين ، مع ما ذكرنا سابقاً - من أن الإجماع معتقد على أنه لا يعذب أحد بدنب غيره .

« وأما ما روي عائشة عن النبي ﷺ أنه قال ذلك في الكافر أو يهودية معينة فهو غير مباد لرواية غيرها من الصحابة ، لأن روايتهم شاملة على زيادة ، والتخصيص على بعض أفراد العام لا يوجب تعي الحكم عن بقية الأمر ، لما تقرر في الأصول من عدم صحة التخصيص بموافق العام

والأحاديث التي ذكر فيها تعذيب شخص بالروح أو بالتألم أو بالاسعار كما في حديث ميلة لا تد على اختصاص التعذيب المطلق في الأحاديث سوع منها ، لأن التخصيص على ثبوت الحكم لشيء يكون مشعر بالاختصاص به لا بما في شوته بعينه » (١) .

- وماء على هذا نقول إذا أوصى الإنسان أهله بالياحة أو كاتب الياحة من مسته أو عرف من أهله ذلك ولم يبههم أو ناديه أهله بالقيح المحرم من أفعاله فوجب على ذلك ، فإنه لا شك أن هذه أسباب يستحق عليها العذاب ، فإن عذب بها أو ببعضها فإنه إنما يعذب بسبب فعل نفسه

- فإن لم يلبس بشيء مما سبق كان عذابه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره - أنه وتأديه مما يراه من أهله ، إما لخالصهم أمر رسوله ﷺ بالياحة ، وإما لرفقه لهم وشفقته عليهم بسبب حرهم ومكانهم عليه ، وهذا لا إشكال فيه لأن الإنسان - كما قال ابن تيمية رحمه الله - يُعذب ويتدنى بالأمور المكروهة التي يشعر بها كالأصوات وترعة والروائح المكروهة وإن كان ذلك ليس عملاً له فوجب عليه

وإن كان الميت كافراً رآه الله عذاباً بكاء أهله عليه ، كما دل على ذلك حديث

(١) حل الأربعة ، (١٢٨٤)

عائشة رضي الله عنها : ((إن الله ليزيد الكافر عذاباً بكاء أهله عليه))

هو عذاب الميت بسبب من الأسباب السابقة ويكفي عليه أهله كذا الأمر كما في حديث عائشة رضي الله عنها : ((إنه ليعذب بمحيطته ودينه وإن أهله ليكفون عليه الآن)) أي أنه يُعذب حال بكاء أهله عليه والله أعلم

قال ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر توجيهات أهل العلم لهذا الحديث : « ويُحتمل أن يُجمع بين هذه التوجيهات فيُرى على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلاً : من كانت طريقته السوء فمشتى أهله على طريقته أو بالغ بأوصاهم بذلك عُذِّبَ بمصعبه ، ومن كان ظالماً مُدْبِئاً بأفعاله حاطة عُذِّبَ بما دَبَّ به ، ومن كان يعرف من أهله المباحة فأهمل بهيهم عنها فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول ، وإن كان غير راضٍ عُذِّبَ بالتوبيخ كيف أهمل الشهي ، ومن سب من ذلك كله واحتاط فهي أمسه على المعصية ثم حالهوه وعللوا ذلك كان تعذيبه بأهله كما يراه منهم من شائعة أمره وإفدامهم على معصية ربهم » (١)

مناقشة الأقوال المرحوحة .

- أما حمل الحديث على أنه يُعاقب بسبب بكاء أهله عليه وليس له في ذلك أدنى سبب فعبد جحد ، وهو مخالف للإجماع السابق ذكره لئبي علي ما ثبت بالكتاب والسنة من أنه لا يُعذب أحد بسبب غيره

وَمَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ عَمْرِو بْنِ صُهَيْبٍ وَابْنَةِ حَفْصَةَ وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ صُرَيْحٍ فِي أَنَّهُمَا أَرَادَا أَنْ يَمُوتَا يَعْقَبَ بِدَبِّ غَيْرِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ أَدْنَى سَبَبٍ ، بَلْ يَفْهَمُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْتَمَلَةِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : « وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَمْرُ بْنُ صُرَيْحٍ أَوْ الْوَاحِدَةُ نَتَجَ عَنْ الْمَيِّتِ إِذَا كَانَ فَادِرًا عَلَى الشَّهِي وَلَمْ يَمُحْ مِنْهُ ، فَلِذَلِكَ يَأْتِي عَلَى صُهَيْبٍ وَكَذَلِكَ فِي حَفْصَةَ » (٢) .

وعليه ما في حديث عمر وابنه رضي الله عنهما أنهما أظفلا الحديث في تعذيب الميت بكاء أهله عليه ولم يقداه يهودي ولا كافر كما روى عائشة رضي الله عنها ، كما لم يُقتلناه بوصية ولا غيرها كما فعل آخرون والله أعلم

(١) فتح الباري (١٥٥/٣)

(٢) فتح الباري (١٥٣/٣)

- وأما ما ورد عن عائشة رضي الله عنها من معارضتها حديث تعذيب الميت ببيكاه أهله عليه وتهامها الراوي له باحطاً والسيان وعدم احفظ معه ثلاثة أجوبة .

الجواب الأول أن ما رويته عائشة رضي الله عنها حديث وهذا حديث ولا توافقه بينهما ولا يعارض من لكل واحد منهما حكمه ، وكل واحد من الرواة أخير عملاً صحيح وشاهد^(١)

الجواب الثاني أن عائشة رضي الله عنها أنكرت برأيها وقالت بطلها ، وقول الرسول ﷺ إذا صح لا يلتفت معه إلى رأي أحد^(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) : « وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مثل هذا نظائر ، ورد بعدد من أنواع من التأويل والاجتهاد لاعتقادها بطلان معناه ، ولا يكون الأمر كذلك ، ومن يدبر هذا الباب وجد هذا الحديث الصحيح الصريح الذي يرويه الثقة لا يرده أحد مثله هذا إلا إن كان محطاً »^(٤) .

وقال من حذر^(٥) : وهذه الأقوال عن عائشة منحالمة ، وفيه إشعار بأنها لم تُرد الحديث بحديث آخر بل لما استشعرته من معارضة القرآن^(٦) .

الجواب الثالث « أن الرواة هنا لثني كثير » عمر وابن عمر والمغيرة بن شعبة وقبيلة بن عزيمة رضي الله عنهم حارمون بالرواية ، فلا وجه لتعطيلهم ، وإذا تقدم على رد خبر جماعة مثل هؤلاء مع إمكان حمله على حمل الصحيح فلا بد من رد خبر واحد أولى ، مرد خبرها أولى ، على أن الصحيح^(٧) : « لا يرد واحد من تلك الأخبار ، وينظر في معانيها »^(٨) .
- وأما مدح التوقف فيها وسع كما تقدم .

(١) انظر كشف المشكل (٥٦/١٦) اللهم (٥٨٢/٢)

(٢) انظر كشف المشكل (٥٦/١٦)

(٣) صواعق المسوى (٢٤١ / ٣٧)

(٤) فتح الباري (١٥٤/٣)

(٥) منهم (٥٨١/٢) وانظر كشف المشكل (٥٦/١)

المبحث الثاني : ما جاء في قلة النساء وكثرتهم في الجنة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يؤهم طاهرها التعارض .

المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يؤول منها ظاهرها التعارض

أولاً : الأحاديث التي تعيد أن النساء في الجنة أقل من الرجال :

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إن أقل مساكني الجنة النساء)) ^(١).

- وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)) ^(٢).

- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((وقفت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء)) ^(٣).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : ((رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن)) قيل : أبكفرن بالله ؟ قال : ((يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط)) ^(٤).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للنساء : ((تصنفن فإن أكثركن حطب جهنم)) ^(٥).

ثانياً : الأحاديث التي تعيد أن النساء في الجنة أكثر :

عن محمد بن سيرين قال : « إما عاصروا وإما نذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء فقال أبو هريرة رضي الله عنه : لو لم يقل أبو طعاسم رضي الله عنه ، ((إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة

١- أخرجه مسلم كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء (٥٨/١٧) ح (٢٧٣٨)

٢- أخرجه مسلم كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء (٥٨/١٧) ح (٢٧٣٧)

٣- معن عنه البخاري كتاب الشكاك ، باب لا تأخذ المرأة في صب زوجها (١٩٩٤/٥) ح (٤٦٠٠)

و مسلم كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء (٥٧/١٧) ح (٢٧٣٦)

٤- معن عنه البخاري كتاب الإيمان ، باب تكبر العشير وكفر بعد كفر (١٩/١) ح (٢٩)

و مسلم كتاب الكسوف ، باب ما طرأ على النبي ﷺ في صلاة الكسوف (٤٦٥/٦) ح (٩٧)

٥- أخرجه مسلم في أول كتاب صلاة العيدين (٤٢١/٦) ح (٨٨٥)

القمر ليلة البدر . واسمي تليها على أصغر كوكب قمر في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب))^(١)
وفي لفظ البخاري ((لكل امرئ زوجتان من الخور العين ...))^(٢) .

بيان وجه التعارض

أنه في الأحاديث الأولى ما يعيد أن النساء أقل ساكني الجنة وأكثر ساكني النار وفي المقابل عدا في حديث أبي هريرة ما يعيد أن النساء في الجنة أكثر من الرجال لأنه إذا كان لكل واحد من الرجال زوجتان وليس في الجنة أعزب كانت النساء ضعفي عدد الرجال

(١) معنى عليه البخاري كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأهلها فنونه (١١٨٦/٣) ح (٣٠٧٤) ومسلم ولفظه « كتاب الله وضعه سبحانه ولعلها ، باب قول رمره لدعل الجنة (١٧٧/١٧) ح (٢٨٣٤)
(٢) فكتاب واليه السابق (١١٨٧/٣) ح (٣٠٨١)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التحارض

سلك أهل العلم في هذه المسألة مذهبين . أحدهما مذهب الجمع ، والثاني مذهب
الروحيين وإليك بيان ذلك

أولاً مذهب الجمع : فعلموا إن النساء من بي آدم في الجنة أقل من الرجال ، وأما إذا نصم
إليهن الحور المعن فإنهن بلا شك أكثر من الرجال ، وإلى هذا ذهب القرطبي^(١) وابن
القيم^(٢) عليهما رحمة الله

واستدلوا بما تقدم من حديث عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال ((إن أقل
ساكني الجنة النساء))^(٣)

وكذلك استدلوا بالأحاديث التي فيها أن طلاء أكثر أهل النار^(٤)

وأجابوا عن قوله ﷺ ((لكل امرئ منهم روحتان)) بأن المراد بالروحتين : أي من
الحور المعن ، واستدلوا على ذلك بـ رواة الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
((للرجل من أهل الجنة روحتان من حور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مع
ساقها من وراء الثياب))^(٥)

وأما ما ورد من الريادة على الروحيتين كما في بعض الأحاديث فأجابوا عنه بأن
ذلك بحسب سائرهم ودرجاتهم ، وأما الروحيتين الواردة في الحديث السابق فهي لأدنى أهل
الجنة .

قال القرطبي : « أدنى من في الجنة درجة له روحتان ، يد ليس في الجنة أعزب كما قال .
وأما غير هؤلاء فمن ارتفعت منزلته فروحانهم على قدر درجاتهم »^(٦) .

(١) انظر اللهم (١٨١/٧)

(٢) انظر حادي الأرواح (١٧١)

(٣) تقدم شرحه ص (٣٤٨)

(٤) انظر ص (٣٤٨)

(٥) أسرار الإمام أحمد في مسنده (١٨/٣) ج (٨٢٧٧)

(٦) اللهم (١٨٠/٧)

وقال ابن القيم « ولا ريب أن المؤمنين في الجنة أكثر من اثنين لما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس أنه قال قال رسول الله ﷺ ((إن للعبد المؤمن في الجنة حيمة من لؤلؤة مخوفة طولها ستون ميلاً ، للعبد المؤمن فيها أهلون ، فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً)) »^(١)

وقال الخليل بن أحمد « والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم روحتان »^(٢) وثما حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو في طائفة من أصحابه يذكر حديثاً طويلًا وفيه ((فيدخل الرجل منهم على اثنين وسبعين زوجة مما ينشئ الله تعالى وتنسب من ولد آدم فما فضل على من أنشأ الله عبادتهما في الدنيا ...))^(٣)

فقال عنه ابن القيم رحمه الله « هذا قطعة من حديث المصور الطويل ولا يُعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع ، وقد صححه أحمد ومحيي وجماعة ، وقال الدارقطني وغيره مسروك الحديث ، وقال ابن عدي أحاديثه كلها مما فيه نظر »^(٤)

ولما احتج به فقال فيه ما حكاه الطبرسي عنه قال سمعت محمداً يقول فيه هو ثمة مغرب الحديث

قلت ونحو هذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة ثم ينتهت إلى روايته »^(٥)

(١) متن عية البخاري (١٦٨٥/٣) ح (٣٠٧١) ومسلم (١٨١٠/١٧) ح (٢٨٣٨)

(٢) حادي الأرواح (٣٠٦)

(٣) فتح القري (٦/٣٦٥)

(٤) أخرجه الطبرسي في الأحاديث الطوال برقم (٣٦) من كتاب الحكيم الكبير الطبرسي (٢٦٦/٢٥) والبيهقي في كتاب الجمع والقبول (٢٣٥) برقم (٦٩) ، وعنه ابن القيم في حادي الأرواح (٢٩٢/١٧٢) وفي كسره في النهاية (٢٩/١٧) ، وابن حجر في المسح (٣٢٠/٦) ، لأنهم نقلوا في المسح (٢٩٢/١٧) ، فعنه روى في مسند الكبير والبيهي هو في عدة المفقودات الآن

وعنه البخاري في الترمذ الكبير (٢٦٠) حديث المصور برقم (٢٦) ، ونظر الحافظ لابن عدي (٢٨١/١) وقال ابن كثير في النهاية (٢٧٨/١) وهو حديث مشهور ، وفي بعض سببه مكاره واستلزام ، ونظر نسو من كثر (٢٩٢/٢) ، وفي المسح برقم (٣٦٨/١٠) ، واستطرد في مسنده مع ضعفه ، وما صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أن ذكره ابن العربي ونسبه القزويني في التذكرة ، ومول عبد الحق في تصحيحه أولى وصحة قبل البيهقي »

(٥) انظر الحافظ في مسنده الفرائد لابن عدي (٢٨١/٢٨٠/١) ، نهج النهج (٢٩٢/١١)

(٦) حادي الأرواح (٧٣) ، انظر (٢٩٨) ، وقال السبكي عن عبد الرحمن مسروك الحديث ، انظر المسند

ثانياً عدهم التزويج ذهب إلى أن النساء في الجنة أكثر من الرجال ، ومن ذهب إلى هذا أبو هريرة ^(١) ، والقاسمي عياض ^(٢) ، والعرابي ^(٣) عليهما رحمة الله ، واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ((لكل امرئ منهم زوجتان)) فقالوا إن المراد بالزوجتين أي من ساء الدنيا .

قال القاسمي عياض : ظهر هذا الحديث أن النساء أكثر أهل الجنة ، وفي الحديث الآخر به أكثر أهل النار ، فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم ، وهذا كنه في الأدب . . . إلا فقد جاء ليوحد من أهل الجنة من اخور العين العدد الكثير ^(٤)

وقال العريبي « الزوجتان من ساء الدنيا والرمادة على ذلك من اخور العين » ^(٥) .
 واستدلوا على كون المراد بالزوجتين في الحديث السابق من ساء الدنيا بالأحاديث التي ورد فيها أن المؤمن يكون له في الجنة العدد الكثير من اخور العين ، كقوله ﷺ ((للشهيد عند ربه ست خصائل .)) ثم ذكر منها ((ويروّج الثنتين وسبعين زوجة من اخور العين ...)) ^(٦) .

فقالوا إن هذا الحديث وما في معناه يدل على أن المؤمن له في الجنة أكثر من زوجتين من اخور العين وعلى هذا يكون الزوجتان - في حديث أبي هريرة - من ساء الدنيا ^(٧) .
 وأجاب أصحاب هذا القول عن قوله ﷺ ((إن أقل ما سكني الجنة النساء)) بجوابين .
 أحدهما أن فهم هذه بما هي في أول الأمر عندما تكون أكثر النساء في النار ، وأما بعد

والثوريين النسائي (٥٠) معبر عن كتاب المجموع في التصعاء والزواجر عفيف عبد الكريم الموسوي ، وقال اعلم من حصر في الشرب (٩٤/١) صيف لمحمد

- (١) القدر طرح الشرب (٢٦٩/٨ - ٢٧٠) فتح الباري (٣٢٥/٦)
- (٢) القدر معبر عن شرح النووي (١٧٨، ١٧) طرح الشرب (١٨ / ٢٧)
- (٣) القدر طرح الشرب (١٨ / ٢٧)
- (٤) القدر إكمال المعلم (٣٦٦/٨) مسلم بشرح النووي (١٢٨/١٧)
- (٥) شرح الشرب (٢٧٠/٨) والنظر في ذكره تعريفي ، فتح الباري (٢٧٣/٦)
- (٦) المرحمة الرمزي (ح ٢٠٢٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح عريب ، وأمرجه ابن ماجة (٩٣٥/٢) ح (٢٢٩٩) وأحمد في مسنده (١١٢، ٥) ح (١٦٧٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٣٩٩/٢) ح (٢٢٧٥)
- (٧) القدر في ذكره للفرعي (٢٧٣/٢) فتح الباري (٣٢٥/٦)

مرو عنهم بالشمعة ورحمة الله تعالى فإنهم يكرّون أكثر من الرجال في الجنة ^(١)
 والجواب الثاني: قالوا: يحتمل أن يكون الروي له رواة بالمعنى الذي فهمه من كونهم أكثر
 ساكني النار ، فهم 'نه يلزم من ذلك أن يكرّ أقل ساكني الجنة ، وهذا ليس بالآدم ^(٢) .
 - وأما قوله يكثر ((واطمعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)) ^(٣) فأجابوا عنه - بأنه
 لا يلزم من أكثرهم في النار نفي أكثرتهم في الجنة ^(٤)

(١) الطبري: المذكره (٢٦٩/٢) فتح الباري (٣٢٥/٦)

(٢) الطبري: طرح الترتيب (٢٧٠/٨) فتح الباري (٣٢٥/٦)

(٣) معجم تفرقة ص (٣٤٨)

(٤) الطبري فتح الباري (٣٢٥/٦) مسند بشرح النووي (١٧٨/١٧) طرح الترتيب (٢٧٠/٨)

المطلب الثالث

الترجيح

الذي يظهر وجماعه - والله تعالى أعلم - هو مذهب الجمع وهو أن النساء من بني آدم في الجنة أقل من الرجال كما هو صريح حديث عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ ((إن أقل ساكني الجنة النساء))

وأما إذا تصمم بعضهم بخبر الحور العين فإنه على كلا القولين يكون النساء في الجنة أكثر من الرجال

فإن الفرعي رحمه الله - وبهذا يُعَمَّم أنَّ نوع النساء المُشتمَل على الحور والأدميات في الجنة أكثر من نوع رجال بني آدم ، ورجال بني آدم أكثر من سائرهم ^(١)

وأما استدلال أصحاب القول الثاني بحديث أبي هريرة ((لكل امرئ منهم زوجتان)) وهوهم إلّا المرء بالزوجين في هذا الحديث . أي من نساء الدنيا فعبر مسلم . لأن الحديث جاء صريحاً في أن الزوجتين هاتين من الحور العين كما في رواية البخاري ((لكل امرئ زوجتان من حور العين)) ^(٢) وكما في حديث أبي هريرة الذي رواه الإمام أحمد وقد تقدم ذكره ^(٣)

وأما ما ورد في بعض الأحاديث أن المؤمن أكثر من زوجتين من الحور العين - كما تقدم - فالجواب عنه أنه لا يرم من ذكر الزوجتين عدم الريادة عليهن لأن حديث ((لكل امرئ منهم زوجتان)) ليس فيه أنه ليس له إلا زوجتان ؟ وقد تكون هاتان الزوجتان من حور العين لأدنى أهل الجنة منزلة كما جاء ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال : ((إن أدنى أهل الجنة منزلة : رجل صرف الله

(١) التلخيص ١٧ / ١٨

(٢) تقدم شرحه من ر ٣٤٩ ، والمذهب أن من تصمم برواية الإمام أحمد على أن الزوجتين من الحور العين - ولم يستدل برواية البخاري عنه ١٤ ولا يصح من ذلك أن من جمع رحمه الله وهو القسارح والخير صحيح البخاري - حتى عاتبوا من من من نساء الدنيا في التوضيح الذي وردت فيه هذه الرواية ١١٢ على أنه رحمه الله له قول آخر - تقدم ذكره - لكنه لم يستدل به بهذه الرواية ١٥ ولعل سبب ذلك - والله تعالى أعلم - أن هذه الرواية ليست موجودة في النسخة التي يعتمد عليها المصنف في الفتح

(٣) انظر من ٢٥٠

وجهه عن الدار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل .)) إلى أن قال ((ثم يدخل بيته فيدخل عليه زوجته من الخور العين لقولان . الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك))^(١)

وأما شكايات أصحاب العرش الثاني بحديث * ((إن أقل ما كنى الجنة النساء)) وقولهم : يحمل أن الروي هذا حديث رواه البخاري الذي فهمه فخر بن عبد الله ، وليس لهم عليه مستند إلا ما يوهى من معارضة الحديث ((لكل امرئ منهم زوجتان)) وانحى أنه ليس بينهما معارضة لـ لأن الزوجين هاتين من الخور العين كما تقدم ، ثم إن الأحاديث الصحيحة لا ترد على هذا إلا حسناً والله أعلم

(١) أخرجه مسلم (١٥/٢) ح (١٨٨)

الباب الثالث : القدر ، ومسائل

متعلقة بالنبوة

وتحته فصلان :-

الفصل الأول : القدر

الفصل الثاني : مسائل متعلقة

بالنبوة

الفصل الأول : القدر

وفيه ستة مباحث :-

□ المبحث الأول : زيادة العمر بصلة الرحم .

□ المبحث الثاني : ما جاء في أن الشقي من شقي في بطن

أمه ، مع ورود ما يدل على أن كل

مولود يولد على الفطرة .

□ المبحث الثالث : ((والشر ليس إليك)) .

□ المبحث الرابع : حكم أولاد المشركين في الآخرة .

□ المبحث الخامس : ما جاء في (اللو) .

□ المبحث السادس : وقت كتابة المَلَك ما قُدِّرَ للعبد في

بطن أمه .

المبحث الأول : زيادة العمر بصفة الرحم

وفيه ثلاثة مطالب :-

- المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قديهم ظاهرها التعارض .
- المطلب الثاني . مداهب العلماء بنجاء هذا التعارض .
- المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يروى منها آثارها التمارض

أولاً - الأحاديث التي فيها أن الأجل مكتوب مقدر لا يريد ولا يقص :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو مضادق للصديق قد ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له : اكتب عمله ورفقه وأجله وشقي أو سعيد ، ثم يُنفخ فيه الروح)) ^(١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكاً يقول : يا رب نطقه ، يا رب علقه ، يا رب مضغة ، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال : ذكر أم أنثى ، شقي أم سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ فيكتب في بطن أمه)) ^(٢)

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : اللهم أنتعني بروحي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، قال : فقال النبي ﷺ : ((قد سألت الله لأجل مصروبة وأيام معدودة وأوراق مقسومة ، لن يجعل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله ، ولو كنت سألت الله أن يُعبدك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل)) ^(٣)

- وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه يبيع به النبي ﷺ قال : ((يدخل الملك على الطرفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول : يا رب أخفي أم سعيد ؟ فيكتيان ، فيقول : أي رب أذكر أو أنسى ؟ فيكتيان ، ويكتب عمله وأثره وأجله ورفقه ثم تطوى الصحف فلا يُزاد فيها ولا يقص)) ^(٤)

(١) متفق عليه البخاري - كتاب بدء الخلق باب ذكر طائفة (١١٧٤/٣) ج (٣ ٣٦)

ومسلم كتاب القبر ، باب كيفية الخلق الأدنى (٤٧٩/١٦) ج (٢٦٤٣) -

(٢) متفق عليه البخاري - كتاب المعجزات ، باب خلقه وعمره (١٢٩/١) ج (٣١٢)

ومسلم كتاب القبر ، باب كيفية الخلق الأدنى (٤٢٣/١٦) ج (٢٦٤٦)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القبر ، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا يريد ولا تقص (٤٥٢/١٦)

ج (٢٦٦٣)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القبر ، باب كيفية الخلق الأدنى (٤٣٠/١٦) ج (٢٦٤٤)

ثانياً الأحاديث التي فيها أن العمر يزيد بصلة الرحم .

عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه)) (١)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)) (٢) .

بيان وجه التعارض

أن في الأحاديث الأولى التصريح بأن الأجل مكتوب مقدّر لا يُراد فيه ولا يتقصّر ، وفي المقابل نجد في حديث مس وأنس رضي الله عنه التصريح بأن الأجل يُؤخّر وأن العمر يُراد بصلة الرحم ١٢

(١) معنى عليه البخاري كتاب البروع - باب من أحب البسط في الرزق (٢٢٨/٢) ح (١٩٦٦)

ومسلم : كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطعها (٢٥٠/١٦) ح (٢٥٥٧)

(٢) مسنده البخاري في كتاب الأدب - باب من يبسط له الرزق بصلة الرحم (٢٢٢٢/٥) ح (٥٦٣٩)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

م يتجاوز أهل العلم في هذه المسألة مذهب الجمع ، ولكهم احتلوا في طريقة الجمع على عدة أقول يمكن حصرها في مسلكين

المسلك الأول . أن العمر يزيد وينقص .

ومثالثون بهذا حموا الريادة في العمر نوارده في النصوص على الحقيقة .

وإن هذا ذهب عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وكعب وأبو رائل رضي الله عنهم ^(١) وجمع كثير من أهل العلم كالطحاوي وابن حزم ^(٢) وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز واهل حجر والشوكاني وغيرهم عليهم رحمة الله .

وقال هؤلاء ، أن الله تعالى قدر النسب بالنسب ، فقدر أن هذا يصل رحمه فيزيد عمره بهذا النسب ، ولو لم يصل رحمه لما زاد عمره . فهذا كانت صلة الرحمن سبب في زيادة العمر ، فمن علم الله ما صلة الرحمن زاد في عمره ومن علم منه خلاف ذلك نقص في عمره

وقال بعضهم إن الريادة والنفصان يكون في الصحف التي في أيدي الملائكة وذلك أن الله تعالى يكتب لعبده أجلاً في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب ، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب .

قالوا والمكتوب غير معلوم ، فما علمه الله تعالى من نهاية العمر لا يتغير ، وما كتبه قد يحى ويميت ، وعلى هذا يحمل قول عمر رضي الله عنه وغيره . « اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها ، وإن كنت كتب علي السب والشقوة فاعني وأثبتني في أهل السعادة وإنك تحو ما تشاء وتكتب وعندك أم الكتاب » ^(٣)

قال للطحاوي رحمه الله بعدما ذكر شيئاً من النصوص السابقة . « هذا مما لا اختلاف فيه إذ كان يحتمل أن يكون الله عز وجل إذ أراد أن يخلق السمة جعل أجلها إن برت كما

(١) فخر راسخ الطبري ١٧ ١٠١ . إرماد دوي قمراني ما للعمر من الريادة المقتضات قمراني بن يوسف (٥٤)

(٢) فخر القس في الفتن والأموال والصل (١١٤/٢)

(٣) أسرجه ابن جرير الطبري في القس (٤٠١/٣)

وكذا وإن لم ير كذا وكذا لما هو دون ذلك .. ويكون ذلك مما بُيِّنَ في الصحيفة التي لا يُراد عنى ما فيها ولا ينقص منه « (١)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله « وحسب تحقق أن الله يكتب لعبد أجلاً في صحف الملائكة ، فإن وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب ، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب . والله سبحانه عام بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، فهو يعلم ما كتبه له وما يريد زيادة بعد ذلك ، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله ، والله يعلم لأشياء بين كونها وبعد كونها ، ولهذا حال العلماء إن الحور والإنسان في صحف الملائكة ، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالماً به فلا محو فيه ولا إثبات » (٢)

وقد أيضاً « والأجل أحالات » (أجل مطلق) يعلمه الله ، (وأجل مقيد) وبهذا يبين معنى قوله ﷺ (من سره أن يسقط له في رزقه ويسأله في أثره فليصل رحمه) فإن الله أمر ذلك أن يكتب له أجلاً وقال . إن وصل رحمه رده كذا وكذا ، ولذلك لا يعلم أريد أم لا . لكن الله يعلم ما يستقر عنه لأمر ، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر « (٣)

وقال ابن أبي عمير تعليقاً على كون صفة الرحم تزيد في العمر « أي : هي سبب طول العمر ، وقد نذر الله أن هذا يصل رحمه ، فيعيش بهذا السبب إلى هذه العاية ، ولو لا ذلك السبب لم يصل إلى هذه العاية ، ولكن قدر هذا السبب وقصاه ، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا » .

وقال ابن حجر رحمه الله « والحق . أن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل ، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للبشر من عمل العامل ، ولا يعد أن يتعلق ذلك بما في علمه ، ومعلوم كل شيء بالآدمي دفعه فيه الحور والإثبات كالزيادة في العمر والنقص وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات ، والعلم عند الله » (٤) .

(١) مشكل الآثار (١١٨/٤)

(٢) مجموع فتاوى (٤٩ / ١٤ ، ٤٩١ ، ٤٩٢)

(٣) أي يعلمه الله وحده

(٤) مجموع فتاوى (٥١٧، ٥١٨) وانظر (٥٤٠/٨)

(٥) شرح المفيدة الطحاوية (١٢٩) وانظر (١٣١)

(٦) فتح الباري (٤٨٨/١١) وانظر (٤٨٩/١١) (٤٩٠/١١)

وقد الشوكاني رحمه الله « وهكذا يكون لجميع بين الأحاديث الواردة لسبق القضاء ، وأنه مرغ من تعدي لأجل الطرق والسعادة والشقاوة ، وبين الأحاديث الواردة في صلة الرحم بأنها تزيد في العمر ، وكذلك سائر أعمال الخير ، وكذلك الدعاء ، فنحمل أحاديث الفرد من القضاء على عدم تنسب العبد بأسباب الخير والشر ، ونحمل الأحاديث الأخرى على أنه قد وقع من العبد التسبب بأسباب الخير من الدعاء والعمل الصالح وصلة الرحم ، أو التسبب بأسباب الشر »^(١)

وقال أيضاً « صور إن الله سبحانه قد علم في سابق علمه أن فلاناً يطول عمره إذا وصل رحمه وأن فلاناً تحصل له من الخير كذا أو يقع عنه من الشر كذا إذا دعا ربه ، وأن هذه المسببات موزنة على حصول أسبابها وهذه اندشروطات مقيدة بحصول شروطها »^(٢) . واستدل أصحاب هذا المسلك بما يلي

١- قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَمَلٍ كِتَابٌ ۖ يَتِمُّوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ بِهِ أَهْلَهُ وَأَمَّ الْعَكْثِ ﴾^(٣) حيث حمى الآية على العموم مقلوا . إنها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر هذا النقط^(٤) . وقيل « إن رد ما هو والإتيان بها بما هو في الصحف التي في أيدي الملائكة وقوله تعالى ﴿ وَبِئْسَ أَهْلُ الْعَكْثِ ﴾^(٥) المراد به النوح المخطوط كما يدل عليه سياق الآية وهو قوله . ﴿ لِكُلِّ أَمَلٍ كِتَابٌ ﴾ ثم قال ﴿ يَتِمُّوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ ﴾ أي من ذلك الكتاب ﴿ وَبِئْسَ أَهْلُ الْعَكْثِ ﴾ أي أصله ، وهو النوح المخطوط »^(٦) .

قال السعدي رحمه الله « ﴿ يَتِمُّوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ من الأمدار ﴿ وَيُنَبِّتُ ﴾ ما يشاء منها وهذا نحو والتعبير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلعه ، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك كان على الله أن يقع في عهده نفس أو حلال ، ﴿ وَبِئْسَ أَهْلُ الْعَكْثِ ﴾ أي :

(١) شبه الأصل على ما ورد في زيادة العمر ونقصاله من الدلائل (٢٩)

(٢) طر جمع السابق (٤) . انظر أيضاً : مذهب الإمام الشوكاني في العقيدة (٢٢٢) وما يتعلق لك كسور عبد الله بن مسعود

(٣) سورة الرعد آية (٢٨ ، ٢٩)

(٤) انظر إلى ساد مولي الطبراني (٥٥) شبه لأصناف نسو كاني (٢٠) تفسير القرطبي (٣٢٩ ، ١٩) تفسير الطبراني

(١٠٠٧) وفيه ذكر الطبراني رحمه الله خمسة أمثال في معنى الآية زيادة على هذا القول

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١٢٦)

الروح المحفوظ ^(١) الذي يرجع إليه سائر الأشياء فهو أصلها وهي مروع وشعب ، فالتعويض والتبديل يقع في المروع والشعب كأعمال اليوم والليلة التي تكسبها الملائكة ، ويحصل الله ثلوثها أسباباً ، ومخزونها أسباباً ، لا تعدى ثلث الأسباب مرسوم في اللوح المحفوظ ، كما جعل الله البر والفصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق ، وكما جعل للمعاصي سبباً في بركة الرزق والعمر

وهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته ، وما يديره معها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ » ^(٢)

٢- قوله تعالى ﴿ وَمَا نَعْمَرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا نُفْقِرُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِكُتُبٍ ﴾ ^(٣)

أي لا يظنون عمر إنسان ولا ينقص إلا وهو في كتاب أي في اللوح المحفوظ ^(٤)

واستشهدوا على ذلك بما رواه سعيد بن المسيب قال : « لما طعن عمر بن الخطاب قال كتب لو دعا الله عمر لأعمر في أجله ، فقال الناس : سبحان الله ؟! أليس قد قال الله ﴿ فَإِنِ أَتَيْنَا بِكُم بَرْقًا وَآتَيْنَاكُمْ مَاءً ثَمَرًا فَلَا نَمَسُّ مِنْ ثَمَرِهِ إِلَّا بِأَرْحَامٍ عَلَيْكُمْ ذَلِكُمْ بِمَا جَعَلْتُمْ سَعْيَكُمْ يَشْهَدُ ﴾ ^(٥) قل كتب : وقد قال :

﴿ وَمَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرٍ إِلَّا بِكُتُبٍ ﴾ ، قال الزهري - الرزوي عن سعيد فرى أنه إذا حصر أحبه فلا يؤخر ساعه ولا يقدم ، وما لم يحصر أحبه فإن الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء ، وليس من أحد إلا وله عمر مكتوب » ^(٦)

٣- قوله ﴿ مَنْ مَرُّهُ أَنْ يَسْطُلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُسَأَلَ لَهُ فِي أَنْتَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَةً ﴾ ^(٧) .

٤- قوله ﴿ فِي حَبِثِ ثَوْبَانِ ﴾ ((لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء ،

(١) ذكر الطبري رحمه الله في تفسيره (٤٠٥ - ٤٠٦/٢) أربعة أقوال في المراد بأم الكتاب هنا

(٢) تفسير السعدي (١١٦/٤)

(٣) سورة طه آية (٦١)

(٤) انظر إرشاد ذوي النور (٥٦) ، فيه الأفاضل (٢٠)

كتبه هو ما في اللوح المحفوظ يقع فيه الخلق والإنسان ثم لا ياتي هذا الصنف أصحاب هذا المسلك على توريث ولدي عنه الأكثر أنه لا يقع فيه الخلق والإنسان ثم يوصى الطبري (٤٠٧/٤) مع الباري (٤١٦/١) إرشاد ذوي النور (٥٦) ، فيه الأفاضل (٢٠) تفسير السعدي (١١٦/٤ - ١١٧)

(٥) سورة الأعراف آية (٣٤)

(٦) أخرجه الشرياني في كتاب القدر (٢٤٧) ح (٤٤٢)

(٧) تصدق عزيمته عن (٣٦٠)

وإن الرجل ليجرم الرق بالنسب يُصيبه))^(١)

٥ - وقال شيخ الإسلام بن سبويه بعد أن رجح هذا المسلك : « ونظر هذا ما في الترمذي وعمره عن النبي ﷺ ((أن آدم لما طلب من الله أن يربه صورة الأنبياء من ذريته فأراهم إياهم ، فرأى فيهم رجلاً له بصيص^(٢))) ، فقال : من هذا يا رب ؟ فقال : ابنك داود ، قال فكتم عمره ٧ قل زرعون سنة ، قال : وكم عمري ؟ قال : ألف سنة ، قال : فقد وهبت له من عمري مئتين سنة ، فكتب عليه كتاب ، وشهدت عليه الملائكة ، فلما حضرته الوفاة قال : قد بقي من عمري مئتان سنة ، قالوا : وهبتها لابنك داود ، فأكر ذلك ، فأخرجوا الكتاب ، قال النبي ﷺ ، فبقي آدم فمسيّت ذريته وجحد آدم ليجحد ذريته))^(٣) وروى أنه كمل لأدم عمره ولداود عمره^(٤)

هذه داود كان عمره مكتوب أربعين سنة ثم جعله مئتين^(٥) ، وهذه معنى ما روي عن عمره قال : اللهم إن كتب كتبتني شقيفاً فاعني واكتبني سعيداً فإنيك تحو ما نشاء وكتب^(٦) »^(٧)

وأجاب أصحاب هذا المسلك عن الآيات الفاصية بأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر كقوله تعالى ﴿ فَإِنِ أَتَيْنَا بِهَاجَةٍ لَّا يَسْتَأْذِنُوا سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ ﴾^(٨) وقوله عز وجل : ﴿ وَلَئِن يَخِرُّهُ أَفْقًا نَّفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾^(٩) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ إِذَا نُزِرَ ﴾^(١٠) ، أجابوا

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٣٢/٢) ح (٢٢) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٧٢/٦) ح (٢١٨٨١) ، وأبو داود في مسنده (٦٠) ح (١٠١٤) ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه عنه الذهبي وفي حديث في صحيحه (٥٣٢/٣) ح (٨٧١) والطحاوي في مشكل الآثار (١١٧/٤) ح (٣٣٤) ، والبيهقي في شرح السنة (٦/١٢) ، وراعي السنة الأحاديث الصحيحة (٢٣٦/١) ح (١٥٤) ، وصحيح ابن ماجه (٣١٧/٣) ح (٣٢٦٤)

(٢) أي برهةً وبعثاً نظر الفهية لابي الأثير (١٣٢/١) سنن الطبري (٦٢) مدة (بصيص)

(٣) أخرجه الترمذي في حديث أبي هريرة (غرة ٤٥٧/٨) ح (٢٢) ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في مسنده (٣٥٥/٢) ح (٣٢٥٧) ، قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وأخرجه الترمذي في كتاب

القدر (٤٠ - ٤١) ح (١٦ - ١٧)

(٤) انظر كتاب التفسير للقرطبي (٣٢) ح (٤)

(٥) هكذا في مصوغ القاري ، ولعل مراده رحمه الله أنه مئتين سنة والله أعلم

(٦) تقدم غريبه في (٣٦١)

(٧) مصوغ القاري (٤٩١/١٤)

(٨) سورة فصل آية ٦٠

(٩) سورة الشورى آية ٦

من هذه الآيات وما في معناها : بأنها مختصة بالأجل إذ حصر فإنه لا يتقدم ولا يتأخر عنه حصوره

قالوا . ويؤيد هذا أنها حاصلة مقبلة بذلك كما في الآيات السابعة فإنه تعالى قال ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا آبَاءَهُمْ ﴾ ﴿ إِنَّا لَنَلَّاهُم بَدَنَهُمْ ﴾ .

وعنى هذا يمكن الجمع بحمل هذه الآيات على هذه المعنى . فإذا حصر الأجل لم يتقدم ولم يتأخر ، وفي غير هذه الحالة يجوز أن يؤخره الله بالدعاء أو يوصله الرحم أو يعمل الخير ، ويجوز أن يقدمه لمن عمل شراً أو قطع ما أمر الله به أن يوصل وانتهاك محارم الله سبحانه ^(١) - وأما قوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْرَأَهَا ﴾ وكذلك الأحاديث التي فيها أنه فرع من تقدير لأجل والمرزوق والسعادة والشقاوة فأجابوا عنها بأنها متعلقة على عدم سبب العبد بأسباب الخير والشر فإنه إذ لم يتسبب بأسباب الخير أو الشر فإنه يقع عليه الأجل المقدر كما في حديث ابن مسعود وغيره .
وأما إذ سبب العبد بأسباب الخير كصلة الرحم وغيرها فإنه قد يراد في عمره كما في حديث أنس وغيره ^(٢)

المسألة الثانية أن العمر لا يريد ولا ينقص

والقائلون بهذه جهة جمهور المبرزين في العمر الواردة في النصوص على المختار وإلى هذا ذهب جمهور العلماء كما نقل ذلك الإمام مرعي بن يوسف ^(٣) والشوكاني ^(٤) عليهما رحمة الله وحكي ابن عطية في تفسيره أنه مذهب أهل السنة ^(٥) واستدل هؤلاء بما يلي

١- عموم الآيات التي فيها أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ومن ذلك قوله تعالى .

(١) سورة النور (١١٤)

(٢) انظر نبيه الأنصاري للشوكاني (٢٧)

(٣) سورة الحديد (٢٢)

(٤) انظر نبيه الأنصاري للشوكاني (٢٨ ، ٢٩)

(٥) انظر إرشاد ذوي العرفان (٥٤)

(٦) انظر نبيه الأنصاري (١٢)

(٧) انظر المحرر الفاسي (٣٩٦/٢) مع ملاحظة أن ابن عطية أشعري العقيدة

﴿ لَمَّا دُلِّيَتْ إِلَىٰ قَبْرِهَا رَوَّاهُ عَنْهَا وَلَهَا غُدُقَةٌ يُسْقَىٰ مِنْهَا كَأَنَّهَا غَدَقَةٌ ﴾ ^(١) وقوله عز وجل .

﴿ إِنِّي أَجَلُ اللَّهِ بِذِكْرٍ لَا يُؤْخَرُ ﴾ ^(٢) وقوله تعالى ﴿ وَكَذَرِ يُوحْيِي اللَّهُ نَفْسًا إِذْ جَاءَ أَجَلَهَا ﴾ ^(٣)

٢ قوله تعالى ﴿ مَا أَتَانِي مِنْ شَيْءٍ مِمَّنْ أَلْزَمَ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كَثِيرٍ مِنْ قَلِيلٍ أَنْبَأَهَا ﴾ ^(٤)

٣- الأحاديث التي فيها به قدر فرغ من تقدير الأجل والرزق والسعادة والشفاعة ، ومن ذلك

حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه ((ثم بعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له :

اكتب عمه ورثه وأخيه وشفي أو سعيد)) ^(٥)

حديث ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً - أن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : اللهم متعي بروحني

رسول الله ﷺ وبأخي سميان وبأخي معاوية ، فقال النبي ﷺ . ((قد سألت الله لأجل

مضروبة وأيام معدودة وأوراق مقسومة ، لن يجعل شيئاً قبل جله أو يؤخر شيئاً عن

جله)) ^(٦)

ودكر أصحاب هذا المسلك عدة تأويلات للزيادة في العمر الواردة في النصوص ، ومن

هذه التأويلات ما يلي :

١- أن زياده الأجل يكون بالتركة فيه وبوصي صاحبه لعمل الخير وبلوغ الأعراس ، فيقال

في قصير العمر ما سأل عنه في طويله ^(٧) ، وإلى هذا ذهب النووي ^(٨) ، ويستظهره

الطبري ^(٩) .

٢- أن مراد بالتأخير في الأجل أن يبقى بعده ثناء جميل وذكر حميد وأجرٌ مكرر فكأنه لم

يحب ، حكى هذا المصنف عياض ^(١٠) وذهب إليه القرطبي ^(١١)

(١) سورة النحل آية (٦١)

(٢) سورة طه آية (٦)

(٣) سورة النحل آية (٦١)

(٤) سورة النحل آية (٦٢)

(٥) مسلم عمريه ص (٢٥٩)

(٦) تكملة عمريه ص (٢٥٩)

(٧) تكملة المشكل لأبي الفروي (١٨٧/٣)

(٨) تكملة مشتمل بشرح الفروي (٢٤٩/١٦)

(٩) تكملة فتح القاري (٤١١/١٠)

(١٠) تكملة إكمال المعلم (٢٩/٨) و مسلم بشرح الفتوي (٣٥٠/١٦) .

(١١) تكملة تكملة (٥٢٨/٦)

٣ أن المراد بالزيادة هنا النعمة في الرزق وعافيته البدن فإن المعنى يُسمى حبةً والعشر يُسمى مونةً . ذكره ابن قتيبة ^(١)

٤ أن المراد بالزيادة . هي الآثاب عن صاحب الزرع والصلوة والزيادة في فهمه وعقله . وبهذا حرم ابن حوزة ^(٢)

٥ أن المعنى أن الله تعالى يكتب أجل عبده عبده مائة سنة ، ويجعل بيته وتركيبه وهيبته لتعظيم ثماره . فإذا وصل رحمه ردد الله تعالى في ذلك التركيب وفي تلك البيعة ووصل ذلك القصد ، فعلى عشرين أخرى حتى يبلغ المائة ، وهي الأجل الذي لا مُستأخر عنه ولا متقدم ، ذكره ابن قتيبة ^(٣)

وأجاب أصحاب هذا السلك عن قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُكَيِّدُ﴾ بعدم حملها على العموم ، وذكره عدة محصيات للآية كقولهم . إن المعنى . ينحو ما يشاء من الشرائع والعرائص والأحكام فيسخره ويبدله ويثبت ما يشاء فلا يسخره ، وحيلة الناسج والمسحوق عنده في أم الكتاب ^(٤)

كما أجابوا عن قوله تعالى ﴿وَمَا يَمْشُرُ مِنْ فَخْرٍ وَلَا يَمَسُّ مِنْ خَمَرٍ إِلَّا فِي كَنْثٍ﴾ بأن المراد بالنعم من الفخائل العمر والرزق بالنقص قصير العمر والمعنى . كل من طُلِعَ عمره أو نقص فهو مكتوب في الكتاب ^(٥)

(١) قطر تاريخ خلف المشيب (١٨٩) كشف الشكوك (١٨٥/٣) إرشاد ذوي العرف (٦٥)

(٢) قطر مع لمري (٤١٦/١) إرشاد ذوي العرف (٦٥) مشكل الطهيت لابي هورك (٣٢٦)

(٣) قطر تاريخ خلف المشيب (١٨٩) كشف الشكوك (١٨٦/٣) إرشاد ذوي العرف (٦٦)

(٤) انظر تفسير الطبري (٤٠٢٧) شرح المصنف الطحاوي (١٣٢) إرشاد ذوي العرف (٦٢٠٦٠)

نبيه الأمان (٣) انظر بقية المحصيات التي عصبوا بها الآية في تفسير الطبري (٣٩٩/١) إرشاد

ذوي العرف (٦٢) نبيه الأمان (١٤)

(٥) سفر إرشاد ذوي العرف (٦٣) نبيه الأمان (١٧)

المطلب الثالث

التوجيه

الذي يظهر والله على أعم - هو القول بأن صلة الرحم سبب في زيادة العمر ، والله تعالى قدر السبب واستب من علم الله أنه متصل حقه راد في أجله ومن علم منه خلاف ذلك نقص في أجله

ومثل هذا ما علمه الله تعالى من أن فلاناً من الناس يعيش بهذه الصحة وهذه العافية ، ويتنفس بهذا الهواء ويسم من الآفات الناقصة مدة معلومة ، فإن هذه أسباب علمها الله وقدرها لأبد منها حتى يصل إلى هذه المدة المعينة والأسباب والمسببات كلها عند ميق علم الله عز وجل بها (١) .

وعلم الله تعالى لا يُبدل ولا يتغير - كما صرح بذلك حتى أصحاب المسالك الأول - قال ابن حزم « علم الله عز وجل لا يغير .. ولكن معلوماته تتغير ، ولم يقل إن علمه يتغير ومعاد الله من هذا ، ولم ير علمه تعالى واحداً يعلم كل شيء على بصيرة في جميع حالاته ، فلم ير يعلم أن ريداً سيكون صغيراً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم مائاً ثم مبعوثاً ثم في الجنة أو في النار . ولم ير يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر أو أنه يكفر ثم يؤمن . » (٢) وقال الشوكاني « إن الله تعالى كتب علم أن العبد يكون له في العمر كذا ، ومن الرزق كذا ، وهو من أهل السعادة والشقاوة ، قد علم أنه إذا وصل رحمه زاد له في الأجل كذا ، وبسط له من الرزق كذا وصار في أهل السعادة بعد أن كان في أهل الشقاوة ، أو صار في أهل المشاوة بعد أن كان في أهل السعادة . وهكذا قد علم ما ينقصه للعبد ، كما علم أنه إذا دعاه وسمعت به وانحأ إليه صرف عنه الشر ودفع عنه المكروه ، وليس في ذلك خلف ولا مخالفة لنسج العلم ، بل فيه بعيد المسببات بأسبابها كما قدر الشرح والرؤي بالأكمل والشرب وقدر الوعد بالوعد وقدر حصول الرزق بالبر ، فهل يقول عاقل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق أو يُنافيه بوجه من الوجوه ؟ » (٣)

(١) انظر الفصل في المال والأهواء والتعلل لابن حزم (١١٤/٢)

(٢) تاريخ السابق (٣٥٦/٢)

(٣) تنبيه الأفاضل (٣٦)

زيادة العمر بعصه الرحم أمر مفروغ منه قد سبق به علم الله تعالى ، وإذا كان ذلك كذلك
 فهو في هذا القول مخالفة لمصنوع أبي بها أن الأجل قد فرغ من تقديره ، لأننا نقول ، إن
 لأجل قد فرغ من تقديره بهذه الزيادة وذلك النقص ، لأن الزيادة والنقص مقدران أيضاً ،
 كما أن الصحة والعلانية وكونهما من أسباب بلوغه هذه العاية من العمر مقدران أيضاً
 وعلي هذا دلائل حاشية لعمى الزيادة والنقصان ، والله تعالى أعلم .

وهذا القول لعله لا يخالف فيه حتى أصحاب المسلك الثاني لأنهم إنما نصروا الزيادة
 والنقصان لتوهمهم أن القول بذلك يعارض المصنوع المقاصية بكتابة الأجل والمراغ منه ،
 ولكنه بهذه القول وهذا التبرير يروى هذا التوهم .

ولذلك قال الإمام مرغى بن يوسف بعد ذكره لهذا القول « وبعده مراد كل من تفرع
 والخلاف بينهما يعطى به لا يسع من أنه أدنى تأمل أن يخالف في أن علم الله تعالى لا يتغير ولا
 يتبدل » (١) .

ومن صرح بأن الخلاف يعطى لمخالف ابن حجر رحمه الله حيث قال « وأحق أن السراج
 يعطى وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل » (٢)

ولما التزمنا بآيات التي تؤيد بها أصحاب المسلك الثاني الزيادة في العمر - كتقوهم - إن
 المراد بالزيادة البركة في العمر ، أو عوهم . إن المراد الصحة في الشروق ، أو هي الآفات عن
 صاحب خبر ، والزيادة في فهمه وعقله ، وغير ذلك - فأوليات صعبة مرجوحه لأن هذه
 الأشياء مقدره أيضاً قد فرغ من تقديرها في الأزل ، وعلي هذا فهم لم يخلصوا عما عروا
 منه (٣) .

وأما ما أحسنوا به عن قوله تعالى ﴿لَا يَمُوتُ وَاللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُخَيَّرُ﴾ وذلك بتخصيصها وعدم
 حملها على العموم . فقد رآه أصحاب المسلك الأول لعدم وجود الدليل على التخصيص .
 قال الشوكاني بعد ذكره للتخصيص الذي خصصوه به الآية - والذي تقدم ذكره (٤) -
 هل « ولا يمكن أن هذا يخص بعض العموم الآية لغير محض ، وأيضاً يقال هم : إن العلم قد

(١) إرشاد ذوي العرفان (٦٩ ، ٧٠)

(٢) فتح الباري (٤٨٨/١١)

(٣) التكملة لموسى القاسمي (١٤ ، ١٩) إرشاد ذوي العرفان (٦٥)

(٤) مصر من (٣٦٨)

مجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة كما في الأحاديث الصحيحة ، ومن جملة ذلك في الشرائع والصرائع . وهو مثل العمر به جدر فيها نفو والإتيان جاز في العمر نفو والإتيان ^(١) وقال أيضاً بعد ذكره لجملة من الشخصيات التي خصصوا بها الآية « وكل هذه الأقوال دعاوى مجردة ، ولا شك أن آية نفو والإتيان عامة لكل ما يشاؤه الله سبحانه ، فلا يجوز تخصيصها إلا بخصيص ، وإلا كان من التعمون على الله بما لم يقل » ^(٢) وفان أبو عبد الله المرحي « من هذا لا يترك بالرأي والاجتهاد ، وإنما يؤخذ توجيهاً ، فإن صح فالقول به يجب ويعرف عنده ، وإلا فيكون الآية عامة في جميع الأشياء وهو الأطهر والله أعلم » ^(٣)

وأما ما أحاط به من موه تعالى ﴿ وَمَا يَعْزَرُ مِنْ عَمَلٍ وَلَا يُقْصِرُ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ بأن المراد بالمعز من عمل العمر والمراد بالتقصير قصر العمر ، فقد رآه الشوكاني فقال « في هذا نظر لأن القصير في قوله ﴿ وَلَا يُقْصِرُ مِنْ عَمَلٍ ﴾ يعود إلى قوله ﴿ مِنْ عَمَلٍ ﴾ وللمعنى على هذا وما يعمر من معمر ولا يعمر من عمر ذلك للمعمر لا في كتاب ، هذا ظاهر النظم القرآني ، وأما التوهم فلا كور عفاً به على إرجاع القصير المذكور إلى غير ما هو المرجح في الآية ، وذلك لا وجود له في النظم » ^(٤) .

إشكال وجوابه .

قد يستشكل بعض الناس صرف البي ﴿ لَا م حَبِيبَةٍ ﴾ من الدعاء بطول الأجل وحسنه لما على تعود من عذاب القبر مع أن كلاهما مفتر ١؟ والجواب عن هذا الإشكال هو أنه لا شك أن الجمع مفروق منه مفتر . لكن الدعاء بالصلاة من عذاب النار من عذاب القبر ونحوهما عبادة والعبادة قال فيها ﴿ لَا م حَبِيبَةٍ ﴾ . أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة ^(٥) .

(١) نبيه الأحاسين (١٣) وقدر إرجاع ذوي العرفان (٦٢)

(٢) نبيه الأحاسين (١٦) وقدر إرجاع ذوي العرفان (٦٣)

(٣) تفسير القرطبي (٣٢٩/٩)

(٤) نبيه الأحاسين (١٧)

(٥) مثل عليه من حديث علي بن أبي طالب البغدادي (٤٥٨/١) ح (٢٩٦) وسهم والفتاوى (١٣٤/١٦)

وليس معنى كونه عبادة أنه لا تأثير للدعاء وإنما هو مجرد عبادة محضة يُستجاب عليها الداعي فقط . بل المقصود أن الدعاء بالحقبة من الخير ونحوه عبادة مشروعة ولذلك فإن له تأثيراً في حصول المطلوب لأن الله تعالى جعله سبباً في حصول المطلوب . والله تعالى تعالى عثر السبب وفتر السبب ، وفتر أن السبب لا يحصل بدون السبب كما في الحديث السابق فإنه ﷺ أمر بالعمل مع الله الشفاعة والسعادة قد فترها وذلك لأهمهم فترتها بالسبب والذي هو العمل ، وكما أن الله تعالى قدر المنع والفري بالأكل والشرب وفتر الولد بطوطاً وقد حصل الرزق بالخير ، قدر أيضاً حصول المطلوب بالدعاء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . « إن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي يُسال بها معبره ورحمته وهذه ونصره وورقه ، وإن قدر للعبد حيراً بماه بالدعاء ثم يحصل بدون الدعاء ، وما قدره الله وعينه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق للتأثير إلى المطلوب ، فليس في هذا والآخرة شيء إلا بسبب ، والله تعالى الأسباب والمسببات » (١) .
وما الدعاء بطول لأجل فليس عبادة وبذلك فإنه لا يشرع لأنه من النجس في الدعاء ، وقد أثر عن الإمام أحمد أنه كان يكره أن يُدعى له بطول الأجل ويقول « هذا أمر قد مرع منه »

وبما يؤيد هذا الخوف أن الدعاء بطول العمر إذا تضمن المنع الأخروي فإنه مشروع كما جاء ذلك عن النبي ﷺ في حديث عمار بن ياسر أنه كان يدعو بهذا الدعاء . ((اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق . حيي ما علمت بالحياة خيراً لي وتوفي إذا علمت الوفاة خيراً لي .)) (٢) .

وحاصله هذا الجواب أنه ﷺ صرف أم حية عن الدعاء بطول الأجل لأنه دعاء غير مشروع وأرشدنا ﷺ إلى التعود من عذاب نقير لأنه دعاء مشروع سافع مؤثر ، والله تعالى أعلم

ح (٢٦١٢)

(١) مجموع الفتاوى (٦٩/٨ - ٧)

(٢) لترجمته في (٦٢٣) ح (١٣٠٤) والترجم (٧٠٥/١) وقال هذه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه ورقاته البخاري ، وصححه الألباني في صحيح مسند في (٢٨٠/١) ح (١٢٣٧)

(٣) انظر مسند بسرح النووي (٤٥٤/١٦) لمسلم على القسوى (١٣٧/١) قداه والدواء لاس قسم (٣٧) شرح العقيدة الفخرية (١٢٩) منهم (٦٨٩/٦)

**المبحث الثاني : ما جاء في أن الشقي من شقي في
بطن أمه مع ورود ما يدل على أن كل مولود يولد
على الفطرة .**

وفيه مطلبان :

○ المطلب الأول . ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .

○ المطلب الثاني : مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض .

المطلب الأول

ذكر الأماديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

جاءت الأحاديث في عهد آل الإمام قد كتبت عليه الشقوة أو السعادة قبل أن يولد ومن هذه الأحاديث ما يلي

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال حدثني رسول الله ﷺ وهو الصادق المصنوق قال ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً لم يكن علقه مثل ذلك ، لم يكون مصغه مثل ذلك ، ثم يعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له . اكتب عمله وورقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح)) ^(١)

- وعنه رضي الله عنه قال ((نشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره)) ^(٢)
- حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ((إن الله - عز وجل - وكل بالرحم ملكاً يقول: يارب قطعة ، يارب علقة ، يارب مصغة ، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال : أذكر أم أنسى ، شقي أم سعيد)) ^(٣)

- حدثت حديفة بن أسيد رضي الله عنه يفتح به النبي ﷺ أنه قال : ((يدخل الملك على الطعة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول : يارب أسقي أم سعيد ، فيكتبان -)) ^(٤)

- حدثت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((ما من أحد ، ما من نفس مفقومة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة)) ^(٥)
- حديث أبي بصير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((إن العلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرحق أبوه طغياناً وكفراً)) ^(٦)

(١) تقدم بحريته من (٣٥٩)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الأدمي (٤٣١/١٦) ح (٢٦٤٥)

(٣) تقدم بحريته من (٣٥٩)

(٤) تقدم بحريته من (٣٥٩)

(٥) معق عليه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب موعظة المحدث عبد القدر (١٥٨/١) ح (١٢٩٦)

ومسلم كتاب القدر ، باب كيفية خلق الأدمي (٤٣٤/١٦) ح (٢٦٤٧)

(٦) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤٥٠/١٦) ح (٢٦٦١)

هذه الأحاديث كما أسفها - بعد أن انشققت والسعادة قد كُتبتا قبل أن يفرح المولود من بطن أمه .

ولكن جاء في الأحاديث أيضاً ما يفيد أن كل مولود يولد على الفطرة وهي الإسلام على القول الراجح كما سيأتي ، ومن هذه الأحاديث :-

حدث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فإبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنج البهيمة بهيمة جمعاء ^(١) ، هل تحصون فيها من جمعاء ^(٢)) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿ فَعَطَّرَ اللَّهُ أَلْفَ نَفْسٍ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ لَا يَخْلُقُ أَقَرَّ فِي رُؤُوسِهِ مُسْلِمٌ ﴾ (ما من مولود يولد إلا وهو على الفطرة)

وفي رواية له أيضاً (ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه)

بيان وجه التعارض

على القول بأن المراد بالفطرة في الحديث الإسلام ^(٣) والذي هو القول الراجح

(١) أي جمعاء من الجرب ، جمعاء الأضياء كأنها فلا جدع بها ولا كي . انظر لفظه في حديث (٢٩٦١)

(٢) لسان العرب ، ٥٩/٨ (مادة جمع

(٣) جدع قطع الأنف والأذن والشفة وغير الأنف أصغر ولد ، تنطق غلب عليه ، وجمعاء مقطوعة الأظرف أو واستعفا النهاية (٢٤٦١) سائر العرب (٤١/٨) مادة (جدع)

(٤) سورة الروم آية ٣٠ ،

(٥) متفق عليه البخاري كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم لمسلم صلات (٤٥٦/١) ح (١٢٩٢)

ومسلم كتاب القدر ، باب متى كل مولود يولد على الفطرة (٤٤٦/١٦) ح (٢٦٥٨)

(٥) وهناك أقوال كثيرة في المراد بالفطرة أوسع من ذكرها من عبد الله رحمه الله في تشبيه وإليك بعض هذه الأقوال القول الأول أن المراد بالفطرة الإسلام كما تقدم

القول الثاني أن المراد بالفطرة الخلقية التي خلق عليها الإنسان من الفطرة مرة فكتابه قد كل مولود يولد على فطرة يعرف بها ربه ، إذ يقع مبلغ الفطرة بريد خلقه خاتمة خلقه البهائم التي لا نسل لها إلى سيرة ذات

القول الثالث أن معنى الفطرة الفطرة التي ابتليكم عليها ، أي هي ما صغر الله عليه خلقه ، من أنهم يتبعون لهيبه ونحوه والسعادة والسوء إلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من مذهبهم عن آبائهم وانفسهم ، وذلك ما يطرأهم الله عليه بما لا بد من مصروفهم إليه

القول الرابع أن معنى الفطرة أن الله قد طهرهم عن الإلحاد والخرقة وعن الكفر ، لا أن جعله من حرية آدم ابتليهم حين خلقهم فقال ﴿ لَسْتُ بِكُمُ يَوْمَ تَقُولُوا هَيْهَاتَ بِأَنْفِى ، فَأَمَّا لَعَلَّ السَّعَادَةَ فَقَالُوا هَيْ طَوْعاً مِنْ غُلُوبِهِمْ وَإِنَّا لَعَلَّ السَّعَادَةَ صَادِقٌ بِمِ كَرِهَ لَا طَرِيقاً

والمعروف عند عامة السلف^(١) ، وإليه ذهب أبو هريرة رضي الله عنه والزهري^(٢) والإمام أحمد^(٣) في إحدى الروايتين عنه والبخاري^(٤) والنعوي^(٥) والقزويني^(٦) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٧) وابن القيم^(٨) وابن كثير^(٩) وغيرهم عليهم رحمة الله ، واستدلوا على ذلك بما يلي :

١- تفسير أبي هريرة رضي الله عنه حيث عسر العطرة الواردة في الحديث بالإسلام كما يدل عليه استشهاده بالأية فقال : اقرأ : **إِنْ شِئْتُمْ - ﴿يَطْرُقُ النَّفْسُ الَّتِي نَفَسَ ظَهَرَ الْأَنَامَ عَلَيْهَا﴾** .

القول حاسم من أنه لا تطرفة ما بعده الله من ذرية آدم من الذئب قبل أن يخرجوا من الجنة يوم استخراج ذرية آدم من ظهره فطرحهم **﴿الْبَاسُ رَبُّكُمْ قَاتِلٌ﴾** قاتلوا جميعاً له بالرؤية عن معرفة منهم به ، ثم أخرجهم من صلاب آياتهم علوم من مطر غير على تلك المعرفة وندت بالقرآن . وهذا القول لا يختلف كثيراً عن القول بأن المراد به الإسلام

القول السابق أن المراد بالطرفة هي ما يُعذب الله طوب الخلق إليه مما يريد ويشاء ، فقد يتكرر العبد ثم يؤمن بموت مؤمناً . وقد بينت المنكس ، وذلك كله تفسير الله وطرفة لهم

انظر هذه الأمثلة واستشهد . نسخة لاس عبد الحم ٦٨١/٨ ٩٥ ذرة الفعاري (٣٦٦/٨) وما بعدها ، شعاع الطيل ٢٩٦/٢ ، وما بعدها . شرح الشرح (٦٢٥/٧ ٢٢٩) فتح الباري (٢٤٨/٣ - ٢٤٩) صفة المعرفة بله كنز أحمد بن سعد الحسان

تنبيه

قال ابن القيم رحمه الله : سبب اختلاف العلماء في معنى الطرفة في هذا الحديث أن الفرية كانوا ينجون به على أن الكفر والفسقة ليست بقضاء الله بل هي عندنا ليس أصله . فحاول جماعة من العلماء محالهم بتأويل الطرفة على غير معنى الإسلام . وكما حجة مدب أن أكثر الشعوب من السبب قبل عن أنهم لم يجهوا من لفظ الطرفة إلا الإسلام ، ولا يلزم من حجة على ذلك ، والله ملخص الفرية لأن قوله : **﴿وَأُولَئِكَ يَهْدِيهِ اللَّهُ﴾** ((يحمل على أن ذلك بتقدير : الله تعالى . ومن ثم حجت عليهم بذلك بعونه في آخر الحديث « **اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا كَانُوا صَادِقِينَ** » فتح الباري (٣٥٠/٣) وانظر شعاع الطيل (٣٠٦/٢) ذرة الفعاري (٤١٧/٨)

(١) انظر المنهوج (٧٢/٨)

(٢) انظر المنهوج (٧٦/٨)

(٣) انظر ذرة الفعاري (٣١١/٨) شعاع الطيل (٢٩٩/٤) فتح الباري (٢٤٨/٣) الأسفل والرسائل الفريية عن الإمام أحمد في العقيدة (١٨٦/١)

(٤) انظر صحيح البخاري (١٧٩٢/٤)

(٥) انظر مسند شرح النعوي (٢٤٩/١٦)

(٦) انظر المنهوج (٦٢٦/٦)

(٧) انظر مجموع الفتاوى (٢٤٥٠/٤)

(٨) انظر شعاع الطيل (٣٠٢/٢)

(٩) انظر تفسير ابن كثير (٦٨٨/٣)

وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على أن المراد بالقطرة في الآية : الإسلام ^(١) ، وهو مأثور عن جميع من السلف كصالحين وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير والصحابك وإبراهيم النخعي والحسن البصري ^(٢) عنهم رحمة الله

فهذا تفسير الصحابي الراوي للحديث وهو أعلم بما سمع ^(٣)

٢ أنه جاء في بعض ألفاظ الحديث ((ما من مولود يولد إلا وهو على الفطرة))

قال ابن القيم - « فهذا صريح بأنه يُولد على ملة الإسلام » ^(٤) .

٣ حديث عباس بن حمزة الثعالبي أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تعالى : ((إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإني أنزلتهم على الفطرة فاحتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم يزلوا به سلفاً)) ^(٥) .

قالوا : هذا الحديث صريح في كون المولود يولد على الإسلام لأن معنى الحقيقة : الإسلام ^(٦)

٤ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((خمس من الفطرة)) ^(٧) وذكر منهن قص الشارب ولاعتان وهي من سنن الإسلام ^(٨) .

على هذا القول قد يتوهم بعض الناس أن هذا الحديث يخالف الأحاديث الأخرى والتي فيها سبق تقدير السقاة والسعادة ، لأنه إذا كان بعض الناس قد كُتب عليه أن يكون شقياً فكيف يولد على الإسلام ؟

(١) انظر التمهيد (٧٢/١٨)

(٢) انظر تفسير الطبري (١٨٤ - ١٨٣/١) التمهيد (٧٢/١٨)

(٣) انظر درة المعارض (٣٧١/٨)

(٤) شعاب العليل (٢٠٢/٢)

(٥) أخرجه مسلم (٢/١٧) ج (٢٨٦٥)

(٦) انظر درة المعارض (١٨ - ٣٧١ - ٤٣٢) التمهيد (٧٦/١٨) مسلم بشرح النووي (٢/٣١١٧)

(٧) متن عيه البخاري (٢٢٠٩/٥) ج (٥٥٥) ومسلم (١٤٨/٢) ج (٢٥٧)

(٨) انظر التمهيد - (٧٦/١٨) درة المعارض (٣٦١/٨) ومسلم (١٤٨/٢) ج (٢٥٧)

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

لم 'جد غير قول واحد في جمع بين هذه النصوص ولعلّه هو المتّمسّ وذلك إذا فسّرنا الفطرة بالإسلام^(١) كما تقدم .

وأما إذا فسّرنا لفظة بعر الإسلام كما هو الحال في الأقوال الأخرى - فإنه قد ينتمي هذا الإشكال ، لكن يبقى تفسير الفطرة بعر الإسلام قولاً مرجوحاً

والمتحقّق أنه حتى على القول بأن المراد بالفطرة الإسلام فإنه لا إشكال ولا تناقض ولا تعارض بين هذه النصوص بحمد الله

ويبان ذلك أن معنى^(٢) إن كتابة الشقاوة والسعادة على الإنسان قبل أن يولد حق لا مريّة فيه ، ولكن ليس في ذلك ما ينافي كون المولود يولد على الإسلام ، لأن المراد بكتابة الشقاوة والسعادة إما هو باعتبار لنال وخاتمة ، وهذا لا يمنع من أن يكون قبل ذلك مولوداً على الإسلام

وعلى هذا فمن كتب شيئاً منه لاند أن يصير إلى ما في علم الله فيعرض له ما يُغيّر فطرته كما تولد البهيمة جمعاء وقد علم الله أنها ستجدع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والنقص هو تصور ((كل مولود يولد على الفطرة)) وأن من قال بأنّه الفسر وأن الله كتب الشقي والسعيد لم يمنع ذلك أن يكون ولد على الإسلام ثمّ يُغيّر بعد ذلك كما تولد البهيمة جمعاء ثمّ يُغيّر بعد ذلك ، فإن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه ، فيعلم أنه يولد سليماً ثمّ يتغير

والإكثار المتقوية عن السلف لا يدل إلا على هذا القول الذي رجحناه وهو أنهم ولدوا على لفطرة ثمّ صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة ، لا تدل على أنه

(١) وليس المراد من تفسير الفطرة بالإسلام أن يكون المولود حين يخرج من بطن أمه يصرخ وهو يعلم هذا الدين ويعتصم بالعمل ويربّه لأن الله تعالى يقول ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة الآية (٢٨) ، ولكن المراد أن فطرته معصية وموجبة للدين الإسلام بخلقته وعيّه ، فليس الفطرة مستغنى عن الإقرار بحالته وعيّه وأخلاقه التي هي له ، وهو جيب الفطرة ومقتضاها عصب شيء بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سمع من تعارض نظر دهر الشارح (٣٨٣/١) تبصير المتأخر (٢٤٧/٤) شعاع المليل (٣٠٨/٢)

حين الولادة م يكن على قدره سليمة مقتضية للإيمان مستلزمة له لولا التعارض ^(١) .
 وقد أيضاً « من ابتداء على الصلابة أي كتبه أنه يموت صالاً ، فقد يكون قبل ذلك
 عاملاً بعمل أهل الجنة وحينئذ من ولد على الفطرة السليمة «مقتضية للهدى لا يتبع أن
 يعرض لما ما يعبرها يصير إلى ما سبق به القدرها ، كما في الحديث الصحيح . ((إن
 أحذكم لعمل أهل الجنة حتى ما يصير يسهل وبها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب
 فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن أحذكم لعمل أهل النار حتى ما يصير
 يسهل وبها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة)) ^(٢) « ^(٣)
 وأما قوله ﷺ ((إن العلم الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهن أبويه طغياناً
 وكفراً)) فإن معناه لا يخفى عن النعمى السابق وذلك أب معناه أن هذا العلم قدّر له أنه
 ستعبر فصره فيكفر وهذا ليس فيه ما منع أب يكون وولد على الفطرة السليمة
 قال شيخ الإسلام « طبع أي طبع في الكتاب أي قدر وقصي ، لا أنه كان كفراً
 موجوداً قبل أن يولد ، فهو مولود على الفطرة السليمة وعلى أنه بعد ذلك يعبر فيكفر كما
 طبع كتابه يوم طبع » ^(٤)

(١) مرة التعارض (١٦ ، ٨) وشرح شعاع العليل (٢٩٩/٢ ، ٣١٢) .

(٢) هذا قطعة من حديث تقدم شرحه ص (٢٥٩) قوله ((إن أحذكم ليجمع خلقه في بطن أمه .)) .

(٣) مرة التعارض (١١٢/٨) ومطهر مجموع الفاروق (٢٤٦/٤) .

(٤) د . ه . طعناص (٢٦٣ ، ٨) ومطهر (٤٢٧ ، ٨) ومجمع الفتاوى (٢٤٦/٤) شعاع العليل (٢٠٠/٢ ، ٢٢٢) .

المبحث الثالث : (والشر ليس إليك)

وفيه ثلاثة مطالب .

- المطلب الأول : ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض .
- المطلب الثاني : مذاهب العلماء نحاه هذا التعارض .
- المطلب الثالث : الترجيح .

المطلب الأول

ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض

أولاً : الأحاديث التي تفيد أن الشر من الله تعالى وأنه واقع بتقديره :

جاءت عدة أحاديث تفيد أن الخير والشر كلاهما واقع بتقدير الله تعالى ومن هذه الأحاديث ما يلي :

- ١- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)) ^(١) .
- ٢- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((كل شيء بقدر حتى العجز ^(٢) والكس ^(٣))) ^(٤) .

قال ابن عبد البر رحمه الله : « وفي هذا الحديث أدل الدلائل وأوضحها على أن الشر والخير كل من عند الله ، وهو خالقهما لا شريك له ولا إله غيره ، لأن العجز شر ولو كان خيراً ما استعاض منه رسول الله ﷺ ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد استعاض من الكسل والعجز والجبن والدين ، وعمال أن يستعيز من الخير » ^(٥) .

ثانياً : الأحاديث التي تفيد عدم إضافة الشر إلى الله تعالى :

جاء في ذلك حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في دعاء الاستفتاح للصلاة ، وفيه أن النبي ﷺ قال : ((لييك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك)) ^(٦) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٢٥٩/١) ح (٨) .

(٢) العجز : عدم القدرة ، وقيل : ترك ما يجب فعله بالتسوية . انظر النهاية في غريب الحديث (١٨٦/٣) . مسلم بشرح النووي (٤٤٤/١٦) .

(٣) الكس : العقل والخلق بالأمور . انظر النهاية في غريب الحديث (٢١٧/٤) مسلم بشرح النووي (٤٤٤/١٦) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب : كل شيء بقدر (٤٤٤/١٦) ح (٢٦٥٥) .

(٥) التمهيد (٦٣/٦) .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقبضه (٣٠٣/٦) ح (٢٧١) .

بيان وجه التعارض

كما لا شك فيه عند أهل السنة والجماعة أن الخير والشر من الله عز وجل وأنه تعالى مُقدر كل منهما ، وخالف كل منهما كما يدل عليه عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ وَقَدَرْنَاهُ ﴾ (١) وقوله : ﴿ اللَّهُ سَيِّدُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) .

قال أبو عثمان الصابوني : « ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والتفيع والضر بقضاء الله وقدره ، لا مرد لها ولا غيب ولا عيب عنها ، ولا يصيب للشر إلا ما كتبه له ربه » (٣) .

وقال النووي رحمه الله : « مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سؤلها غيرها وشرها » (٤) .

وقال ابن حجر رحمه الله : « ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى » (٥) .

وقال أيضاً معلقاً على حديث ابن مسعود رضي الله عنه : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه)) (٦) : « وفيه أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده » (٧) .
إذا تبين هذا فما هو الجواب عن حديث : ((والشر ليس إليك)) ؟ هذا ما سوف يتضح في المطلب الثاني إن شاء الله تعالى .

(١) سورة القدر : آية (٤٩) .

(٢) سورة الزمر : آية (٦٢) .

(٣) طبقة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٤) .

(٤) مسلم بشرح النووي (٣٠٦/٦) .

(٥) فتح الباري (١٧٨/١١) .

(٦) تقدم تعريفه من (٣٥٩) .

(٧) فتح الباري (١٩٠/١١) .

المطلب الثاني

مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض

تقدم لنا أنه لا إشكال عند أهل السنة والجماعة في كون الشر إنما يقع بتقدير الله تعالى وقضائه ، وبالتالي فإن الإشكال ينحصر في حديث ((والشر ليس إليك)) ، وقد سلك أهل العلم في توجيهه عدة مسالك كلها تنحى منحى الجمع ، وإليك بيان ذلك :

المسلك الأول : أن المعنى والشر لا يقترب به إليك ، وإلى هذا ذهب الحليل بن أحمد والنضر بن شميل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأبو بكر بن عزملة والأزهري^(١) والطحاوي^(٢) عليهم رحمة الله .

المسلك الثاني : أن المعنى والشر لا يضاف إليك على انفراده فلا يقال : يا خالق الشر وما مقدر الشر وما خالق القردة والخنزير ونحوها ، وإلى هذا ذهب أبو عثمان الصابوني^(٣) وحكي عن الرزني وغيره^(٤) .

المسلك الثالث : أن المعنى والشر لا يصعد إليك إنما يصعد للكلم الطيب والعمل الصالح^(٥) **المسلك الرابع :** أن المعنى أن الله تعالى لا يخلق شراً محضاً وأن الشر الذي يخلقه تعالى ليس شراً بالنسبة إليه ، لأنه صادر عن حكمة بالغة ، فقضاء الله وقدره كله خير لا شر فيه بوجه من الوجوه ، وإنما يكون الشر في المقضي الذي هو مفعوله وغلوقة .

ففرق بين فعل الله الذي هو فعله فإنه كله خير وبين مفعولاته وغلوقاته فإن فيها الخير والشر .

وإلى هذا القول ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن أبي العز وسليمان بن عبد الله عليهم رحمة الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ((والشر ليس إليك)) فإنه لا يخلق شراً محضاً بل كل

(١) انظر مسلم بشرح النووي (٣٠٦/٦) عون المبرود (٣٢٩/٢) معالم السنن (١٧٠/١) الاحتفاد للبيهقي (٧٦)

(٢) انظر مشكل الآثار (٣٣٥/١)

(٣) انظر غنية المستفاد وأصحاب الحديث (٢٨٥)

(٤) انظر مسلم بشرح النووي (٣٠٦/٦) عون المبرود (٣٢٩/٢)

(٥) انظر مسلم بشرح النووي (٣٠٦/٦) عون المبرود (٣٢٩/٢)

ما يتلقاه ففيه حكمة ، هو باعتبارها غير ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس وهو شر جزئي إضافي ، فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب منزّه عنه وهذا هو الشر الذي ليس إليه ^(١) .

وقال ابن القيم عليه رحمة الله تعليقاً على قوله ﷺ : ((والشر ليس إلهك)) : « فبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه ، بل كل ما نسب إليه فهو خير ، والشر إنما صار شراً لانتقطاع نسبته وإضافته إليه ، فلو أُضيف إليه لم يكن شراً ، وهو سبحانه خالق الخير والشر ، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله ، وخلقته وفعله وقضاؤه وقدره خير كله .

ولهذا نزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته : وضع الشيء في غير موضعه ، فلا يوضع الأشياء إلا في مواضعها الملائقة بها ، وذلك خير كله ، والشر وضع الشيء في غير محله ، فإذا وُضع في محله لم يكن شراً ، فعلم أن الشر ليس إليه وأسماءه الحسنی تشهد بذلك » ^(٢) . وقال أيضاً : « القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيبته ، وذلك خير محض وكمال من كل وجه ، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في اللغضي المقدر ، ويكون شراً بالنسبة إلى محليٍّ وخيراً بالنسبة إلى محلٍّ آخر ، وقد يكون خيراً بالنسبة إلى المثل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب ، وهذا كالتقصّاص وإقامة الحدود وقتل الكفار فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه ، بل من وجه دون وجه ، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والتكال ودفع الناس بعضهم ببعض » ^(٣) .

(١) مصروع فتاوى (٢٦٦/١٤) ونظير (٩٤/١٧) شرح المفيدة الطحاوية (٥١٧) مسلم بشرح النووي (٣٠٦/٦) عون المعبود (٣٢٩/٢) نيسر العزيز الحسيد (٦٩١-٦٩٢) إزالة الستار عن الجواب للفتاوى لابن القيم (٣٨) .

(٢) شفاء العليل (٦٤/٢) .

(٣) شفاء العليل (٢٥٧/٢) ونظير (٢٦١/٢) حادي الأرواح (٤٥٨) .